

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أبو القاسم سعد الله

بوزريعة -02-

كلية العلوم الإنسانية  
قسم التاريخ

## السياسة العثمانية المتوسطة وأثرها على الجزائر في الفترة الحديثة "1492-1711م"

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث  
إعداد الطالبة : إشراف الأستاذ الدكتور:

أرزقي شويتام

ربيعة بهلول

أعضاء اللجنة المناقشة:

- |              |                                 |                    |
|--------------|---------------------------------|--------------------|
| رئيسا.       | جامعة الجزائر2                  | أ.د.مختار حساني    |
| مشرفا ومقررا | جامعة الجزائر2                  | أ.د.أرزقي شويتام   |
| عضوا         | جامعة الجزائر2                  | أ.د.محمد دراج      |
| عضوا         | جامعة الجزائر2                  | د.ة. بوحمشوش نعيمة |
| عضوا         | المدرسة العليا للأساتذة الأغواط | د.ة. رقية شارف     |
| عضوا         | جامعة البويرة                   | د. ياسين بودريعة   |

السنة الدراسية : 2023/2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رب اوزعني أن اشكر نعمتك  
التي أنعمت علي وعلى والدي  
وأن أعمل عملاً صالحاً ترضاه  
وأدخلني برحمتك في عبادك  
الصالحين ﴾

[النمل: 19]

صدق الله العظيم

# الإهداء

أهدي عملي هذا إلى اللذين خصهما الله بالطاعة وميزهما برقي المنزلة، وجعل بين أيديهما مفاتيح الجنة، إلى من قال فيهما سبحانه وتعالى "وبالوالدين إحسانا " أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى وجوه لن تنطفئ محبتها في قلبي إلى الأبد...، إلى والدي الكريمة حفظها الله، إلى روح والدي رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه آمين.

إلى الروح التي بزغت في شمس الأمل بزوغاً أبدياً وكان لي نعم الأخ الذي شق معي دروب الحياة بالإرادة الثابتة، إلى من قاسمني الحياة بمرها وحلوها، وحلق معي في فضاءات شاسعة وقطفنا من جناحها ما كتب الله لنا، إلى من سار معي مسيرة الحياة الجامعية بكل ما فيها من تعب، إلى من كانت بسمته ونظرته تبعث في نفسي القوة وحب الحياة، إلى أخي المدلل الوحيد "جمال المدعو مراد" إلى ابنة أخي المدلل الكتكوتة أفنان حفظها الله، إلى شريك الدرب زوجي الغالي .

إلى عين الوجود وشقائق النعمان أخوات الفؤاد والروح أزهار النرجس المتفتح إلى ملائكة الوجود أخواتي: سامية، نعيمة، صليحة، سعاد، فهيمة، بسمة، فايذة.

# شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : "لئن شكرتم لأزيدنكم"

الشكر لله أولاً، الذي رسم لنا طريق الصواب، وأنار لنا بنوره ظلام الجهل، وأعاننا بفضلته على إنجاز هذا العمل المتواضع.

كما أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى:

الأستاذ الفاضل و المحترم و المشرف "أرزقي شويتام" أطال الله في عمره و حفظه، والذي أتاح لي فرصة العمل معه فكان نعم المرشد والمعين على إنجاز هذا العمل أستاذي المحترم أخلاقك الرفيعة وتواضعك المميز وعلمك الغزير جعلت منك إنساناً مثالياً إلى حد بعيد في تعاملك مع الطلبة، فغرست في روح المثابرة و الإجتهد و حب العمل خاصة حينما تقول: إلى الأمام وذلك عند كل لقاء معك.

فألف شكر لك

كما لا أنسى أساتذتنا الكرام الذين لم يبخلوا علينا بمساعدتهم ونصائحهم التي قدموها لنا، وأخص بالذكر الدكتور: محمد دراج، موسى هوارى، عمار بن خروف، توفيق دحماني، بلقاسم رحماني، بوعزة بوضرساية، يحيوي عبد الوهاب، والأستاذة مهيبيل بجامعة الجزائر، وكذلك يوسف مناصرية، وعلي أجقو، ومسعود مزهودي، ومختار هوارى وزوجته، عبد الحميد بعبطيش بجامعة باتنة، حفظ الله بوبكر والشكر موصول كذلك إلى الدكتور حسين بلحرش بجامعة سطيف، أيضاً الشكر موصول إلى الدكتور الهادي بوطارن والدكتور مبارك بوطارن وزوجته بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة.

أيضاً الشكر موصول إلى عمال الأرشيف الوطني الجزائري ببنر خادم، وعمال المكتبة الوطنية الجزائرية "الحامة"، وإلى كل عمال المكتبة المركزية ببوزريعة، كما لا أنسى عمال المركز الوطني للجيش بالجزائر، وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد من الأساتذة والزملاء والأصدقاء، كما لا أنسى خالي العزيز محمود قانة مدير دار النشر بباتنة وكل ما قدمه لي من مساعدة، كما لا أنسى المدير الفرعي لشركة سوناطراك بحاسي الرمل يحيوي سمير وكل ما قدمه لي من مساعدة أيضاً. والشكر موصول إلى زميلاتي وزملائي في الدفعة وأخص بالذكر: مليكة منصورية، هاجر كتفي الشريف، الهاشمي عزالدين، جمال عوشاش.

وفي الأخير أتقدم بشكر خاص إلى زميلاتي وزملائي الدفعة الأخيرة ليسانس بجامعة الحاج لخضر باتنة وأخص بالذكر: الطاهر دوباخ، خويلد ميداني، حداد عبد الباسط، هشام بوشامة، محمد غنام، أحمد وناسي، والشكر موصول إلى كل من سقط اسمه سهواً بين ثنايا الأوراق فقلبي يذكرهم حتى ولو نسيهم القلم.

مقدمة

إن الحديث عن البحر مقرونا دائما بالحضارة، وأن الحضارة على مر العصور ترتبط ارتباطا وثيقا بصفاف الأنهار وشواطئ البحار والمحيطات، ومن هنا فإنه مثلما قال المؤرخ الفرنسي فرنان بروديل f.Braudel المتحكم في البحر دوما هو المتحكم في الثروة، وهو يملك كل مقومات السيادة والقوة، إلا أن بعض الكتابات الغربية وهي تتحدث عن البلدان المغاربية وعلاقتها بالبحر تحاول دوما أن تربطها بجهل البحر وعدم درايتها به، وفي ذلك قال روبير مونتران R.Montargne " إن المغاربة لا يحبون البحر ولا يعرفون عنه شيئا، وهو يخلق لديهم شعورهم عميقا بالرعب". كل هذا يرسخ التحالف الغربي على نفي صفات التمييز لشعوب بلدان المغرب وتجريدهم من مظاهر القوة التي جعلتهم أسيادا لفترات على حوض البحر المتوسط، وكل ذلك يهدف إلى التقليل من قيمة شعوب هذه البلدان وإخفاء أمجادها.

إلا أن الدارس لتاريخ الجزائر يجد أنه يرتبط منذ أقدم العصور بالبحر، باعتبار أن موقعها على ضفاف البحر المتوسط جعلها جزءا جوهريا في بناء تاريخها إما سلما أو حربا، بل إنها في كثير من الحقب التاريخية كانت محورا منفردا في بناء العلاقات بمختلف اتجاهاتها. وبحلول القرن السادس عشر ميلادي كان على شرق البحر المتوسط إمبراطورية مسلمة هي الدولة العثمانية، وعلى غربه إمبراطورية مسيحية هي الدولة الإسبانية، وكان لكل منهما نزعتة الدينية، يسعى للسيطرة على هذا البحر، ولم تقتصر المنافسة على البحر، بل تجاوزتها إلى البر، وظلت الدولة العثمانية تتقدم في أواسط أوروبا منذ القرن الرابع عشر ميلادي، وأضحت إسبانيا جارة لها برا منذ أن انتخب شارل ملك إسبانيا إمبراطورا تحت اسم: شارل الخامس، الذي امتد نفوذه إلى بريطانيا، وألمانيا، وهولندا... الخ.

والإسبان بعد سقوط غرناطة سنة 1492م لم يكتفوا بشبه جزيرتهم، بل صاروا يتجاوزونها ويطمحون إلى الاستيلاء على شمال إفريقيا، والدولة العثمانية بصفتها جارة في البحر أيضا لم يكن بإمكانها أن تسكت عن ذلك ولا تستطيع أن تصمت أمام طلب النجدة

والإغاثة عن المناطق المتضررة، فتدخلت واستقرت في شمال إفريقيا وأضحى " حوض البحر المتوسط مع البحر الأحمر والمحيط الهادي" ساحة جديدة خلال القرن السادس عشر ميلادي للصراع الممتد والعنيف بين الإسلام والمسيحية.

وكان امتداد الوجود العثماني في المجال المغربي قد تم بدون غزو، كما حدث في باقي المناطق، وظل البحر المتوسط يلعب دورا هاما في السياسة العالمية، وكان الصراع العثماني الإسباني الذي لم تلعب فيه الدويلات الإسلامية دورا أساسيا بمفردها. وكان الصراع بين القوتين المتصارعتين العثمانية والإسبانية والذي أصبح بشكل مباشر، وهذا حين قررت الدولة العثمانية ضرورة ضم شمال إفريقيا إلى الإمبراطورية العثمانية بعد أن نجحت في تدعيم قوتها البحرية أمام أساطيل إسبانيا والبندقية. وقد شهدت منطقة حوض البحر المتوسط الغربي خلال القرن 10هـ/ القرن 16م تطورات عديدة، وتغيرات هامة في تغيرات هامة في العلاقات التي كانت قائمة بين مختلف الدول المطلة عليه مست جوانب مختلفة منه، وكان لها انعكاسات هامة وضمن هذا الإطار تتدرج دراستي الموسومة ب السياسة العثمانية المتوسطة وأثارها على الجزائر في الفترة الحديثة (1492م-1711م).

### دوافع إختيار الموضوع :

- 1- تقديم صورة عن طبيعة السياسة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط .
- 2- محاولة الإطلاع على الأوضاع التي كانت تمر بها الجزائر، وذلك لفهم طبيعة الأحداث التاريخية التي مرت بها الإيالة في تلك الفترة والقدرة على تحليلها.
- 3- محاولة إبراز علاقة التأثير والتأثر بين الدولة العثمانية وإيالة الجزائر وبعض الدول الأوروبية.
- 4- أيضا ما دفعني لدراسة هذا الموضوع قلة الدراسات المتخصصة في هذا المجال.

كما كان لاقتراحات أستاذه الفاضل المشرف في مرحلة الماجستير الأستاذ الدكتور أزرق شويتم، وكذا الآن في مرحلة الدكتوراه دور كبير في توضيح جوانب الموضوع والإشارة إلى المصادر والمراجع التي تناولته، مما عزز رغبة البحث عندي في هذا الموضوع.

كما لم يكن اختياري لموضوع هذا البحث اختيارا عشوائيا، بل كان متعلقا بأهمية الموضوع ذاته، بارتباطه ارتباطا وثيقا بتاريخنا المعاصر.

إن موضوع السيطرة العثمانية على المشرق العربي هو موضوع ذو حساسية شديدة لذا فقد تناولته بالبحث العديد والعديد من المؤرخين والباحثين العرب والأجانب، وفي نفس الوقت كان لموضوع السيطرة العثمانية على بلدان المغرب العربي نفس تلك الأهمية التي أفرد لها المؤرخون العديد من الأبحاث التي تناولتها.

كما أنني وجدت من خلال اطلاعي على هذه الأبحاث أن الموضوعين قد ارتبطا ارتباطا وثيقا لا يمكن فصله ولكن يمكن الاستفادة به لمعرفة العديد من الأسباب والنتائج التي تتعلق بالموضوعين، فإن منطقتي المشرق والمغرب العربييتين كانتا ترتبطان بظروف سياسية واحدة وعلاقات متبادلة فضلا عن تعرضهما لنفس الأخطار الخارجية المتمثلة في الاستعمار الأوروبي أولا وهو الإسبان والبرتغال.

وبالتالي تبرز **أهمية الموضوع** وأهدافه بالأساس في التعرف على الجوانب التي ميزت الدولة العثمانية في تلك الفترة ومحاولة عرض وتفسير كل الأحداث التاريخية التي كان لها ارتباطا وثيقا بمختلف التغيرات الهامة بالمجالين السياسي والاقتصادي، ولذلك سيتمحور الغرض من هذه الدراسة بمحاولة الإحاطة قدر الإمكان بمختلف الأوضاع في تلك الفترة.

وكان هدفي من دراسة هذا، الموضوع هو إبراز طبيعة السياسة التي اتبعتها العثمانيون في الحوض الغربي للمتوسط في الجانبين السياسي والاقتصادي، وأيضا لتوضيح طبيعة العلاقة بين العثمانيين والأوروبيين من جهة، وبين إيالة الجزائر والعثمانيين والأوروبيين من جهة ثانية.



بالغة لتوضيح كل المسارات والتحويلات السياسية والاقتصادية، والحقيقة أن المنهج المتبع في هذه الدراسة ليس منهجا واحدا وإنما عدة مناهج، وذلك بحسب الموضوع المعالج والاشكاليات المطروحة بخصوصه، فالتوجه الجديد الذي يعرفه البحث التاريخي من خلال إدخال واستغلال عدة مناهج في مختلف فروع البحث العلمي، فرض علينا استخدام مناهج مساعدة لضبط محاور الموضوع من مختلف جوانبه.

فأول هذه المناهج باعتبارنا باحثين في التاريخ هو المنهج السردى، الذي يعتمد على ذكر الأحداث التاريخية وترتيبها وفق منظورها الكرونولوجي، وقد وظفت هذا المنهج في أغلب فصول هذه الأطروحة، هذا المنهج ارتبط كثيرا بالمنهج آخر وهو المنهج الوصفى والذي لا مناص منه في هذا النوع من البحوث، إذ أنه يهتم بوصف الوقائع والأحداث التاريخية ومختلف المواقف من خلال حقائقها التاريخية.

وفي بعض الأحيان لجأنا إلى المنهج التحليلي لفهم وتحليل الوقائع التاريخية وشرحها بنزاهة وموضوعية للإجابة عن التساؤلات المطروحة. كما لا تخلو هذه الدراسة من اعتماد المنهج المقارن وقد وظفناه في مقاربات لفهم بعض الحقائق التاريخية، كما اعتمدنا عليه في دراسة بعض الاستنتاجات.

### خطة البحث:

في الحقيقة صعب علي تشعب الموضوع لوضع خطة ثابتة لموضوع الدراسة في البداية، وبعد محاولات كثيرة توصلت إلى وضع خطة بدت لي أفضل حال لتناول هذا الموضوع، وتأسيسا على إشكاليتنا الرئيسية وجزئياتها فقد قسمنا الأطروحة إلى خطة مبنية على مقدمة وعرض وخاتمة.

في العرض تناولت مدخل وخمسة فصول، بحيث كان عنوان المدخل الأهمية الجغرافية والسياسية والإقتصادية لحوض البحر المتوسط. لقد عرفت سواحل البحر المتوسط اختلافات كثيرة من حيث خصائصها الجغرافية مما انعكس سلبا أو إيجابا على تركيز الأنشطة البحرية في مناطق دون غيرها. وقد ساهمت طبوغرافية الساحل المتوسطي في تنوع الوحدات الطبيعية بالمغرب الأوسط من رؤوس وخلجان ومصبات أنهار، كما لعبت دورا في استقرار وجذب السكان

إلى المنطقة وممارستهم لمختلف الأنشطة، ونظرا لوقوع المغرب الأوسط في شمال القارة ومقابلة ساحله للساحل الأوروبي وتوسطه ساحل المغربين الأقصى والأدنى جعله يكتسي أهمية قصوى بالنظر لما يمثله من إمكانيات واسعة للاتصال الخارجي بعيدا عن ضغوط الحدود القارية والبرية. كما تطرقت في المبحث الثالث من المدخل إلى إبراز الأوضاع الداخلية والخارجية للمغرب الأوسط في أواخر القرن 15م، بحيث شهدت هذه المنطقة أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م تدهورا على مختلف المستويات السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية مما جعل الإسبان يستغلون هذه الأوضاع ليرسخوا أقدامهم وينفذوا مشروعهم الإستعماري في هذه البلاد.

فأما الفصل الأول فسيخصص لدوافع المد العثماني لبحر المتوسط، وهو مقسم إلى خمسة مباحث التي تتمحور عناوينها كالتالي المبحثين الأول والثاني: الدوافع السياسية، الإستراتيجية، الدينية والاقتصادية للمد العثماني في المتوسط، أما المبحث الثالث: الاحتلال الإسباني لسواحل الجزائر مطلع القرن 16م، والمبحث الرابع: مظاهر من أعمال القرصنة على سواحل المغرب الأوسط، في حين المبحث الخامس: ردود الفعل المحلية والدولية من التواجد العثماني بالجزائر. وما جاء في هذه المباحث التوترات والأوضاع التي عاشتها سواحل البحر المتوسط من غزو إيبيري على هذه المنطقة، مما جعلها عرضة لأخطار وأطماع أجنبية انتهت باحتلال جل سواحل المتوسط انطلاقا من سبة ومليلة 1497م ومرورا بالمرسى الكبير ووهران ومستغانم... ليصل المد الأجنبي إلى أقصى نقطة في المغرب الأدنى "جربة" فهذا ما دفع بسلاطين الدولة العثمانية منذ بداية القرن 16م نحو المتوسط من أجل حماية الإسلام، ورغم ما يثار حول مطامع العثمانيين الاقتصادية في المنطقة، فإن الجانب الديني يبقى الحافز الأساسي لهذا التحول، فالمسؤولون في الدولة العثمانية كانوا على علم بما كان يتعرض له

المسلمون من اضطهاد على يد المسيحيين ولذلك سخرت الدولة أساطيلها القوية للدفاع عن الممالك الإسلامية في شرق وغرب المتوسط، ونشير هنا إلى الدعم العسكري الذي كان يخص به سلاطين الدولة العثمانية دولة المماليك في مصر لرد الخطر المسيحي عن البقاع المقدسة وإلى الأعمال البطولية للمجاهدين عروج وخير الدين في عرب البحر المتوسط، اللذين تمكنا من خلال حملاتهم المتكررة على سواحل إسبانيا ونقل عدد كبير من المسلمين الفارين من الاضطهاد المسيحي إلى سواحل المغرب. ونشير أيضا إلى الدعم الذي كان الأخوين بربروس يقدمانه باستمرار للمجاهدين في منطقة المغرب في حروبهم مع المسيحيين.

أما الفصل الثاني فهو تحت عنوان مراحل التوسع العثماني في المتوسط، وهو يتضمن ثلاثة مباحث معنونة كما يلي: المبحث الأول: مواجهة نفوذ الجمهوريات الإيطالية. لقد تشكلت المدن الإيطالية من حكومات جمهورية تمتعت بالحكم الذاتي وهو تعبير عن طبقة التجار التي تشكل العمود الفقري لقوتها، ويتداخل تاريخ الجمهوريات البحرية الإيطالية على حد سواء مع التوسع الأوروبي إلى الشرق، حيث يسير مركز إيطاليا بين الشرق والغرب لها الاستفادة أكثر من سائر الدول من التجارة مع أوروبا وبيزنطة والشام وسائر بلاد المسلمين فقد كان لها على البحر الأدرياتيكي مدائن البندقية ورفانا وأنكونا وباري وبرنديزي وتارنتو وكان لها في الجنوب مدينة كرتون وعلى الساحل الغربي مدن سالرنو، وأمالي، ونابولي، وبيزة هذا بالإضافة إلى مدينة فلورنسا التي كانت مركزا مصرفيا لهذه التجارة، وكانت أنهار إيطاليا تنقل بعض هذه التجارة إلى داخل القارة الأوروبية لذلك ازدهرت المدن الإيطالية خاصة جنوة وبيزة والبندقية. المبحث الثاني: ضمان المسالك البحرية ومحاولة إحتلال مناطق النفوذ، بحيث شاع خبر الأتراك في البحر المتوسط ابتداء من سنة 1503م فكانوا يغيرون على شواطئ جنوة وفرنسا وإسبانيا وسردينيا ومايورقا وسينورقا واليابسة وفي شرق البحر وصقليا وقبرص ورووس ونابل، وكثيرا ما كانوا يتفقون على أعدائهم وكونوا أسطولا عثمانيا هاما كانوا يغزون بواسطته تلك الأقطاب إلى أن ظهر في

عنفوان أمرهم رجلان هما عروج وخير الدين المدعوان بربروس وكانت الأساطيل تلتقي بعنف شديد، وكثيرا ما كان البحارة الأتراك منتصرون على أعداهم بشجاعتهم فيجلبون الأسرى الذين كان يسلم الكثير منهم ويشاركون هم أيضا في الحروب البحرية ضد النصارى. ومن بين المسالك البحرية التي تم فتحها: القسطنطينية، بلغراد، رودس، المجر... اما **المبحث الثالث: المعارك الكبرى ضد الأوروبيين أهمها: معركة بريفيزا** بروزا 1538م، **حصار مالطا** 1565م، **معركة ليبانت** 1571م.....

وكان **الفصل الثالث الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي، وهو يندرج تحت ثلاثة مباحث، المبحث الأول: الأوضاع الداخلية في الأقطار المغربية، المبحث الثاني: الأطماع الأوروبية في الأقطار المغربية ودوافع الإحتلال، المبحث الثالث: ظروف إلتحاق الجزائر وتونس وطرابلس بالدولة العثمانية.** يمثل موضوع العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الأقطار المغربية العنصر الأكثر حركية، وبالتالي فهو يكون عنصر الربط بين أحداث التاريخ التي قد تبدوا متناقضة، كما أن علاقات الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني تتدرج ضمن ثلاث أصناف عريضة تلك مع دول المجاورة تونس المغرب الأقصى والعلاقات الجزائرية الأوروبية ، ففي الحالتين الأولى والثانية كان الهدف الأساسي واحد، يتمثل في منع أي تحالف أو تجمع قوي يؤدي إلى القضاء على الإيالة أو تهديد أمنها الخارجي.

تشير معظم الدراسات إلى الدور السياسي الذي لعبته كل من تونس والمغرب الأقصى في إضعاف القدرات الحربية للجزائر، وهذا من خلال الحروب المتبادلة بين الجزائر والجارتان تونس والمغرب الأقصى، وهو الأمر الذي كان له دور مميز في الإخلال بالقوة الدفاعية للجزائر هذا من جهة، ومن جهة أخرى التدخل من الدولتين المجاورتين كان أمر متوقعا، لأن الجزائريين كانوا يتدخلون بدورهم في شؤون جيرانهم في الأوقات المناسبة سواء في الإيالة التونسية، أو المغرب الأقصى.

أما الفصل الرابع فكان عنوانه: التقارب العثماني الأوروبي وانعكاساته. ويضم ثلاثة مباحث هي: المبحث الأول: دوافع منح الامتيازات للدول الأوروبية، المبحث الثاني: التقارب العثماني الفرنسي، المبحث الثالث: التقارب العثماني الإنجليزي 987هـ/1580م.

لم تكن الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية ولية القرن 16م وإنما هي إمتداد للتاريخين القديم والإسلامي. وقد ورثت الدولة العثمانية هذا النوع من المعاهدات عن الدولة البيزنطية. فقد كان البنزنطيون يتخذون تلك المعاهدات كشرط أساسي للتبادل التجاري ومن أجل استمرار سياستهم الداخلية والخارجية، لذا كان من الطبيعي أن يتبنى العثمانيون هذا النظام خاصة بعد أن توسعت رقعة الدولة العثمانية في كل من آسيا وإفريقيا وأوروبا. وكانت فكرة نشرة الدين الإسلامي من بين الأهداف التي كانت الدولة العثمانية تسعى إلى تحقيقها وقد اعتمدوا على الوسائل السلمية و تحديدا عن طريق عقد معاهدات وامتيازات و بذلك تم دخول الإسلام إلى أوروبا عبر البوابة الجنوبية الشرقية بواسطة التجار المسلمون الذين كانوا يتعاملون مع تلك الدول الأجنبية وقد نتج عن هذه الامتيازات تخلي مجموعة من الأوروبيين عن المسيحية و اعتناق الإسلام هروبا من سياسة شارل الخامس وبطشه والاحتماء بالسلطين العثمانيين. ومن جهة أخرى تعتبر معاهدات الامتيازات التي أبرمتها الدولة العثمانية إذ نجد مثلا معاهدة الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية لفرنسا 1535م تنص على بعض البنود التي تهدف إلى حماية هؤلاء الأجانب مثل تحرير أسرى الحرب ويتجلى معظم بنود تلك المعاهدات في حقوق كفلتها الشريعة لأهل الذمة سواء تجارية أو غيرها.

أما ما يتعلق بالدوافع الخاصة ببريطانيا والتي دفعتها إلى إقامة علاقات تجارية مع الدولة العثمانية فهذا يعود إلى الفوائد المترتبة عن ذلك وفي مقدمتها تحقيق أرباح تجارية طائلة والتخلص من الوسطاء التجاريين، إضافة إلى رفع مستوى البحرية التجارية الإنجليزية وأيضا حصول إنجلترا على امتيازات تجارية موازية لتي منحت لفرنسا في عهد السلطان "سليمان القانوني" في معاهدة الامتيازات 1535م، وكان أهم امتياز حصلت عليه إنجلترا هو رفع علمها على متن سفنها في المياه العثمانية، وحصول رعاياها على حرية التجارة دون

الحاجة إلى العمل تحت راية العلم الفرنسي وتخفيض الضرائب على تجارها بعد الطلب الذي تقدمت به الملكة للسلطان العثماني.

أيضا من العوامل التي ساهمت في حدوث التقارب العثماني الإنجليزي اغتنام إنجلترا توتر العلاقات العثمانية الفرنسية بسبب أزمة الحكم في بولونيا وسارعت إلى عقد معاهدة الامتيازات التي حصلت بموجبها إنجلترا على امتيازات خاصة فيما يتعلق بالأنشطة التجارية.

وعن الفصل الخامس والأخير والذي تمحور حول: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر. ويحتوي على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: في المجال السياسي (وجود نظام الحكم والمؤسسات الإدارية، القوة العسكرية البرية والبحرية، المبحث الثاني: في المجال الاقتصادي) توفر المقومات الاقتصادية (الزراعة الصناعة التجارة...)، المبحث الثالث: المجال الاجتماعي (ارتفاع عدد السكان وتعدد الأعراق الأتراك الأعلاج الكراغلة الأندلسيين...) لكن مع نهاية القرن السادس عشر ميلادي تغير الوضع الذي كان سائدا في إيالة الجزائر، مما جعل الدولة العثمانية تفكر في تغيير نظام الحكم في الإيالة، وقررت فصل هذه الولايات عن بعضها ويمكن لنا أن نعتبر نقطة التحول هذه بدأت سنة 1565م، حين وضعت الدولة العثمانية التقسيم الإداري لإيالة الجزائر، أيضا هذا التاريخ يمثل فشل الأتراك في حصار مالطة، وخلالها بدأ الإنطواء التركي وتراجع البحرية العثمانية، كما كان مقدمة لهزيمة ليبانت 1571م، التي وضعت حدا للفتوح البحري العثماني وبعد هذه الهزيمة التي منيت بها الدولة العثمانية أصبحت غير قادرة على مراقبة كل ولاياتها، ولهذا السبب رأت أنه من الأنسب أن تجعل ولايتها (إيالة الجزائر) أكثر ارتباطا بالمركز (استانبول)، لذا فكرت في تقسيم الولايات وتغيير الحكم وإسناد كل إيالة إلى باشا يحكمها وتكون علاقته باستانبول بدل إيالة الجزائر كما كان سابقا كان نظام حكم الباشوات ما هو إلا استمرار لنظام حكم البايكبايات، وإنما اختلفت في التسمية فقط كان الباشا يهتم بمصالحه الشخصية بطرق غير مرضية بجمع أموال الضرائب للإثراء وشراء منصبه ونهب مرتبات الجند، دون أن يعبأ بأوامر السلطان العثماني ومشاكل الشعب وأحواله، فأرهبوا سكان الجزائر بجشعهم، مما أثقل كاهل الرعية وهم الأهالي الخاضعين للضريبة، إضافة إلى تعدد الموظفين القائمين على جمعها. وقد لقد عرفت البحرية الجزائرية تطورا كبيرا في النصف الثاني من القرن السادس عشر والقرن السابع عشر الميلاديين، سواء من حيث الهياكل أو من حيث المداخل وتعتبر البحرية الجزائرية القوة الأولى التي اعتمد عليها الأتراك العثمانيون في

بسط نفوذهم في البلاد. وتعتبر المساعدات البحرية التي قدمتها الدولة العثمانية للإيالة الجزائرية إحدى مظاهر الارتباط بينهما، ولهذا أخذت في بعض الأحيان طابعا ديبلوماسيا يتمثل في تجديد وإحياء الصلات العريقة بين البلدين..

وتعتبر قضية الأسرى في البحر المتوسط قضية روتينية، مادامت هذه الدولة لم توقع على معاهدة سلم تكفل لها حرية العبور في المتوسط، وأغلب هؤلاء الأسرى كانوا بحارة وقليلًا منهم مسافرين، وبعد القدوم بهم إلى الجزائر كان يتم بيعهم في الأسواق والاحتفاظ ببعضهم كعمال تابعين لسلطة الدولة، انعكست هذه الغنائم إيجابيا على إزدهار النشاط التجاري والحياة الاقتصادية فصارت مدينة الجزائر بهذه الغنائم نموذجا يضاهي أسواق بلاد الهند في رخصها إذ كان التجار يشترونها بدرهم ويبيعونها بعشرة.

كما عرفت الجزائر هجرة أندلسية واسعة طبعت العالم المتوسطي خلال الفترة الأخيرة من العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، وساهمت بشكل فعال في التاريخ العثماني من خلال الإنخراط في جل الأحداث البارزة في تاريخ الدولة العثمانية، فبعد سقوط غرناطة عام 1492م قصد المهاجرون الأندلسيون مختلف المناطق الساحلية للمغرب الأوسط، واتخذوا من مدينة الجزائر كملجأ لهم، ومن الحكم العثماني نفوذا مناسبة لآمالهم وطموحاتهم، كما كان لهم الدور الفعال في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر، بالإضافة إلى أجناس أخرى كالراغلة والأعلاج والأتراك الذين شكلوا بدورهم نسيجًا اجتماعيًا عامله المشترك الدين الإسلامي رغم الاختلاف العرقي.

## الخاتمة

ولدراسة هذا الموضوع استعنت بمجموعة من الوثائق الأرشيفية والمصادر والمراجع نذكر أهمها:

### 1- الوثائق:

**الوثائق الأرشيفية الأصلية:** اعتمدنا في إنجاز هذا الموضوع على مجموعة من المصادر التاريخية العثمانية خاصة الوثائق المحفوظة في الأرشيف الوطني الجزائري المتمثلة في مهمة دفترى، وهي عبارة عن صور لأوامر أو تعيينات أو مراسلات ذات مواضيع مختلفة موجودة في الأرشيف

الوطني الجزائري جلبت من استانبول وأسندت مهمة ترجمة حوالي ألف وثيقة من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية لأستاذ محمد داود التميمي، وأيضا أرشيف المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة التي تشمل مجموعة من الرسائل والمخطوطات. وقد استعملت بعض الوثائق التي تخدم موضوعي.

أ- وثائق المجلة الإفريقية: La Revue Africaine وقد كانت لبعض هذه الوثائق علاقة مباشرة بموضوع البحث، وقد استعدت من الكثير منها خاصة الأعداد ( 09-10-17-23-84).

#### ب- المصادر:

استعدت في دراستي هذه من جملة من المصادر منها العربية، ومنها الأجنبية، المترجمة إلى اللغة العربية أو اللغة الفرنسية نذكر منها على سبيل المثال:

#### أ- اللغة العربية:

- غزوات عروج وخير الدين لمؤلف مجهول علق عليه نور الدين عبد القادر، يعتبر مصدرا هاما للنصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي استعدت به في الفصل الأول والثاني، وأيضا مذكرات خير الدين بربروس لـ مؤلف مجهول ترجمها الأستاذ الباحث " محمد دراج" من التركية إلى العربية واستعدت منها كثيرا.

- وصف إفريقيا لصاحبه الحسن بن محمد الوزان المعروف لدى الفرنسيين بليون الإفريقي، ترجم إلى عدة لغات منها العربية على يد محمد حجي وآخرون يعتبر من المصادر الهامة لمطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وهو يؤرخ لكل بلدان المغرب الإسلامي، كما يتطرق بالوصف لكل المناطق التي زارها المؤلف.

- محمد دراج، مذكرات خير الدين، وهو مصدر مهم للوجود العثماني في الحوض الغربي للمتوسط عامة والمنطقة المغاربية المتوسطية خاصة والجزائر بالأخص ( من بداية القرن السادس عشر الميلادي إلى نصفه تقريبا)، المتمثل في الإخوة بربروس وعلاقتهم السياسية وتحركاتهم العسكرية ضد الوجود المسيحي على وجه العموم والإسباني على وجه الخصوص.

- ابن رقية محمد بن عبد الرحمن بن الجيلالي التلمساني، الزهرة النايرة فيما جرى في الجزائر حينما أغارت عليها جنود الكفرة تحت رقم 2523 اعتمدت على هذا المصدر الجد مهم في الحملات الإسبانية على المنطقة المغاربية ورد فعل السلطة العثمانية في الجزائر لها وتعاون الأهالي معهم.

- أحمد أبو العباس بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، هذا الكتاب من اهم المراجع المستعملة خلال فترة الصراع العثماني الإسباني على تونس، ويمكن اعتباره مصدرا ومرجعا رئيسيا لهذه الدراسة.

ب- المصادر باللغة الأجنبية:

كتاب فراي دييغو دو هايدو المسمى ( الطبوغرافيا والتاريخ العام للجزائر) وقد كانت الاستقادة جمة من النسخة المترجمة للفرنسية من الإسبانية:

Diego De Haedo Topographie et histoire générale d'Alger, traduit de l'espagnol par: Mm le Dr.Monnereau et A Berbrugger En 1870, Imprimé Avalladolid, 1612.

Diego De Haedo, Histoire des rois d'Alger, traduit par: H.D.De Grammont Adolphe Jourdan, Libraire éditeur Alger, 1881.

كما استقدت من بعض المدونات التي سجلها بعض العلماء والرحالة والأسرى الذين زاروا الجزائر نذكر منهم: الفرنسي فونتير دو بارادي *venture de paradis* والذي زار الجزائر سنة 1195هـ/ 1789م، كما استقدت أيضا من كتاب للمؤلف " الأب دان " " Dan " الموسومة بتاريخ البرابرة وقراصنته:

Histoire de la Barbarie et de Ses Corsaires.

المراجع:

أ- باللغة العربية:

أما المراجع التي تناولتها في هذا الموضوع فكثيرة، لكنها تختلف من حيث أهميتها وموضوعيتها ومن أهمها:

- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زيادية، (م.و.ك)، الجزائر، 1980م، استفدت من هذا المرجع من نشأة الجزائر الفتية وهيبتها العالمية، وأيضا جون، ب، وولف، الجزائر وأوروبا "1500-1830م"، ترجمة، أبو القاسم سعد الله.
- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني.
- عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.
- محمد دراج، دخول العثمانيين إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس ( 1512-1543م).
- أحمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للمتوسط في القرن 16م. وأيضا له نسخة أخرى بعنوان إستراتيجية الفتح العثماني.
- رئيس إدريس الناصر، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر الميلادي.

#### ب- المراجع باللغة الأجنبية:

اعتمدت على مجموعة من المراجع باللغة الأجنبية، كانت لها أهمية علمية وهي تخدم موضوع الدراسة بصفة كبيرة نذكر منها:

De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque 1515-1830, Edition Leroux, Paris 1887.

De Grammont (H.D), Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830), Ernest Leroux, Paris, 1887.

Braudal Fernand, La Méditerranée et le monde Méditerranéen à l'époque de 4 philipe, T II, Armand Colin, Paris, 1965.

M. Belhmissi, Histoire de la Marine Algérienne 1516-1830 2<sup>e</sup>ed, Enal, Alger, 1986.

Carles George, la Turquie économique étude comparative de commerce Français et les étranger, Paris, 1906.

إضافة إلى أعداد من المجلة الإفريقية Le Revue Africaine التي كانت ولا تزال سندا لعديد الباحثين في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وقد أفادتني مقالاتها في أغلب فصول هذه الأطروحة.

كما كانت بعض الأطروحة الجامعية أحسن معين لي في عديد مباحث هذا البحث نذكر منها: رسالة ماجستير للأستاذة، عائشة غطاس الموسومة ب: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر الميلادي (1619-1694م)، وأطروحة دكتوراه للأستاذة بليل رحمونة الموسومة ب: القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564-1830م، وأيضا أطروحة دكتوراه للأستاذة جميل عائشة الموسومة ب: الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني " 1520-1830م"، وغيرها من الرسائل الجامعية.

إضافة إلى كل هذا اعتمدت على بعض المجلات الوطنية والدولية وبعض الندوات والملتقيات المحلية والدولية.

### الصعوبات:

لا يخلو أي بحث " جاد" في مختلف مجالات العلوم من صعوبات تثبط صاحبها أحيانا وتحفزه أحيانا أخرى على التحدي وتجاوز كل ما يعرقل مساره وهدفه العلمي المسطر، ولعل أهم الصعوبات التي واجهتنا، الصمت الرهيب للمصادر العربية عامة والمغربية خاصة عن ذكر ما يشير إلى السياسة العثمانية المتوسطة والتي كانت موضوع بحثنا، فهي عادة كانت ترد منها إشارات غامضة عن بعض الدول، إضافة إلى اتساع المجال أو الإطار الزمني للموضوع كان له من الصعوبة نصيب، أيضا اعتماد الدراسة على نسبة كبيرة من المراجع الأجنبية خلق نوع من الصعوبة لأن الأمر يحتاج إلى تخصيص وقت طويل لعملية الترجمة، التي كانت تستعصي علينا في بعض الأحيان لكثرة استعمال مصطلحات صعبة، حيث أن عملية الترجمة في هذه الحالة استدعت منا استشارة المختصين في الترجمة الذين حضروا أحيانا وغابوا كثيرا.

كما تعذر التنقل إلى اسطنبول لإحضار ما يمكن أن يخدم الموضوع من وثائق وأرشيفات، بسبب جائحة كورونا التي بكامل دول العالم.

وفي الأخير أذكر ما قاله "الأصفهاني" في أن كل عمل بشري إن زيد أكثر فقد يكون أفضل بقوله: "...إني أرى أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا العمل لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر...".

فهذا هو الجهد الذي حرصت فيه مع مشرفي الأستاذ الدكتور أرزقي شويتام أن يخرج على أحسن صورة وأتمها، ولكن الكمال لله وحده، ولا يسعني إلا أن أحمده على توفيقه لي لإتمام هذا العمل، وأرجو من الله العلي القدير أن يتقبل عملي وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والذي من خلاله أن أكون قد وفقت ولو بالشئ القليل.

الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط.

المبحث الأول: الأهمية الجيوسياسية.

المبحث الثاني: الأهمية الاقتصادية.

المبحث الثالث: الأوضاع الداخلية والخارجية للمغرب الأوسط في أواخر القرن

15م.

تعرف سواحل البحر المتوسط اختلافات كثيرة من حيث خصائصها الجغرافية، مما انعكس سلبا أو إيجابيا على تركيز الأنشطة البحرية في مناطق دون غيرها، وقد طبعت هذه الخصائص أجزاء من هذا البحر وميزتها عن غيرها خلال حقبة تاريخية طويلة<sup>1</sup>، لقد ساهمت طبوغرافية الساحل المتوسطي في تنوع الوحدات الطبيعية بالمغرب الأوسط من رؤوس وخلجان مصبات أنهار، كما لعبت دورا في استقرار وجذب السكان إلى المنطقة وممارستهم لمختلف الأنشطة، ونظرا لوقوع المغرب الأوسط في شمال القارة ومقابلة ساحله للساحل الأوربي وتوسطه ساحل المغربين الأقصى والأدنى، جعله يكتسي أهمية قصوى بالنظر لما يمثله من إمكانيات واسعة للاتصال الخارجي بعيدا عن ضغوط الحدود القارية والبرية.

### المبحث الأول: الأهمية الجيوسياسية.

لقد تميز البحر المتوسط عبر تاريخه بالتنوع والتعدد في أعرافه وشعوبه ولغاته، وهذا ما جعل فرناندو بروديل ينعته بالعالم المتوسطي<sup>2</sup> Monde Méditerranéen والمغرب الأوسط "الجزائر" جزء من هذا العالم المتوسطي بمساهماته الفعالة بمختلف الأنشطة التي تتم على سواحل وموانئه، بل كان له دورا فعالا في المنظومة البحرية من خلال بروز عدة موانئ وظهور عدة مسالك وطرق بحرية نشطة تربط بينه وبين مختلف الدول المطلة على البحر المتوسط.

وبالرغم مما يقال عن دور البحار في عزلة أو اتصال الشعوب ببعضها إلا أن إنسان المغرب الأوسط حاول جعلها أداة وصل لا فصل، وحولها من حواجز إلى طرق ومسالك صالحة للتنقل والنشاط، وهو ما تبرزه لنا مختلف الكتب الجغرافية والتاريخية من خلال

<sup>1</sup> خالد سيرتي، المسلمون والبحر مساهمة في دراسة السياسات والتنظيمات البحرية في حوض البحر المتوسط "خلال العصور الوسطى"، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الحسن الثاني المغرب، 2011-2012 ص 23.

<sup>2</sup> Braudel Fernand, la méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, ed5, V01Colin, Paris 1966.

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

مختلف المعارك البحرية أو الأحداث المنحصرة في المدن الساحلية أو النشاطات الاقتصادية المتركة في أغلب الشريط الساحلي.

لقد كان سكان المغرب الأوسط والأندلس يتعاملون تجاريا وبحريا وعلى نطاق واسع جدا وبدون قيود، والظاهر أن التوترات السياسية والاختلافات المذهبية التي كانت سائدة آنذاك في المغرب الإسلامي وشرقه، نتيجة الصراعات المذهبية لم تكن لها تأثيرات كبيرة على حركة التجارة بل الثابت أن تجارة المغرب الأوسط كانوا يجوبون بقوافلهم بحرية تامة من المغرب إلى المشرق وبلاد الأندلس.

يقول بروديل: «...لا يمكن معرفة تاريخ العالم والبحار الداخلية، دون تاريخ البحر المتوسط...»<sup>1</sup> ونحن نذكر أنه لا يمكن معرفة أحوال سواحل بلدان المغرب الإسلامي دون معرفة والتطرق لسواحل وموانئ المغرب الأوسط.

ومن هنا نلاحظ أن الواجهة البحرية للمغرب الأوسط حملت عدة موانئ ورباطات ورؤوس وخلجان<sup>2</sup> كل واحدة لها مميزاتا الطبيعية والاقتصادية، تخضع لسيطرة سياسية أو قبلية، لها عاداتها البحرية، ولها نظرتها المختلفة اتجاه البحر والساحل، وكيفية الجمع بينهما وبين الداخل، مما جعل الشريط الساحلي متنفسا للبعض ومصدر للقلق للبعض الآخر.

لقد تمكن سكان المغرب الأوسط خلال مختلف الحقب التاريخية بفضل تواجدهم والتفاهم حول سواحل البحر المتوسط ومدنه من اكتشاف الدور الكبير لهذا البحر كونه طريقا للاتصال

---

1 مريم رزاق بعة، أهمية حوض المتوسط في العلاقات المتوسطية وانبعث النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، ع3، نوفمبر 2015، ص154.

2 مفرد خليج: والخليج هو تعرج كبير في خط الساحل وهو جزء من البحر أو البحيرة، تحيط به الأرض من جميع الجهات ما عدا جهة واحدة، وتتكون الخلجان إما بانكسار في جزء من قشرة الأرض أو بطغيان البحر على أرض هابطة. أنظر: الهادي مصطفى أبو لقمة، محمد علي الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجماهيرية للنشر والإعلان، ليبيا، ط2، 1999، ص 76

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

بين الأمم والحضارات، وليس هذا فحسب بل للتجارة وتبادل المنافع والتصدي لمختلف الأخطار، ومثل البحر المتوسط أهم بحار العالم كونه مركزا للالتقاء ومفتوقا للطرق<sup>1</sup>.

ولقد اكتسب البحر المتوسط أهمية كبيرة باعتباره منطقة حضارية، وطريقا عالميا للتجارة والعبور الدوليين بين أجزاء العالم في جميع العصور، ومما زاد من أهمية هذا البحر هو وفرة موانئه ومرافئه المنتشرة على طول سواحله إذ شكلت هذه الأخيرة مركزا هاما للتجارة والتبادل الاقتصادي وتؤكد الكثير من الإشارات التي دونتها الوثائق الأوروبية مدى استفادة مدن المغرب من التجارة مع أوروبا، حيث يظهر أن التجار المسيحيين كانوا يتوفرون على مرافق بالمدن الساحلية ترعى بمصالحهم ببلاد المغرب، وعلى رأس هذه المرافق الفنادق و القنصليات، رغم أن الأسفار التجارية المغربية كانت تتم بمبادرة شخصية وإن لم يكن يوجد خلال هذه الفترة فرق بين الأسطول الحربي والأسطول التجاري<sup>2</sup>.

ونظرا لوقوع بعض المدن المغربية على مقربة من جنوب أوروبا فقد اشتهرت بحركة تجارية واسعة، سواء الداخلية أو الخارجية مثل مدينة بجاية وهذا يعود لموقعها المتوسط الغربي للمتوسط، ولهذا مهما كان الاتجاه داخل الحوض الغربي للمتوسط، فإن الرحلات من مينائها لم تكن طويلة بحكم موقعها المتوسط<sup>3</sup>.

ويبدو أن موقع بلاد المغرب الأوسط على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط وباعتبارها أقرب المناطق إلى المدن المتوسطية التجارية، الدور الكبير في توثيق العلاقات التجارية بينها

<sup>1</sup> الطاهر طویل، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2011، ص 315.

<sup>2</sup> سعيد باشر، المدن المغربية خلال العهدين المرابطي والموحدي، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الوسيط، جامعة ابن مسيك الدار البيضاء، المغرب، السنة الجامعية 1998/1997، ص 249.

<sup>3</sup> بن سعيد المغربي، كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تح: خوان قرنيط، معهد مولاي الحسن، الرباط، 1958، ص 191.

وبين الجمهوريات الإيطالية فضلا عن وجودها في طريق الذهب من إفريقيا، فبادروا بعقد معاهدات تجارية مع حكام بلاد المغرب<sup>1</sup>.

### المبحث لثاني: الأهمية الاقتصادية

تميزت الطبيعة في المغرب الأوسط بمقومات أساسية أهلتها للقيام بدور بحري هام، فامتداد السواحل على شريط مهم، دفع سكان هذه البلاد نحو النشاط البحري والتجاري كما زخر هذا الشريط الساحلي بعدة رؤوس وخلجان، وجزر، إضافة إلى غنى غابات المنطقة بمختلف أنواع الخشب من أجل صناعة المراكب<sup>2</sup>.

هذه المشاهد الطبيعية لاحظتها كتب الجغرافيا والرحلات الوسطية وأشارت إليها خلال وصفها وركزت في بعض الأحيان على وصف شكلها العام الملفت للانتباه<sup>3</sup>، ورغم التغير الطفيف عند مقارنة الفترة الوسيطة بالعصر الحالي. حيث نجد اختفاء بعض الجزر كالجزر التي سميت عليها مدينة الجزائر<sup>4</sup>.

ومما يراعي في البلاد الساحلية التي على البحر، أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الأمم موفرة العدد، تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العدو؛ والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصبية، ولا موضعها

<sup>1</sup> إبراهيم القادري توتشيش، الجاليات المسيحية بالمغرب أيام الموحدين، مجلة الاجتهاد، العدد 28، السنة السابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة، بيروت، 1995، ص 80.

<sup>2</sup> مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تصحيح محمد الملي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989، ص 48.

<sup>3</sup> الأسعد شوشان، الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، شهادة ماجستير جامعة تونس، السنة الجامعية 2009-2010، ص 92.

<sup>4</sup> وهي جزيرة بينيون والجزيرة الكبيرة والصغيرة، والجزيرة الشمالية. أنظر: علي عبد القادر حلمي: مدين الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي، الجزائر، 1792، ص 44.

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

متوعر من الجبل، كانت في غرة للبيات، وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها وتحيفه لها<sup>1</sup>.

وتعد علاقة الإسلام بالبحر من بين المواضيع التي مازالت مطروحة بين مؤكّد لمعرفة العرب للبحر وتمرسهم فيه. وقد بدأ الاهتمام بالأسطول العربي الإسلامي في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان "رضي الله عنه"<sup>2</sup>، كما أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان "ض" أمر بإنشاء دار لصناعة السفن في سنة 49هـ/669م بمدينة عكا في فلسطين، وبقيت هناك حتى ولي بنو مروان فنقلوها إلى صور<sup>3</sup>، وعمل الخليفة معاوية على تقوية الأسطول الإسلامي حتى بلغ عدد سفنه 1700 سفينة<sup>4</sup>، مما سمح له بفتح بعض من جزر في البحر المتوسط<sup>5</sup>.

انقسمت البحرية الإسلامية في العصر الأموي إلى ثلاثة أساطيل مستقلة، عمل كل منها في منطقة معينة وهي: أسطول مصر، أسطول سوريا وأسطول شمال إفريقيا "بلاد المغرب"،

<sup>1</sup> ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد السلام الشداوي، ج2، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص185.

<sup>2</sup> كان عثمان بن العاص الثقفي والي البحرين أول من قام بغارة بحرية على ساحل الهند كما قام خلفه العلاء بن الحضرمي سنة 17هـ/638م بالعبور بحرا إلى بلاد فارس ومعه اثنا عشر ألف من المسلمين وعاد بغنائم كبيرة، وقد أغضب عمله الخليفة عمر بن الخطاب، فعزله لأنه لم يستأذنه. أنظر: رحيم كاظم محمد الهاشمي، عواطف محمد العربي شنقارو، الحضارة العربية الإسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2002، ص91.

وأول معركة بحرية انتصر فيها المسلمون انتصارا باهرا هي ذات الصواري سنة 31هـ/651م. أنظر: طبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج4، دار المعارف، مصر 1970، ص288، وقيل في سنة 34هـ/654م، أنظر: الذهبي، العبر في خبر من غير، تح: محمد زعلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص25. وقد انتصر العرب المسلمون فيها على الروم البيزنطيين إذ استعمل العرب أسطولهم المكون من مائتي سفينة. أنظر: ياسين أحمد صالح الديلمي، دور البحرية العربية الإسلامية في فتح الأندلس، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، العراق، ع 6، 1431، ص61.

<sup>3</sup> البلاذري، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف بيروت، 1987، ص161.

<sup>4</sup> عمر فاروق وآخرون، النظم الإسلامية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1987، ص185.

<sup>5</sup> الديلمي، المرجع السابق، ص58..

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

ويطلق على كل قائد للأسطول لقب صاحب البحر أو أمير البحر<sup>1</sup>، وازداد نمو الجهاد البحري المغربي في عهد موسى بن نصير الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للبحرية الإسلامية في غرب المتوسط، وإذا تتبعنا سير الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، فإننا نجد أنها متوجهة من الشرق نحو الغرب سالكة طريق البر "الهضاب" في البداية، ثم ظهر اتجاه آخر حصن المناطق الشمالية الساحلية وجزر البحر<sup>2</sup>.

وهذا ما قد يفسر سبب عدم الإقبال على البحر من قبل المسلمين في البداية، وأضاف محمد المهناوي أن نظرة البربر تشبه نظرة العرب بقوله "إن البحر ظل هامشيا ضمن اهتمامات المجتمع المغربي، وكانت علاقة المغاربة بالبحر محدودة حتى في زمن توفر السلطة المركزية على أسطول بحري"<sup>3</sup>.

أما المؤرخ البلجيكي هنري بيران Henri Pirenne فيشير في كتابه الشهير تحت عنوان محمد وشارلمان<sup>4</sup> أن الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي أدت إلى النتائج التالية:

حطمت وحدة البحر المتوسط وغيرت ميزان القوى فيه<sup>5</sup> وقضت على الحركة التجارية الأوربية في البحر المتوسط، وعملت على قطع العلاقات التجارية بين الشرق والغرب<sup>1</sup>، وبذلك

---

<sup>1</sup> ويعرف رئيس الملاح بالريان الذي يجب أن يكون له معرفة شاملة في تسيير السفن وعلوم البحر والأنواء والقياسات ومطالع النجوم، ويلي الريان في الوظيفة الديدبان وهو الرقيب الذي يقف في مقدمة السفينة ليتطلع أحوال البحر في حالة السلم وأخبار العدو في حالة الحرب، وهناك المنادي ومهمته تبليغ أوامر الريان إلى الملاحين، والدليل الذي يرشد السفن عند دخولها أو المرور على السواحل الوعرة والمضايق، أنظر: الهاشمي، شنقارو، المرجع السابق، ص 93-94.

<sup>2</sup> موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 126.

<sup>3</sup> مصطفى غطيس، المغاربة والبحر خلال العصور القديمة، دورية كان التاريخية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع12، تطوان - المملكة المغربية، 2011، ص 79.

<sup>4</sup> Henri Pirenne, Mohamed et Charlemagne, nouvelles société d'édition, Paris, 1937, p45-60.

<sup>5</sup> Alloua Amara, Bûna et la littoralisation du pays Kutama, le rôle des villes littorales du Maghreb dans l'histoire, RM2E- Revue de la Méditerranée édition électronique, Tome III, 1, 2016, P141.

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

تحول الاقتصاد الأوروبي إلى اقتصاد مغلق، يعتمد على الاكتفاء الذاتي، لذلك إنهار العالم القديم وبدأت العصور الوسطى، وأن التجار المسلمين لم يمارسون نشاطهم خارج حدود العالم الإسلامي<sup>2</sup>.

ولكن هناك نص تراثي متأخر نوعا ما عن مرحلة الفتح، وهو نص فقهي وصف فيه النتائج السوسيو-اقتصادية للفتح الإسلامي لبلاد المغرب، و صاحبه هو الفقيه، و قاضي بجاية الحفصية عبد الرحمن الوغليسي (ت786هـ/1384م) الذي وردت نازلته في مجموع "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لأبي زكريا يحيى بن موسى المغيلي المازوني (883هـ/1478م) في هذا النص تحدث الوغليسي عن وضعية الأرض في بلاد المغرب مركزا على دور الفتوحات الإسلامية في إعادة الخريطة الزراعية، ولكن ما يلفت الانتباه هو تحميل الفاتحين مسؤولية الأزمة الاقتصادية التي حدثت بفعل لجوء سكان الأراضي الواقعة قرب المدن الساحلية إلى الجبال هروبا من الجند المسلمين، هل يعد هذا كافيا لإحداث أزمة اقتصادية مصحوبة بانحطاط شامل؟<sup>3</sup>.

ويذكر المؤرخ فتحي عثمان أنه في بداية العصر العباسي توقف النشاط البحري للمسلمين في مصر والشام وبلاد المغرب، ما يقارب من خمسين سنة، بسبب سياسة الدولة

---

<sup>1</sup> محمد حناوي، جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قبيل القرن العاشر للميلاد، ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، خلال القرون الوسطى، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، المغرب- 1995 - ص153.

<sup>2</sup> Henri Pirenne, Op.cit, pp45-60-111.

<sup>3</sup> المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط. المكتبة الوطنية تونس، رقم3502. نقلا عن علاوة عمارة، التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط، مجلة الدراسات الإسلامية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 26 سبتمبر 2008، ص62.

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

العباسية التي انتهجت منذ قيامها سياسة مشرقية وتطلعت بوجهها نحو خراسان- بعيدة عن شؤون البحر<sup>1</sup>، مما أدى إلى انفصال المغرب الإسلامي والأندلس عن المشرق<sup>2</sup>.

يذكر بروديل في كتابه البحر المتوسط قائلاً: «...لعب الاقتصاد دوراً حاسماً في تاريخ البحر المتوسط في أغلب الأحيان وفي الثروات التي يأتي بها كمسطح للنقل، فسيد هذه الثروات من سيطر على البحر، فلم يكن هذا البحر بسعته يقبل سيد واحد في آن واحد، وليس من الضروري أن يكون هذا السيد سياسياً كريماً، كما يظهر لنا في الوهلة الأولى، وإنما السيد المبادلات والتفاوت، وفروق المستويات في الحياة التجارية»<sup>3</sup>، كما قاموا بتخصيص وزارة خاصة بالبحر وسميت "ديوان البحر" امتازت بكثرة ريعها، فعينوا لها وزيراً خاصاً بها سمي بوزير البحر<sup>4</sup>.

لم تكن العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والجمهوريات الإيطالية وليدة العهد الزياني الحفصي، بل وضعت نواتها الأولى في عهد بني زيري وبني حماد وزادت نشاطاً في العهد الموحي والحفصي، وتشهد على ذلك سلسلة المعاهدات التجارية بين الطرفين وعلى الرغم من ارتباط الحركات التجارية مع الأحداث السياسية فقد تطورت العلاقات التجارية طبقاً لمسار

<sup>1</sup> فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ج1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، ص382.

<sup>2</sup> احمد مختار العيادي، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص38

<sup>3</sup> Braudel Fernando, Op.Cit.Tom2, P133.

<sup>4</sup> الزركشي (محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ أبو عبد الله، كان حياً سنة 894هـ/1489م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ص93.

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

معين وفي شيء من الاستقلال الذاتي، وبأفضلية حتى على التقاهم السياسي<sup>1</sup>، وأصبحت التجارة حبر الزاوية حيث غدت أساطيل الجمهوريات الإيطالية تجوب البحر المتوسط<sup>2</sup>.

وشكلت التجارة أهم قناة للتواصل بين جنوب أوروبا وشمال إفريقيا، من خلال مجموع الصادرات والواردات بين الضفتين<sup>3</sup> وأصبحت الحركة التجارية بين ضفتي البحر منتظمة بفضل المنشآت التجارية في موانئ المنطقة وبفضل المعاهدات التجارية. وبذلك تنوعت العلاقات المغربية بين مختلف الصيغ التجارية والعسكرية من خلال تبادل السفارات والتوقيع على معاهدات الهدنة والتجارة<sup>4</sup>.

وقد استمرت العلاقات التجارية بين بني حفص والجمهوريات الإيطالية نشطة، وتسير بصورة مزدهرة ومثمرة طيلة عهد السلطان أبي زكريا الحفصي، وأصبحت الحركة التجارية البحرية في كل من تونس وبجاية أشد كثافة من الحركة في الجمهوريات الإيطالية التجارية<sup>5</sup>.

### المبحث الثالث: الأوضاع الداخلية والخارجية للمغرب الأوسط في أواخر القرن 15م.

شهدت بلاد المغرب أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ميلاديين تدهورا على مختلف المستويات السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، مما جعل الإسبان يستغلون هذه الأوضاع ليرسخوا أقدامهم وينفذوا مشروعهم الاستعماري في هذه البلاد.

<sup>1</sup> سلفاتوري بونو، العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط، تر: عمر الباروني، مجلة البحوث التاريخية، مصر، ع12، 1986، ص 309.

<sup>2</sup> بوتشيش، المرجع السابق، ص 80.

<sup>3</sup> نفسه، ص 81.

<sup>4</sup> نشاط مصطفى، جنوة وبلاد المغرب من 609-759هـ/1212-1358م، مطبعة الرباط، 2014، ص 437.

<sup>5</sup> روبر بارونشفيك، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988، ص 64.

أ- الأوضاع السياسية والعسكرية:

أعقب سقوط الدولة الموحدية صراعات حادة بين الدول المغاربية، وكانت الجزائر الأكثر تضررا منها عكس كل من تونس والمغرب الأقصى، وذلك بحكم موقعها الجغرافي<sup>1</sup>. لم يكن الوضع في المغرب مختلف عما كان عليه في بقية بلدان الشمال الإفريقي الأخرى، فقد كان هو الآخر يعيش فترة من أصعب الفترات التاريخية، وذلك نتيجة لضعف الوطاسيين<sup>2</sup> وعجزهم عن توحيد المغرب تحت سلطتهم، فأصبحت البلاد مقسمة إلى وحدات سياسية صغيرة خاضعة لزعامات قبلية، أو دينية، أو مجالس محلية متنافسة ومستقلة تماما عن الإدارة المركزية، أو تابعة لها إسمياً<sup>3</sup>.

كما أن الروابط القبلية التي كانت لا تزال تطبع المجتمع المغاربي قد أدت إلى انفصال العديد من القبائل، وظهور إمارات<sup>4</sup> رفضت الخضوع لأية سلطة مركزية، فعرف المغرب في هذه الفترة فوضى اجتماعية، وتفكك سياسي، وصراعات قبلية<sup>5</sup>.

وساد الدويلات الثلاث التطاحن والشقاق سواء من الخارج أو الداخل، فتونس الحفصية كانت تعاني من خطر الإسبان خاصة من ناحية صقلية ونابولي، وفي المغرب الأقصى كان

<sup>1</sup> صالح عباد، الجزائر خلال العهد التركي "1514-1830"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص7.

<sup>2</sup> الوطاسيين: فرع من بني مرين الذين ينتمون إلى قبيلة زناتة البربرية. تأسست عام 1471م. قضي عليها بايلرباي الجزائر صالح رايس سنة 1554م. أنظر: أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، المغرب، 1955، ص 96-97.

<sup>3</sup> محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543م، الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2012، ص64.

<sup>4</sup> إمارات: إمارات صغيرة كإمارة جبل كوكو بزواوة، والإمارة الحفصية بقسنطينة وإمارة الداوودة بالحضنة والزاب، وغمارة بني جلاب بتقرت ووادي ريغ، وإمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة ومتيجة. للمزيد أنظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا "1492-1792م"، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص93-95.

<sup>5</sup> عباد، المرجع السابق، ص7.

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

بنو وطاس في صراع مع السعديين على مدينة فاس، وهكذا فقدت المدينة مجدها وانشغلت بالفوضى الداخلية ونزاع السلالات. وكانت الدولة الزيانية تعاني من ضعف ووهن، فكان شيوخ البرابرة في نزاع واقتتال وكل واحد يسعى لإفناء الآخر<sup>1</sup>، غير أن النفوذ الحقيقي لهذه الدول في الواقع لا يتعدى حدود عواصمها والمناطق القريبة المحيطة بها، أما باقي الأجزاء فقد استبدت بها عمليات إقطاعية واهية تستمد قوتها من العصبية القبلية أو دول مدن على السواحل، فكان من جراء هذا التمزق أن أصبح المغرب الأوسط وحدة تتاحر وتتصارع<sup>2</sup>، وهذا التناحر سواء مع الدولتين المجاورتين لهذا القطر (بني مرين وبني حفص) أو داخل الأسرة الحاكمة نفسها.<sup>3</sup>

فمن خلال هذا الوضع المتردي يمكن أن نستخلص أن الصراع داخل العرش الزياني في تلك الفترة، كان سببا في كل التطورات التي سوف تعرفها الجزائر خلال أواخر القرن الخامس عشر ميلادي، وبداية القرن السادس عشر ميلادي، وهذه التحولات عرفها المغرب الأوسط بصفة خاصة والحوض الغربي للمتوسط بصفة عامة، فكان لهذا التناحر والفوضى والانحلال أثر فعال في حفز القوة الأوروبية بممارسة العدوان على المدن والموانئ الساحلية لهذه المنطقة الحساسة من الحوض الغربي للمتوسط<sup>4</sup>.

وبسبب غياب السلطة وانعدام الأمن، وجد التجار أنفسهم مرغمين على دفع إتاوات للزعماء المحليين ليتمكنوا من المرور بالمناطق الخاضعة لهم وتسويق بضاعتهم. أما قطاع

<sup>1</sup> يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص 10.

<sup>2</sup> جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 16.

<sup>3</sup> عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 2، دار الثقافة، بيروت، ط 2، 1983، ص 197.

<sup>4</sup> شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي وبشير بن سلامة، ج 2، دار النشر التونسية، تونس، ط 2، 1978، ص 319-321.

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

الطرق فإنهم لم يكونوا يترددون في قتل أي شخص وسلب أمواله دون أن يخشوا عقابا من أحد<sup>1</sup>.

ونتيجة للحروب القائمة وانعدام الأمن، أصبحت ممارسة أي نشاط تجاري أو زراعي يمكنه أن يساهم في ترقية أهالي هذه المناطق أمرا مستحيلا. فتعرضت مدن بأكملها إلى الخراب بسبب اضطرار أهلها إلى الهجرة إلى مناطق أكثر أمنا، وأنسب لممارسة نشاطهم الزراعي والتجاري<sup>2</sup>.

فكانت ظاهرة الصراع الدائم بين القوى السياسية المنقسمة على نفسها وبين القوى ذات الطابع القبلي أو الديني. قد عمق ظاهرة الانحطاط والتفكك والفوضى السياسية، هكذا يعطينا المغرب الإسلامي في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي صورة انحطاط سياسي وعسكري وتدهور اقتصادي<sup>3</sup>.

ومن المؤكد أن هذه الأحوال ساهمت بشكل كبير في إضعاف إمارة بني زيان التي عجزت عن مد نفوذها على كل المنطقة، وهكذا ظهرت حركات استقلالية تزعمها مجموعة من الشيوخ والمرابطين تفاوتت من حيث القوة والانتشار ولعل أقواها كانت إمارة كوكو<sup>4</sup> بجبال جرجرة تلك الإمارة التي سيعتمد عليها الإخوة بربروس لتوطيد نفوذهم في المنطقة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> دراج، المرجع السابق، ص 64-65.

<sup>2</sup> نفسه، ص 65.

<sup>3</sup> حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2008، ص123.

<sup>4</sup> إمارة كوكو: بقيادة الشيخ أحمد بن القاضي.

<sup>5</sup> المدني، المرجع السابق، ص 68-69.

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

تبدو إمارة بني زيان خلال هذه الفترة قد أنهكتها الحروب الداخلية والصراعات المتواصلة سواء بين أبناء البيت الواحد من آل زيان، أو مع القبائل الرافضة لسلطتهم والراغبة في الاستقلال، مما أدى إلى استنزاف خزينة الدولة في سبيل قمع هذه الثورات<sup>1</sup>.

كما عرف المغرب الأوسط في هذه الفترة ضعفا عسكريا كبيرا مقارنة مع ما بلغته أوروبا في تلك الفترة، فدولة بني زيان لم يكن لها أسطول بحري ولا جيش مجهز من ناحية العدة والعتاد، وكل ما كان لديها هو جيش بري مزود بأسلحة تقليدية كالسيوف والبغال والجمال...، كما لم تكن تتوفر على التحصينات المضادة. وربما يعود ذلك إلى عدم الاستقرار الذي تميزت به دولة بني زيان سواء في ثوراتها المستمرة مع جيرانها أو مع المعارضة في الداخل، مما لم يسمح لها بتكوين جيش قوي تعتمد عليه الدولة في رد غارات الإسبان والإمارات المجاورة وقمع الثورات الداخلية<sup>2</sup>.

وفي ظل هذه الظروف المتردية وعدم قدرة السكان على تنظيم مقاومة حقيقية تمكن الإسبان من الاستيلاء على عدة مدن ساحلية<sup>3</sup>، والهجوم على ما جاورها من المناطق الداخلية لتحقيق جملة من الأهداف السياسية والاقتصادية والدينية<sup>4</sup>.

وهكذا ما إن كاد القرن السادس عشر ميلادي يطلع حتى كاد الإسبان يحتلون العديد من المراسي والمدن الساحلية مثل: الجزائر، ووهران، والمرسى الكبير، وبجاية، وتنس... إلخ<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 205.

<sup>2</sup> نفسه، ص 273.

<sup>3</sup> عباد، المرجع السابق، ص 31.

<sup>4</sup> دراج، المرجع السابق، ص 65.

<sup>5</sup> محمد العربي الزبير، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1985، ص 16.

ب- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

فمن الناحية الاجتماعية فإن الأغلبية العظمى من سكان بلاد المغرب في هذا العصر كانوا يعيشون في البادية، حيث يسود نظام العشيرة والقبيلة<sup>1</sup>، وأيضاً فالحديث عن الوضع الاجتماعي للمغرب الأوسط في أواخر القرن 15م هو الحديث عن مغرب مشنت وممزق ومقسم إلى إمارات قبلية وبطون وقبائل مختلفة ومتنوعة وموزعة على هذه البلاد، فقد استقل بنو عبد الواد بتلمسان وضواحيها، أما بقية البلاد الوسطى والجنوبية، فكانت مقسمة إلى إمارات قبلية عديدة كمشيخة مدينة الجزائر التي حكمها الثعالبة، وإمارة كوكو بجمال الزواوة الغربية، وإمارة قلعة بن عباس ببلاد الزواوة الشرقية، وإمارات أخرى مستقلة، كإمارة بني المهلhel وإمارة عائلة بوعكاز بجهات الحضنة وبلاد الزاب، بالإضافة إلى وجود العديد من القبائل العربية والبربرية، فمن القبائل العربية نجد قبيلة الثعالبة في سهل متيجة وقيليتي الضحاك وعياد بجهة برج حمرة، وقبيلة يزيد وسويد في منطقة الهضاب وبني عبد الله والمعاقيل في الناحية الغربية<sup>2</sup>.

ومن القبائل البربرية توجد زواوة وصنهاجة بجمال جرجرة ومغراوة وتوجين بجمال مليانة والونشريس، إضافة إلى قبائل فطين وبني ميزاب في الهضاب والواحات<sup>3</sup>.

كما تواجد اللاجئون الأندلسيون وطائفة اليهود الذين ازداد توافدهم خلال القرن الخامس عشر أثناء سقوط غرناطة ومطاردة الإسبان لهم، هذا التنوع والتشتت في التركيبة الاجتماعية في ظل غياب السلطة المركزية، وإن كانت موجودة إسمياً -الدولة الزبانية- جعل البلاد تعيش اختلالاً اجتماعياً صاحبه سوء الأحوال الصحية والمعاشية وتخريب أثناءه المدن وافتقرت الأرياف، فقد قتل العديد وانتشرت اللصوصية والظلم والأوبئة والمجاعات<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> دراج، المرجع السابق، ص70.

<sup>2</sup> عباد، المرجع السابق، ص 32-42.

<sup>3</sup> المدني، المرجع السابق، ص68-69.

<sup>4</sup> هلايلي، المرجع السابق، ص123.

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

هذا الأمر أدى إلى هجرة العديد من السكان سواء إلى المغرب الأقصى أو إلى تونس أو إلى البلاد العربية الأخرى، أو إلى المناطق الجبلية أو الداخلية البعيدة عن الصراعات، كما أدى ذلك أيضا إلى إنعدام الأمن وعدم الإستقرار السياسي، فانتشرت الفوضى بين الناس في كل ميادين الحياة وفي مختلف أرجاء البلاد<sup>1</sup>.

أما من الناحية الاقتصادية فبالرغم من سوء الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها المملكة الزيانية في مطلع القرن 16م، إلا أن مدينة تلمسان كانت تمثل مركزا تجاريا هاما بالنظر إلى موقعها الجغرافي، ولم ينقطع عنها التجار بحيث كانوا يتزودون منها بمنتجات بلاد السودان مثل: العاج والذهب والعبيد، ويرسلون سلعهم إلى وراء الصحراء عن طريق سجلماسة، حيث تلتقي قوافل المغرب الأوسط بقوافل المغرب الأقصى وتتجه جميعا إلى تنبكتو ثم إلى غانا، وقوافل أخرى تخرج من سجلماسة وتقصد موريتانيا ثم السنغال ومالي وغانا وغينيا<sup>2</sup>.

لم تقتصر حركة تجارة تلمسان على جهات الصحراء فقط، بل كانت تقوم بدور الوسيط مع الأسواق الأوروبية عبر موانئ المرسى الكبير وميناء هنين ووهران، التي لعبت دورا كبيرا في إنعاش الحركة التجارية.

وبسبب إنعاش الحركة التجارية، فقد كانت الدولة تجني من الضرائب التي تفرضها على السلع المستوردة أو المصدرة عائدات كبيرة. ولم يكن هذا الانتعاش التجاري مقتصرًا على الغرب الجزائري، بل إن الموانئ في الشرق الجزائري والتي كانت خاضعة للأمراء الحفصيين المحليين كانت تعيش نفس النشاط، فموانئ القالة وعنابة وسكيكدة كانت تستقبل السفن القادمة من جنوة وتونس وجربة فتصدر من خلالها الجلود والقمح والسمن، وتستورد الأقمشة ومنتجات أوروبية أخرى<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 123-124.

<sup>2</sup> دراج، المرجع السابق، ص 92.

<sup>3</sup> نفسه، ص 92-93.

## الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط

وما يقال عن تلمسان يمكن قوله عن جيجل، وهنين، بل يكاد أن يكون هذا الانتعاش قاسما مشتركا بين المدن الساحلية التي كانت تستفيد من موقعها في التبادل التجاري مع تجار أوروبا قبل الغزو الإسباني لسواحل الجزائر ابتداءً من بداية القرن 16م<sup>1</sup>.

لكن رغم الانتعاش الاقتصادي الذي كانت تعيشه المدن الساحلية، فإن المدن الداخلية والبعيدة عن المناطق الحضارية للجزائر أصابها التدهور والركود بسبب الحروب الأهلية التي كانت تقع بين المتنازعين على العرش أو بين القبائل، وأدى عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي وغياب الأمن إلى هجرة الفلاحين لأراضيهم وقلّة الإنتاج الزراعي<sup>2</sup>.

بحيث ما إن كاد القرن السادس عشر ميلادي يطلع حتى كاد الإسبان يحتلون العديد من المراسي والمدن الساحلية، ومن دوافع هذا الغزو نجد الدافع الديني وهو يمثل العداوة التقليدية بين الإسلام والنصرانية، ورغبة النصارى في نشر المسيحية في ربوع المغرب الإسلامي، والدافع الثاني هو الجانب الاقتصادي، بحيث أصبحت شبه جزيرة إيبيريا بعد الاكتشافات الجغرافية في حاجة ماسة إلى أسواق جديدة تتقبل تجارتها، والدافع الثالث هو سياسي لم يكن أقل خطورة من العاملين السابقين، فبعد انتصارات الأندلس فكر ملوك الإسبان في توسيع ملكهم إلى ما وراء البحر المتوسط<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 93.

<sup>2</sup> نفسه، ص 94.

<sup>3</sup> الزبيري، المرجع السابق، ص 16.

الفصل الأول: دوافع المد العثماني في المتوسط.

المبحث الأول: الدوافع السياسية والإستراتيجية للمد العثماني في المتوسط.

المبحث الثاني: الدوافع الدينية والاقتصادية للمد العثماني في المتوسط.

المبحث الثالث: الاحتلال الإسباني لسواحل الجزائر مطلع القرن 16م.

المبحث الرابع: مظاهر من أعمال القرصنة على سواحل المغرب الأوسط.

المبحث الخامس: ردود الفعل المحلية والدولية من التواجد العثماني بالجزائر.

### المبحث الأول: الدوافع السياسية والاستراتيجية للمد العثماني في المتوسط.

يمثل القرن السادس عشر ميلادي المرحلة الثانية في بناء الدولة العثمانية المركزية، وهو أيضا مرحلة التطلع لتحقيق فكرة الدولة العظمى، بما في ذلك التوسع وتدعيم الاقتصاد. وقد كان البحر المتوسط جبهة حيوية من هذا المنطلق، لأن المجهودات التي بذلت في البحار اختلفت من حيث القوة والظرفية والمواكبة، والبعد والقرب من العاصمة، فقد كان هذا البحر مجالا لصراع أقوى وأطول، ومجالا للمنافسة والتسابق على المراكز، ومجالا للمواجهات بين القوات البحرية، بحيث تمكن الأسطول العثماني من تحقيق تفوقه وقدرته خاصة في النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي<sup>1</sup>.

وفي غضون هذه الأوضاع السياسية التي حدثت للمغرب الأوسط من جراء محنة الأندلس والتحرش الإسباني به، ظهر نجم الدولة العثمانية في الأفق واتسعت حدودها لتشمل كامل بلاد البلقان والجنوب الغربي من أوروبا<sup>2</sup>، فكانت الإمبراطورية العثمانية في أوج توسعها في منطقة المشرق فبعد قتالها التي خرجت منه منتصرة على الإمبراطورية الرومانية في الشرق "فتح القسطنطينية" سنة 1453م، كان الجيش التركي ينتقل من نجاح إلى نجاح، فانتصر على الفرس في معركة تشالديران<sup>3</sup> سنة 1514م، وانتصرت على الممالك في سوريا (الشام ومصر) سنة 1517<sup>4</sup>، بحيث ضمن السلطان حماية الأماكن المقدسة في المنطقة العربية كما ضمن أيضا طريق الذهب في السودان وفي شهر أوت 1517م تسلم السلطان مفتاح الكعبة المشرفة من ابن شيخ مكة، وبايعه وأعلن تبعيته. ومنذ ذلك الوقت لقب السلطان العثماني بخادم الحرمين

<sup>1</sup> نفيسة الذهبية، الدولة العثمانية في مجالها المتوسطي خلال القرن 16م بين استراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم 109، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، ص81.

<sup>2</sup> المدني، المرجع السابق، ص156.

<sup>3</sup> تشالديران أو جالديران، وقعت في 23 أوت 1514م هزت فيها دولة الصفويين التي كان يقودها الشاه إسماعيل الصفوي، وتعتبر أولى المعارك الحربية الكبرى للسلطان سلم الأول، للمزيد أنظر: أحمد سالم، استراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012، ص 164-165.

<sup>4</sup> تسمى موقعة الريدانية وقعت في الحدود المصرية.

الشريفيين، هذا إلى جانب أن السلطان سليم هو أول من تلقب بأمر المؤمنين من سلاطين بني عثمان، وهكذا فقد أصبح سلطان استانبول هو الملك الذي اختاره الله لحماية العالم الإسلامي وليس فقط رئيساً لدولة ذات حدود معينة<sup>1</sup>.

إلى جانب هذا، كانت الدولة العثمانية في ذلك الزمان أقوى الدول الإسلامية قاطبة، بل أصبحت إمبراطورية ضمت بين جنباتها معظم أراضي الدولة الإسلامية الأولى، بل وألحقت بها أقطار جديدة نشرت فيها الدين الإسلامي مثل: شرق أوروبا، هذا إلى جانب أنها تحمل على عاتقها الدفاع عن الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم<sup>2</sup>.

لقد جاء تدخل العثمانيين في بداية القرن 16م في غرب البحر المتوسط استجابة لاهتمامات سياسية واقتصادية ودينية، فقد كانت سواحل منطقة المشرق العربي هدفاً لحملات البرتغاليين الذين حاولوا التمرکز بسواحلها، وتفيد الدراسات عن هذه المرحلة منطقة المشرق العربي رغم اكتشاف أسواق الشرق الأقصى وقد احتفظت بدورها وبنشاطها التجاري، ولذلك ظلت محط أطماع البرتغاليين الذين كانوا يريدون الإستفادة من نشاطها التجاري وإنشاء محطات لهم على الطريق إلى الهند، خاصة في البحر الأحمر والمحيط الهندي<sup>3</sup>.

وكان العثمانيون يبحثون عن منافذ لهم في شرق المتوسط للحصول على نصيب من تجارة الشرق التي كانت محتكرة من طرف الإيطاليين والإيبيريين، ولذلك كان التنافس بينهم

<sup>1</sup> أحمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للمتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2011، ص 40-41.

<sup>2</sup> نفسه، ص 174.

<sup>3</sup> زهراء النظام، العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 109، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 2003، ص 65.

وبين البرتغاليين حول نقطة وصول القوافل من آسيا نحو شواطئ شرق البحر المتوسط والبحر الأحمر<sup>1</sup>.

وهنا يظهر البعد الديني لسياسة البرتغاليين في المنطقة، فتدخلهم في سواحل البحر الأحمر كان الهدف منه استكمال السياسة الدينية التي بدأتها إسبانيا والبرتغال في غرب المتوسط، وبتطويق الإسلام من جهة الجنوب، مما دفع بممالك مصر إلى التوجه بطلبات النجدة إلى سلاطين الدولة العثمانية<sup>2</sup>.

ويمكن القول أن تحول سلاطين الدولة العثمانية منذ بداية القرن 16م نحو المتوسط كان من أجل حماية الإسلام، ورغم ما يثار حول مطامع العثمانيين الاقتصادية في المنطقة، فإن الجانب الديني يبقى الحافز الأساسي لهذا التحول، فالمسؤولون في الدولة العثمانية كانوا على علم بما كان يتعرض له المسلمون من اضطهاد على يد المسيحيين ولذلك سخرت الدولة أساطيلها القوية للدفاع عن الممالك الإسلامية في شرق وغرب المتوسط، ونشير هنا إلى الدعم العسكري الذي كان يخص به سلاطين الدولة العثمانية دولة المماليك في مصر لرد الخطر المسيحي عن البقاع المقدسة وإلى الأعمال البطولية للمجاهدين عروج وخير الدين في عرب البحر المتوسط، اللذين تمكنا من خلال حملاتهم المتكررة على سواحل إسبانيا ونقل عدد كبير من المسلمين الفارين من الاضطهاد المسيحي إلى سواحل المغرب. ونشير أيضا إلى الدعم الذي كان الأخوين بربروس يقدمانه باستمرار للمجاهدين في منطقة المغرب في حروبهم مع المسيحيين<sup>3</sup>.

لقد كانت شواطئ المغرب بطبيعتها الوعرة وثغورها ومراسيها وخلجانها الكثيرة التي تحميها الصخور العالية أصلح ملاذ لمشاريع أولئك البحارة المجاهدون. وكانت مياه الجزائر

<sup>1</sup>Braudel, Op.cit, p354.

<sup>2</sup>زهراء النظام، المرجع السابق، ص 66.

<sup>3</sup> نفسه، ص 67

وبجاية وتونس أفضل قواعدهم للرسو والإقلاع. وكانت غاراتهم على الشواطئ الإسبانية ولا سيما في المياه الجنوبية تتجدد بلا انقطاع، وتتجح في معظم الأحيان في تحقيق غاياتها. وكان حكام الشعوب المغربية من تونس إلى وهران يشجعون هذه الغارات ويسمحون للمجاهدين بالرسو والتموين في ثغورهم<sup>1</sup>.

جاء عروج إلى تونس وتمركز في جزيرة جربة<sup>2</sup>، كما عقد اتفاقا مع السلطان الحفصي محمد بن الحسن عندما منحه جزيرة جربة، ليتخذها قاعدة لأسطوله مقابل مشاركة السلطان الحفصي بخمس الغنائم، وبين عام "1504-1510م" حصل عروج على سمعة عظيمة بسبب جراته ونقله عدد كبير من الأندلسيين إلى شمال إفريقيا، فكثر أتباعه وزاد عدد قطع أسطوله بفضل الغنائم الكثيرة التي حصل عليها من غاراته<sup>3</sup>.

التفكك الداخلي أي الضعف والانحطاط والانقسام السياسي الذي مس دول المغرب العربي. وقد ساعد القبائل والأفراد زعماء الفرق الدينية على التمتع بالاستقلال، كما كانت بعض المدن والقوى تشكل وحدات دول مستقلة، وخاصة الساحلية منها مثل: وهران، وتنس، وشرشال والجزائر، ودلس، وبجاية، والقل<sup>4</sup>، وتأسست ببعض المناطق الجبلية إمارات<sup>5</sup>، فكانت دولة بني

<sup>1</sup> مجاهد مسعود، تاريخ الجزائر، ج1، مطابع دار الأيتام الإسلامية، القدس، (د.ت)، ص 75، 77

<sup>2</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تص وتغ: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934، ص13.

<sup>3</sup> ربيعة بهلول، تكوين الكيان الجزائري وتولي خير الدين باشا أميرا عليه، مجلة تاريخ المغرب العربي، ع7، جوان 2017، الجزائر، ص125.

<sup>4</sup> عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 910هـ-1206هـ/1505م-1792م، "دراسة تتناول الآثار السلبية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر"، دار هومة، الجزائر، ص44.

<sup>5</sup> إمارات: إمارات صغيرة كإمارة جبل كوكو بزواوة، والإمارة الحفصية بقسنطينة وإمارة الدواودة بالحصنة والزاب، إمارة بني جلاب بتقرت ووادي ريغ، وإمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة ومتيجة، للمزيد من المعلومات أنظر: المدني، المرجع السابق، ص 93-95.

زيان تسيطر نظريا على القسم الغربي من الجزائر وكانت عرضة للغزوات من بني مرين في المغرب الأقصى وبني حفص في تونس<sup>1</sup>.

إضافة إلى هذا الصراع، كان هناك صراع داخلي في الأسرة الحاكمة، فقد كان قادة الزيانيين يتصارعون فيما بينهم على السلطة ويكيدون لبعضهم البعض ثم أنه بعض القادة المحليين أصبحوا يتحالفون مع الإنسان ضد الدولة الزيانية<sup>2</sup>، بحيث زادت الفتن والاضطرابات والانقسامات الداخلية وخاصة بين أمراء تلك القبائل البربرية في الشمال الإفريقي، بحيث أصبحت المنطقة في تلك الفترة تزداد ضعفا وفرقة خاصة بعد ضعف بني مرين وانحسارهم في المغرب الأقصى واحتدام الفتن والمشاكل الداخلية فيها والتي مزقتها وانهكت قواها وجعلتها فريسة سهلة لكل طامع، والدليل على ذلك المطامع الأوروبية التي بدأت تتشكل وتتزايد رغبة في السيطرة على كامل الشمال الإفريقي<sup>3</sup>.

وأدت هذه الأوضاع إلى التدخل الأجنبي، خاصة البرتغالي والإسباني وأصبحت سواحل المغرب العربي معرضة للغزو مع بداية القرن السادس عشر ميلادي، وفي هذا الوقت كان البحر المتوسط مسرحا لانتصارات مدوية أحرزها أبناء يعقوب "عروج وخير الدين وإسحاق". فابتداء من عام 1512م، بدأ نجم الإخوة يخترق الآفاق إلى سواحل البحر المتوسط فشاركوا في الجهاد وكانوا لهم إخوة في الدين الإسلامي ومنفذوهم من هذا العدو<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محفوظ قداش، الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصالة، ع52، مطبعة البعث، الجزائر، ديسمبر 1977، ص4.

<sup>2</sup> عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية وإلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص46. وأيضا: يوسف بنوجيت، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر الميلادي، تر: سامية سعيد عمار، تق: محفوظ قداش، الجزائر، 2007، ص 101-105.

<sup>3</sup> أحمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط....، ص 22-23.

<sup>4</sup> ربيعة بهلول، النظام الإداري العثماني في الجزائر ومراحل تطوره "1519-م830م"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2015-2016، ص 13-14.

إضافة إلى أن المغرب العربي شهد هجرات الأندلسيين بعد سقوط غرناطة 1492م، فساعد بقاء الأتراك وانضمام الموريسكيين إليهم للجهاد<sup>1</sup>، واعتبروا هؤلاء قوى بحرية جديدة في الحوض الغربي للبحر المتوسط في بداية القرن السادس عشر ميلادي، وهذا الذي مكنهم من مجابهة ومحاربة إسبانيا ومد يد المساعدة للموريسكيين. وكان ظهور الإخوة نتيجة الأوضاع التي شهدتها المغرب العربي من الضعف والتراجع<sup>2</sup>.

### استنجد أهالي المغرب الأوسط بالإخوة بربروس

وقد اتسع نشاط الإخوة بربروس في هذه الفترة يعني خلال القرن السادس عشر ميلادي، لما اشتهروا به من سطو على مراكز النصارى وخاصة الإسبانية منها، وبفضل ما حققه من إنقاذ آلاف الموريسكيين<sup>3</sup>، فقام بأعمال الجهاد في سواحل أوروبا الجنوبية عامة وسواحل صقلية وجنوب إيطاليا<sup>4</sup>، ومنذ ذلك الحين ذاع صيتهما في أوروبا والمغرب العربي حتى بلغت عاصمة الدولة العثمانية استانبول، مما جعل أهالي مدينة بجاية يستجدون به، لبي عروج الدعوة، فحاصر بأسطوله بجاية بحرا، بينما كان حاكم بجاية يحاصرها من البر بمساعدة من رجال عروج<sup>5</sup>، ولكن الحصار فشل وبتر ذراع عروج خلال هذا الحصار، فاضطر أخوه خير الدين إلى إعادته إلى تونس. وفي عام 1514م أعاد عروج الكرة وحاصر بجاية، ولكن سوء الأحوال الجوية، ووصول أسطول إسباني، وبدء موسم البذار ورجوع القبائل إلى حقولهم تاركين ميدان

<sup>1</sup> عزيز سامح ألتز، المرجع السابق، ص 43-45.

<sup>2</sup> حنيفي هلايلي، المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرن 16-18م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، "1999-2000"، ص 125.

<sup>3</sup> جوليان، المرجع السابق، ص 326.

<sup>4</sup> عباد، المرجع السابق، ص 43-44.

<sup>5</sup> فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي "دراسات تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا مطلع العهد العثماني أواسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص 531-532.

المعركة، دفع عروج إلى فك الحصار، وعض تحرير بجاية أخذ جيجل قاعدة له بدلا من جربة<sup>1</sup>.

أتاحت الإقامة في جيجل لعروج الفرصة ليطلع على أوضاع المغرب الأقصى، وبدأ يمد القبائل المجاورة لجيجل التي كانت تعاني المجاعة بالحبوب فحصل على شعبية كبيرة من القبائل. وفي سنة 1516م خلق موت فرديناند ملك إسبانيا موقفا جديدا في المغرب الأوسط، واضطرب وضع المراكز الإسبانية<sup>2</sup>، وبدأ سكان الموانئ الخاضعة للنفوذ الإسباني يفكرون بأن الفرصة قد حانت للتحرك من النفوذ الإسباني فسارع أهل مدينة الجزائر بواسطة رئيسهم سالم التومي إلى الاستجداء بعروج<sup>3</sup>.

وقد خاطب الوفد عروج بهذه الكلمات "...سمعنا أنكم أناس تحبون الجهاد وأخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى، ونصرتم الدين، فهنيئا لكم أيها المجاهدون، لا بد أن تقدموا إلينا وتخلصون من أيدي هؤلاء الملائع الكفرة لأننا في محنة عظيمة ومنة شديدة..."<sup>4</sup>.

فأسرع عروج وسيطر سنة 1516م على العاصمة رغم هجوم إسباني قوي وخاطف لاسترجاعها. وكان عروج وإخوته بعد استقرارهم في مدينة جيجل اهتموا بأمر المسلمين المضطهدين بالأندلس، فأخذوا يترددون بأسطولهم على شواطئ الأندلس وينقلون المهاجرين إلى

<sup>1</sup> شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث "تونس - الجزائر - طرابلس - المغرب الأقصى"، المكتبة الانجلو الأمريكية، مصر، ط1، 1977، ص24.

<sup>2</sup> نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، دار الحضارة، الجزائر، ط2، 2006، ص46.

<sup>3</sup> شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص25.

<sup>4</sup> محمد بن عبد الرحمان التلمساني، الزهرة النائرة في ما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحت رقم 2523، ص03.

شمال إفريقيا<sup>1</sup>، وفي تلك الأثناء كان عروج قد بايعه سكان جيجل أميرا عليهم، نظرا للنجاحات التي حققها<sup>2</sup>. وهكذا تمكن عروج من إنشاء جيش متعلم دربه على استعمال الأسلحة الجديدة، كما أمر ببناء مرتفع فوق التل الذي يهيمن على بجاية ورفع المدافع إليه ليضرب الأسوار مباشرة<sup>3</sup>، وقرر مهاجمة المدينة هجمة عامة، ولكن نفاذ الذخيرة وامتناع الأمير الحفصي بتونس عن تقديم العون له، اضطر إلى الانسحاب<sup>4</sup> منها بعد أسر 600 أسير من الإسبان<sup>5</sup>، حيث قال المؤرخ ابن أبي الضياف: "وضيق عليها الحصار، ولما أشرف على الفتح نفذ ما عنده من البارود، فكاتب السلطان الحفصي في تونس وهو محمد بن الحسن يستمد منه البارود، فتغافل عنه خوفا على ملكه المشرف على الانقراض، والتقدير وراء التدبير". ومن حسن حظ عروج واخوته وفي هذه الفترة أن السلطان العثماني بعث لهم مساعدات تشمل 14 سفينة محملة برجال أندية، مع كميات من الأسلحة والذخائر. وقد جاءت هذه الهدية في الوقت المناسب<sup>6</sup>.

وكان قبول عروج الدعوة لمساعدة سكان مدينة الجزائر، هو تنفيذ لرغبته الشديدة في تحرير المسلمين، وكذا إحساسه بالمسؤولية تجاه إخوته المسلمين الذين يعانون من قهر

<sup>1</sup> De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque 1515-1830, Ed peroux, 1887, P20.

<sup>2</sup> مجهول، المصدر السابق، ص18.

<sup>3</sup> المدني، المرجع السابق، ص166.

<sup>4</sup> يرجع سبب فشل عروج في اقتحام هذه المدينة وانسحابه والتراجع أنه كان ينتظر الدعم من الأمير الوطني الذي لم يوليه أي اهتمام وأيضا قلة الجنود والعتاد للمزيد أنظر: محمد دادة، "تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م"، مجلة عصور الجديدة، ع2، الجزائر، 2001، ص 194-195.

<sup>5</sup> مجهول، المصدر السابق، ص26.

<sup>6</sup> ابن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص170.

النصارى<sup>1</sup>. وقد ذكر هايدو بشأن هذه الاستجابة لعروج في تلبية الدعوة لنجدة سكان مدينة الجزائر حيث يقول: ".... وكما وعد وفى، ذلك لأن الميزة الرئيسية لهذا الرجل هي ثمرة طبيعية لنفسه الكبيرة"، ونعني بثمره طبيعته في نفسه الكبيرة انتماؤه الديني<sup>2</sup>.

جهز عروج حملة عسكرية كبيرة لتحرير مدينة الجزائر كان قوامها حوالي ستة عشرة سفينة مجهزة بالمدفعية والذخيرة، وأرسل معها نصف جيشه من جهة البحر بقيادة خير الدين، واتجه هو والنصف الثاني من جهة البر<sup>3</sup>، وفي الطريق انضم إليه عدد من القبائل، وتمكن من دخول مدينة شرشال دون مقاومة، فتخلص من قارة حسن، وترك بالمدينة حامية تركية لحراستها ثم عاد إلى مدينة الجزائر، حيث استقبله أهلها استقبال الفاتحين<sup>4</sup>، وأول إجراء قام به عروج، هو القيام بمهاجمة قلعة البنيون، فقام بقصفها بالمدفعية لمدة عشرين يوماً، لكن دون جدوى واستعصت عليه بسبب ضعف مدفعيته، وقوة تحصين القلعة، لذا قرر تأجيل أمر تحرير هذه القلعة إلى وقت مناسب<sup>5</sup>.

بعد دخول عروج مدينة شرشال وقتل قارة حسن، رجع إلى مدينة الجزائر، حيث اجتمع زعمائها وأصحاب الرأي فيها، وبايعوه أميراً للجهاد. وكان ذلك أبرز أحداث مدينة الجزائر سنة 1516م<sup>6</sup>، فأثار ذلك حقد سالم التومي وأتباعه الذين كانوا يحتفظون بالسلطة في المدينة، فحاولوا التصدي ضده<sup>7</sup>، لكن عروج فطن لهذه المؤامرة وعمل على إعادة سالم التومي إلى مدينة

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي " 1500 - 1830"، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1998، ص460.

<sup>2</sup> Diogo de Haedo, Histoire des Rios d'Alger, trd, H.D Grammont, ed grand- Alger- livre, 2004, p22.

<sup>3</sup> ربيعة بهلول، تكوين الكيان الجزائري....، ص138.

<sup>4</sup> E.Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale, vol 3, paris, 1891, p17.

<sup>5</sup> E.Cat, petite Histoire de L'Algerie, tome 1, Adolph Jourdan, Alger, 1888, p25.

<sup>6</sup> بلبروات بن عتو، سلاطين مملكة تلمسان الزيانية في مواجهة الإخوة بربروس 1517 - 1546م، مجلة مجلة عصور الجديدة، ع2، 2011، ص85.

<sup>7</sup> المدني، المرجع السابق ص175.

مدينة الجزائر، مظهرًا له الولاء ثم قام بشنقه بقماش عمامته، وهو في الحمام لما كان يتأهب لأداء صلاة الظهر. وروج عروج لكلمة فحواها أن سالم التومي مات مختنقا في حمامه، وقبل سكان مدينة الجزائر تلك الوضعية دون معارضة<sup>1</sup>.

ثم تابع توسعه، فاستولى على مدينة مليانة والمدينة وتتنس وتوجه نحو تلمسان<sup>2</sup>، بعد ذلك حضر إليه وفد من تلمسان شاكين له الأوضاع السيئة في بلادهم وتهديد الإسبان باحتلال المدينة بسبب اختلاف أمراء بني زيان على السلطة<sup>3</sup>، وقام أبو حمو الثالث بالاستيلاء على السلطة في تلمسان بالقوة، بعد أن طرد منه ابن أخيه أبا زيان الثالث ووضعه في السجن، ولم يتفق بهذا فعمل على موالاته الإسبان والتعاون معهم، وقبول حمايتهم، مما شجعهم على التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد<sup>4</sup>.

اتجه عروج إلى تلمسان تاركا أخاه خير الدين على مدينة الجزائر، وفي طريقه إلى تلمسان مر على قلعة بني راشد<sup>5</sup> قرب معسكر ووضع بها حامية تركية تتكون من 500 جندي

<sup>1</sup> وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زبايدية، دار القصة، الجزائر، 2006، ص41،40.

<sup>2</sup> عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب من الغزو الإيبيري إلى الاحتلال، المركز الثقافي الغربي، بيروت، ط1، 1999، ص45.

<sup>3</sup> ربيعة بهلول، تكوين الكيان الجزائري....، ص138-139.

<sup>4</sup> محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص229-230.

<sup>5</sup> قلعة بني راشد، تعرف بهذا الاسم نسبة إلى أولاد راشد بن محمد من بطون مغراوة الذين استوطنوا، الجبل المطل على تلمسان وبنوا هذه القلعة في القرن السادس ميلادي وتقع بين الطريق الواصل بين الجزائر وتلمسان وهي بلدة صغيرة من ولاية معسكر تبعد عنها حوالي 25 كلم، للمزيد أنظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، (د.م.ن)، الجزائر، ط7، 1994، ص42.

تحت قيادة أخيه إسحاق، لتحمي ظهره من غدر إسبان وهران، والمتحالفين معهم ممن باعوا ذممهم وضمايرهم<sup>1</sup>.

استطاع عروج أن يطيح بملك تلمسان الموالي للإسبان أبي حمو الثالث، وأعاد أبا زيان إلى عرشه من جديد. لكن سرعان ما عادت الفتن والمؤامرات ضد عروج<sup>2</sup>، حيث اتسم موقف سلاطين تلمسان بالمراوغة، حيث كانوا يتحالفون مع عروج تارة ومع الإسبان تارة أخرى، وكانوا يأخذون رهائن مقابل ولائهم. وكان أسلوب المراوغة هذا من أجل المال والسلطة، مما أدى إلى تضرر خير الدين وعروج اللذين كانا يحاربان الإسبان والملوك الزيانيين معا<sup>3</sup>.

تعاظمت الفتنة إلى درجة أنها حملت أبا زيان على إعلان تمرد على عروج، واستعانت به هو الآخر بالإسبان، لكن عروج اكتشف أمره وقضي عليه وعلى أنصاره<sup>4</sup>. وبعد مقتل أبي زيان أعاد الإسبان دعم الملك المخلوع للوقوف في وجه عروج في تلمسان، حيث أمدوه بقوة عسكرية قوامها عشر آلاف عسكري من الجيش الإسباني، إضافة إلى أنصاره الموالين له، واتجهوا إلى قلعة بني راشد واستولوا عليها وقضوا على قائدها إسحاق بن يعقوب<sup>5</sup>.

لم يكتف أبو حمو الثالث بالقضاء على إسحاق، بل واصل زحفه إلى مدينة تلمسان التي حاصرها حصارا شديدا. وقد ساعده جماعة من أنصاره الزيانيين الذين تحالفوا أيضا مع

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، وهران عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 69.

<sup>2</sup> الطمار، المرجع السابق، ص 230.

<sup>3</sup> H.D.DE Grammont, "qu' est le lien de la mort d'AroudjBarbarousse", **R.A.N°22**, 1878, pp 391-392.

<sup>4</sup> E.Mercier, Op.cit, p17

<sup>5</sup> المدني، المرجع السابق، ص 189-190.

الإسبان<sup>1</sup>، لكن عروج صمم على المقاومة مؤملاً بنجدة من فاس وصمد هو ومن معه من الجند لمدة ستة أشهر<sup>2</sup>.

وبعد انتظار طويل، بدأت المؤن تنفد، فقرر عروج الخروج والانسحاب من تلمسان، مع جماعة من جنده ونجح في اختراق صفوف الإسبان نحو الساحل، حيث كان يأمل وصول سفن أخيه خير الدين، ولما علم الإسبان بهربه أرسلوا قوة لمطاردته. وقد حاول عروج تأخير المطاردين بنشره كنوز آل زيان، التي أخذها معه على الطريق لتشتيت جنود الإسبان<sup>3</sup>، لكن الإسبان لحقوا به وحاصروه في قلعة قديمة، وبعد معركة ضارية حارب فيها ببسالة قتل عروج مع جميع أنصاره عام 1518م<sup>4</sup>، في مكان يدعى "ريودوسلادو" "واد الملح" على يد الضابط الإسباني "قراسيادوتينيو" الذي أخذ رأس عروج ومعطفه وسلمهما إلى حاكم وهران، الذي سلمهما بدوره إلى دير القديس جيروم في قرطبة، حيث زين بها حائط بهو التعبد والذي ظل يعرف لزمان طويل ببهو بربروس<sup>5</sup> la capilliberbaroussa لعبادة المسيح<sup>6</sup>.

بعد استشهاد عروج قرر الجند وأعيان مدينة الجزائر مبايعة خير الدين بالإجماع خلفاً لأخيه، لكنه وجد نفسه في موقف صعب للغاية، وذلك لنقص القيادات وتخلي بعض المتحالفين

<sup>1</sup> علي أجقو، محاضرات في تاريخ ومؤسسات الدولة الجزائرية 1515م-1837م، المغرب الأوسط من مجتمع القبيلة إلى مجتمع الدولة، بانتيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية، الجزائر، 2001، ص 27-28.

<sup>2</sup> سنيسر، المرجع السابق، ص 43.

<sup>3</sup> أجقوا، المرجع السابق، ص 28-29.

<sup>4</sup> DE Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque..., p25.

<sup>5</sup> وهكذا انتهت حياة المغامر البطل عروج الذي لعب دوراً كبيراً في وضع الأسس الأولى لتكوين الإيالة الجزائرية وجيشها، كما أن شجاعته وعبقريته العسكرية يشهد لها بها الأعداء، فلقد مدحه الراهب هايدو وذكر بأنه قاتل الإسبان رغم أنه كان يملك يد واحدة للمزيد: أنظر Heado, Histoire des rois..., p14-33.

<sup>6</sup> وليام سنيسر، المرجع السابق، ص 43.

عنه، إضافة إلى خشيته من ثورة المناطق المجاورة لمدينة الجزائر، وتمرد بعض القبائل مثل: قبيلة سالم التومي التي كانت تنتظر الفرصة للثورة ضده<sup>1</sup>، فوضع خير الدين ثلاثة احتمالات:

- الاحتمال الأول: العودة إلى جيجل والانطلاق في العمل البحري من جديد.

- الاحتمال الثاني: العودة إلى مقر خلافة الباب العالي وأن يضع نفسه في خدمة الخليفة.

- الاحتمال الثالث: البقاء ومواصلة الكفاح<sup>2</sup>.

وقد استقر رأيه على الاحتمال الثاني فذهب إلى مقر الخلافة، وخاطب الأعيان قائلاً: "الآن لم يبق لي شيء أفعله من أجل إسعاد مدينتكم، لقد قررت أن أغادركم وأترك إلى جانبكم فرقة كافية من المحاربين الأبطال، الذين سيعملون من أجل أن يحترم اسم الجزائر... عند أسلحة، والسفن، والذخائر من أجل أن تقوموا بمحاولات جديدة... حين وصلت إليكم لم يوجد ولا مدفع واحد، والآن بفضل الله لديكم أكثر من 400 مدفع، حينما تجدون أنفسكم أمام ضائقة وتبرز أمامكم حالات صعبة وخطيرة استشيروا الفقهاء، وهاذين: أحمد بن القاضي قائد المنطقة الشرقية، ومحمد بن علي قائد المنطقة الغربية وبعون الله ستتغلبون على كل العراقيل"<sup>3</sup>.

لكن أعيان مدينة الجزائر وكبارها ألحوا عليه البقاء في المدينة، فيقول صاحب كتاب الغزوات في هذا الصدد: فقالوا له: "أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك، ولن نسمح لك بذلك فإن الله تعالى قد نصرنا بك على العدو وحصل في قلوبهم الرعب منك... وجعلوا يتضرعون بين يديه ويظهرون التآلف على فراقه..."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Roland et Jean Didieu Gros (Clandine), *Moi Barbarous pirate et roi de barbarie*, Casterman, collection Bruscelle, 1984, p.201.

<sup>2</sup> Ernest Watbled, "Etablissement de la domination Turque en Algérie", **R.A.N°17**, 1873, pp 352-387.

<sup>3</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين، المصدر السابق، ص42.

<sup>4</sup> نفسه، ص41.

### المبحث الثاني: الدوافع الدينية والاقتصادية للمد العثماني في المتوسط.

أما بالنسبة للظروف الخارجية التي كانت تمر بها الجزائر تتمثل في التنافس الدولي الأوروبي فرنسا وألمانيا، وكذلك التنافس الهولندي الفرنسي الإنجليزي، والتنافس الإسباني العثماني من أجل الفوز بالسيادة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، بحيث تميزت الظروف الدولية بتزايد قوة الدول الأوروبية، وياحتلال التوازن لصالح العالم المسيحي<sup>1</sup>. وتعتبر فترة نهاية القرن 15م ومطلع القرن 16م لمنطقة البحر المتوسط، مرحلة مهمة بالنظر لتلك التحولات والتغيرات التي عرفتها المنطقة، أهمها التغيرات في موازين القوى والتقنيات الحربية، أمر انعكس على العلاقات بين قوى ضفتي المتوسط بين دار الحرب ودار الإسلام<sup>2</sup>.

كان التعصب الديني والرغبة في نشر المسيحية، وكذلك الرغبة في زحزحة حدود الإسلام يدفع الإسبان منذ أواخر القرن 15م وطوال القرن 16م ميلاديين إلى التدخل في البلاد الإسلامية بشمال إفريقيا، فخرجت القوات الإسبانية إلى الناحية الشرقية لاحتلال مختلف الموانئ الجزائرية والتونسية والليبية، وكذلك من الناحية الغربية البرتغال لاحتلال شواطئ المغرب الأقصى<sup>3</sup>.

وكانت البلاد غير محصنة وبالأخص الجزائر التي تسود بها الفوضى السياسية، وهذا ما شجع ملك إسبانيا فرديناند الكاثوليكي على تحقيق أطماعه بغزوها<sup>4</sup>، فبعد سقوط غرناطة اضطر المسلمون إلى مغادرة الأندلس فارين من الاضطهاد الإسباني واستقروا في شمال إفريقيا، ومنذ ذلك الحين بدأ الإسبان يفكرون في احتلال السواحل المغربية خشية من عودة

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2000، ص1، ص182-191.

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، الموجز في التاريخ، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص08.

<sup>3</sup> هلايلي حنيفي، المورسكيين الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرن 16...، ص 123-124.

<sup>4</sup> عبد الجليل التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519، المجلة التاريخية المغربية، ع06، تونس، 1976م، ص116.

المسلمين إلى الأندلس. وقد شجعهم على ذلك ضعف البلدان المغاربية التي كانت تفتقر إلى الوحدة السياسية والقيادة الحكيمة والتنظيم الشامل<sup>1</sup>.

وقد احتدم الصراع بين الإسبان والبرتغال من أجل احتلال المغرب الإسلامي فتدخل البابا الذي أنهى النزاع باقتسام النفوذ وفق معاهدة توردي سيلاس 1494م، وأعقب ذلك اتفاق اقتسام المغرب العربي الإسلامي وفقا لمعاهدة "فيلافرنكا" 1509م والتي نصت على منح المغرب الأقصى للبرتغال مقابل حصول إسبانيا على المغرب الأوسط، ومع بداية القرن السادس عشر ميلادي كانت البرتغال تملك مدن سبتة وطنجة وأصيلا وأزمور والصويرة وآسفي... إلخ، وملك الإسبان صخرة باديس ومليلة وانطلقوا لتطوير الحرب ضد الجزائر<sup>2</sup>.

في هذه الظروف الداخلية والخارجية التي مرت بها شمال إفريقيا عامة والمغرب الأوسط خاصة، بحيث ظهرت جماعة من البحارة الأتراك العثمانيين في منطقة غرب البحر المتوسط، أدى إلى تغيير في الأوضاع وأعاد النظر في موازين القوى التي كانت إلى حد تلك اللحظة لصالح الإسبان وفي النهاية لم ينجح المشروع الإسباني، نتيجة تدخل الإخوة بربروس. إن حضور العثمانيين في غرب البحر المتوسط كان له أثر كبير على سير الأحداث التي كانت تشهدها منطقة الغرب الإسلامي خلال القرن 10هـ/16م، إذ أن العثمانيين من خلال تحركاتهم في غرب البحر المتوسط وتدخلاتهم في منطقة المغرب، قد ساهموا ولا شك في إعطاء نفس لحركة المقاومة التي انطلقت للرد على الهجمات المسيحية التي كانت تستهدف منطقة المغرب خلال هذه الفترة<sup>3</sup>.

لكن الحديث عن وجود العثمانيين في غرب البحر المتوسط يستدعي الوقوف على حقيقة الصراع المسيحي الإسلامي في غرب البحر المتوسط قبل خضوع العثمانيين للمنطقة.

<sup>1</sup> المدني، حرب الثلاثمائة...، ص 126 - 127.

<sup>2</sup> دراج، المرجع السابق، ص 95.

<sup>3</sup> زهراء النظام، المرجع السابق، ص 57.

وبالنسبة للمواجهات التي كانت بين الطرفين تحت شعار "الجهاد" من جهة و"الحرب الصليبية" من جهة أخرى، وأن العثمانيين وجدوا أمامهم قوة متوسطة أخرى لها استراتيجيتها وأهدافها ونعني بذلك القوة الإسبانية التي خاضت مع العثمانيين حروبا عدة، قبل أن تتخذ المواجهة بين الطرفين شكلا غير مباشر<sup>1</sup>.

وبالعودة إلى جدولة المعارك الحربية بين هذين القطبين، نجد على الجانب المسيحي تحالفا ضم كلا من إسبانيا والبندقية والبابوية ضد العثمانيين الذين انضمت إلى أسطولهم وحدات بحرية من إيالاتهم بشمال إفريقيا وأساسا الجزائر ثم طرابلس ثم تونس<sup>2</sup>. إن تتبع حركة النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن 16م يؤكد أن هذه الدولة لم تكن عشوائية في أعمالها العسكرية والبحرية منذ فترات التأسيس، وأن ما يدعم فرضية امتلاك الدولة العثمانية لاستراتيجية بحرية في البحر المتوسط امتلاكها لمجالات بحرية كبرى بهذا البحر سواء في المشرق أو المغرب، أو في الضفة الأوروبية أو الشمال الإفريقية.

وحتى بداية القرن السادس عشر ميلادي لم تكن البحرية العثمانية ذات شأن كبير، إلا أن إصرارها على المواجهة مع العدو الأوروبي في البحر دفعها إلى بناء أسطول بحري قوي مدعوم بفرقة برية (الانكشارية) والرياس الكبار، وهو ما مكنها من تجهيز عمليات بحرية كبيرة في المتوسط<sup>3</sup>.

فلنؤكد على هاته الحقيقة التاريخية، وهي أن الدولة العثمانية بعد قرن ونصف من إنشائها، عرفت سرعة ونسقا جديدين تمكنت بفضلها من أن تصبح قوة إقليمية توسعية ضاربة، بدءا من احتواء السلاجقة وتمتد بعد ذلك وبسرعة رهيبة إلى ملامسة الفضاء

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، العثمانيون والبحر الأبيض المتوسط "الإشكاليات والمقاربات الجديدة"، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم 109، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 2003، ص 22-23.

<sup>2</sup> نفسه، ص 23.

<sup>3</sup> مصطفى عبد الله الغاشي، البحر الأبيض المتوسط في الإستراتيجية العثمانية "حالة القرن السادس عشر، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم 109، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 2003، ص 29، 31.

البيزنطي والبحر المتوسط عامة والسيطرة على أهم مداخله<sup>1</sup> وبذلك، فإن هذا الحدث بتداعياته قد لعب دورا فاصلا في علاقة العثمانيين بعالم البحر عموما والمتوسط خصوصا، وبالتالي دخل العثمانيون بقوة في الديناميكية الداخلية للبحر المتوسط، ويعتبر فتح القسطنطينية حدثا مؤسسا في التوجه البحري المتوسطي للعثمانيين وهم الذين سيتمكنون منذئذ وخاصة في القرن 16م من عثمانة الموانئ والضفاف المتوسطية العربية، ماعدا المغرب الأقصى<sup>2</sup>.

ولكن ما زاد في أهمية الحدث هو أن العثمانيين ظهروا هذه المرة، كورثة وحماة للحضارة العربية الإسلامية أيضا وكعنصر إستمرار لها، بل وقادة لها طوال القرنين السادس عشر ميلادي والسابع عشر ميلادي على الخصوص، حيث تحملوا المسؤولية الأولى في تحصين المدن والموانئ المتوسطية العربية، ومنعوا دحرجتها وسقوطها في العالم اللاتيني<sup>3</sup>.

لقد دخل العثمانيون البحر المتوسط وأصبحوا أحد الفاعلين فيه والمتحكمين البارزين في مصيريه وتأريخيته والذي أصبح بالفعل بحيرة عثمانية طوال القرن السادس عشر ميلادي عندما فرضوا سلمهم العثماني<sup>4</sup>، إلا أننا نلاحظ في زحمة الأحداث أن هناك نوعين من المواجهات؛ مواجهات شاملة وأخرى جزئية، ونعني بالمواجهات الشاملة: تلك التي يتولاها المركز وتتدخل فيها العديد من الأطراف من الجهتين وتحدث فيها تحالفات واسعة، أما المواجهات الجزئية: فهي تلك الحرب المتواصلة والمحدودة والتي تولاها "رياس البحر" سواء لحسابهم الخاص أو لحساب السلطات المحلية، دون الخروج عن الإستراتيجية العامة للدولة العثمانية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> التميمي، العثمانيون والبحر الأبيض المتوسط...، ص 20.

<sup>2</sup> نفسه، ص 21.

<sup>3</sup> نفسه، ص 22.

<sup>4</sup> الغاشي، المرجع السابق، ص 40-42.

<sup>5</sup> التميمي، العثمانيون والبحر الأبيض المتوسط...، ص 22.

إن مواجهات الدولة العثمانية في البحر المتوسط كان دافعا وحافزا لها للتفكير في إنشاء وتطوير قوتها البحرية، بحيث قام المسؤولون العسكريون بإعادة النظر في إستراتيجيتهم العسكرية على المستوى البحر بشكل يجعل القوة البحرية أولوية سياسية وخيارا إستراتيجيا في مواجهة الخصوم الأوروبيين<sup>1</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه بهذا الصدد أنه يصعب الحديث عن قوة بحرية عثمانية قبل القرن 16م، ذلك بأن البحرية العثمانية قبل هذه المرحلة ارتبطت بسياسة كل سلطان، فحسب الظروف. وتذكر بعض الدراسات أن أول أسطول عثماني عرف طريقه إلى البحر كان عهد السلطان بايزيد الأول (1389هـ/1402م) بمدينة غاليبولي الساحلية<sup>2</sup>، يعني أنه خلال القرن السادس عشر ميلادي أصبحت الظروف مواتية لكي تتحقق القوة البحرية والتي سهر عليها كل من السلاطين: مراد الثاني، بايزيد الأول، محمد الفاتح، وبايزيد الثاني (1481-1512م)، فالدولة العثمانية بلغت أوجها مع السلطان سليمان القانوني، وبلغ التوسع حدوده القصوى، إذا أعلنت القوى البحرية بسواحل الشمالي الإفريقي تبعيتها للدولة العثمانية، وهو ما جعلها تتحمل مسؤولية الدفاع عن هذه المناطق من الغزو الإسباني<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية "الأتراك العثمانيون وحضارتهم"، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، ج3، 1949، ص88.

<sup>2</sup> أحمد فؤاد متولي، البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي في ضوء الوثائق العثمانية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد الرابع، 1400هـ/1980م، ص380.

<sup>3</sup> كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص88.

المبحث الثالث: الاحتلال الإسباني لسواحل الجزائر مطلع القرن السادس عشر ميلادي:

كانت خطة الإسبان في احتلالهم للمغرب الأوسط تهدف إلى السيطرة على سواحله أولاً ثم إخضاع المناطق الداخلية مستغلة الأوضاع المختلفة المتدهورة التي كانت تعيشها تلك البلاد.

لقد بدأت البرتغال قبل إسبانيا بالفعل في تنفيذ ذلك المخطط (الاستعماري) منذ بدايات القرن الخامس عشر ميلادي، مع ازدياد قوتها الاقتصادية إلى جانب قوتها البحرية التي ستصبح سمة الدول العظمى في ذلك العصر<sup>1</sup>.

أما عن إسبانيا فقد كانت قبل منتصف القرن الخامس عشر ميلادي عبارة عن ممالك منفصلة، تارة تتحد لدر الخطر الإسلامي في شبه الجزيرة، وتارة أخرى تختلف وتتناحر حتى تم توحيد المملكتين الأكبر في شبه الجزيرة وهما قشتالة وأراغون عام 1469م، بزواج الملكين فرناندو وإيزابيلا<sup>2</sup>، وأعقب ذلك توسع إسبانيا في اليباس الإيبيري واستكمالها حركة الاسترداد<sup>3</sup> المسيحي. فكان هذا التطور في مساحة وقوة إسبانيا حافزاً للعرش البرتغالي للالتساع فيما وراء البحار، وهكذا بدأ التنافس بين الدولتين في مجال الكشوفات الجغرافية وفي المجال الاستعماري

<sup>1</sup> ناصر الهادي الحضيري، الهجمات الصليبية على المغرب الإسلامي واستدعائها لتأسيس إيالات المغرب العثمانية، المجلة الليبية العالمية، ع6، جامعة بنغازي كلية التربية المرج، مارس 2016، ص06.

<sup>2</sup> فرناندو وإيزابيلا: فرناندو الثاني هو ملك مملكة أراغون إحدى الممالك الصليبية في شبه جزيرة إيبيريا، وإيزابيلا الأولى هي ملكة مملكة قشتالة، تزوجا سرا عام 1469 موحدتين بذلك مملكتين في عام 1474، دخلا في حرب مع غرناطة آخر معاقل الإسلام في الأندلس. أنظر بليل رحمونة، القناصلة والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية 2010-2011، ص3-4.

<sup>3</sup> حركة الاسترداد: هي الحروب التي أعلنتها إسبانيا على المسلمين في الأندلس بغية استعادتها منهم ثم توسعت بعد ذلك لتشمل تنصير المسلمين في شمال إفريقيا كله: للمزيد أنظر: دراج، المرجع السابق، ص30.

فيما وراء البحار، لكن قدم الاتفاق بينهما فيما بعد على تنظيم القوى وتوحيدها للقضاء على الإسلام نهائيا في الأندلس وشمال إفريقيا<sup>1</sup>.

وفي عام 1494م عقدت الدولتان اتفاقيتهما الشهيرة (تورديسلاس) لتقسيم أقاليم ما وراء البحار غير المكتشفة بينها، وهو التقسيم الذي جعل المستعمرات الشرقية المكتشفة من نصيب البرتغال، والمعسكرات الغربية المكتشفة من نصيب إسبانيا، هذا بينما في بلدان الشمال الإفريقي (طبقا للاتفاقية المكملة عام 1509م) اتخذ التوسع البرتغالي والإسباني وجهة جعلت المستعمرات الإسبانية تقع في الشرق بالجزائر وتونس وطرابلس والمستعمرات البرتغالية تقع في الغرب بالمغرب<sup>2</sup>.

وقد شجع تفكك المغرب الإسلامي الإسبان للقيام بغزو الموانئ والمدن الساحلية للمغرب الأوسط والسيطرة عليها واحدة بعد الأخرى وفق مشروع استعماري واسع وكانت بداية هذه الهجمات على ميناء المرسى الكبير غربي وهران<sup>3</sup>.

### أ- احتلال المرسى الكبير 1505م:

اختارت إسبانيا هذا الميناء نظرا لأهميته الاقتصادية وقربه من السواحل الإسبانية ويشرف على مدينة وهران ولكونه يحتوي على أحسن المراسي في البحر المتوسط<sup>4</sup>، ونظرا لأهميته سماه الرومان "المرسى الرياني"<sup>5</sup> وذكر الوزان أنه يمكن أن ترسو فيه وبكل سهولة

<sup>1</sup> سالم، استراتيجية الفتح العثماني...، ص 151.

<sup>2</sup> سالم، السيطرة العثمانية...، ص 71.

<sup>3</sup> بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر...، ص 252.

<sup>4</sup> فكاير، المرجع السابق، ص 52.

<sup>5</sup> عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المركز الوطني للدراسات، الجزائر،

2007، ص 15.

مئات المراكب الحربية في مأمن من كل عاصفة وإعصار<sup>1</sup>، بحيث غادر الأسطول الإسباني مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505م، كان يقوده "دون رايموند دي" "Don Rémond" قرطبة، بجيش قوامه خمسة آلاف رجل<sup>2</sup>، فوصل الأسطول يوم 11 سبتمبر 1505م بعد أن إعترضته رياح كانت لصالح الإسبان، فتأخر وصول الأسطول بحيث ظن المجاهدون (سكان المرسى الكبير) أن العدو عدل عن الهجوم ففرقوا، فلم تكن الحامية الصغيرة المتبقية تستطيع صد الجند عن النزول إلى البر رغم المقاومة العنيفة القاسية التي قام بها رجال تلك الحامية، واستمرت هذه المعركة الغير متكافئة ثلاثة أيام متواصلة فاحتل الإسبان القلعة وتحصنوا فيها، وتم اتخاذها موقعا تنطلق منه قواتهم لتوسيع نطاق الاحتلال في المناطق المجاورة، وخاصة مدينة وهران التي كانت هدفهم الموالي<sup>3</sup>.

### ب- احتلال وهران 1509م:

تابع الإسبان نشاطهم في هذه الهجمات، فأرسلوا حمله ضخمة عام 1509م لمهاجمة وهران ذاتها، واستطاعوا بالفعل السيطرة عليها<sup>4</sup>، حيث عين الملك الإسباني فرديناند الكادرينال خمينيس<sup>5</sup> في 20 أوت 1508 قائدا عاما على الحملة الموجهة لاحتلال مدينة وهران التي تعتبر إحدى أكبر المدن الواقعة غرب الجزائر، وثاني أهم ميناء ومنفذ تجاري بعد المرسى

<sup>1</sup> الحسن بن محمد الوزان الفارسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص31.

<sup>2</sup> المدني، المرجع السابق، ص97.

<sup>3</sup> دراج، المرجع السابق، ص98.

<sup>4</sup> سالم، استراتيجية الفتح العثماني.....، ص152.

<sup>5</sup> الكادرينال خمينيس: Ximenes واسمه Jimenesde Francois كادرينال، ولد في قشتالة (1463-1517م)، تم تعيينه أمينا لسر الملكة الاسبانية إيزابيلا، ثم كاهنا لطليطلة سنة 1465م، ثم حاكما لقشتالة حتى وفاة الملكة إيزابيلا سنة 1504م ثم عين رئيسا لمحاكم التفتيش (1506-1516م)، تولى قيادة الحملة على وهران سنة 1509، اشتهر بقسوته في إبادة المسلمين، وكان المحرض الأساسي لاحتلال مدن المغرب بغية تنصير أهله. أنظر: دراج، المرجع السابق، هامش رقم4، ص96.

الكبير<sup>1</sup>، فأعدوا حملة ضخمة خرجت من قرطاجة بإسبانيا يوم 16 ماي 1509م بقيادة الكاردينال نفسه، ووصلت إلى وهران 19 ماي من نفس السنة وفرضت عليها الحصار واستولت عليها بفضل خيانة بعض ضعفاء الذمة<sup>2</sup> والسماسة اليهودية اللاجئين إلى وهران، وفعلوا فيها ما فعلوه بالمرسى الكبير من قتل وتخريب وهتك للأعراض، وبعد هذا النجاح عين الإسبان أحد قراصنتهم وهو بيدرونافارو<sup>3</sup> Pedro Navarro حاكما عاما عليها وعلى المرسى الكبير<sup>4</sup>، فتمكن الإسبان من احتلال نقطة أساسية في بلاد المغرب الأوسط وثبتوا فيها رغم كل المحاولات الإسلامية مدى قرنين يعني إلى سنة 1792م.

وكان من نتائج هذه الحملة الرعب الذي أدخله في النفوس وأن ذلت دولة بني زيان، فاعترف أبو حمو الثالث بنوع من التبعية لإسبانيا وتعهد بأن يدفع لها سنويا جزية مقدارها اثنا عشر ألف دوقة ذهبية، وإثنا عشر حصانا وستة من طيور الباز الجارحة<sup>5</sup>. وأصبحت وهران مركز للنشاط للنشاط الإسباني في الشمال الإفريقي<sup>6</sup>. وكانت إسبانيا تسيّر في معركتها حسب خطة مرسومة مدققة فما عادت تثبت أقدامها بالناحية الغربية، حتى وجهت أنظارها إلى الناحية الشرقية<sup>7</sup>.

### ج- احتلال بجاية 1510م:

- <sup>1</sup> دراج، المرجع السابق، ص 101-102.
- <sup>2</sup> الذمة : هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين تربطهم بالمسلمين روابط شرعية حسب الشريعة الإسلامية بدفعهم الجزية مقابل حفظ أمنهم وأموالهم. أنظر: بليل، المرجع السابق، ص 77.
- <sup>3</sup> ولد نافارو بمدينة بسكاي جلبه فرديناند ورفاه إلى رتبة النبلاء واستعمله لاحتلال الشواطئ المغربية، انتقل الملك الفرنسي فرنسوا الاول منذ سنة 1515م. أنظر: صالح حيمر، التحالف الأوروبي ضد الجزائر 1541م، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، السنة الجامعية 2006-2007، ص 28.
- <sup>4</sup> بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر....، ص 09.
- <sup>5</sup> آغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تح: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص 210-213.
- <sup>6</sup> سالم، استراتيجية الفتح العثماني....، ص 152.
- <sup>7</sup> المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص 119.

لم يكتف الإسبان بالاستيلاء على المرسى الكبير ووهران في الجهة الغربية، بل اتجهت أنظارهم إلى الناحية الشرقية وبالضبط إلى مدينة بجاية<sup>1</sup>، فالإسبان ما إن ثبتوا أقدامهم في الجهة الغربية حتى شرعوا بإعداد حملة لاحتلال بجاية وجعلها قاعدة انطلاق لاحتلال الساحل الشرقي "القل، عنابة، وتونس" ليسهل عليهم بعد ذلك التحكم في مضيق صقلية، وقطع الطريق على العثمانيين من الوصول إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط<sup>2</sup>.

كانت بجاية تخضع لأمير حفصي تابع لإمارة قسنطينة يدعى عبد الرحمان، وينافسه في الحكم ابن أخيه عبد الله، فشن عليها الإسبان حملة كبيرة يوم 05 جانفي 1510م واحتلوها بعد أن فتكوا بأهلها وخربوا الكثير من آثارها ومعالمها التاريخية الإسلامية، وأعلن السلطان الحفصي عبد الله قبوله لدفع إتاوات مالية لهم لعنوان للخضوع والاستسلام<sup>3</sup>.

### د - خضوع مدينة الجزائر 1511م:

بعد احتلال الإسبان أهم المدن الساحلية لبلاد المغرب الأوسط كوهان وبجاية والمرسى الكبير، سارعت المدن الساحلية الأخرى إلى طلب الصلح وإعلان الطاعة والخضوع للقوات الإسبانية بسبب عنف الهجمات الإسبانية والمعاملة القاسية للأهالي فأحدثت موجة من الرعب والخوف<sup>4</sup>، كما استعملت الأساليب الاستعمارية للتدخل والظفر بمناطق جديدة ومنع حدوث أي تكتل أو تحالف ضد أخرى<sup>5</sup>، فشرع سكان مدينة الجزائر بالخطر خوفاً أن يهاجمهم الإسبان بين الحين والآخر، فقاموا بإرسال سفراء إلى مدينة بجاية لطلب الصلح من المفوض العسكري

<sup>1</sup> سالم، السيطرة العثمانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط...، ص 73-74.

<sup>2</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، ص 105.

<sup>3</sup> بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر...، ص 09.

<sup>4</sup> Molay, Belhmissi, Histoire de mostaganem des origines anos jour, Alger, SNED.Alger, 1982, p60.

<sup>5</sup> عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلية تحت ولاية الإسبانين بوهران من بني الأعراب كبنو عامر، تر: محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972، ص 18-26.

الإسباني "الأميرال بيدرونافارو"<sup>1</sup> فأمرهم بالذهاب إلى إسبانيا ليعقدوا الصلح مع الملك الكاثوليكي<sup>2</sup>.

فذهب حاكم مدينة الجزائر سالم التومي شخصيا لإعلان خضوعه وطاعته لملك إسبانيا برفقة حاكم مدينة تنس "عبد الله" والذي أعلن بدوره خضوعه وطاعته وكانوا محملين بالهدايا الثمينة ومعهم 130 من المسيحيين وكان ذلك سنة 1511م<sup>3</sup>.

فسار الوفد الجزائري إلى إسبانيا للتفاوض واتفقا الجانبان على أن يسلم الجزائريون أكبر جزرهم الصخرية للإسبان لكي يقيموا عليها معقلا يحرس تجارتهم ويضمن حرية مواصلتهم البحرية ويجعل مدينة الجزائر نفسها تحت رحمة مدافعهم<sup>4</sup>، كما عقدوا صلحا لمدة عشر سنوات على أن يؤدوا ضريبة سنوية، فقامت إسبانيا ببناء حصن البنيون الذي يبعد عن مدينة الجزائر بـ 300 متر فقط والذي بني على أنقاض منارة بناها الأندلسيون نهاية القرن 15م<sup>5</sup>. وأصبحت تدعى صخرة الجزائر أو البينيون "Pennon"<sup>6</sup>، وذلك لسيط نفوذهم في البحر المتوسط وجعل مدينة الجزائر تحت وطأة المدافع الإسبانية المنصوبة في هذه القلعة، بغية التضيق عليها

<sup>1</sup> محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشرق للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، ص 20-22.

<sup>2</sup> عزيز سامح ألت، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمد علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989، ص66.

<sup>3</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للمتوسط.....، ص 73-74.

<sup>4</sup> أجقو، المرجع السابق، 2001، ص 5-6.

<sup>5</sup> المدني، حرب الثلاثمائة.....، ص127.

<sup>6</sup> البينيون: وهو ما يعرف بحصن الصخرة الذي صار كشوكة في حلق سكان مدينة الجزائر وقيد حريتهم في المعاملات البحرية مع دفع الضريبة على سكانها، ويأتي ذلك في إطار حركة الاسترداد المسيحية تنفيذا لوصية الملكة إزبيلا وتوسيع السيطرة الكاستيلية حتى تشمل جميع شمال إفريقيا وإقامة مراكز محصنة. أنظر: بليل، المرجع السابق، ص 2-3.

وتفتيش الصادرات والواردات من ميناءها وقطع الصلات بين الجزائريين وغيرهم<sup>1</sup>، فصارت القلعة شوكة في حلق مدينة الجزائر يهدد أمنها واستقرارها<sup>2</sup>.

وبهذا أصبح الإسبان يبسطون نفوذهم على الموانئ الهامة في كل المغرب الأوسط "مستغانم، مزگران، تنس... إلخ"، كما أنهم استولوا على طرابلس عام 1515م، واتخذوها قاعدة لعملياتهم الحربية في البحر المتوسط<sup>3</sup>.

وهكذا بدأ المسلمون المجاهدون في الشمال الإفريقي يشعرون بذلك الخطر الذي مس أراضيهم، والذي يحظى بمباركة البابا والدول الأوروبية للاستيلاء على أوطانهم، بل ومحاولة تنصيرهم، ومنذ ذلك الحين بدأ الجهاد في هذه المنطقة يتخذ طابعا آخر فريد من نوعه<sup>4</sup>، بحيث بحيث تحسر سكان المغرب من هذه الاعتداءات وبدلا من اتخاذ الجهاد الهجومي، اكتفت الأقطار المغاربية بالجهاد الدفاعي ويتجلى ذلك من خلال الصرخات البائسة التي أطلقها بعض الشعراء أمثال ابن يجيش التازي:

ولم أستطع صبورا، وكيف يصبح لي  
وقد هتكت من ديننا كل حرمة  
وشاركنا الأعداء في قطر غربنا  
وقد أخذوا جل البلاد البهية  
وقد أرعبت تلك السواحل منهم  
وصاروا يؤدون الخراج كجزية  
ولم يقنعوا بما سبوا من بلادكم  
وإخوانكم في حين تلك القضية<sup>5</sup>

<sup>1</sup> نيقولايفيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574، دار الفرابي للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1988، ص 32-33.

<sup>2</sup> حيمر، المرجع السابق، ص20.

<sup>3</sup> سالم، استراتيجية الفتح العثماني...، ص152.

<sup>4</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط...، ص75.

<sup>5</sup> عبد المجيد قدوري، المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر "مسألة التجاوز"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص20.

إذن مع بداية القرن السادس عشر ميلادي كانت جل سواحل المغرب الأوسط تحت السيطرة الإسبانية، وكانت إسبانيا تتأهب للانتقال للمرحلة الثانية، ألا وهي التوسع في المناطق الداخلية، غير أن احتلالها ظل مقتصرًا على المناطق الساحلية لعدة أسباب لعل أهمها انشغالهم في نفس الوقت بحروبهم في المناطق الأخرى في أوروبا كإيطاليا وغزو العالم الجديد<sup>1</sup>، بالإضافة إلى تزامن الهجمات الإسبانية وتوسعها بظهور جماعة المغامرين في منطقة غرب البحر المتوسط، قادوا معارك طاحنة ضد الإسبان وانتصروا عليهم، بحيث تمكن هؤلاء المغامرون "الإخوة بربروس" من وضع حد لتوسعات إسبانيا في المغرب الأوسط، وشهدت منطقة المغرب الإسلامي بظهورهم تطورات متصارعة تمخض عنها زوال مملكة بني زيان وحلول كيان سياسي جديد محلها<sup>2</sup>.

### المبحث الرابع: مظاهر من أعمال القرصنة على سواحل المغرب الأوسط:

يبدو أن أعمال القرصنة واعتراض سبيل المسافرين والتجار وسفن التجارة إنما هي وليدة الحروب الصليبية، فعندما عجز المسيحيون عن استرداد.

#### 1- القرصنة والجهاد البحري بين الممارسة وردود الفعل:

اختلفت نظرة المدرسة التاريخية العربية للعمل البحري الذي كان يقوم به الأسطول الجزائري، وقد اعتبرت أن الجهاد البحري فريضة يحمله البعض على البعض الآخر، إذ رفع الجزائريون المسلمون راية الجهاد في سبيل الله في البر والبحر بصورة عامة، وما قام به المجاهدون فوق أرض الجزائر أكد وبصورة خاصة على أنه دفاعًا عن أرضهم وعرضهم وأموالهم وإحباطًا لأرض العدوان<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمود السيد، تاريخ دولة المغرب العربي "ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب- موريتانيا- مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ص 162.

<sup>2</sup> سالم، السيطرة العثمانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط.....، ص 75.

<sup>3</sup> جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م، دار الرائد للكتاب، 2010، الجزائر، ص 43.

فإذا هجم العدو على بقعة من بلاد المسلمين مهما صغرت، وجب على أهلها الدفاع عنها، فإن لم يستطيعوا وجب على من يقربهم وهكذا، حتى يعم الواجب على المسلمين، ولا نعني بالبلد، أو البقعة النطاق الجغرافي الرسمي لكل بلد، فبلد الإسلام من شرقه إلى غربه بلد واحد، وأمة الإسلام أمة واحدة، فلو قدر أن بلدا في دولة إسلامية تعرض لغزو و كان محاذيا لبلد في دولة أخرى لكان الوجود أسرع إلى البلدة المحاذية منه إلى المدن الأخرى البعيدة<sup>1</sup>.

ولقد كانت الجزائر هي "دار الجهاد" أو "جزائر المغازي"<sup>2</sup> و"جزائر الانتصارات والحملات ضد الكفار" وكان الرياس والجنود البحريون معتبرين كمجاهدين ومن كان يسقط في ميدان المعارك يعتبر من الشهداء الذين وعدهم الله بحياة الخلود في الجنة. **مفهوم الجهاد البحري:**

**لغة:** جاهد أي استفرغ وسعه في الحرب، وغلب على القتال في سبيل الحق<sup>3</sup>، فالجهاد هو الصورة الوحيدة للحرب التي يجيزها الإسلام<sup>4</sup>.

**اصطلاحا:** يقصد به في الاصطلاح الفقهي، البذل في سبيل الدفاع عن الدعوة بالنفس والمال امتثالاً لقوله تعالى: «...إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض...»<sup>5</sup>.

وكان الجهاد في سبيل الله فرضا مصداقا لقوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»<sup>6</sup>، وقوله أيضا سبحانه وتعالى: «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقق لجنة من كتاب الدولة الثقافية و أخبار، الدار التونسية للنشر، 1976، ص64.

<sup>2</sup> للاطلاع على نص الرسالة، ينظر: ملف الوثائق العثمانية رقم: 3205، الرسالة رقم: 20، المكتبة الوطنية بالحامة الجزائر.

<sup>3</sup> أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات مكتبة الحكمة، بيروت، 1958، ص577.

<sup>4</sup> أ.ج. بريل، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج، 12، ط1، (د.ت)، ص3248.

<sup>5</sup> أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، مج1، (د.م.ن) ص644.

<sup>6</sup> سورة البقرة، الآية رقم: 216.

<sup>7</sup> سورة التوبة، الآية رقم: 41.

فالجهد مأخوذ من الجهد والتعب فمعنى الجهاد في سبيل الله هي مبالغة في إتعاب النفس في ذات الله سبحانه وتعالى وإعلاء كلمة الله التي جعلها طريق إلى الجنة وسبيلا إليها. أما في الاصطلاح التاريخي فهو عمليات عسكرية جهادية في البحر<sup>1</sup>، يقوم بها أفراد مسلمون، قبل أن ينتظم ويتحول إلى حالة حرب مفتوحة على كل الجهات انطلاقاً من الثغور الإسلامية<sup>2</sup> التي تعرضت للهجمات الصليبية المتكررة بمباركة من البابا<sup>3</sup>، فالمؤكد أن الجهاد البحري ظهر للدفاع عن السواحل الإسلامية، والمساهمة في إنقاذ مسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة سنة 1492م، والانتقام من سفن وسواحل الدول المحاذية<sup>4</sup>.

**فضائل ومميزات الجهاد البحري:** تفوق الجهاد البحري على الجهاد البري في نقاط عديدة وذلك لقول ابن قدامة: "غزو البحر أفضل من غزو البر لأن البحر أعظم خطراً ومشقة فإن المجاهد يكون بين خطر العدو وخطر الغرق ولا يتمكن من الفرار إلا مع أصحابه فكان أفضل من غيره" ويتميز الجهاد البحري على الجهاد البري في عدة نقاط منها<sup>5</sup>:

**1- الغزو في البحر أفضل من الجهاد في البر:** بين النبي صل الله عليه وسلم فضل الجهاد البحري على غيره من أنواع الجهاد بالحديث المروي من قبل عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: "غزو في البحر خير من عشرة غزوات في البر ومن أجاز البحر فكأنما أجاز أودية كلها....".

**2- شهداء البحر أفضل درجة من شهداء البر:** لاشك أن الشهداء يمتلكون مكانة كبيرة وذلك لقوله تعالى: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96)»<sup>6</sup>، فضل الله تعالى

<sup>1</sup> كوربين شوفالية، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر "1530-1541"، ترجمة: جمال حمدانة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص55.

<sup>2</sup> مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، شركة أصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص10.

<sup>3</sup> عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص123.

<sup>4</sup> مذكرات خير الدين، المرجع السابق، ص10.

<sup>5</sup> مسلم اليوسف، الجهاد البحري أهميته وفضله وبعض مميزاته، <http://qawim.net>، الساعة 17:15، اليوم: 2014/03/05، ص5.

<sup>6</sup> سورة النساء، الآية رقم: 95-96.

المجاهدين على القاعدين غير أولى الضرر أي الأشخاص الذين تتوفر لهم الأعذار لترك الجهاد، وأخبر سبحانه وتعالى بما فضله به من درجات في غرف الجنان العليا وبمغفرة الذنوب والزلات وحلول الرحمة والبركة<sup>1</sup>. بالرغم من أن الشهيد له أجر عند الله إلا أن شهيد البحر له أجر عظيم يفوق أجر وثواب غيره<sup>2</sup>.

3- الغزو في البحر يماثل الغزو مع الرسول ﷺ: وذلك لقول رسول الله صل الله عليه وسلم: « من فاته الغزو معي فليغزو في البحر » ولقوله أيضا: « من لم يدرك الغزو معي فليغزو في البحر، فإن قاتل يوم في البحر خير من قاتل يومين في البر وإن أجر الشهيد في البحر كأجر شهيدين في البر وإن خيار الشهداء عند الله أصحاب الأَكْف»<sup>3</sup>.

لقد إندفع الجزائريون إلى الجهاد البحري مستغلين بذلك الوازع الديني لقوله الله تعالى: «...أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ...»<sup>4</sup>.

فظهر أنهم يكونون في الجهاد: « مهام الغزو و الاستيلاء وبذلك يتأنى منهم الغلب » وتبين بذلك فضل المجاهدين وتمت بذلك عليهم النعمة العظمى والمواهب الجزلة<sup>5</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: « لأن أغزوا في البحر غزو أحب إلي من أن أنفق قنطارا متقبلا في سبيل الله عز وجل »<sup>6</sup>.

إن كل هذه الأسباب دفعت العديد من الأتراك والجزائريين والأندلسيين المسلمين بالانضمام إلى الجهاد في البحر متبعين في ذلك وازعهم الديني القوي<sup>7</sup>.

ومن هذا المنطق يمكن القول أن القرصنة البحرية المغاربية هي في الحقيقة جهاد شرعي ورد فعل مشروع على الغارات الأوروبية<sup>8</sup>، فهي بذلك "قرصنة جهادية" لها مبرراتها

<sup>1</sup> ابن إمامة الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، دار الكتب العلمية، [د.ط.]، لبنان، 2000، ص 527.

<sup>2</sup> مسلم اليوسف، المرجع السابق، ص 7.

<sup>3</sup> نفسه، ص 9-10.

<sup>4</sup> سورة المائدة، الآية رقم: 54.

<sup>5</sup> الجزلة: أي جزيلة وعظيمة، أنظر: أبي بكر محمد أبي عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 2007، ص550.

<sup>6</sup> مسلم اليوسف، المرجع السابق، ص7.

<sup>7</sup> نفسه، ص17.

<sup>8</sup> أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1963، ص 122.

في نطاق العلاقات السياسية و الاقتصادية بين ضفتي البحر المتوسط بعد سنة 1492م، أما عن حكمها الأخلاقي فهو دفاع مشروع بالرغم من معارضة الأوروبيين له واعتباره عملا عدائيا يتنافى والقانون الدولي وما تقتضيه حرية التجارة والتبادل بين الدول<sup>1</sup>.

و الجهاد البحري كان لدى المسلمين بمثابة حرف<sup>2</sup>، فقد اعتبروه صنعة، إذ اعتبروا المجاهدون موظفين وليسوا لصوص أو قطاع الطرق فعملهم كان معترف به في الإيالة الجزائرية مثلما كان يعترف بالصنائع الأخرى كالدباغة، والحياكة، الصياغة، والخبازة، أي أنها حرف شأنها شأن الحرف الأخرى<sup>3</sup>.

وكان الجهاد البحري مهنة محفوظة بالمخاطر من كل جانب إلى أنها تكسب صاحبها الشرف والشجاعة تغنيه<sup>4</sup>، ويرى البعض أنها حرب ذات طابع اقتصادي إذ هي شكل من أشكال الحرب التجارية تعتمد على التفوق العتاد الحربي وأن هذا النوع من الحروب كان جد مألوفاً ومعمولاً به عالمياً آنذاك<sup>5</sup>.

لقد ظهر الجهاد البحري في الجزائر مع الوجود العثماني وليس هجرة مسلمي الأندلس وتأسست مراكزها في مدن الجزائر، دلس، وهران، وانتقلت لمدن أخرى<sup>6</sup>، واعتبر نشاط القرصنة من أهم العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية والتجارية بين الضفتين الجنوبية والشمالية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلاديين فشكلت أهم النقاط الحساسة التي أثرت على الأمن الاستراتيجي للبحر المتوسط في الحوض الغربي خاصة<sup>7</sup>

<sup>1</sup> ناصرالدين سعيدوني: "نظرة في التاريخ الموريسكي للجزائر خلال العهد العثماني" مجلة سرتا، ع 3، قسنطينة، 1980، ص 81.

<sup>2</sup> مسلم اليوسف، المرجع السابق، ص 17.

<sup>3</sup> محمد جبور، "البحرية الجزائرية أواخر العهد العثماني"، مجلة العصور، الأعداد 12.13.14، 2008-2009، ص 121.

<sup>4</sup> حمونة بليل، "دور العمل الجهادي في اقتصاد الإيالة الجزائرية خلال القرن الثامن عشر"، مجلة العصور، ع 20، معسكر، ص 19.

<sup>5</sup> نفسه.

<sup>6</sup> عبد الله ركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز، دار الحكمة، ج 1، (د.ط)، الجزائر، 2010، ص 202.

<sup>7</sup> إسحاق زيتوني، البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية، مذكرة لنيل الماجستير، غرداية، 2010-2012، ص 36.

تعتبر القرصنة أو اقتناص السفن والسطو عليها، من أهم العوامل التي أثرت على النشاط البحري في حوض المتوسط خلال فترة العصور الوسطى، وقد انعكس هذا التأثير على العلاقات السياسية والاقتصادية لا سيما النشاط التجاري بين مختلف قوى البحر المتوسط، وكان لعمليات القرصنة آثار سيئة على حرية الانتقال والتجارة في البحر المتوسط بما تثيره من الرعب والخوف<sup>1</sup>.

ويذكر ابن خلدون المعاصر للأحداث ما يشير إلى سيطرة المسلمين على البحر المتوسط "وإنجازات أمم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه، من جزائر الفرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية، لا يعدونها، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا، واختلفت في طرقه سلما وحربا، فلم تسبح للنصرانية فيه الواح"<sup>2</sup>.

ثم لاحظ بعد ذلك بمرارة تقهقر الأساطيل الإسلامية في المغرب، ونسب تخلف المسلمين الواضح أمام الأساطيل الأوروبية إلى ضعف الدول المغربية فقال: «وتراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الأساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الأندلسية»<sup>3</sup>، وهي ملاحظة صحيحة بالنسبة إلى العصر الذي ألف فيه ابن خلدون كتابه، وبالرغم مما ينبغي إدخاله عليها من تعديلات بخصوص بعض الفترات المزدهرة من التاريخ الحفصي والزياني، إلا أن القرصنة قديمة قدم الصراع الإسلامي البيزنطي، ومن هنا يحق لنا التساؤل ما الفرق بين القرصنة والجهاد البحري؟.

<sup>1</sup> مصطفى عبد الخالق، علاقة القوى الصليبية في غرب البحر المتوسط بالمغرب الإسلامي في القرنين

السادس والسابع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، 1987، ص 250.

يعتبر القرصان الروماني سيتيوس قائد مجموعة من المرتزقة في البحر المتوسط من أوائل القرصنة حيث

استطاع سنة 46م احتلال الشمال الشرقي من نوميديا حيث أسس الاتحاد الكونفدرالي السيرتي، محمد

الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة النونية، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1998،

ص 130.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد السلام الشداوي، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، ج2،

المغرب، ط1، 2005، ص30.

<sup>3</sup> المقدمة، ج2، ص33.

متى ظهرت القرصنة في مياه المغرب الأوسط؟ ومتى أصبحت القرصنة منظمة؟ ماهي أهم العمليات القرصنية التي تعرضت لها المغرب الأوسط أو التي قام بها؟ ما الفائدة التي يجنيها غزاة البحر من هذه العمليات؟.

### تعريف القرصنة:

القرصنة<sup>1</sup> عمل قديم قدم الملاحة في البحر المتوسط، ولكن هنا نتساءل ما الفرق بينها وبين الجهاد البحري؟ واللصوصية<sup>2</sup>؟ وهل كانت القرصنة عملية منظمة تشرف عليها السلطات المركزية المتعاقبة على المغرب الأوسط؟ أم كانت بمبادرة فردية وشخصية من قبل بعض السكان أو البحارة أو القبائل المتاخمة للبحر وتسترزق من هذه المهنة؟ وإلى أي مدى ساهمت القرصنة في تنشيط أو تثبيت سواحل المغرب الأوسط؟.

<sup>1</sup> كلمة إيطالية تعني السابق ومنها اشتقت كلمة lacorsaro وهو الذي يقوم بفعل السباق، وقد استعملت للتعبير عن التسابق البحري أي الهجوم والاعتداء على السفن او سواحل الدول الأخرى، بينما نجد في المصادر الإسلامية تعبيراً آخر هو غزاة البحر او الجهاد البحري؛ حيث أوردها بن خلدون: العبر وديوان المبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج6، ص578. وعموماً يبقى المصطلح نسبي، لأنها قد تكون شرعية من خلال الدفاع عن النفس وقد تكون لصوصية تهدف إلى الاستيلاء على ما عند الآخر، ولمزيد انظر: عبد الناصر جبار: بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1990، ص101-103

<sup>2</sup> اللصوصية: brigandage piraterir هي عدوان بحري تقوم به عناصر بحارة مغامرون يعملون لحسابهم الخاص من دون ان يكون لهم تصريح او تأييد من جهة ما وهم ينشطون في كل الأوقات، حتى وان صادف ذلك فترة السلم. رشيد باقة، نشاط جنود الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر الميلادي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الوسط- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم السلامية 2007-2008، ص175 الهامش 3.

والقرصنة في مفهومها العام هي الاعتداء على السفن المخالفة بغية الاستيلاء عليها وعلى محتوياتها من سلع وأشخاص يحولون للسبي، وقد تقوم بها دولة أو أشخاص إما لحسابهم الخاص أو مكلفون من جهة رسمية<sup>1</sup>.

كانت سفن القراصنة تنشط في سواحل الحوض الغربي من البحر المتوسط، رغم أن السلطات الرسمية في أغلب الحالات تسعى بصورة رسمية على الأقل إلى تحجير القرصنة ومنعها، ولا تتسامح إلا في الغارات الموجهة ضد سفن الدول التي لا تحميها معاهدات الصلح، ولكن الأهالي المسلمين لم يكونوا يميزون بين هذه العمليات وتلك، ولا ينظرون إلا إلى الأرباح والأمجاد الدينية المنجزة لهم عن أي عملية حجز يقوم بها الغزاة البواسل في البحر أو في الأراضي النصرانية، وتترتب على تلك العمليات ردود فعل دبلوماسية أو عسكرية<sup>2</sup>.

### الجهاد البحري والقرصنة، مرادفان أم مختلفان؟

لقد اكتسبت الغزوات البحرية منذ الفترة الإسلامية بعدا دينيا، وذكرت عدة أحاديث نبوية تثني على هذا العمل وتشجعه منها الحديث الذي ورد سنن ابن ماجة "حدثنا هشام بن عمار حدثنا بقية عن معاوية بن يحيى، عن ليث بن أبي سليم عن يحيى بن عباد عن أم الدرداء عن أبي الدرداء أن الرسول ﷺ قال غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمه في سبيل الله سبحانه"<sup>3</sup>، ومن هنا نجد أن الغزو البحري صنف ضمن الأعمال الجهادية التي ينال منها المسلم جزءا عظيما، لهذا تعددت تسمياتها بين دار السلم ودار الحرب، حيث أطلقت عليها النصوص العربية الإسلامية اسم غزاة البحر مما يجعلها أحد أشكال الجهاد، واطلقت المصادر المسيحية على القرصنة المغاربة اسم

<sup>1</sup> نجلاء محمد عبد النبي، القرصنة اللاتينية في شرق حوض البحر المتوسط على عصر سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، مارس 2001، ص 550-551.

<sup>2</sup> برونشفيك، المرجع السابق، ص 96.

<sup>3</sup> ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تح وتع: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة ودار سحنون، إسطنبول، ط2، 1992، ج2، ص 928.

المتشحط هو المتمرغ المضطرب.

<sup>1</sup>sarrasin، وهذا كله يحيلنا إلى اضطلاع عملية القرصنة بالبعد الديني إلى جانب البعد المادي.

ومن هنا نلاحظ أن الفرق واضح عند الفقهاء بين دار الحرب ودار الكفر المسالم، وأن هذه المسألة أطرقها العديد من الآيات القرآنية التي دلت على حسن التعامل مع دار الكفر المسالم، بالنظر لمسالمتهم للمسلمين وعدم مبادرتهم بالقتال، وبين دار الحرب التي كانت الحرب بينها وبين دار الإسلام سجالاتاً<sup>2</sup>، أي أن هجوم السفن الإسلامية ضد السفن المسيحية جهاد بحري إسلامي بامتداد الجهاد الإسلامي من الأرض إلى البحر، ورد لاعتدائهم.

لقد ركزت النخبة المثقفة على البعد الديني للقرصنة واعتبرتها جهاداً بحرياً موجهاً ضد "دار الحرب" وذلك للدفاع عن السواحل الإسلامية وصد هجمات النصارى وحماية أرزاق التجار في البحر، واتخذ الجهاد مكانه هامة واعتبر واجباً شرعياً، وهو كرد فعل لتعصب الكنائس المسيحية التي رسمت المسلمين في صور قاتمة، وروجت ضدهم مشاعر الكراهية والعداوة، لهذا لم يترددوا في تجهيز الأساطيل لاحتلال مناطق في الشمال الإفريقي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Christophe Picard, la mer et les musulmans d'occident au moyen âge (VIIIe- XIIIe siècle), Paris, P.U.F, 1997, P 121.

<sup>2</sup> الطاهر قدوري؛ النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الأول، كلية الآداب وجدة، 2002-2003، ص148. ولمزيد انظر زكي مبارك: الجهاد البحري في المغرب الإسلامي، "المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي المسيحي، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس الرباط، عدد خاص بصفحات من الجهاد البحري المغربي، العدد 45، السنة 31، 1998، ص 15-27

<sup>3</sup> إبراهيم محمد السعداوي، مرسى صفاقس وحركة الجهاد البحري حتى مطلع القرن التاسع عشر، ضمن أعمال ملتقى المدن المراسي في تاريخ المغرب، في أيام 27-29 أكتوبر 2010، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، 2013، ص313-314.

ويسميهم الغبريني بغزاة البحر<sup>1</sup>، ويذهب برونشفيك إلى اعتبار مصطلح القرصنة والجهاد البحري واحد<sup>2</sup>، في حين يذهب العروي إلى اعتبار أن الجهاد البحري عملية تقابلها القرصنة عند الأوروبيين<sup>3</sup>.

والقرصنة في المياه المغربية لم تصدر دائما عن الملاحين من الأهالي، بل كانت في الغالب من فعل اخلاط المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام أو الأندلسيين المطرودين منه فلجأوا للسواحل المغربية<sup>4</sup>، وهذا ما تبين مع بداية القرن السادس هجري انطلقت أعمال القرصنة بالتناوب بين الطرفين المتقابلين من البحر المتوسط، حيث عرفت مدن المغرب الأوسط على غرار مرسى الخزر، وبونة، وبجاية وجزائر بني مزغنة، وشرشال، ووهران وهنين نشاط كبيرا في هذا الميدان "القرصنة"<sup>5</sup>.

وأورد الرحالة ابن بطوطة معلومات عن نشاط القرصنة في البحر المتوسط، فيذكر أن السفينة التي كانت تقله في أثناء عودته من الأرض المقدسة إلى جربة قد استولى عليها العدو الصليبي قبل أن تصل إلى تونس فيقول: "فركبت البحر في قرقورة -نوع من المراكب- لبعض التونسيين صغيرة، وذلك في صفر سنة 750هـ/1349م وسرت حتى نزلت بجربة، وسافر المركب المذكور إلى تونس، فاستولى العدو عليه<sup>6</sup>.

ثم يصف لنا "ابن بطوطة" حالة الرعب التي تعرض لها أثناء سفره من تونس إلى تازة مارا بالمغرب الأوسط فيقول: «ثم سافرت من تونس في البحر مع القطلانيين فوصلنا إلى جزيرة

<sup>1</sup> الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد، ت 704هـ/1305م)؛ عنوانه الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص 76.

<sup>2</sup> برونشفيك، المرجع السابق، ص 227.

<sup>3</sup> زكي مبارك، المرجع السابق، ص 16-21.

<sup>4</sup> توفيق مزارى، النشاط البحري بالمغرب الإسلامي، في عهد الموحدى والمرابطين، جسور للنشر و التوزيع، العجبية، الجزائر ط1، 2011، ص325.

<sup>5</sup> Picard, Op.cit, P 134.

<sup>6</sup> ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت770هـ/1368م)، تحفة النظار في غرب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: عبد الهادي التازي، المطبوعة الأكاديمية المغربية. 1997، ص 184.

سردانية، من جزر الروم،... ثم خرجنا عنها فوصلنا بعد عشر إلى مدينة تنس، ثم إلى مدينة مازونة ثم إلى مستغانم ثم إلى تلمسان... ثم سافرنا منها فبينما نحن بقرب أزغنغان، إذ خرج علينا خمسون راجلا وفارسا فعزمنا على قتالهم ورفعنا علما ثم سالمونا وسالمنهم»<sup>1</sup>.

إلا أنه يمكنه تفسير تراجع بحرية الحفصيين والزيايين إلى عوامل التدهور الاقتصادي والتخلف الفني، ذلك أن أساليب الصناعة والتجارة التي تطبقها الدولة الحفصية تقليدية، لا تتماشى مع مقتضيات النهضة والثورة الجديدة، ومما لا شك فيه أن أهل المغرب لم ينسجوا على منوال التقدم الفني البالغ الأهمية الذي أحرزه الأوروبيين في القرون الأخيرة من العصر الوسيط، في ميدان صنع وتسيير السفن<sup>2</sup>.

وهذا ما استدعى التدخل التركي العثماني في القرن 16م، والذي أعاد التوازن في هذا الميدان بصورة مؤقتة.

### مظاهر من القرصنة على سواحل المغرب الأوسط:

يمكن اعتبار أعمال القرصنة واعتراض سبيل المسافرين والتجار وسفن التجارة وليد الحروب الصليبية، وهذا عندما عجز المسيحيون عن استرداد الأجزاء التي افتتحها المسلمون، تحولت هجماتهم إلى أعمال قرصنة، وهي حروب تعتمد على الغارات السريعة، وإحداث أكبر قدر ممكن من الأضرار على السواحل الإسلامية، ثم العودة دون الدخول في اشتباكات عسكرية<sup>3</sup>.

وهناك أسباب عديدة شجعت على القرصنة المسيحية "منها التنمية" والتقدم في التجارة البحرية بالإضافة إلى الإمكانيات المتاحة التي تخدم الصراع، كذلك كان لغياب أو عدم كفاءة

<sup>1</sup> نفسه ص 190 - 192.

<sup>2</sup> برونشفيك: المرجع السابق ص 98.

<sup>3</sup> مريم محمد عبد الله جبودة، التجارة في إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحي والحفصي (555-915هـ/1160-1510م)، جامعة الزاوية - ليبيا، ط1-2013، ص 53-54.

القوات البحرية للدولة الأمر الذي تطلب تدخل البحرية التجارية لحمايتها<sup>1</sup> وكانت العناية المالية بالأسطول الموحد في تلك الفترة أن أسهم بنصيب كبير في عمليات التوسع في المغربين الأوسط والأدنى و الأندلس، كما لعب الأسطول دورا هاما في مجابهة نصاري اسبانيا إذ قام بدور حاسم في حراسته السواحل الموحدية من أي عدوان خارجي<sup>2</sup>.

ومن هنا يمكن لنا أن نتساءل هل اتخذت القرصنة الإسلامية الصفة الشرعية الدينية، أي صفة الجهاد ضد النصارى؟ وهل كانت بموافقة ومباركة السلطة الحفصية والزيانية؟. لتكون الإجابة غير حتمية، أنها وأن سكتت عنها فهي تدل على الرضا لما تحققه هذه القرصنة من توازن القوى الإستراتيجية في عالم البحر المتوسط "الأوروبية والإسلامية" إضافة إلى المنفعة الاقتصادية التي تدرها القرصنة من خلال مختلف البضائع والأموال.

وقد مثلت القرصنة البحرية أو الجهاد البحري في ذلك الوقت يعني خلال القرن 16م نشاطا اقتصاديا مكملا للمبادلات التجارية وتواصلا عنيفا بين الأمم المختلفة وهي تستند الى آليات ضبطتها الأعراف والمعاهدات<sup>3</sup>؛ كما أن أعمال القرصنة لا تعني بالضرورة قطع العلاقات التجارية مع أسواق البلد المستهدف.

ونلاحظ من خلال ما قاله دوفورك: " أن عملية الأسر وبيع الرجال والنساء هي إحدى تجارة البحر المتوسط"<sup>4</sup>، بالإضافة إلى الغنائم التي كان يعود بها القراصنة في بضائع أموالهم.

### المبحث الخامس: ردود الفعل المحلية والدولية من التواجد العثماني بالجزائر:

<sup>1</sup> Demas Laterie , Relations et commerce de l'Afrique Septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge, Paris, librairie de Firmin-Didot, 1886. P.1.

<sup>2</sup> عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج6، مطابع فضالة، الجزائر، 1997، ص27.

<sup>3</sup> بن ابي دينار، " أبو عبد الله محمد ابن ابي دينار، 1110 هـ/1698م" المؤسس في أخبار افريقيا وتونس، تح: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس 1967، ص203-205.

<sup>4</sup> Dufourcqch : Aperçu sur le commerce de Gênes et le Maghreb au 13<sup>e</sup> siècle, dans Economies et sociétés Paris, ,au Moyen âge– Mélanges offerts a E .Perroy– Paris– 1973– p 71

تباينت ردود الفعل المحلية حول مجيء العثمانيين إلى الجزائر وإحاقها بالدولة العثمانية ما بين مؤيد<sup>1</sup> ومعارض. أما على المستوى الخارجي، فقد تخوفت الدول المجاورة من هذا التواجد فحاربه بعضها بينما وقف منه البعض الآخر موقفا محايدا<sup>2</sup>، وسوف نحاول عرض مواقف هؤلاء كنموذج لمعرفة الدور الذي لعبوه في تثبيت أو عرقلة الدخول العثماني إلى الجزائر، محاولين مراعاة التسلسل التاريخي لوقوع تلك الانتفاضات<sup>3</sup>.

أ. ردود الفعل المحلية : رغم الإحساس المشترك ما بين سكان الجزائر والعثمانيين بواجب الدفاع عن البلاد والدين ضد الخطر الإسباني، إلا أن أصحاب المصالح والنفوذ تمردوا على قيام سلطة الأتراك بالجزائر.

### 1. موقف سالم التومي :

بعد استتجاد سكان مدينة الجزائر بعروج وقدمه إلى المدينة سنة 1516م<sup>4</sup>، عارض سالم التومي دعوة الأخوين إلى الجزائر رغم أن قدمهما سوف يؤدي إلى تحرير المدينة من التسلط الإسباني وسوف يجعل منهم أبطالاً، ويدفع الناس إلى التعلق بهما وسوف ينتهي تفوق الشيخ سالم التومي الذي كان قائد تلك المنطقة بشكل تلقائي<sup>5</sup>، حيث شعر بفقدانه لنفوذه وسلطته على مدينة الجزائر، وهو ما لم يكن في مقدوره تحمله بسهولة، لكن سالم التومي وجد نفسه في النهاية مضطراً إلى الرضوخ لقرار المجلس ووافق مكرها على استدعاء الأخوين وأن يقوم هو بنفسه بكتابة الرسالة باسمه باعتباره رئيساً للمجلس<sup>6</sup>، يدعوها للقدوم إلى مدينة الجزائر، وبعد قدمهما عين عروج أميراً للجهاد وباشراً بنفسه سلطة أعمال المدينة وتمكن من

<sup>1</sup> في الحقيقة لم يكن السلاطين المحليون في شمال إفريقيا هم وحدهم الذين يؤيدون غزوات البحارة الأتراك، بل كانت السلطات العثمانية في استانبول تشجع على مثل هذه العمليات لأنها تحقق بعض أهداف الدفاع عن موانئ المسلمين في شمال إفريقيا، وتقدم العون للمضطهدين الأندلسيين، وربما الأهم من ذلك هو إشغال إسبانيا عن المشاركة في حروب شرق البحر المتوسط بين الدولة العثمانية وأوروبا، أنظر : درّاج، المرجع، السابق، ص 164.

<sup>2</sup> عباد، المرجع السابق، ص 49، 57.

<sup>3</sup> درّاج، المرجع السابق، ص 295.

<sup>4</sup> سينسر، المرجع السابق، ص 26.

<sup>5</sup> درّاج، المرجع السابق، ص 296.

<sup>6</sup> نفسه، ص 195 . 196.

استرجاع وتحرير بعض الأماكن، ولم تلبث العلاقات بين سالم التومي وعروج بل ساءت<sup>1</sup>، وبدأ سالم التومي يحيك المؤامرات ضد عروج، إلا أن عروج تظن للأمر وغدر بغريمه واستطاع القضاء على هذه المؤامرة في مهدها وقتل سالم التومي وأتباعه<sup>2</sup>.

### 2 . موقف يحيى بن سالم التومي :

بعد إعدام سالم التومي من طرف عروج، اتّجه ابنه يحيى إلى وهران مستنجدا بالإسبان، فسيروا حملة ضد مدينة الجزائر هدفها الظاهري إعادة يحيى بن سالم التومي إلى عرش أبيه، فوجد الإسبان في ذلك فرصة تمكنهم من استرجاع نفوذهم في الجزائر، إلا أن عروج استطاع أن يخلف بهم الهزيمة<sup>3</sup>، كما واجه عروج كذلك تمرد كبار تجار مدينة الجزائر الذين دبوا في سنة 1517م مؤامرة ضده وجماعته من الأتراك، فقام بعضهم بإحراق سفن الأتراك وهاجم آخرون رجال عروج المتواجدين داخل المدينة إلا أن عروج تمكن من القضاء أيضا على هذه المؤامرة، فقام بإغلاق باب المسجد على المتآمرين في وقت صلاة الجمعة وقتل اثنين وعشرين من أكبر أغنيائهم وأكثرهم نفوذا وقطع رؤوسهم ورمأها في الشوارع<sup>4</sup>، وساعد هذا الانتصار الباهر الذي حققه عروج وجماعته بالتعاون أيضا مع سكان المدينة وعرب المنطقة المجاورة على استقرار الأمر لحاكم الجزائر الجديد، وعلى مد نفوذه إلى مدن أخرى ساحلية وداخلية في مقاطعة الجزائر وخارجها<sup>5</sup>.

### 3 . موقف أمير تنس أحميدة العبد :

بعد قضاء عروج على تمرد مدينة الجزائر، راسل أنصار سالم التومي أمير قلعة تنس مولاي عبد الله الزياني المدعو أحميدة العبد المتحالف مع الإسبان، فسار على رأس قواته إلى شرق تنس وتقابل مع قوات عروج في نواحي منطقة الشلف ودارت معركة بينهما<sup>6</sup>، وتمكن

<sup>1</sup> عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي ، الجزء الأول ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006، ص 20 . 21.

<sup>2</sup> كورين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 29.

<sup>3</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين..... ص 29 . 30.

<sup>4</sup> سبنسر، المرجع السابق، ص 33.

<sup>5</sup> عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م، ج 1، ج 2، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 21.

<sup>6</sup> درّاج، المرجع السابق، ص 298.

عروج من الانتصار على قوات أحميدة العبد الكبيرة، وذلك بفضل السلاح الناري الذي كان بحوزة قواته، والذي لامثيل له لدى قوات سلطان تنس<sup>1</sup>، فاضطرّ هذا الأخير إلى الفرار إلى قاعدة ملكه، ولمّا وجد نفسه ملاحقا، فرّ منها إلى أقصى الجنوب الجزائري، فدخلها عروج وأخضعها إلى سلطته<sup>2</sup>.

إنّ التمردات التي قادها سالم التومي، ثم ابنه يحيى، وأحميدة العبد تعتبر أهم حركات المعارضة للوجود العثماني في الجزائر التي قام بها الزعماء المحليون في فترة حكم عروج، وسوف تستمر حركات التمرد التي يقودها أمثال هؤلاء من الزعماء من ذوي النظرة الضيقة التي لا تبصر سوى للمصالح السياسية الشخصية<sup>3</sup>.

#### 4 موقف أحمد ابن القاضي وقارة حسن:

استطاع الحاكم الحفصي أبو عبد الله محمد بن الحسن استمالة ابن القاضي الابن ضد خير الدين، فاستولى على العديد من القرى و المدن وتمكن من هزيمة خير الدين والسيطرة على مدينة الجزائر لمدة خمس سنوات (1520-1525م) وتمكن خير الدين من تجميع صفوفه وتنظيم جيشه انطلاقا من جيجل واتجه إلى مدينة الجزائر وانتزعها من ابن القاضي بعد أن هزمه وشتت أتباعه الذين قام بعضهم بقتل ابن القاضي الابن وحمل رأسه إلى خير الدين دلالة على خضوعهم، وقام خير الدين بإخضاع المناطق التي دانت لابن القاضي<sup>4</sup>.

بعد هزيمة ابن القاضي تفرغ خير الدين للقضاء على حسن قارة الذي استقل بشرشال ودخل في تحالف مع الإسبان وابن القاضي، فاستسلم رجاله وتحصن هو مع عدد قليل منهم في أحد حصون مدينة شرشال، فقتله خير الدين ومن معه واسترجع تنس وشرشال إلى حكمه<sup>5</sup>.

#### 5 . موقف أمير قلعة بني عباس:

كانت قلعة بني عباس تدار من طرف الأمير عبد العزيز الذي كان منافسا لابن القاضي لبسط النفوذ على منطقة القبائل، كما كان قائما على خير الدين لتحالفه مع ابن

<sup>1</sup> المجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص 31، 32.

<sup>2</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص 21.

<sup>3</sup> دراج، المرجع السابق، ص 299.

<sup>4</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص 61، 62، وأيضا: فارس، المرجع السابق، ص 32.

<sup>5</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص 62، 63، وأيضا: خروف، المرجع السابق، ص 27، دراج،

دراج، المرجع السابق، ص 302، 303.

القاضي عدوه اللدود خاصة بعد أن عينه على القسم الشرقي من الجزائر، ولذلك كان من الطبيعي أن يثور عبد العزيز على خير الدين، معلنا تبعيته للحاكم الحفصي وبتحريض منه، غير أن ثورة ابن القاضي وتمرده على خير الدين جعلت عبد العزيز يغير موقفه من خير الدين وسرعان ما أعلن تبعيته له ومساندته في قمع ثورة ابن القاضي<sup>1</sup>.

### . موقف ملوك بني زيان:

لم يكن ملوك بني زيان يتبعون سياسة واضحة وثابتة تجاه الوجود العثماني بالجزائر، فقد كانت مواقفهم متذبذبة تحركها المصلحة الشخصية المحضى المتمثلة في الوصول إلى العرش أو البقاء فيه، فهم تارة يؤيدون الأتراك إذا كانت مصلحتهم تقتضي ذلك ثم لا يلبثوا أن ينقلبوا عليهم ويتحالفون مع الإسبان<sup>2</sup>.

ومن أمثلة تقلب ملوك بني زيان ما بين الولاء للأتراك أو الإسبان أنه لما استقر لعروج الوضع في مدينة الجزائر وضواحيها جاءه وفد من تلمسان عندما كان متواجدا بتتس بعد إخضاعها سنة 1517م، يشكون أوضاعهم المضطربة ويطلبون منه التدخل بسبب الصراع على العرش ما بين أبي حمو الثالث وأبو زيان الثالث وتهديد الإسبان وتحالف أبو حمو الثالث معهم<sup>3</sup>. فاستجاب عروج لطلبهم وتوجه إلى تلمسان لنجدة أبي زيان الثالث لأمير المسجون، فدخل تلمسان بعد هزيمته لأبي حمو الثالث الذي فر إلى الإسبان وأعاد أبو زيان الثالث إلى عرش تلمسان، غير أن هذا الأخير سرعان ما تأمر على عروج وبدأ في إثارة أهل تلمسان عليه مما دفع عروج إلى قتله<sup>4</sup>.

استنجد أبو حمو الثالث بالإسبان لاسترجاع عرشه فأمدوه بالمدد وتوجهوا معه إلى قلعة بني راشد وقتلوا إسحاق مع حاميته وتوجهوا إلى تلمسان وحاصروها لمدة طويلة وتمكنوا من دخولها وملاحقة عروج وقتله، وأعادوا أبو حمو الثالث إلى العرش<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 303، 304.

<sup>2</sup> نفسه، ص 304.

<sup>3</sup> H.D de Grammon, Relation entre la France et la régence d'Alger au xv e siècle , **revue africaine** , N° 23 (1879/ PP.14 , 15).

<sup>4</sup> عباد، المرجع السابق، ص 47، 48، وأيضا: دراج، المرجع السابق، ص 306، وأيضا: المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، ص 191.

<sup>5</sup> عباد، المرجع السابق، ص 47 . 48.

استعان أبو السرحان المسعود بخير الدين للاستيلاء على العرش الزياني سنة 1519م، إلا أنه ما تمكن من السلطة انقلب عليه وحالف الإسبان، فما كان من أخيه محمد بن عبد الله الثاني إلا الاستشفاع بأحد العلماء لدى خير الدين طالبا الدعم لاسترجاع ملكه، فقبل خير الدين مساعدته وتمّ له الظفر بعرش تلمسان بعدما دخلها خير الدين وهزم أبا السرحان المسعود الذي فر من جديد مستجدا بالإسبان<sup>1</sup>، في حين لم يلبث محمد بن عبد الله الثاني أن انقلب على خير الدين بسبب ثورة ابن القاضي وتحالف مع أخ هذا الأخير حسين ابن القاضي ضده<sup>2</sup>.

وبالتالي، فإنّ المواقف المتذبذبة لملوك بني زيان تجاه الأتراك كان دافعها المصلحة الشخصية بالدرجة الأولى، ولم يستقر لهم موقف واحد حتى بعد ذهاب خير الدين إلى الجزائر، حيث لم يكتف محمد بن عبد الله بتحريض حسين بن القاضي على الثورة ضد خير الدين، لكنه بدأ بالتقرب من الإسبان، حيث عرض عليهم في سنة 1535م أن يكون تابعا لهم وأبدى استعداداه أن يقبض على خير الدين بعد هزيمته في تونس أمام شارلكان، إذ ما التجأ إليه وأن يسلمه إليهم، ولم يستقر موقف ملوك بني زيان حتى اضطر صالح رايس إلى القضاء نهائيا على ملكهم في سنة 1554م وضمه مباشرة إلى الجزائر<sup>3</sup>.

### 2. ردود الفعل الدوليّة:

ويمكن جمعها في مواقف الدول المتضررة من التواجد العثماني بالجزائر، وهي الدولة الحفصية بتونس والدولة الوطاسية بالمغرب الأقصى والدولة الإسبانية.

#### أ . موقف الدولة الحفصية بتونس:

يعتبر السلطان الحفصي أبو الحسن صاحب الفضل في التمهيد للوجود العثماني بشمال إفريقيا، فقد فتح جزيرة جربة ثم ميناء حلق الوادي للأتراك لاتخاذهما قاعدتين لانطلاق عملياتهم البحرية في البحر المتوسط ضد السفن والسواحل الأوروبية، خاصة الإسبانية رغم أن هذا العمل لم يكن عملا بريئا من أغراض المصلحة الذاتية، فقد كان يجني مكاسب اقتصادية وسياسية وأمنية كبيرة من وراء ذلك، حيث كان يأخذ خمس ما يغنمه الأخوين، ويتلقى هدايا

<sup>1</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين..... ، ص 44 . 63.

<sup>2</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص 27.

<sup>3</sup> دراج ، المرجع السابق ، ص 307 - 309.

كبيرة تذهب إلى خزائنه الخاصة<sup>1</sup>. وكان البحارة الأتراك يبيعون غنائمهم لتجار تونس، فانتعشت التجارة وزادت مداخيل الضرائب المفروضة على التجار كما كان يسعى من وراء دعمه للأتراك، الظهور بمظهر المدافع عن السواحل الإسلامية والمنتصرة لمسلمي الأندلس وإلى استرجاع هيئته المهترئة في نفوس رعاياه<sup>2</sup>.

لكن عندما توالى انتصارات الأخوين "عروج وخير الدين" ولاحق في الأفق قوتهما، بدأ القلق والخوف يساور السلطان الحفصي. وقد تأكدت تلك المخاوف في تجاهله لطلب الأخوين بربروس، أثناء حصارها الأول لمدينة بجاية، وإرسالها في طلب التزود بالبارود منه، مما عمل على فشل الحصار وتحرير المدينة<sup>3</sup>. ومن خلال هذا الحصار، تأكد أبو الحسن الحفصي أن الأخوين بربروس يحملان طموحا كبيرا، وأن هذا الطموح يقتضي أن تقف وراءه دولة قوية تسنده، أو تأسيس دولة قوية تحتضنه وتعمل على تجسيده على أرض الواقع، وبطبيعة الحال، فإن تلك القوة أو الدولة لم تكن دولته لأنه كان يحكم دولة ضعيفة .

ولمّا أرسل السلطان العثماني إلى الأخوين بربروس في سنة 1514م ببعض التعزيزات الحربية في تونس، وأرفق ذلك برسالة إلى السلطان الحفصي يأمره بتقديم شتى أنواع الدعم لهما تضاعف خوفه الممزوج بمشاعر الحسد والغيرة<sup>4</sup>، وازداد ذلك الخوف أكثر عندما استقر الأخوان بربروس بالجزائر، وبدأوا في تحرير سواحلها وإخضاع مناطقها الداخلية<sup>5</sup>.

وجهر بعداوته بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وشرع في التآمر على الوجود العثماني بالجزائر، فاستطاع إقناع ابن القاضي على التمرد على خير الدين مع إمداده بكل أشكال الدعم، وأقنع السلطان الزياني أبا حمو الثالث على تأليب ومساعدة محمد بن علي ضد الأتراك. وبعد فشل هذه المساعي، التجأ أبو الحسن إلى التحالف مع الإسبان، بل والخضوع لهم للوقوف ضد سيطرة الأتراك على تونس<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> نفسه ص 317.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين .....، ص 21، 26.

<sup>4</sup> دراج، المرجع السابق، ص 318، 319، ابن أبي الصّيف، المصدر السابق، ج 2، ص 10، 13.

<sup>5</sup> عياد، المرجع السابق، ص 51.

<sup>6</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص 43، 52، وأيضا: دراج، المرجع السابق، ص 319، 322.

ونخلص في الأخير إلى أن موقف السلطان الحفصي من الوجود العثماني في الجزائر كان عدائياً منذ حصار بجاية، واستمر ذلك كسياسة رسمية في ملوك بني حفص إلى أن تم فتح تونس مرة ثانية والقضاء التام على الدولة الحفصية<sup>1</sup>.

### ب . موقف سلاطين المغرب الأقصى:

كان الوطاسيون يعيشون أيام حكمهم الأخيرة في المغرب لذلك حاولوا التزام سياسة محايدة نحو ما يجري بالجزائر، وأن لا يتورطوا في حروب خارج مملكتهم<sup>2</sup>، فقد كان البرتغاليون يحتلون المناطق المهمة على السواحل المطلة على المحيط الأطلسي. وكان الإسبان يحتلون بعض المناطق الساحلية في شمال المغرب. وكان السعديون يخوضون المقاومة ضد البرتغاليون في الجنوب المغربي وأخذ نشاطهم ذلك يتبلور في شكل حركة سياسية<sup>3</sup>.

ورغم سياسة الحياد تلك، فإن ذلك لم يمنع سلاطين المغرب "الوطاسيين" من إيواء بعض الأمراء الزيانيين الفارين من تلمسان دون أن يقدموا لهم المساعدة فقد التجأ إليهم أبو حمو الثالث بعد إطاحة عروج به وطلب معونتهم لاسترجاع ملكه، فاستقبلوه لكنهم رفضوا التورط في حرب ضد الجزائر، وبعد استرجاع أبو حمو الثالث لملكه بمساعدة الإسبان، لجأ إلى المغرب الأقصى إثنان من إخوته، هما: عبدالله ومسعود فبعث إلى السلطان المغربي في طلبهما لكن السلطان المغربي محمد البرتغالي امتنع عن تسليمهما<sup>4</sup>.

وسار أبو العباس الوطاسي الذي خلف أباه سنة 1526م على نفس النهج في استقبال أمراء الدولة الزيانية وإيوائهم دون التورط في أي حركة من حركاتهم أو إمدادهم بأي عون سواء ضد العثمانيين أو الإسبان أو ضد بعضهم البعض<sup>5</sup>.

أما السعديون فبحكم انشغالهم في بداية حكمهم بالتصدي لطردهم للاحتلال البرتغالي والإسباني ونزاعهم مع خصومهم الوطاسيين فإنهم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى إتباع سياسة الحياد إزاء الدخول العثماني إلى الجزائر<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> دراج ، المرجع السابق ،ص 322.

<sup>2</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص 83.

<sup>3</sup> دراج، المرجع السابق، ص 322 - 323.

<sup>4</sup> نفسه، ص 323.

<sup>5</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص 145 - 149.

<sup>6</sup> دراج، المرجع السابق، ص 327.

وبعد هذه الهزيمة أصبحت الجزائر مهابة الأجانب وتبددت أحلام وآمال شارلكان في القضاء على الوجود العثماني في الجزائر.

### • مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والدولة العثمانية خلال القرن 16 . 17 م:

عرفت العلاقات السياسية بين الجزائر والباب العالي تطورا وتغيرا ارتبط بالعديد من المظاهر والعوامل التي أثرت في بعض الأحيان في العلاقة بين الطرفين:

#### 1. تبادل الهدايا بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية :

منذ أواسط القرن السادس عشر الميلادي أخذت العلاقات بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية طابعا مميزا<sup>1</sup>، وذلك بسبب احترام المصلحة المتبادلة في السياسة الخارجية للطرفين والخصوصية الجغرافية التي تميز موقع الجزائر في قلب المغرب الإسلامي والبعد الجغرافي بين الجزائر وعاصمة الخلافة العثمانية، إضافة إلى العناية التي تكنها الدولة العثمانية للجزائر لأنها تمثل القاعدة الأمامية لمواجهة القوى الأوروبية المسيحية<sup>2</sup>.

وكان تبادل الهدايا بين الجزائر وإستانبول يشكل الأرضية الصلبة التي بنيت عليها العلاقات السياسية والعسكرية التي ظلت قائمة بين الجانبين طيلة ثلاثة قرون<sup>3</sup>، واتخذ تبادل الهدايا بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية أهمية تاريخية ملحوظة ومثلت في الغالب طابعا دبلوماسيا كترضية للسلطين العثمانيين وتأكيدا لارتباط الجزائر بالدولة العثمانية<sup>4</sup>. ويرجع تاريخ تبادل الهدايا بين الجزائر والدولة العثمانية منذ ارتباط الجزائر بالسلطنة العثمانية 1519م، حيث أرسل خير الدين هدية معتبرة إلى السلطان العثماني سليم الأول وكانت عبارة عن أربع سفن

<sup>1</sup> جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني، الجزائر 1994م، ص254.

<sup>2</sup> يلماز أوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر: عدنان محمود، مرا: مَحْد الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، ط1، 1988، ص254.

<sup>3</sup> خليفة ابراهيم حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830م، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، السنة الجامعية 1988، ص149.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792، 1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 146 - 149.

محملة بمختلف الهدايا مع أربعين أسيرا وأربعة قباطنة<sup>1</sup>، فرد عليه السلطان العثماني سليم الأول بهدية معتبرة والمتمثلة في ألفين من الجنود المسلحين وعدد من المدافع إلى جانب عدد المتطوعين والأسلحة<sup>2</sup>، وبقي هذا التقليد في نوع الهدايا المرسله بين الطرفين حتى نهاية الحكم العثماني في الجزائر.

وكان الباب العالي يولي أهمية كبيرة للهدايا الجزائرية فيستقبلها بكل فرح وسرور<sup>3</sup>، وعند قدوم البعثة الجزائرية بالهدايا تستقبل من طرف السلطان العثماني ثم تقام مراسم كبيرة لذلك وكل هذا تقديرا للمكانة التي كانت تحظى بها الإيالة الجزائرية<sup>4</sup>، وهذا يدل على مكانة الجزائر ( دار الجهاد ) لدى الباب العالي وارتباطها بمنصب السلطة العثمانية<sup>5</sup>. وتتمثل الهدايا المرسله إلى السلطان بوجه عام في أشياء عديدة تشتهر الجزائر في صناعتها ويدخل معظمهما في الاستعمالات اليومية للسلطان ووزرائه، وتأتي في مقدمتها المنسوجات الصوفية<sup>6</sup>، إضافة إلى الغنائم التي يحصل عليها من الغنائم البحرية وأحجار بحرية وأسرى وغيرها، ويتم توزيع الهدايا على السلطان وأفراد حاشيته بحصص متفاوتة حسب مركزه في الدولة، وفي مقدمتها السلطان والصدر الأعظم وشيخ الإسلام وأغا دار السعادة والقابودان باشا ورئيس الكتاب وغيرهم، ويسمى الرسول الذي يحمل الهدية والرسالة المبعوثة بأغا الهدية<sup>7</sup>.

ومقابل الهدايا المرسله من إيالة الجزائر كان الباب العالي يرسل هدايا معتبرة<sup>8</sup> تحتوي في مجملها معدات حربية ومدافع ومواد نصف مصنعة تدخل في الصناعة الحربية الجزائرية هذه المساهمة تعزز جهاز الجزائر الحربي والاقتصادي<sup>9</sup>. أيضا الهدية التي يرسلها باشوات الجزائر أثناء تعيينهم في الحكم إلى السلطان العثماني كانت من أهم الهدايا التي ترسلها الإيالة إلى الدولة العثمانية، والتي كان السلطان العثماني يرد عليها بهدية مثلها، إضافة إلى هدية كانت توجه إلى الباب العالي مرة كل ثلاث سنوات، وهي هدية شرفية تقدم للسلطان، ونادرا ما

<sup>1</sup>التر، المرجع السابق، ص72.

<sup>2</sup>سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671- 1830م)، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية 2011، 2012، ص60

<sup>3</sup>التر، المرجع السابق، ص594.

<sup>4</sup>خط همايون، عدد57416، تاريخ 1203هـ / 1785م.

<sup>5</sup>سبنسر، المرجع السابق، ص14.

<sup>6</sup>حماش، المرجع السابق، ص152.

<sup>7</sup>بليل، القناصل والقنصليات الأجنبية...، ص94.

<sup>8</sup>كان رد السلطان العثماني بهدايا أكبر من الهدايا المرسله من الجزائر دليل على قبوله بهدايا الإيالة، كما أن نوعيتها أنها مواد حربية وهذا ما يبين النقص الذي تعانيه إيالة الجزائر وحاجتها الماسة إلى هذه المواد خاصة وأن الدول الأوروبية والبابوية قد أصدرت قوانين تحرم فيها تصدير المواد الحربية إلى إيالات شمال إفريقيا التي تمارس القرصنة. أنظر: بليل، القناصل والقنصليات الأجنبية...، ص100.

<sup>9</sup>وليام شالر، مذكرة القنصل الأمريكي في الجزائر (1816 - 1824 م) تقديم وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر - 1982، ص44.

## الفصل الأول: دوافع المد العثماني في المتوسط

ترسل إلى الوزراء ومساعدتهم، وكانت تسعى لكسب موقفهم لصالحها<sup>1</sup>. ويطلق على الهدية في الجزائر اسم "بشكش"<sup>2</sup> بمعنى الهبة التي تقدم لأحد الرؤساء أو أصحاب المنزلة لكسب مودته، وقد جرت العادة أن ترسل الهدية والوفد الحامل لها على متن سفينة حربية تابعة لدولة أجنبية حتى يضمن وصولها وعدم التعرض لها من قبل أعداء الإيالة في البحر المتوسط<sup>3</sup>.

وقد كان للهدية دور كبير في تحسين علاقات إيالة الجزائر مع الباب العالي، وهذا يظهر جليا بعد سنة 1711م، عندما أرسل الداوي إبراهيم شاوش سفارة إلى السلطان العثماني أحمد الثالث 1703 - 1730م محمل بهدية ثمينة أقنعت السلطان العثماني بوجهة نظر الداوي حول الباشا، فأصبح من خلالها الداوي الجديد يحمل لقب الداوي مقرونا بالباشوية وبالتالي تحصل على التزكية من طرف السلطان<sup>4</sup>.

أيضا ما يلاحظ عند توتر العلاقات، كان الباب العالي يرفض الهدايا مثلما حدث في عهد مصطفى باشا سنة (1210هـ-1800م)، إذ رفض السلطان سليم الثالث (1203 - 1222 هـ - 178 - 1807م) استقبال بعثته وقبول هديته بسبب توقيعه معاهدة صلح مع فرنسا التي شنت الحملة على مصر<sup>5</sup>. يوضع في الهامش بعد التعديل

اكتسى تبادل الهدايا بين إيالة الجزائر والباب العالي أهمية بالغة كونها تقليدا وعرافانا سائدا منذ إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية إلى نهاية الحكم العثماني في الجزائر عام 1830م، فهو يرتبط بالتعبير عن الولاء للسلطان العثماني، كما زادت في تقوية العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية ومن جهة أخرى كانت هذه الهدايا تسهل عملية التجنيد من المدن العثمانية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>حماش، المرجع السابق، ص 148-152.

<sup>2</sup>"بشكش" كلمة عثمانية من أصل فارسي بمعنى الهبة التي تقدم لأحد الرؤساء أو أصحاب النفوذ لكسب موقفه ووده، كما أوردها أحمد الشريف الزهار، في كتابه "باشكاش"، للمزيد أنظر: أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 1980، ص 142-146.

<sup>3</sup>حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر، المرجع السابق، ص 156 . 157.

<sup>4</sup>ألتر، المرجع السابق، ص 463.

<sup>5</sup>حماش، المرجع السابق، ص 160.

<sup>6</sup>بليل، القناصل والقنصليات...، ص 94.

### 2 - الولاية الجزائرية :

إضافة إلى الهدايا والمراسلات وتبادل الرسل (الهدايا) بين الجزائر والدولة العثمانية، نجد راية الإيالة التي كانت مظهرا من مظاهر الارتباط بين الجانبين والتي تعتبر من أهم رموز تبعية الجزائر السياسية للدولة العثمانية منذ تأسيس الإيالة إلى غاية سقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي أي نهاية الوجود العثماني في الجزائر، فعندما أرسل أعيان مدينة الجزائر رسالة إلى السلطان العثماني سليم الأول سنة 1518م بأمر من خير الدين بربروس لتصبح الجزائر إيالة تابعة رسميا للإمبراطورية العثمانية، أرسل السلطان العثماني سليم صحبة مبعوثي الجزائر إليه سنجقا<sup>1</sup> وكتابا إلى أهل الجزائر<sup>2</sup>.

وهذا ما ذكره ابن رقية التلمساني أيضا أثناء حديثه عن مراسلة أعيان مدينة الجزائر للسلطان العثماني بقوله: " فوصلت الأجفان إلى حضرة السلطان سليم ... ووجه صحبتهم سنجقا- أي علما - وكتابا إلى أهل الجزائر ... " ومن هنا أول راية استعملت بالجزائر خلال القرن السادس عشر ميلادي وردت من الباب العالي، وبقيت راية الإيالة الجزائر تستعمل للدلالة على الولاء السياسي والديني للخلافة العثمانية إلى غاية نهاية الوجود العثماني بالجزائر<sup>3</sup>.

وقد وصف الأمريكي جيمس كاتكرت الرايات التي استخدمتها الإيالة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي<sup>4</sup>، إلا أنه لم يكن دقيقا في وصفها ولم يحدد شكلها ولونها، فأطلق على العلم الذي كان موجودا في دار الإمارة " بعلم الداى"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>سنجقا: أي العلم أو اللواء الخاص بالدولة، للمزيد أنظر: شاوش حباسي، أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر (1518 . 1945م) تطوره الشكلي وتحليل مضمونه " الإيديولوجي والسياسي"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، 1995، الجزائر ص11.

<sup>2</sup>نفسه .

<sup>3</sup>محمد بن عبد الرحمان التمساني " الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، تحت رقم 2523، ص12.

<sup>4</sup>وتذكر بعض المصادر أن عمر باشا قد رفع العلم العثماني عند توليته سنة 1814م، كما استخدمت إيالة إيالة الجزائر عدة رايات مشتركة مع الدولة العثمانية أو بصفة مستقلة، إذ تذكر بعض المصادر أن العلم كان يرفع فوق التحصينات والأسوار والقصور وهو ما ذكره المؤرخ الفرنسي فونتيردو برادي بقوله: " كان بقصر الباى قضبان مذهبة وكان يوضع فيها علم الإيالة الجزائرية. أما بالنسبة للعلم الإسلامي، فكان يشاهد في المناسبات الدينية كصلاة الجمعة والأعياد". أنظر:

وهناك بعض الكتابات الفرنسية سجلت وجود رايات أخرى في الجزائر حمراء اللون بها أربعة أشكال، اشترك الجزائريون في اثنين منها مع الدولة العثمانية (الباب العالي) وبعض الإيالات العثمانية الأخرى. وكانت إحدى هذه الأشكال ترفرف أثناء الغزو الفرنسي للجزائر<sup>2</sup>. وكانت هذه الراية لونها أحمر شبيه بالراية التونسية والمصرية، وكانت ترفع هذه الرايات فوق السفن وقد حمل الأسطول العثماني نفس الراية الجزائرية عندما أقلع من ميناء الإسكندرية بمصر نحو بحر إيجه باتجاه اليونان عام 1827 م<sup>3</sup>.

أما بالنسبة للشكل الثاني لهذه الراية وهي التي استخدمها الجزائريون في القرن الثامن عشر ميلادي كان يوجد في وسطها سيف، وهي الراية نفسها التي رفعها أحمد باي أثناء مقاومته للقوات الفرنسية في غزو مدينة قسنطينة عام 1836 م<sup>4</sup>.

وانفردوا بالشكلين الآخرين كعلامتين خاصتين بهم وتمثل أحدهما في راية حمراء رسم في زاويتها العلوية من جهة اليسار وباللون الأبيض رأس بحار وكانت خاصة بالباشا، وتمثل الشكل الثاني في راية لونها أحمر ورسم باللون الأبيض ذراع بحار مرفوع يحمل سيفاً وبجانبه جمجمة وكانت خاصة بالأسطول<sup>5</sup>. إضافة إلى ما سبق ذكره بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، كان يذكر إسم السلطان في المنابر وأيضاً الدعاء له في خطبة الجمعة والأعياد<sup>6</sup>، وأيضاً أصبحت

---

Venture de paradis , Tunis et Alger au 18eme siècle (mémoire et observateion présenter par :  
Josèphe cuaq, sandbad, paris, 1983 pp.252- 256.

<sup>1</sup> جيمس لندر كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب ، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، الجزائر، ص 90 - 92.

<sup>2</sup> محمد بن جبور، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17 و18م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية 2002 - 2003، ص 84 - 85.

<sup>3</sup> حماش، المرجع السابق، ص 181 - 184.

<sup>4</sup> حباسي، المرجع السابق، ص 105.

<sup>5</sup> جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520 - 1830، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2017-2018، ص 93.

<sup>6</sup> مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 1981، ص 28.

## الفصل الأول: دوافع المد العثماني في المتوسط

---

العملة أو السكة تضرب باسم السلطان العثماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي أي نهاية الوجود العثماني في الجزائر وهو ما لوحظ في عدة قطع نقدية تعود إلى عهد السلطان محمود الثاني<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>جميل، المرجع السابق، ص 93، 94.

الفصل الثاني : مراحل التوسع العثماني في البحر المتوسط. المبحث الأول:

مواجهة نفوذ الجمهورية الإيطالية.

المبحث الثاني: ضمان المسالك البحرية ومحاولة إحتلال مناطق النفوذ

المبحث الثالث: المعارك الكبرى ضد الأوروبيين :

أ- معركة بريفيزا.

ب- حملة شارلكان على الجزائر 1541م ونتائجها.

ت- حصار مالطا 1565م.

ث- معركة ليبانت 1571م.

### المبحث الأول: مواجهة نفوذ الجمهوريات الإيطالية.

الجمهوريات الإيطالية أو ما يطلق عليها في معظم المراجع بالجمهوريات البحرية تسمى بالإيطالية repubbliche marimare ويطلق هذا الاسم على مجموعة من المدن التي ازدهرت في إيطاليا في القرون الوسطى، وما يمكن الإشارة إليه أيضا أن هذه المدن وردت بعدة تسميات فأحيانا تنعت بالدوقيات وأحيانا أخرى بالإمارات، كما سميت بالمملكات ويرجع هذا الاختلاف في التسميات ربما إلى نظام الحكم، وكانت هذه الحرب دائمة بين هذه الإمارات ولم يتردد أمراؤها في البحث عن سند أجنبي، كما نلاحظ في وسط هذه الفوضى الإيطالية خاصيتين تتواجدان معا رغم تعارضهما من حيث المبدأ وهما أهمية المدن، لكونها تلعب دورا أساسيا في الحضارة من جهة وقوة العاطفة الإيطالية من جهة ثانية، هذا لأن التجزئة السياسية لم تمنع وجود عواطف نحو الوحدة اللغوية وحب التفوق الناجم عن نشاط الحياة الفكرية وذكرى التراث الروماني القديم<sup>1</sup>.

أما على المستوى المؤسساتي فقد تشكلت المدن الإيطالية من حكومات جمهورية تمتعت بالحكم الذاتي وهو تعبير عن طبقة التجار التي تشكل العمود الفقري لقوتها، ويتداخل تاريخ الجمهوريات البحرية الإيطالية على حد سواء مع التوسع الأوروبي إلى الشرق، حيث يسير مركز إيطاليا بين الشرق والغرب لها الاستفادة أكثر من سائر الدول من التجارة مع أوروبا وبيزنطة والشام وسائر بلاد المسلمين فقد كان لها على البحر الأدرياتيكي مدائن البندقية ورفانا وأنكونا وباري وبرنديزي وتارنتو وكان لها في الجنوب مدينة كرتون وعلى الساحل الغربي مدن سالرنو، وأمالفى، ونابولي، وبيزة هذا بالإضافة إلى مدينة فلورنسا التي كانت

<sup>1</sup> نورالدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، 1405هـ/ 1985م، ص20.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

مركزا مصرفيا لهذه التجارة<sup>1</sup>، وكانت أنهار إيطاليا تنقل بعض هذه التجارة إلى داخل القارة الأوروبية لذلك ازدهرت المدن الإيطالية خاصة جنوة وبيزة والبندقية<sup>2</sup>.

### 1- جمهورية ليدقية:

للبنديقية تاريخ بحري مجيد انفردت به عن غيرها مندول الغرب الأوروبي مثلما انفردت به عن مثلتها جنوة وبيزة<sup>3</sup>، فهي مدينة ممتدة على المستنقعات والبحيرات، ويكشف موقعها الجغرافي عن عظمتها البحرية والتجارية، إذ تقع على رأس البحر الأدرياتيكي، وكان يعتبر على حد قول البعض أعظم طريق بحري لتجارة العصر الوسيط، وهي في موقع متوسط بين الشرق والغرب فضلا عن كونها ميناء من موانئ البحر المتوسط<sup>4</sup> ويمكن القول أن تاريخ البنديقية يبدأ بالغزو الهوني، فقد بدأت به عملية نمو البنديقية ووجدت شعبا جديدا من المهاجرين الذين هاجروا إلى خليجها بحثا عن الأمان ووجدوا هؤلاء ملجأ وملادا لهم في جزر البنديقية واستقروا بها<sup>5</sup>، أما فيما يتعلق بتأسيسها فقد كان حوالي منتصف القرن الخامس ميلادي بعد غزو الهون<sup>6</sup> لشمال إيطاليا، وكلما اختفت البنديقيات الصغيرة التي كانت

<sup>1</sup> لمعرفة أكثر عن مواقع هذه المدن ينظر للخريطة السياسية لإيطالية، في ملحق الخرائط رقم 08.  
<sup>2</sup> محمود سعيد عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، 1988، (د.ب.ن)، ص167.

<sup>3</sup> شارل ديل، البنديقية جمهورية أرستقراطية، تر: أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، 1948، ص8.

<sup>4</sup> نخبة من الأساتذة، أبو العباس القشلندي وكتابه صبح الأعشى، تق: أحمد عزت عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت)، 153.

<sup>5</sup> بورفيرو جنيوس، قسنطنطين السابع، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق: محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص103.

<sup>6</sup> الهون: هي جموع متوحشة من جنس المغول أصلها من آسيا، وصلت إلى الجنوب الشرقي من أوروبا أواخر القرن الرابع ميلادي وأدت إلى تحرك العشائر الجرمانية حركة هائلة، وفي حوالي نصف قرن غمرت تلك العشائر ربوع غاليا وبريطانيا واسبانيا وإفريقيا وإيطاليا. للمزيد أنظر: هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر: مصطفى زيادة، السيد الباز العربي، دار المعارف بمصر، ج1، ط6، (د.ت)، ص 21-22.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

الأصول الأولى المدينة البندقية، فإن الأخيرة كانت تزداد نموا وازدهارا<sup>1</sup>. ونقصد بالبندقيات الصغيرة تلك المجموعة من الجزر التي تشكلت مع مرور الزمن<sup>2</sup>.

وما إن أطل القرن الخامس عشر ميلادي حتى كان البحر الأدرياتيكي بأكمله بندقيا أو منطقة نفوذ بندقية، وعليه يمكن الأخذ بما يقوله بعض المؤرخين من أن البندقية لم تكن دولة إيطالية بالمعنى الجغرافي المحدود فهي بحكم امتدادها على الساحل الشرقي للأدرياتيكي وعلى قبرص تقبض على طرق البلقان، وهي بفضل مواقع بعض مدنها عبر معابر جبال الألب تسيطر على مداخل التجارة للكثير من المناطق الفرنسية، كما سيطرت على كافة مداخل المدن الألمانية مدن الهانس بصفة خاصة وكذلك على بوهيميا وقسم من هنغاريا وبلونيا، وامتدت عبر البحر الأسود فوصلت تجارتها إلى سهوب روسيا، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن البندقية أكثر من غيرها تغذي العمق الأوروبي بالتجارة وتدفعه في دروب الرقي الاقتصادي وتؤثر في تطوره الفكري والحضاري<sup>3</sup>.

وقد يعود ظهور البندقية في المجال البحري التجاري في البحر المتوسط إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي أين حل البنادقة محل التجار اليهود الين فقدوا صفتهم الدولية في التجارة بين الشرق والغرب<sup>4</sup>، وقد اجتمعت عدة عوامل ساعدت على نمو النشاط التجاري التجاري للبندقية، بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي والجغرافي الذي كشف عن تطورها إلى كشف عن تطورها البحري والتجاري<sup>5</sup> فوطدت علاقاتها مع القسطنطينية وتحصلت على

<sup>1</sup> قايد حماد محمد عاشور، العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي، دار المعارف، 1980، ص 28.

<sup>2</sup> شارل ديل، المرجع السابق، ص 7.

<sup>3</sup> عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث (عصر النهضة)، منشورات ألقا، 1999، (د.م)، ص 83 - 84 .

<sup>4</sup> سعيد ابراهيم حسن، البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، الإسكندرية، 1983، ص 200.

<sup>5</sup> جوزيف نسيم يوسف، العصور الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعة الإسكندرية، 2005، ص 205.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

معاهدات خولتها فوائد جمركية وأمنت لها حماية قوية في الموانئ الشرقية وساعدت على زيادة تجارتها<sup>1</sup>، كما ظلت البندقية ترتبط بنوع من التبعية للدولة البيزنطية حتى أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي<sup>2</sup>، ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعمل على فصل نفسها عن الشرق كانت البندقية تعمل على البقاء جزءا مهما من هذا الشرق. وقد كان البنادقة هم الوكلاء الأوربيون للتجارة الشرقية<sup>3</sup>.

فنجحت بذلك البندقية في احتكار تجارة الدولة البيزنطية التي كان لها تاريخ معها<sup>4</sup> من جهة، كما تمكنت من المشاركة في التجارة الشرقية من جهة أخرى وخاصة مع الصين والهند وفي النهاية ورثت هذه التجارة<sup>5</sup>.

ومن أهم العوامل أيضا التي ساعدت وأعانت البندقية في استثماراتها للتجارة الخارجية، قيام الحروب الصليبية التي نشطت الحركة بينهم وبين بلدان العالم الإسلامي<sup>6</sup>. فقد اصطبغت الحروب الصليبية منذ بدايتها بصبغة اقتصادية واضحة فكثير من المدن والجماعات التي أيدتها وشاركت فيها لم يكن ذلك لسبب ديني وإنما جريا وراء الكسب المادي والمنفعة الاقتصادية والرغبة في إقامة مستعمرات ومراكز دائمة لهم في الشرق بغية استغلال موارده والمتاجرة بها، وتعتبر البندقية من أهم المدن التجارية الإيطالية التي لعبت دورا مهما في تاريخ الحركة الصليبية، فقد وضعت أساطيلها كاملة في خدمة الصليبيين مقابل الحصول على الامتيازات التجارية وكان هدف البنادقة تجاريا نظرا للكسب الكبير إلي كان يعود عليهم

<sup>1</sup> نورالدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، دار الفكر الجديد، دمشق، 1967، ص 879.

<sup>2</sup> ارشيبالد.ر.لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( 500-1100م)، تر: أحمد محمد عيسى، تق: محمد شفيق غريال، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط.)، (د.ت)، ص 316.

<sup>3</sup> أحمد عمر رمضان محمد، العلاقات الاقتصادية بين دول المماليك في مصر والبندقية (648-923هـ/ 1250-1517م)، رسالة ماجستير، جامعة بنغازي، 2015، ص12.

<sup>4</sup> محمد الخطيب، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار علاء الدين (د.ط.)، دمشق، 2006، ص 88.

<sup>5</sup> عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، دار دمشق للطباعة والنشر، (د.ط.)، القاهرة، 1980، ص 114.

<sup>6</sup> علي عزالدين يونس حسن، البندقية وأثرها في العلاقات بين الشرق والغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بنغازي، 2005، ص42.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

من السيطرة على الطرق التجارة الشرقية التي أصبحت مصدرا للثراء لكل من يعمل بالتجارة. وكان هدفهم امتلاك مصر وبلاد الشام وشمال إفريقيا، حيث تنتهي الطرق البرية الرئيسية التي تصل من الشرق الأقصى على ساحل البحر المتوسط، وفي حال امتلاك تلك الموانئ الإسلامية التي تنتهي عندها السلع الشرقية إلى هذه الموانئ فإنهم سيحرمون المسلمين من الأرباح، ويتحول الثراء إلى أيديهم ولذلك قام الأسطول البندقي بدور فعال في الاستيلاء على المراكز الرئيسية<sup>1</sup>.

كما يمكننا إضافة عامل آخر ساعد في ازدهار تجارة البندقية ألا وهو القرصنة التي كانت مصدرا مهما من مصادر الثروة لذلك عملوا على استثمار الأموال التي حصلوا عليها من ممارستهم لهذه المهنة في التجارة الخارجية<sup>2</sup>، ولأجل السيطرة على هذه التجارة كانت هناك منافسة شديدة بين البندقية وجنوة خاصة أدت إلى اندلاع عدة حروب ومواجهات بين الطرفين<sup>3</sup>. وقد عاشت جمهورية البندقية ما يزيد على سبعمائة عام ولم يززع قوتها إلا تحول طريق التجارة العالمية عنها وعن حوض البحر المتوسط إلى طريق رأس الرجاء الصالح عبر المحيط الأطلنطي في نهاية القرن الخامس عشر على أيدي البرتغاليين<sup>4</sup>.

### 2- جمهورية جنوة:

كانت جنوة إلى جانب بيزة وفلورنسا وغيرها من المدن الإيطالية أسبق غيرها من المدن الإيطالية أسبق من غيرها من المدن الأوروبية الأخرى في النشأة والارتقاء، وقد سبقت المدن الإيطالية التي تقع على النصف الشمالي من شبه الجزيرة رصيفاتها في النصف

<sup>1</sup> رمضان محمد، المرجع السابق، ص 14-15.

<sup>2</sup> عفاف صبره، العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983، ص 81.

<sup>3</sup> فليب كان، التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، تر: أيمن الأرمنازي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الطبعة الغربية الأولى، الرياض، 1425هـ/2004م، ص 28.

<sup>4</sup> محمد مصطفى صفوت، الجمهورية الحديثة، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.م)، ط1، 1958، ص 4-

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

الجنوبي وذلك للمواقع التي تميز الأولى بإشرافها على مداخل القارة<sup>1</sup> وتلي جنوة البندقية كواحدة من أعظم القوى والمدن البحرية التجارية بإيطاليا<sup>2</sup>.

تقع مدينة جنوة على ساحل البحر ليجوريا على البحر الأدرياتيكي بين العديد من الطرق البرية وممرات جبال الألب وهي عاصمة إقليم ليجوريا، تعد من أهم المدن الواقعة على البحر المتوسط<sup>3</sup>، وقد تميزت جنوة بخصوصيات طبيعية ممثلة في موقعها على خليج عميق المياه بالإضافة إلى مضايقة جبال الألب الواقعة على حدودها جعل مجالها الجغرافي تكاد تنعدم فيه المساحات البسيطة تقريبا، فأصبح البحر هو المتنفس الوحيد للجنوبيين، فميز هذا الواقع نمط العيش في المجتمع الجنوبي أن يكون مرتبطا بالبحر بصفة أكبر<sup>4</sup>، واضطروا لممارسة التجارة نتيجة التضاريس الوعرة التي صعبت على السكان الاشتغال بالزراعة وتربية المواشي، فاندفعوا منذ عهدهم الأولى لممارسة التجارة<sup>5</sup> التي أكسبتها أهمية كبرى ضمن المدن الإيطالية، وتأتي هذه الأهمية من الناحية التجارية من خلال ممتلكاتها على البحر المتوسط من موانئ وبيوت وحقوق قانونية واتفاقيات وجمارك وغيرها والتي سهلت من توسع التجارة والتقليل من مخاطرها وتكليفه، فعلى سبيل المثال تضاعفت تجارة جنوة في شمال إفريقيا أكثر من النصف بعد امتلاك المدينة لممتلكات في هذه المنطقة في عام 1611/هـ<sup>6</sup>، ومن أجل اكتساب هذه الممتلكات فقد كان على القنصل أن يخصص

<sup>1</sup> عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص 69.

<sup>2</sup> مصطفى حسن محمد الكتابي، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى (1095-1171م/ 488-567هـ)، تق: جوزيف نسيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981، ص 77.

<sup>3</sup> علي عز الدين يونس حسن، معاهدة سنة 672هـ/ 1272م بين السلطة الحفصية والجمهورية وأثرها على التبادل التجاري بينهما، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، جامعة عمر المختار، ع31، ليبيا، خريف 2015، ص 146.

<sup>4</sup> بغداد غربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، أطروحة الدكتوراه، إشراف بن معمر، جامعة وهران، (1436/1435هـ) (2014-2015م)، ص 172.

<sup>5</sup> عز الدين يونس حسن، معاهدة سنة 672هـ...، ص 146.

<sup>6</sup> مصطفى نشاط، نصوص مترجمة ودراسات عن العلاقات الإيطالية المغربية في العصر الوسيط، مكتبة الطالب، وجدة، 2005، ص 14.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

الكثير من الوقت والجهد والمواد ليضمن سياسة من شأنها أن تزيد من تجارة جنوة والدخل العام بشكل أساسي حتى بعد انتهاء مدته<sup>1</sup> وهو الأمر الذي ذكره - كافارو - وهو أحد أشهر قناصل جنوة في كتابة الحوليات الجنوبية بقوله أنه بحلول عام 546هـ/1154م كانت المدينة نائمة وكانت تعاني من اللامبالاة مثل سفينة تتجول عرض البحر دون بحار يقودها<sup>2</sup>، ولهذا نجد المدينة تقوم بتحفيز مؤسساتها من أجل اكتساب المزيد من الامتيازات الاقتصادية والممتلكات التجارية وما موقفها اتجاه الحروب الصليبية إلا دليل على ذلك، فقد اتخذت جنوة موقفا يتفق ومصالحها الخاصة، شأنها في ذلك شأن البندقية، حيث جاء اشتراكها في الحروب الصليبية أو الانصراف عنها نتيجة طبيعية لما تمليه عليها تلك المصالح، والحقيقة أنه في البدايات الأولى لم تكن أي المدن الإيطالية الواقعة على الساحل الشمالي الإيطالي تمتلك البنية التحتية للمؤسسات المطلوبة للتعامل مع مثل تلك المشكلات، ولهذا أتاحت الفرصة للعائلات ذات النسب الواحد من السيطرة على المدينة وبالتالي كانت الحوافز الاجتماعية والاقتصادية داخل هذه العائلات المندمجة مع بعضها البعض قد ساعدت كثيرا المدينة على حل العديد من المشكلات المتعلقة بالتعاون والعمل الجماعي، ويبدو أن ذلك قد ساعد في صعود نجم المدينة فيما بعد<sup>3</sup>، حيث حققت جنوة العديد من الامتيازات والممتلكات في جميع أنحاء البحر المتوسط، هذه الممتلكات زادت من تجارة جنوة وتوسعاتها، وفي نفس الوقت تركزت في أيدي عائلات قليلة كانت قد سيطرة على هذه التجارة وكان أهمها عائلة Della Volta<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي - دراسة اقتصادية واجتماعية - منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006، ص 235، 241.

<sup>2</sup> كافارو، حوليات كافارو 1099-1163 عن الحروب الصليبية الأولى وأحداث جمهورية جنوة، تر: منصور مستريح، القاهرة، 2005، ص 37.

<sup>3</sup> عزالدين حسن يونس، النظام السياسي ودوره في النمو الاقتصادي في جنوة خلال القرنين الثاني عشر والثالث الميلادي، المجلة الليبية العالمية، ع4، جامعة بنغازي، ديسمبر 2015، ص 4.

<sup>4</sup> نفسه، ص 8، 9.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

لقد لقيت البندقية منافسة شديدة من جنوة في ميدان التجارة وتطورت هذه المنافسة إلى صراع سياسي حاد لعب في البحر المتوسط دورا حاسما وتراءت لهاتين الجمهوريتين الضرورة السياسية في إخضاع البحر المتوسط أو على الأقل الجزء الهام منه بالنسبة لنشاطها، وكانت نتيجة ذلك أن طالبت البندقية بتقرير سيادتها على البحر الأدرياتيكي، كما ادعت جنوة حق السيادة على بحر ليجوريا، وقد قبلت أوروبا ادعاءات هاتين الجمهوريتين لحاجاتها الملحة إلى التجارة الشرقية الخاصة بالتوابل والعطور والعقاقير، وبذلك ظهرت في تاريخ العلاقات السياسية الدولية لأول مرة فكرة سيادة الدولة على البحار<sup>1</sup>. ولم يقف التنافس السياسي بين البندقية وجنوة عند هذا الحد، بل قام بينها صراع حربي بالغ العنف انتهى بهزيمة أهالي جنوة في معركة Chioggia وعلى إثرها عقد تورينو سنة 1381م، ولكن جنوة راحت تفكر في وسيلة أخرى لحرمان البندقية من مصادر قوتها وثروتها، وذلك بإيجاد طريق بحري متصل تأتي منه السلع الشرقية إلى أوروبا<sup>2</sup> وهذا سيوفر التقارب الذي تم بينهم وبين البرتغاليين في مطلع العصور الحديثة.

### 3- جمهورية بيزا:

تقع بيزا بمقاطعة توسكانيا على ضفة نهر Orno وعلى بعد ثلاثين كلم إلى الغرب من مدينة فلورنسا وتبعد عن البحر بإحدى عشر كلم، وبلاد لبيازنه كما يعرفها القلقشندي: بفتح الباء الموحدة المثناة تحت ألف ثم زاي معجمة مكسورة ونون مفتوحة وهاء في الآخر، وهم فرقة من الفرنج وقاعدة ملكهم مدينة بيزة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> فاروق عثمان أباطة، العلاقات الاقتصادية بين الإسكندرية والبندقية في سنة 923هـ/ 1516م، المقال

ضمن الكتاب الأول لمؤتمر الإسكندرية الدولي حول التبادل الحضاري بين شعوب حوض البحر

المتوسط عبر التاريخ، 15-19 يناير 1994، كلية الآداب، ص 224.

<sup>2</sup> عبد العزيز محمد الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، ج1، القاهرة، ط3، 1977، ص 109.

<sup>3</sup> القلقشندي أحمد أبو العباس، صبح الأعشي، ج5، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1333هـ- 1915، ص

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

كانت بيزة حليفة جنوة في كثير من الأحيان، حيث كانت جنوة تمارس نشاطها العدواني لوحدها أو بمعونة بيزة لنيل المكاسب التي تبتغيها<sup>1</sup>، كما كانت بيزة إلى جانب جنوة من المدن البحرية الكبرى التي بسطت هيمنتها على كورسيا وسردينيا وسيطرتا على تجارة شرق البحر المتوسط<sup>2</sup>، كما كانتا تتخذان سياسة ذات وجهين متباينين أحدها يقتضي منها مساعدة الصليبين ضد المسلمين، اعتبارهم مسيحيين مثلهم، فضلا عن الامتيازات العديدة التي يحصلون عليها من وراء نقل المغامرين الغربيين بسفنهم وأساطيلهم، أما الوجه الثاني فيستلزم منها الحرص قدر الاستطاعة على إبقاء العلاقة الطيبة مع كافة المسلمين في مختلف مناطقهم حتى لا يلحق الضرر بمصالحهم الاقتصادية فيها<sup>3</sup>.

لقد ظل أهل بيزة وجنوة والبندقية حتى سنة 898هـ/1500م أي القرن السادس عشر على ما كانوا عليه سنة 498هـ/1100م أي أصحاب النصيب الأوفر من ملاحه البحر المتوسط وتجارته ولم يتأخر مركزهم هذا إلا في القرن السادس عشر عندما انتقل الزمام من أيديهم إلى الإسبانين والبرتغاليين والفرنسيين والإنجليز والهولنديين، وكان ذلك بعد أن امتدت طرق النقل والتجارة الأوروبية إلى أركان المعمورة<sup>4</sup>.

كما ارتبط ظهور المدن الإيطالية وازدهارها تجاريا واقتصاديا بعدة عوامل منها وقوع بعضها بجانب الأديرة الغنية والبعض الآخر حول القصور الأسياد الذين كانوا يشكلون تكتلا اقتصاديا ضخما في تلك الحقبة من التاريخ الإيطالي وعلاوة على ذلك فقد بنيت تلك المدن على مصبات الأنهار والأخرى بالقرب من البحر، خاصة من الشمال والتي ازدهرت تجارتها

<sup>1</sup> ممدوح حسين، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري (668-796هـ/1270-1390م)، دار عمان للنشر، عمان، ط1، 1419هـ/1998م، ص 22.

<sup>2</sup> موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص 218.

<sup>3</sup> نخبة من الأساتذة، أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، تق: أحمد عزت عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت)، ص 169، 170.

<sup>4</sup> لويس، المرجع، ص 401.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

البحرية بحيث لم يشهد تاريخ إيطاليا في العصور الوسطى ازدهارا مماثلا لتلك الحقبة<sup>1</sup>، كما كانت لدواخل أوروبا التي تميزت في تلك الفترة بصعوبة وخطورة وعدم أمن مسالكها تأثيرا، حيث انقطت الطرق التجارية وتوقفت التجارة الداخلية فاتضح أن مستقبل أوروبا مرتبطا بالماء أو بالمسطحات المائية ومنها المتوسط بحوضيه الغربي والشرقي وكل هذه الأمور مجتمعة دفعت المسيحيين في شبه الجزيرة الإيطالية مجبرين<sup>2</sup> لا مخيرين على التعامل مع هذا الجزء من الحوض الغربي للمتوسط لاسيما مع الضفة الجنوبية. وبالتالي لعبت الجمهوريات الإيطالية دور الوساطة في تجارة الحوض الغربي للمتوسط، حيث كانت على غرار المغرب الأوسط الذي مثل الوسيط التجاري بين أوروبا في الضفة الشمالية للمتوسط والمسلمين في الضفة الجنوبية<sup>3</sup>.

### العلاقات التجارية بين الجمهوريات الإيطالية من خلال المعاهدات:

كان النشاط التجاري بين دول وإمارات الضفتين الشمالية والجنوبية ينظم وفقا لمعاهدات تعقد بينهما وتحدد من خلالها ظروف التبادل وأيضا الشروط، والمواد التي تدخل ضمن قائمة البضائع والسلع المتبادلة، كما كانت تعقد المعاهدات أيضا في حالة وقوع حدث يربك ويعرقل العملية التجارية كأعمال القرصنة - حسب ما تطرقنا إليه سابقا - التي كانت تتم بين تلك الدول أو بسبب الحروب التي كانت تتوقف بسببها تلك العلاقات، فتضطر الدولة الأكثر تضررا إلى عقد معاهدة جديدة أو تجديد بنود أخرى قديمة تضمنت نفس المطالب<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> نيفين ظافر حسيب الكردي، الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر، ماجستير، جامعة غزة، فلسطين، 1432هـ/2011، ص 119.

<sup>2</sup> إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفترة (ق 7-10هـ / 13-16م)، أطروحة دكتوراه، إشراف: مبخوت بودواية، جامعة تلمسان، 2013/2014، ص 134.

<sup>3</sup> محمد حناوي، جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للمتوسط قبيل القرن العاشر للميلاد، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 48، المغرب الإسلامي والغرب المسيحي، 147.

<sup>4</sup> بن مصطفى، المرجع السابق، ص 194.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

ولقد اختلفت حظوظ الجمهوريات الإيطالية وتفاوتت في مجال العهود والاتفاقيات والصفقات التجارية مع الدول المعاقبة، وذلك وفق الإطار العام للعلاقات السياسية بين الطرفين بالإضافة إلى مدى الالتزام بهذه الاتفاقيات واحترامها تجاه الطرف الآخر، فتصدرت جمهوريات بيزة وجنوة ثم فلورنسا والبندقية الحركة التجارية الإيطالية في المغرب الأوسط حسب مرحلتين، المرحلة الأولى كانت فيها الصدارة لجنوة وبيزة. وقد بدأت في أوائل القرن السادس الهجري/ الثامن عشر ميلادي واستمرت حتى بداية القرن الخامس عشر الميلادي، أما المرحلة الثانية فقد بدأت منذ بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلى بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، وغابت فيها جمهورية بيزة التي سقطت سنة 812هـ/ 1414م بين يدي فلورنسا التي ورثتها وعوضتها<sup>1</sup>.

وفيما يلي عرض للعلاقات التجارية له الجمهوريات كل على حدى من خلال المعاهدات المبرمة حسب ما وفرته لنا المادة العلمية المتحصل عليها.

### 1-العلاقات التجارية مع جمهورية البندقية:

نظمت المعاهدات المبرمة العديد من مواد التجارة المختلفة التي جمعت بلاد المغرب والمدن الإيطالية مثل الدور التجاري للقناصل ومعاقبة التجار لمخالفاتهم القوانين التجارية وطرق الفصل بين التجار المسلمين والتجار الإيطاليين، ومصير السفن التجارية التي تتحطم وقضية وراثة التاجر المتوفي والضرائب الجمركية والفنادق التجارية لخدمة التجار الإيطاليين وكراء السفن وغيرها من الأمور<sup>2</sup>.

تعتبر جمهورية البندقية طرف مهم في إطار العلاقات التجارية مع المغرب الأوسط خاصة وشمال إفريقيا عامة، وتعود العلاقات الرسمية في المجال التجاري مع البندقية إلى العهد الموحي وفي زمن الدوق البندقي -ziani sebastiane- الذي امتدت فترة حكمه ما

<sup>1</sup> برونشفيك، المرجع السابق، ص 250.

<sup>2</sup> مجدي ياسين عبد العالي عبد الله سلام، العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية(جنوة- بيزا- البندقية)، 656-869هـ/ 1258-1464م، أطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق، 2004/2005، ص 186.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

بين 570هـ - 1172م / 576هـ - 1178م، حيث وقع هذا الأخير معاهدة صلح وتجارة مع الموحديين ومصر<sup>1</sup>، ووقعت هذه المعاهدة سنة 629هـ / أكتوبر 1231م ومنح البنادقة بموجبها حرية التجارة في موانئ الدولة الحفصية والتي ضمت الجهة الشرقية للمغرب الأوسط وكانت مدتها أربعين سنة<sup>2</sup> لتعقد من جديد ولمدة أربعين سنة أخرى وذلك من 649هـ / أبريل 1251م، ومعاهدة 669هـ / جوان 1271م والتي تلتها مداوات المجلس الأعلى في البندقية ما بين سنتي 672هـ - 1274م / 679هـ - 1281م<sup>3</sup> بشأن التجارة والقناصل البنادقة في الأراضي المغربية والإدعاءات التي كان التجار البنادقة يواجهونها ضد عمال الديوان هناك، ومع هذا واصلت البندقية في إبرام المعاهدات التجارية ضامنة بذلك نشاطها التجاري في منطقة الدراسة فأبرمت مجددا معاهدة تجارية تدوم صلاحيتها عشرات سنوات انطلاقا من تاريخ التوقيع الذي كان عام 703هـ / أوت 1305م والتي جددت ولمدة خمسة عشرة سنة 715هـ / 1317م<sup>4</sup>. واستمرت جمهورية البندقية في عقد المعاهدات التجارية مع بلاد المغرب إلى غاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وهذا ما تؤكد عدة إجراءات ومعاملات تجارية بين الطرفين، حيث بل البنادقة مجهودات كبيرة للحصول على ذهب السودان عبر وهران وهنين وبجاية وعدة موانئ هامة في المغرب الأوسط وذلك لتغطية الخسارة التي لحقتهم في بلاد المشرق، ومنذ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي أصبح لديهم فندقا خاصا بهم في تلمسان ووهران التي كانت سفنهم الكبيرة تختلف إلى مينائها وميناء المرسى الكبير حسب ما ذكره- الحسن الوزان- والذي يضيف أن الكثير من التجار البندقيين يتعاطون تجارة عن طريق المقايضة<sup>5</sup>، كما تحدث - مارمول كاربخال- عن تنقل سفن البندقية إلى هنين بقوله: " إذا كانت سفن البندقية تنحدر إليها كل سنة عند ذهابها

<sup>1</sup> أحمد عزوي، رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ط1، 1416هـ/1995م، ص 255.

<sup>2</sup> De Mas Latrie, Traités de paix et de commerces concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge .2, vol, Paris, 1866, p196.

<sup>3</sup> op,cit, p 199-206.

<sup>4</sup> Ibid, p221.

<sup>5</sup> ليون الإفريقي، المصدر السابق، ص 9.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

إلى تلمسان...<sup>1</sup> وحفاظا على المصالح التجارية لجمهورية البندقية في المغرب الأوسط أرسل أمير تلمسان-محمد الثابتي- ( 873 - 910هـ / 145 - 1508م) مبعوثا إلى مجلس الشيوخ البندقي يعرض عليهم فتح قنصلية جديدة وإبرام معاهدة تعاون، لأن فندقهم كان تحت إشراف القنصل الأراغوني وقام بنفس المحاولة في مارس 894هـ / 1496م لكن القرار البندقي في هذا الشأن بقي غير معروف<sup>2</sup>.

لقد تعرضت جمهورية البندقية لمنافسة شديدة من طرف الإسبان على موانئ المغرب الأوسط ففي سنة 904هـ / 1506م منع البندقي -Domingo Capello- من الإرساء في ميناء وهران كما جرت العادة وبقي الصراع حول موانئ المغرب الأسط قائما إلى غاية احتلال الإسبان لمدينة وهران 907هـ / 1509م<sup>3</sup>، ونظرا لهذه المضايقات الإسبانية قامت جمهورية البندقية باتخاذ عدة إجراءات نذكر منها على سبيل الميثال ما قامت به لجنة الدوقية لقبطان السفن المغربية في سنة 906هـ / 1508م، حيث قامت بتحديد المزاد ومواصفات والشحنات الخاصة الموجهة إلى وهران والجزائر وبجاية وقرار مجلس الشيوخ بشأنها.

وقد أصدر هذا الأخير قرار يأمر بإرجاع السلع البندقية المرسله إلى شمال أفريقيا في سنة 922هـ / 1524م<sup>4</sup>، وربما جاء هذا القرار بعد الشكوى التي أرسلتها جمهورية البندقية سنة 916هـ / 1513م موضحة فيها أنه عندما كانت وهران في يد المسلمين لم يكن البنادقة يدفعون سوى 10% على سلعهم، لكنهم صاروا يدفعون ضعف ذلك للمك المسيحي بحيث

<sup>1</sup> مارمول كاربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد زينر، محمد الأخضر، أحمد توفيق، أحمد بن جلول، ج2، مكتبة المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1404هـ/1988م، ص 296.

<sup>2</sup> لطيفة بشاري، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر ميلاديين، 13-16م، رسالة ماجستير، إشراف: موسى لقبال، جامعة الجزائر، 1406-1407هـ/ 1986-1987م، ص159.

<sup>3</sup> ليون الإفريقي، المصدر السابق، ص9.

<sup>4</sup> De Mas latrie, Op. cit, pp 273-276.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

يدفعون 10% عند دخولهم وعند الخروج منه<sup>1</sup>. وهذا ما جعل البنادقة يتخلون عن ميناء وهران ويلجؤون إلى ميناء هنين، حيث كان يستقبلهم التجار التلمسانيون في ظروف أحسن بكثير<sup>2</sup>.

### 2-العلاقات الجارية مع جنوة:

تميزت المعاهدات بما حوته وبما لم يرد فيها مهتمة في الغالب بفوائد التجارة المسيحية لذلك ضمنت هذه المعاهدات مجموعة من المبادئ والبنود التي تم العمل بها ويسرت اتصالات الأوربيين مع مسلمي شمال إفريقيا، إذ كانوا حاضرين في العديد من المسائل الهامة المتعلقة بالملاحة والتجارة والتي كانت أكثر إنصافاً من تلك التجارة الإقطاعية في أوروبا، فجلب الايطاليون إلى المغرب المعادن والشراشف والأقمشة الفاخرة والمجوهرات والأشياء الصناعية الأخرى، وقدم لهم المغاربة الصوف والجلود والقمح بوصفهم منتجين داخل أراضيهم وقطعانهم<sup>3</sup>، لذلك كانت العلاقات التجارية الجنوبية مع بلاد المغرب نشيطة، خاصة منذ النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد نشر - دي ماس لاتري- مجموعة من الوثائق تهم تجارة جنوة متمثلة في مجموعة من العقود الخاصة بين التجار أو المتعلقة بتكوين الشركات التجارية وهي مؤرخة ما بين 550هـ- 1153م / 559هـ- 1162م<sup>4</sup>.

يعود توقيع أول معاهدة تجارية للجنوبيين مع بلاد المغرب الأوسط وعلى وجه التحديد مع بجاية سنة 531هـ/ 1133م في العهد الحمادي، ثم شملت المعاهدة مراسي أخرى وبشكل مكثف في العهد الموالي كمرسى الخرز وبونة وسكيكدة وتواصلت إلى سنة 548هـ/ 1150م<sup>5</sup>، إلا أن الأوضاع السياسية الخطيرة التي شهدتها جنوة وعلاقتها في الشرق مع القسطنطينية ومع بلاد الشام، جعل وجهتها في علاقاتها التجارية تتركز على أقاليم الدولة

<sup>1</sup> بشاري، المرجع السابق، ص 161- 162.

<sup>2</sup> ليون الإفريقي، المصدر السابق، ص 15- 16.

<sup>3</sup> De Mas Latrie, traités... pp 115- 116.

<sup>4</sup> Op, Cit, p106.

<sup>5</sup> بعيزيق، المرجع السابق، ص 318-328.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

الموحدية خاصة بعد فقدان جنوة للساحل الشامي بسبب قضاء " صلاح الدين الأيوبي " على التواجد الصليبي في هذه المنطقة الأمر الذي أدى إلى فقدان هذه الأخيرة لوجودها التجاري في الموانئ الشامية التي كانت تحت سيطرة الصليبيين<sup>1</sup>. لذلك كانت جنوة أول جمهورية إيطالية تبعت بوفد إلى الخليفة الموحي " عبد المومن بن علي " عام 557هـ / 1161م، وأبرمت معهم معاهدة تقرر فيها دوام السلم بين الموحدين وجمهورية جنوة لمدة 15 سنة، رغم كون هذه الإتفاقية كانت شفوية إلا أن شهرتها عمت سائر المواني المتوسطية<sup>2</sup>. وقد أدت كل هذه المساعي في مجال العلاقات التجارية بين الموحدين والجنوبيين إلى إعطاء نتائج ايجابية على أرض الواقع، حيث نجد حجم المبادلات التجارية قد تزايد في هذه الفترة بين الطرفين، حيث بلغ أوجه من حيث الشكل والمؤسسات<sup>3</sup>.

استمرت المعاهدات التجارية بين جنوة وبلاد المغرب في عهد الدويلات الثلاثة "الحفصية والزيانية والمرينية" فعقدت مع -الأمير الحفصي- أبو زكريا اتفاقية سنة 633هـ/1236م<sup>4</sup>، ثم أبرمت معاهدة لمدة عشر سنوات أخرى 649هـ/ أكتوبر 1251م<sup>5</sup>، وهي تجديد للمعاهدة الأولى ومما جاء فيما يخص النشاط التجاري حصر أنشطة الجنوبيين في مراسي معينة بعد أن كانت عكس ذلك في العهد الموحي، وقد لجأت دول المغرب الأوسط بصفة عامة إلى تبني الأسلوب نفسه ليس بهدف التضييق على التجار الأوربيين ولكن للتمكن من استخلاص الضرائب الجمركية المفروضة على أنشطتهم ولمنع عملية التهريب من جهة والقرصنة من جهة أخرى، ولا يمكن أن يكون إنكار لوجود التهريب أي

<sup>1</sup> المقدسي شهاب الدين عبد الرحمان بن اسماعيل، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، مطبعة وادي النيل، القاهرة، 1287هـ، ص 75.

<sup>2</sup> محمد الشريف، سبته الإسلامية "دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي"، تطوان، ط1، 1995، ص 83.

<sup>3</sup> برونشفيك، المرجع السابق، ص 50.

<sup>4</sup> De Mas Latrie, OP,Cit.p116.

<sup>5</sup> Op,Cit, P118.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

حركة المرور التي تسعى إلى الهروب من نظام الضرائب الذي وضعتة الحكومات<sup>1</sup>، كما حددت المعاهدة قيمة الضرائب الواجب على الجنوبيين أدائها لصالح الجمارك الحفصية، حيث أصبح الجنوبيون مجبرين على أن يؤديوا نسبة (10%) لكل البلدان الخاضعة للحفصيين، وحدد كمية الحبوب التي يمكن لجمهورية جنوة أن تستفيد منها في حالة حدوث مجاعة<sup>2</sup>.

لقد ظل الحضور التجاري للجنوبيين مركزا على ثلاثة مراسي وهي "سبته وبجاية وتونس" والتي استقطبت 98% من عملياتهم التجارية ببلاد المغرب<sup>3</sup>، كما أن الجنوبيين تاجروا في هذه الفترة مع عدة مراسي بالمغرب الأوسط ومن بينها وهران أرزيو ومستغانم وهنين وتنس وشرشال، حيث إختار التاجر الجنوبي مالفنت Malefante هنين مركزا لانطلاق رحلته إلى توات. وكان للجنوبيين على العموم حضورا قويا بوهران وهنين بهدف تجارة الذهب<sup>4</sup>.

### 3- العلاقات التجارية مع جمهورية بيزا:

تعتبر بيزا من أقدم الجمهوريات الإيطالية رفقة جنوة في الاتصال بسواحل المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا بدءا من العهد الحمادي المرابطي<sup>5</sup>، ويورد-دي ماس لاتري- العديد من المعاهدات التجارية التي أبرمت بين جمهورية بيزا والمغرب الإسلامي على غرار المعاهدات التي أبرمت مع الموحديين في السنوات 555هـ / 1157م، 571هـ / 1173م، 580هـ / 1182م، 587هـ / 1189م والتي كانت تنص في معظمها على

<sup>1</sup> Michel Balard, Génes et la Mer " Genova e il mare", Genova societa liguridi storia patria palazzo ducale, 2017, p239.

<sup>2</sup> De Mas Latrie, trates.op. cit.p116.

<sup>3</sup> مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص72.

<sup>4</sup> برونشفيك، المرجع السابق، ص 275.

<sup>5</sup> علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10هـ / 8-16م)، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2017/1016، ص 444.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

دفع العشر السائد في معظم الأحوال عما تبايعه التجار في مراكبهم مع التجديد على عدم بيع البضائع المسروقة<sup>1</sup>.

كما عقدت معاهدات أخرى من بينها معاهدة عام 607هـ / 1209م والتي تم فيها تغيير بعض البنود الواردة في الاتفاقيات السابقة كما حدث في اتفاقية 631هـ / 1234م، حيث حصلت بيزا على امتيازات جديدة مثل السماح لها بالتجارة حتى خارج الموانئ المعتادة<sup>2</sup>. إضافة إلى معاهدات أخرى نذكر منها: معاهدة 713هـ / 1315م، ومعاهدة 754هـ / 1356م، ومعاهدة 768هـ / 1370م، ومعاهدة 796هـ / 1398م، ومعاهدة أخرى لمدة عشر سنوات في سنة 800هـ / 1402م وهي كلها تخص المغرب الأوسط أن مع المغرب المريني فوقت معاهدة سنة 760هـ / 1362م لمدة عشر سنوات أيضا<sup>3</sup>.

وهناك معاهدات أخرى جمعها - ميشال أماري - من أرشيف بيزا وقام بنشرها بالنص العربي إلى جانب النص اللاتيني وهي رسائل كانت تتصل بالتجارة الخارجية لجمهورية بيزا مع بلاد المغرب منذ عهد الموحيدين، وكشفت تلك المعاهدات عن النظم التجارية المختلفة التي كانت سائدة بين الجمهوريات الإيطالية وبلاد المغرب<sup>4</sup>.

وحرصا على مصالحها التجارية وضمانها عقدت بيزا معاهدات واتفاقيات حتى مع الولاة المتمردين على السلطة مثلما حدث مع حاكم مدينة قسنطينة الأمير الحفصي - أبو العباس أحمد - الذي قام بالاستيلاء على مدينة بجاية واتخذها مقرا له وأعلن نفسه سلطانا على الثغور الغربية في شرق المغرب الأوسط سنة 767هـ / 1369م فسارعت جمهورية بيزا بإرسال سفيرها الذي طالب هذا الحاكم بالمعاملة الطيبة لتجار بيزا فطمئنهم على ذلك<sup>5</sup>. كما أن نشاط بيزا التجاري في المغرب الأوسط لم يكن يخص المنطقة الشرقية منه فقط بل حتى

<sup>1</sup> De Mas Latrie, op,cit, p,31-37.

<sup>2</sup> Michel Amari, Idiplomi Arabie del real archivio fiorention Florence, testo originale con la traduzione letterale e illustrazion, published 1863 by le Monnier in Firenze, written in Multiple, languages, p9.

<sup>3</sup> بعيزيق، المرجع السابق، ص 448.

<sup>4</sup> Michel Amari, Diplomi...,p9.

<sup>5</sup> علي عشي، المرجع السابق، ص 448.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

الغربية، إذا أن الوجود البيزي في ميناء وهران كان منذ سنة 583هـ/ 1186م<sup>1</sup>، كما تواجد في مستغانم، حيث أرسلت بيزا سفن تجارية إلى هذه المدينة لتبيع بعض السلع وتشتري الصوف سنة 762هـ/ 1364م<sup>2</sup>.

بدأت الحركة التجارية تضعف بين بيزا وبلاد المغرب في القرن التاسع الهجري والخامس عشر ميلادي لأن فلورنسا بدأت تسيطر عليها حتى ضمتها إليها نهائياً، وقد استخلفت تجارتها تجارة بيزا منذ سنة 863هـ/ 1465م وأصبحت بواخرها تخرج من ميناء "بورتو بيزانو" أو ميناء "ليفورنو" وتتوجه إلى جنوة ومن هناك إلى موانئ بلاد المغرب، حيث كانت تجارة فلورنسا نشطة ومنتظمة فيها إلى غاية النصف الثاني من القرن التاسع للهجري/ الخامس عشر ميلادي، لكن الهجومات الإسبانية المتكررة على وهران عرقلت تطورها في منطقة المغرب الأوسط لا سيما الجهة الغربية منها<sup>3</sup>.

### المبحث الثاني: ضمان المسالك البحرية ومحاولة احتلال مناطق النفوذ.

في أوائل القرن 16م تمكنت الدولة العثمانية من السيطرة على معظم سواحل البحر المتوسط، وذلك بعد ضمها لبلاد اليونان ثم الشام سنة 1516م، ومصر سنة 1517م، وأخيرا الجزائر في سنة 1519م، وهو أول تواجد رسمي لها في الحوض الغربي للبحر المتوسط في شمال إفريقيا<sup>4</sup>.

فبعد فتح القسطنطينية سنة 1453م، واصل العثمانيون تقدمهم في أوروبا حتى أسوار فيينا سنة 1529م، ونظر الأوروبيون إلى الانتصارات العثمانية على أنها فتوحات إسلامية، ووقر في أذهانهم أن أي نصر عسكري يحققه العثمانيون، إنما هو نصر للإسلام وهزيمة

<sup>1</sup> بشاري، المرجع السابق، ص 163.

<sup>2</sup> نفسه، ص 164

<sup>3</sup> نفسه، ص 164-165.

<sup>4</sup> جلال يحيى، المغرب العربي الحديث والمعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1983م، ص، 97-98.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

للمسيحية، فباسم الإسلام فتح السلطان (محمد الثاني) عاصمة الدولة البيزنطية، واتخذها عاصمة لدولته، واستبدل اسمها بإستانبول ومعناها "دار الإسلام"<sup>1</sup>.

شكل امتداد نفوذ الإمبراطورية العثمانية إلى شمال إفريقيا خطراً محدقاً بمخطط إسبانيا التوسعي فيها، وحدا لمشروعها الصليبي ضد الإسلام والمسلمين، فقد تمكن خير الدين بمساعدة الدولة العثمانية من التصدي للهجمات الإسبانية على بلدان المغرب والحد من نفوذ الأسطول الإسباني والأساطيل الأوروبية في غرب المتوسط، وأيضاً أخذ في توسيع نطاق سيطرته وتخليص الثغور المغربية الوسطى من الاحتلال الإسباني<sup>2</sup>.

كانت إسبانيا هي أكثر الدول الأوروبية تأثراً بانتصارات خير الدين وقد دخلت في ذلك الوقت ضمن الإمبراطورية الرومانية "المقدسة" الكبيرة، والتي شملت ألمانيا وأجزاء من إيطاليا وأوروبا الشرقية، وأصبح شارل الخامس المدافع عن كل أوروبا المسيحية ضد الزحف العثماني<sup>3</sup>.

منذ أن فتح محمد الثاني القسطنطينية عام 1453م، أحرز الانتصارات المبينة في أوروبا وآسيا وبعد تجهيز أسطوله القوي استطاع الهيمنة على البحر المتوسط الشرقي<sup>4</sup>، بحيث أدى سقوط بيزنطة إلى إحداث موجات من الذعر والصدمة واليأس لدى العالم المسيحي بكامله، وأصبح بعدها استمرار الفتوحات العثمانية في أوروبا مضموناً بعد أن قضى على القاعدة الإستراتيجية الوحيدة التي استطاع المسيحيون استخدامها للوقوف في وجه الأتراك<sup>5</sup>.

كان فتح القسطنطينية حدثاً مهماً في تاريخ الإمارة العثمانية التي تحولت حينها إلى دولة عالمية، أصبحت وريثة لكل التوجهات الإسلامية التي استمرت قروناً عديدة أمام أصور هذه المدينة، وامتداداً لها في مواجهة العالم المسيحي وحاملة لواء الهلال في صراعه

<sup>1</sup> عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1986، ص 14-15.

<sup>2</sup> المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص127.

<sup>3</sup> نفسه، ص127.

<sup>4</sup> محمد حسن العيدروس، التاريخ العسكري العثماني الثاني "1512 إلى 1789م"، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2016، ص149.

<sup>5</sup> بول كوليس، الاندفاع العثماني في أوروبا، تر: يوسف جميل نعيصة، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، (د.م)، ص27.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

مع الصليب<sup>1</sup>. وتوالت الحملات الصليبية ضدهم وفي كل مرة تقريبا كانت تمنى بالفشل الذريع ويحتل العثمانيون أراضي جديدة، وبعد وفاة القائد المجري "أكيسور حنا هو نيادي" الذي أوقع بالعثمانيين سلسلة من الهزائم في أوت 1456م، أصبحت وفاته مناسبة لإخضاع ما تبقى من شبه جزيرة البلقان، ولم يعد هناك من يقف أمام الزحف العثماني الهائل في شرق أوروبا ووسطها سوى آل هبسبورغ<sup>2</sup>، أباطرة فيينا<sup>3</sup>.

لقد شاع خبر الأتراك في البحر المتوسط ابتداء من سنة 1503م فكانوا يغيرون على شواطئ جنوة وفرنسا وإسبانيا وسردينيا ومايورقا وسينورقا واليابسة وفي شرق البحر وصقليا وقبرص ورووس ونابل، وكثيرا ما كانوا يتفوقون على أعدائهم وكونوا أسطولا عثمانيا هاما كانوا يغزون بواسطته تلك الأقطاب إلى أن ظهر في عنفوان أمرهم رجالان هما عروج وخير الدين المدعوان بربروس وكانت الأساطيل تلتقي بعنف شديد، وكثيرا ما كان البحارة الأتراك<sup>4</sup> المنتصرون على أعداهم بشجاعتهم فيجلبون الأسرى الذين كان يسلم الكثير منهم ويشاركون هم أيضا في الحروب البحرية ضد النصارى<sup>5</sup>.

كانت المملكة التركية وراثية في آل عثمان الذين انتسبوا للخلافة فكانوا يحمون بإسمها الإسلام ويدافعون عنه كأمرء المؤمنين تقام باسمهم الصلوات كأئمة ويدعى لهم في جل الأقطار الإسلامية سواءً بآسيا أو إفريقيا لا تحاجهم في ذلك دولة إسلامية حتى الفرس الذين دخلوا في طاعتهم في عهد سليمان القانوني<sup>6</sup>.

### الفتوحات العثمانية في أوروبا عهد سليمان القانوني:

<sup>1</sup> أوزوتونا، المرجع السابق، ص 149-166.

<sup>2</sup> آل هبسبورغ: تنتسب هذه الأسرة إلى قلعة النسر الألمانية وأصبح رجالها ملوك ألمانيا عندما حصل ألبرت الثري على عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عام 1273م وبقيت في الحكم حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عندما أنهت معاهدتا سان جرمان في عام 1919 وتريانون 1920 حكمها في النمسا والمجر، أنظر: جاسم محمد شطب، الإستراتيجية العثمانية في شمال إفريقيا في القرن السادس عشر، جامعة كربلاء، كلية التربية، ص 82.

<sup>3</sup> نفسه، ص 52.

<sup>4</sup> عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر، مطبعة الجيش الشعبية، الجزائر، 1972، ص 34.

<sup>5</sup> نفسه، ص 34.

<sup>6</sup> نفسه، ص 35.

❖ فتح بلغراد<sup>1</sup> :

بعد أن قضى العثمانيون على البيزنطيين في آسيا الصغرى والأناضول، ثم انتصاراتهم المتتالية على البلغار والصرب لاسيما في عهد السلطان محمد الفاتح، أصبح المجريون الخصم القوي المتبقي أمامهم في شرق أوروبا، وكانت مدينة بلغراد أقوى الحصون المتبقية في إقليم البلقان، لذا جعلها السلطان سليمان هدفا ضروريا أمامه لاستكمال حملة الفتوحات الإسلامية في أوروبا<sup>2</sup>.

ويعتبر عهد سليم الأول وخليفته السلطان سليمان القانوني الفترة التي بلغت خلالها الدولة العثمانية ذروة قوتها. وكان طبيعيا أن تتطلع الدول الأوروبية إلى مقاومة هذه الدولة أو عقد أواصر الصداقة معها وفقا لظروفها السياسية ومصالحها الحيوية<sup>3</sup>. ويعتبر عصر السلطان سليمان القانوني من أزهى العصور في العهد العثماني، حيث وفق في فتوحاته في الجانب الغربي كما وفق في فتوحاته شرقا. واتبع هذا السلطان في سياسته مع أوروبا سياسة مخالفة لمن سبقوه<sup>4</sup>، والواضح أن أبرز سمة في شخصية هذا السلطان<sup>5</sup> الذي كان بطبعه محبا للسلام هي أنه اشترك شخصيا في ثلاثة عشر حملة عسكرية كبرى: عشرة منها في

<sup>1</sup> بلغراد: Beleghrad: قرية في تركية الأوروبية تقوم في وسط غابة تعطي منحدرات السلسلة الجبلية الصغيرة التي تمتد بها سلسلة البلقان حتى البوسفور. أنظر: سمية بنت محمد حمودة، حركة الفتح العثماني في القرن (11هـ/17م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى 2006، ص 27.

<sup>2</sup> أنس يوسف الزبيد، قادة الفتح الإسلامي في العصر العثماني، دار الأسرة للنشر والتوزيع، عمان، 2019، ص 113.

<sup>3</sup> محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 110.

<sup>4</sup> فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى - مكة المكرمة-، 1989، ص 36.

<sup>5</sup> وقد أطلق عليه العثمانيون اسم سليمان القانوني لكثرة القوانين والنظم التي صدرت في عهد كما أطلق عليه الأوروبيون لقب العظيم، ويرجع السبب في ذلك أنه بالإضافة إلى شجاعته، فقد استطاع أن يحتفظ بهيبته في عصر كان يعيش فيه الكثير من المشاهير، أمثال فرنسوا الأول ملك فرنسا، وهنري الثامن ملك إنجلترا، والإمبراطور شارل الخامس ملك إسبانيا وألمانيا، وأمانويل ملك البرتغال، وإيوان الثالث ملك روسيا. أنظر: نفسه، ص 36.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

أوروبا وثلاث في آسيا. وكانت هذه الحروب عبر مراحل متعددة من أجل توسع الدولة العثمانية في رقعتها ونفوذها وسلطانها<sup>1</sup>.

وفي هذه المرحلة اتجهت الدولة العثمانية في عملياتها الحربية نحو أوروبا وآسيا وإفريقيا. وبرز في هذه العمليات النشاط الحربي البحري، فكان للدولة نشاط واضح سواء في البحر المتوسط حيث استولت على عدة جزر منها قبرص ورودس وكريت أو على امتداد الشاطئ الشمالي لإفريقيا، وفي المحيط الهندي في محاولة لضرب البرتغاليين بعد أن استفحل خطرهم في المياه الشرقية، وبعد أن شنوا حربا عنيفة على التجارة الغربية وعملوا على خنق العرب في مياههم الداخلية<sup>2</sup>.

وبدأ السلطان سليمان القانوني في التخطيط لسياسة الجهاد في أوروبا. وأما بالنسبة لفتوحاته فلم تكن بأقل من فتوحات والده فقام بحصار بلغراد سنة 1521، وقامت المدافع العثمانية بقصفها من جزيرة مجاورة على نهر الدانوب، حتى اضطرت للاستسلام تحت وقع القصف وشدة الحصار<sup>3</sup>، وتمكن من فتحها في 26 رمضان 926هـ/1521م<sup>4</sup>.

ويعد فتح مدينة بلغراد حدثا مهما وفارقا في التاريخ العثماني لشرق أوروبا، إذ شكل بداية لهزائم متكررة منيت بها مملكة المجر من قبل العثمانيين، حتى زالت مملكتهم، فحدث بعدئذ الصدام مع مملكة النمسا<sup>5</sup>.

وبسقوط بلغراد أزيل ذلك الحاجز الذي حال دون تقدم العثمانيين إلى الأقاليم الواقعة فيما وراء نهر الدانوب، وأضحى الطريق من بلغراد إلى بودا في الدانوب الأوسط مفتوحا أمامهم<sup>6</sup>، بحيث كان فتح مدينة بلغراد البوابة المؤدية إلى ما وراء نهر الدانوب ومفتاح أوروبا أوروبا الوسطى وتعتبر أقوى قلعة للمجر على الحدود العثمانية، وإذ كتب لهذه المدينة أن تسقط فتصبح الطريق إلى بودابست وفيينا مفتوحة أمام العثمانيين<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> العيدروس، المرجع السابق، ص110.

<sup>2</sup> نفسه، ص105.

<sup>3</sup> الزيود، المرجع السابق، ص113.

<sup>4</sup> فائقة بحري، المرجع السابق، ص37.

<sup>5</sup> الزيود، المرجع السابق ص114.

<sup>6</sup> العيدروس، المرجع السابق، ص156.

<sup>7</sup> نفسه، ص155.

فتح جزيرة رودس<sup>1</sup> 1523:

لقد شكلت رودس منذ بداية التاريخ الإسلامي عائقا كبيرا أمام البحرية الإسلامية في شرق المتوسط، و كانت تابعة للدولة البيزنطية حين قرر معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه- فتحها عام 52هـ، فأصبحت تابعة للدولة الأموية حتى انسحب يزيد بن معاوية منها في ظروف غير معروفة فرجعت للنفوذ البيزنطي، ومنذ ذلك الوقت أصبحت جزيرة رودس مأوى لقطاع الطرق، ومرتكزا للحملات الصليبية على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط<sup>2</sup>. حتى أصبحت مركزا لفرسان القديس يوحنا<sup>3</sup> الأرشليمي<sup>4</sup> الذين أسسوا مملكة مسيحية تحت رعاية البابا فتولت بذلك طائفة الفرسان إلى عصابة من القراصنة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط تعمل لحساب البابا والدول الأوروبية الصليبية لعرقلة البحرية الإسلامية في المتوسط، كما أصبحت مصدر تهديد للطريق البحري الذي يربط عاصمة الدولة العثمانية بموانئها في البحر المتوسط والأحمر، وأصبحت بالتالي خطرا على قوافل الحجاج<sup>5</sup>. ونتيجة لتلك الأعمال القرصنية التي اقترفها هؤلاء الفرسان تضررت الدولة العثمانية في تجارتها كثيرا من الناحية الاقتصادية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> رودس: هي جزيرة صغيرة (من الجزر اليونانية حاليا) تقع على بعد 18 كم جنوب سواحل آسيا الصغرى، وهي تعد أبعد الجزر اليونانية عن اليونان، تتميز بموقع استراتيجي هام حيث تتشرف على مدخل بحر إيجه، يبلغ طول الجزيرة حوالي 77 كم ومساحتها حوالي 1412 كم<sup>2</sup>. أنظر: سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص، 274-275.

<sup>2</sup> سالم، إستراتيجية الفتح...، ص 196.

<sup>3</sup> فرسان القديس يوحنا: Hospitales of Saint John: كان هؤلاء الفرسان خليطا من الأوروبيين وأكثرهم من الفرنسيين والطلليان والألمان الذين دفعهم حماسهم الديني الصليبي إلى الانخراط في صفوف حملة صليبية لقتال العثمانيين المسلمين، وأصبحوا قوة مستقلة لا يستهان بها. أنظر: خلف بن دبلان بن خضر الودينياني، الفتح العثماني لجزيرة رودس 929هـ/1523م، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، جامعة أم القرى، 1997، ص 23.

<sup>4</sup> فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1983، ص 176.

<sup>5</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 196.

<sup>6</sup> الودينياني، المرجع السابق، ص 23.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

لذلك قرر السلطان محمد الفاتح فتح هذه الجزيرة، وضرب عليها الحصار ثلاثة أشهر لكنه لم يتمكن من فتحها<sup>1</sup>. وكانت هذه الجزيرة محصنة قويا منيعا بحيث حصونها من أكثر المواقع قوة في العالم، لكن هذا لم يمنع الدولة العثمانية من فرض الحصار عليها وضربها بالمدافع ظلت تطلق عليها القذائف الحجرية بقوة لهدم أسوارها غير أن سكانها كانوا يصلحون في الليل كل ما أسقطته المدافع بالنهار<sup>2</sup>. واستعصت عليهم فتحها.

وعقب وفاة السلطان محمد الفاتح عانت الدولة العثمانية من شرور بعض الأجانب الأهلية<sup>3</sup> التي كانت تعمل من خلالها على إرسال حملات تهدف إلى تخريب السواحل العثمانية واستمرت الأعمال العدوانية والقرصنة البحرية من جزيرة رودس على السفن الإسلامية وأحيانا تنطلق منها الغارات على المناطق الإسلامية الساحلية<sup>4</sup>.

وبعد وفاة السلطان محمد الفاتح وتولى الحكم بايزيد توقف الفتح العثماني مدة طويلة لسبب الخلافات التي وقعت بينه وبين أخيه جم، مما أثر على نشاط بايزيد في استكمال فتوحات والده. والحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن فرسان القديس يوحنا عاشوا بعد صدهم هجوم السلطان محمد الثاني (الفاتح) على رودس وهم في خوف دائم من هجوم عثماني آخر حتى تنازل السلطان بايزيد الثاني على العرش لابنه سليم الأول سنة 918هـ/25 أبريل 1512م<sup>5</sup> ولهذا قرر السلطان سليم الأول منذ اعتلائه عرش السلطنة قاعدة تقديم الأهم على المهم من وجهة نظره، ولهذا عزم بعد أن أكمل فتوحاته في المشرق وصد غارات البرتغاليين على إعادة حركة الفتوحات الإسلامية العثمانية في شرق أوروبا وكانت جزيرة رودس أولى عمليات الفتح التي عزم عليها<sup>6</sup>.

والواقع أن السنوات التي أعقبت سنة 913هـ/1512م قد شهدت من فرسان القديس يوحنا أعمال القرصنة مكثفة في البحر المتوسط من النهب والسلب الذي لم يسبق لهما مثيل ضد السفن الإسلامية العثمانية، وأصبح الحجاج الوافدون إلى مكة المكرمة لأداء فريضة

<sup>1</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر.....، ص131.

<sup>2</sup> الوديناني، المرجع السابق، ص25.

<sup>3</sup> كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار الملايين للنشر والتوزيع، بيروت، ط6، 1974، ص442.

<sup>4</sup> سالم، إستراتيجية الفتح.....، ص197.

<sup>5</sup> الوديناني، المرجع السابق، ص33.

<sup>6</sup> أنس يوسف الزيود، المرجع السابق، ص116.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

الحج أو العمرة وكذلك التجار مهديين في كل لحظة عبر هذا الطريق يتوقعون هجوما مباغثا من الفرسان ينتهي بهم إلى القتل أو الأسر الذي يقودهم إلى سجن القلعة المؤبد<sup>1</sup>. وهكذا أصبح القضاء على فرسان القديس يوحنا في رودس أمر لا يقبل التأجيل أو التهاون، فبدأ سليم الأول في التفكير في غزو جزيرة رودس فأمر بتجهيز عمارة بحرية لفتحها مهما كلفه الأمر وذلك للتخلص من هذه العقبة<sup>2</sup> التي أصبحت تمثل نقطة ارتكاز شديدة الخطورة للصليبيين والقراصنة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط<sup>3</sup>، ولكن الأجل المحتوم لم يمهل ريثما يتم مشروعه وهو فتح جزيرة رودس كما أراد، فتوفى في مدينة أدرنة 9 شوال 926هـ/22 سبتمبر 1520م<sup>4</sup>.

وبعد وفاته تولى السلطان سليمان القانوني العرش دون معارضة في 16 من شوال 926هـ/29 سبتمبر 1520م بعد وصوله من ساروخان وكان محبا للنظام وبعد أن تولى الحكم انصرف إلى تحقيق أخطر ما تركه له أسلافه من مهام جسام<sup>5</sup>، لذا كانت جزيرة رودس أهم الأهداف التي وضعها السلطان سليمان نصب عينه<sup>6</sup>.

ومن هنا طلب السلطان سليمان القانوني من قاداته متابعة أحوال هذه الجزيرة وإعطاء معلومات وافية عنها، فوجد أن التعاون قائم بين رودس وجزيرة البندقية لمحاربة المسلمين وإيقاع الضرر بهم في كل وقت، وأن أعمال السلب القرصنة تنطلق في معظمها من جزيرة رودس، وما يتبعها من جزر، هكذا وجد أن هذه الجزيرة هي مصدر الخطر الأساسي الذي يهدد الطريق البحري الذي يربط عاصمة الدولة وموانئها في البحر المتوسط والبحر الأحمر<sup>7</sup>.

وهكذا قرر السلطان سليمان وضع حد لوجود هذه القوة المتمركزة على بعد أميال من آسيا الصغرى، على أن تكون الجزيرة حلقة اتصال بين استانبول ومصر من جهة ولكي لا

<sup>1</sup> الوديناني، المرجع السابق، ص35.

<sup>2</sup> إبراهيم بك حلیم، التحفة الحليمية "تاريخ الدولة العثمانية العلية"، مؤسسة الكتب الثقافية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1988، ص67، وأيضا فريد بيك، المرجع السابق، ص 197 198.

<sup>3</sup> سالم، استراتيجية الفتح العثماني....، ص197.

<sup>4</sup> إبراهيم بك حلیم، المصدر السابق، ص67.

<sup>5</sup> الوديناني، المرجع السابق، ص42.

<sup>6</sup> الزیود، المرجع السابق، ص116.

<sup>7</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي....، ص131.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

يكون للمسيحيين مركز حصين في وسط بلاده تلجأ إليه أساطيل الدول المعادية وقت الحرب<sup>1</sup>.

لهذا السبب خرج السلطان سليمان بنفسه على رأس الحملة المتوجهة لفتح الجزيرة، هذا فضلا عن خسارة الدول الأوروبية لمركز متقدم قرب الحدود العثمانية وداخل مياها الإقليمية<sup>2</sup>. وقد ساعدته الظروف السياسية التي كانت سائدة آنذاك في أوروبا وأهمها:

- انهماك أوروبا بالحرب التي نشبت بين شارل الخامس وفرنسوا الأول في صيف عام 1522م.

- انهماك البابا ليو العاشر بمقامة الراهب الألماني لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي المعادي للكاثوليكية وانقسام ألمانيا في حروب دينية<sup>3</sup>.

- عقد الصلح بين الدولة العثمانية والبنديقية، بحيث لم تستطع البنديقية القيام بأي عمل معادي للدولة العثمانية، بعد أن وقعت اتفاقية تجارية مع السلطان سليم الأول عام 1517م تمنح البنادقة العديد من الامتيازات للاتجار في الأراضي العثمانية<sup>4</sup>.

- نمو البحرية العثمانية<sup>5</sup> منذ عهد السلطان سليم الأول.

كما كانت المجر في اضطراب داخلي بسبب صغر سن ملكها الجديد، بحيث كان لويس الثاني ملك المجر قاصرا لم يبلغ سن الرشد، ويحكم بلاد المجر منذ سنة 922هـ/1516م، وكان زعماء هذه البلاد غارقين في الخلافات الداخلية فيما بينهم فلم يحسنوا الدفاع عن حدودهم، لذلك استغل العثمانيون بقيادة السلطان سليمان الفرصة لتحقيق مآربهم في التوسع<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> العيدروس، المرجع السابق، ص164.

<sup>2</sup> سالم، استراتيجية الفتح العثماني....، ص197.

<sup>3</sup> العيدروس، المرجع السابق، ص 164، 165.

<sup>4</sup> فارق عثمان أباطة، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعلى البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر، دار المعارف، جامعة الإسكندرية، ط2، (د.ت) ص72، 73.

<sup>5</sup> لئن كان السلطان سليم لم يتمكن في آخر حياته من فتح رودس إلى أنه ترك للعثمانيين أسطولا كبيرا كان ينوي فتح جزيرة رودس به لولا وفاته، وهذا الأسطول العثماني القوي استطاع به السلطان سليمان الأول أن يحقق فتوحاته العظيمة ومنها فتح جزيرة رودس، أنظر: الوديناني، المرجع السابق، ص40.

<sup>6</sup> بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية...، ص 450 451.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

انتهاز السلطان سليمان الظروف السياسية المواتية هذه وشن هجوماً على جزيرة رودس التي تعتبر أكثر تحصينا من أي قلعة أخرى في البحر المتوسط<sup>1</sup>، وقبل أن يشرع السلطان بالقيام بالحملة اتخذ إجراء هاماً، وهو إرسال رسالة إلى قائد الجزيرة يعرض عليه فيها الانسحاب من الجزيرة وتسليمها في مقابل منحه هو ومن بالجزيرة الأمان<sup>2</sup>. فرفض قائد الجزيرة هذا الطلب وأبدى استعداده للمقاومة في الجزيرة ضد أي هجوم، فما كان على السلطان سليمان إلا أن أمر بتجهيز جيش قوي لاقتحام هذه الجزيرة<sup>3</sup>، ومع هذا استبسل أهلها في الدفاع عنها، محاولين بكل الوسائل صد الهجوم العثماني عنها، لكن مع توالي الضربات العثمانية تمكنت القوات البرية العثمانية من حصر عشرات السراييب في أسوار الحصن<sup>4</sup>. وهكذا تركت أوروبا النصرانية فرسان رودس يواجهون مصيرهم في الحرب وحدهم مع السلطان سليمان القانوني<sup>5</sup>، فرسان القديس يوحنا في رودس كانت بمثابة الشوكة في حلق السلطنة العثمانية، فأصبح الاستيلاء على هذه الجزيرة حتماً تملية الضرورة التي تملئها الحاجة الملحة إلى حسن سير المواصلات بين إسطنبول وولايات الدولة العثمانية، وهذا لا يتحقق إلا بهيمنة الأسطول العثماني على البحر المتوسط وهو ما كان يريد السلطان سليمان القانوني ويسعى إليه<sup>6</sup>.

واستمر الحصار العثماني للجزيرة حتى نفذت المؤونة والذخيرة عند جنودها، فاضطر رئيس الرهبان إلى تسليمها للعثمانيين سنة 05 صفر 929هـ/1522م، وبهذا أصبحت جزءاً من أراضي الدولة العثمانية أما القساوسة والفرسان الذين كانوا فيها، فانتقلوا بعد خروجهم

<sup>1</sup> العيدروس، المرجع السابق، ص 166.

<sup>2</sup> سالم، السيطرة العثمانية في الحوض....، ص 131، 132.

<sup>3</sup> العيدروس، المرجع السابق، ص 166.

<sup>4</sup> الزيود، المرجع السابق، ص 117.

<sup>5</sup> الوديناني، المرجع السابق، ص 49.

<sup>6</sup> نفسه، ص 50.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

منها إلى جزيرة مالطا<sup>1</sup>، وهناك تابع عملهم السابق في الهجوم على السفن الإسلامية فعرفوا بفرسان مالطا<sup>2</sup>.

### فتح بلاد المجر 1526م:

بعد فتح بلغراد، توجهت طموحات السلطان سليمان نحو بلاد المجر، لاسيما أن ملك فرنسا طلب منه مهاجمتها، لإضعاف الملك شارل الخامس إمبراطور الإمبراطورية الرومانية، التي كانت على عدااء مع فرنسا، وقد وظف السلطان سليمان هذا العدااء لخدمة طموحاته في توسيع مساحة الدولة العثمانية شرق أوروبا<sup>3</sup>.

وكانت بلاد المجر تشمل في هذا العصر: ترانسلفانيا - سلوفينيا، سلوفاكيا، مورافيا، بولونيا، روتينيا وجميع المناطق الواقعة شمال يوغسلافيا، وعلى هذا فقد كانت تعتبر أقوى دولة مسيحية بعد الإمبراطورية الإسبانية - الألمانية. وبالرغم من قوتها فقد شهدت سنة 1521م سقوط قلعة بلغراد على يد السلطان سليمان القانوني، والتي كانت تمثل البوابة الرئيسية لأوروبا الوسطى<sup>4</sup>.

وكانت الحروب الأوروبية قائمة على قدم وساق في الناحية الغربية بين فرنسا بقيادة فرونسوا الأول (1515-1547م) وإسبانيا بقيادة شارلكان الذي استطاع مد نفوذه إلى معظم أوروبا الغربية والوسطى، وهكذا انقلب ميزان القوى في الغرب الأوروبي، فأصبحت الإمبراطورية الإسبانية ذات سيطرة ونفوذ في البر والبحر<sup>5</sup>.

وكانت أوروبا بسكانها وملوكها وأمرائها تنتظر بعين الجزع إلى معسكرات العثمانيين في البلقان وأساطيل المسلمين التي تجوب مياه غربي المتوسط<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> مالطا: Malta: هي جزيرة أرخبيلية ذات موقع إستراتيجي في البحر المتوسط، حيث تقع في منتصفه شمال ليبيا وجنوب إيطاليا، مساحتها حوالي 264كلم<sup>2</sup>، وهي الآن جمهورية مالطا وعاصمتها فليتا Valletta. أنظر: سالم، استراتيجية الفتح العثماني...، ص284.

<sup>2</sup> الزيود، المرجع السابق، ص117.

<sup>3</sup> نفسه، ص120.

<sup>4</sup> دراج، المرجع السابق، ص 30-31.

<sup>5</sup> سالم، استراتيجية الفتح العثماني...، ص 200-201.

<sup>6</sup> العيدروس، المرجع السابق، ص170.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

وبعد فتح سليمان القانوني لقلعة بلغراد عام 1521م الحصينة، أصبح الطريق إلى قلب أوروبا مفتوحا، وكذلك تحقق فتح جزيرة رودس 1523م الحصن المنيع لفرسان القديس يوحنا، وبسقوط هذين الحصنين تأكد الغرب أنه لا يمكن قهر القوة العثمانية<sup>1</sup>.

وهكذا تحولت المجر إلى دولة معزولة على العالم الخارجي تنتظر سقوطها في أيدي العثمانيين بين آونة وأخرى، وتحت الضغط الخارجي وجدت نفسها مضطرة إلى عقد تحالف مع الإمبراطورية الإسبانية - الألمانية الموحدة، خصوصا وأن ملك المجر لويس الثاني كان صهر الإمبراطور شارلكان<sup>2</sup>، وذلك أن شارل الخامس أصبح بحكم سلطته الجديدة ملكا على النمسا بالإضافة إلى إسبانيا وإمبراطورا لألمانيا وحاكما لقسم واسع من إيطاليا الجنوبية وانضوت تحت لوائه جمهوريات جنوة وفلورنسا وإقليم وهران في الجزائر وجزيرتي مينورقة وصقلية<sup>3</sup>.

لم يجد فرونسوا الأول سبيلا إلى إعادة توازن القوى غربي أوروبا، فضلا عن الحد من النفوذ الإسباني إلى التحالف مع الدولة العثمانية العدو اللدود لإسبانيا، والتي تتضارب كل مصالحها مع المصالح الإسبانية، خاصة بعد وصول النفوذ الهابسبورغي الموالي لإسبانيا إلى قرب الحدود العثمانية شمالي نهر الدانوب، حيث المجر وبوهيميا<sup>4</sup>. وحشد السلطان سليمان جيوشه وسار بها إلى بلاد المجر عبر بلغراد، وفي طريقه فتح عددا من القلاع، وما أن علمت أوروبا بالمسيرة، حتى أعلن بابا الفاتيكان النفير في أنحاء القارة كلها، وقد إستجابت معظم الممالك الأوروبية لندائه، ودعموا الجيش المجري في معركته المصيرية ضد العثمانيين<sup>5</sup>.

وجد هذا التقارب الفرنسي صدى كبيرا من الناحية العثمانية، لقد أدرك السلطان سليمان بذكائه السياسي ضرورة إقامة هذا التحالف، الذي من شأنه مد النفوذ العثماني إلى الغرب الأوروبي، وسهولة ضرب المصالح الإسبانية غربي المتوسط<sup>6</sup>، والتقى الجيشان

<sup>1</sup> بنت حمودة، المرجع السابق، ص30.

<sup>2</sup> دراج، المرجع السابق، ص31.

<sup>3</sup> العيدروس، المرجع السابق، ص170.

<sup>4</sup> سالم، استراتيجية الفتح العثماني....، ص201.

<sup>5</sup> الزيود، المرجع السابق، ص120.

<sup>6</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص201.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

العثماني والمجري في منطقة "موهاكس" سنة 932هـ/1526م في معركة فاصلة انتهت بانتصار العثمانيين وإبادة الجيش المجري والأوروبي المساند له، فدخل السلطان عاصمة المجر آنذاك "بودا"<sup>1</sup> وتسلم مفاتيحها. وشكل احتلال العثمانيين لمملكة المجر بداية لصراع شديد وطويل مع النمسا المدعومة من الملك شارل الخامس وأخيه فردناند، وكانت الأراضي المجرية مسرحاً لهذا الصراع<sup>2</sup>.

لقد أدى احتلال بودا وانتقال الصراع إلى وسط أوروبا، إلى الصدام المباشر بين هابسبورغ في النمسا وألمانيا بالإمبراطورية العثمانية، هكذا دخلت الدولة العثمانية إلى حلقة أخرى من حلقات الصراع في القارة الأوروبية بزعامة السلطان سليمان القانوني<sup>3</sup>، وهنا بدأ السلطان العثماني منذ بداية تقاربه مع الفرنسيين على ترك المواجهات الغرب متوسطة مع إسبانيا للقائد البحري خير الدين بربروس، الذي أصبح نائباً عن السلطان في غرب المتوسط، على أن يتولى السلطان سليمان المواجهات البرية في وسط القارة الأوروبية، والتي تهدف إلى حماية النفوذ العثماني وتوسيع الممتلكات على حساب هابسبورغ ونفوذه في وسط القارة الأوروبية<sup>4</sup>.

### حصار فيينا 1529م:

حاصر العثمانيون مدينة فيينا قلب مملكة الهابسبورغ الأوروبية مرتان: عام 1529م وعام 1683م، وقام السلطان سليمان بالحصار الأول لكنه لم يكن حصاراً بالمعنى الدقيق للكلمة، فعندما استولى السلطان على مدينة بودا عاصمة المجر، لم يكن من ذلك الاحتفاظ بالمجر كإقليم يخضع للحكم العثماني المباشر، فمع تولي دخول الأقاليم الأوروبية تحت السيطرة العثمانية، لم يكن من السهل إخضاع كل تلك الأقاليم دفعة واحدة للإدارة المركزية في إستانبول، إذ كان يلزم ذلك استقرار في هذه المناطق بشكل كامل، لكي يتم إخضاعها وعضمتها كما حدث في البلقان، لكن الأمر هنا يختلف. إن البلقان تمثل امتداداً طبيعياً

<sup>1</sup> عاصمة المجر الحالية بودا باست كانت آنذاك مدينتين منفصلتين: "بودوبست" أنظر: الزبيد، المرجع السابق، ص 120.

<sup>2</sup> نفسه، ص 120-121.

<sup>3</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني....، ص 203.

<sup>4</sup> نفسه، ص 202.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

للأراضي العثمانية الأوروبية وعمقا إستراتيجيا في إطار التواجد العثماني في أوروبا<sup>1</sup>، أما الأراضي الواقعة شمال نهر الدانوب من المجر وبوهيميا ثم النمسا وألمانيا، فلم يكن من السهل إخضاعها مباشرة للإدارة العثمانية، نظرا لاختلاف طبيعة تلك البلاد وسكانها تماما عن الطبيعة والثقافة العثمانية الإسلامية، فضلا عن بعد هذه البلاد من مركز الإمبراطورية والسيطرة في إستانبول إلى جانب عدم امتلاك القدرة البشرية اللازمة لاستيطان تلك الأراضي الشاسعة البعيدة دفعة واحدة<sup>2</sup>.

وهكذا عمل السلطان سليمان على إخضاع أقاليم ما وراء الدانوب للحكم العثماني غير المباشر<sup>3</sup>. وبعد إخضاع المجر واحتلال عاصمتها "بودا" وضع السلطان سليمان على عرشها حاكما يدعى جون زابوليا Zapolya أمير ترنسلفانيا ملكا على المجر وكان أغنى شخص في بلاد المجر ويرتبط بصلة المصاهرة بآخر ملوك المجر (لويس الثاني)<sup>4</sup>. بدأت محاولات فرديناند شقيق الإمبراطور شارل الخامس، لاستعادة المجر وإزاحة زابوليا الذي عينه ملكا عليها، لأنه كان يعد نفسه الوريث الشرعي للملك لويس الثاني، كونه متزوجا من أخت الملك المتوفي، فجهز جيشا وزحف به إلى بودا، ونجح في احتلالها بمساعدة الأمراء الألمان، هرب زابوليا بعد خسارته وقرر الاستجداد بالسلطان العثماني<sup>5</sup>. جهز السلطان سليمان القانوني جيشا جرارا قاده بنفسه للزحف إلى المجر وإعادة تنصيب زابوليا ملكا عليها، وأثارت تلك الانتصارات رغبة السلطان في أن يكمل مسار

<sup>1</sup> نفسه، ص 204.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> بحيث كان السلطان سليمان يقوم بتعيين أمراء أو ملوك موالين للسيادة العثمانية، فيضمن بذلك تأمين حدوده الأوروبية وتحصيل الجزية من تلك البلاد، حيث يتسنى للدولة بسط هيمنتها شيئا فشيئا عن طريق دخول المسلمين إلى تلك الأراضي ونشر الثقافة الإسلامية، كما حدث في كثير من بلدان شرق أوروبا. أنظر: سالم، استراتيجية الفتح....، ص 205.

<sup>4</sup> بيتر شوجر، أوروبا العثمانية "1354-1804"، تر: عاصم الدسوقي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط1، 1998، ص 88-89.

<sup>5</sup> سيد محمد سيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية "النشأة -الازدهار"، مكتبة الآداب، ط1، 2007، ص 259.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

الحملة، لوضع حد للتهديد النمساوي المستمر للمجر، فقرر ملاحقة فرديناند ومحاصرة فيينا عاصمة الإمبراطورية المقدسة<sup>1</sup>.

ولم يكن مقصد الحملة هو فتح فيينا وإخضاعها، لذلك لم يكن الجيش مجهزا بآلات الحصار الثقيلة والمدافع الضخمة التي يمكن لها أن تفتح مدينة كبرى كفيينا، فضلا عن أن مدة الحصار وهي ثلاثة أسابيع، لم تكن كافية لإسقاط مدينة هي مفتاح قلب أوروبا<sup>2</sup>. لذا كان على السلطان القيام بحملة واسعة النطاق خلف المجر وداخل إمبراطورية هابسبورغ، وهي على الأرجح حملة تأديبية، وفي نفس الوقت تهدف إلى إجثاث النفوذ الألماني تماما من المنطقة التابعة للعثمانيين<sup>3</sup>.

لكن على ما يبدو أن جيوش الهابسبورغ كانت تتجنب لقاء الجيش العثماني في حرب ميدانية مفتوحة وهذا يعود إلى ما وقع في معركة موهاج "1526م" التي بقيت ماثلة أمام أعينهم، لذلك إستطاع الملك سليمان التوغل في القارة الأوروبية إلى أبعد مدى، حتى أن فرديناند قد ترك عاصمة ملكه فيينا وانسحب إلى مدينة لينز Linz، حتى يتجنب العثمانيين وبعث شارلكان يبلغه بوصول جيوش السلطان سليمان القانوني إلى نهر الراين وطلب منه المساعدة، إلا أن شارلكان كان مشغولا بصراعه وحربه مع فرنسا في هذه الفترة، فأرسل له وحدات صغيرة من المرتزقة للدفاع عن فيينا<sup>4</sup>.

وتمكن الجيش العثماني من إجتياح الأراضي الأوروبية حتى الحدود السويسرية، والوصول بالفعل إلى نهر الراين، كما إحتل جراز Graz المدينة الثانية في النمسا ومدينة ماريبور Maribor في سلوفينيا، ثم إجتياح الأقاليم النمساوية "بافيرا، مورافيا، بوهيميا، سلوفيكيا، سيليزيا، سلوفينيا" وكان الهدف من هذا تأمين وعدم التدخل الألماني مرة أخرى في أمور المجر<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> نغم طالب عبد الله، السياسة العثمانية تجاه النمسا من فتح بلغراد حتى معاهدة كارلوفيتس "المعطيات التاريخية وتحليل النتائج"، كلية التربية ابن رشد، جامعة بلغراد، 2018/07/01، ص 949-950.

<sup>2</sup> سالم، استراتيجية الفتح، ص 205.

<sup>3</sup> نفسه، ص 206.

<sup>4</sup> يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، المجلد الأول، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988، ص، 272-274.

<sup>5</sup> نفسه، ص 247.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

لقد استطاع الجيش العثماني البالغ تعداده حوالي مائة ألف جندي محاصرة مدينة في قلب أوروبا تبعد حوالي ألفي كيلومتر عن المركز في إستانبول<sup>1</sup> وهي أقصى مكان وصل إليه طموح العثمانيين في أوروبا، وعلى الرغم من تفوقهم في المعارك مع النمساويين، إلا أنهم فشلوا في فتح المدينة نظرا لسوء الأحوال الجوية التي منعتهم من نقل معداتهم، وأدت إلى نقص الإمدادات والذخيرة لهم، فاضطروا للانسحاب سنة 1532<sup>2</sup>.

وفي نفس الوقت ظهرت تهديدات الصفوي من الناحية الشرقية، والذي استغل تواجد سليمان على الجهة الأوروبية وتقدم واستولى على بغداد، حينئذ اضطر سليمان القانوني إلى عقد الصلح مع فرديناند والرجوع سريعا إلى الجهة الشرقية، فأبرمت معاهدة إستانبول في 1533/06/28م، حيث تم بموجبها استعداد السلطان للحملة على إيران في الناحية الشرقية، مع إبرام الصلح مع ألمانيا وتم تثبيت الحدود التركية -الألمانية على أساس الحدود النمساوية- المجرية الخالية تقريبا<sup>3</sup>.

لقد أدرك السلطان سليمان قبل توجهه لقتال الدولة الصفوية أن شارلكان قد فتح الجبهة لمواجهة العثمانيين في المتوسط، وهذا لتخفيف الضغط عن جبهة أوروبا الوسطى، فضلا على إقامته لحلف مشترك بينه وبين الدولة الصفوية، ليقوم الصفويون بضرب العثمانيين من الشرق. وهكذا بدأ شارلكان يعمل على ضرب العثمانيين في مكان آخر لا يتقابل فيه مع جيوش سليمان، فأمر أندري دوريا قائد الأسطول الإسباني بضرب المدن العثمانية في المورة، فاستطاع بالفعل إنتزاع كورون Coron من العثمانيين<sup>4</sup>.

لذا ألقى السلطان عبء الجبهة الغربية على خير الدين بربروس الذي استدعاه إلى إستانبول قبل توجهه لحرب الصفويين، حتى يسند له قيادة الأساطيل العثمانية رسميا، بالإضافة إلى كونه بايلرباي الجزائر، وبذلك يكون قد أصبح نائبا على السلطان في حروب الدولة العثمانية في البحر المتوسط وخاصة في الحوض الغربي المتوسط<sup>5</sup>.

### فتح جزيرة كورفو 1537م:

<sup>1</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 207.

<sup>2</sup> الزيود، المرجع السابق، ص 121.

<sup>3</sup> أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول...، ص 275.

<sup>4</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 208.

<sup>5</sup> نفسه، 208.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

في سنة 1537 خرج خير الدين بربروس بأمر من السلطان سليمان القانوني على رأس أسطول عثماني مكون من 280 قطعة بحرية من مختلف الأحجام ولقد كان القانوني يهدف من وراء هذه الحملة إلى فتح روما بعد أن استولى على مملكة نابولي، فيحقق بذلك الحلم الذي طالما راود خيال أجداده السلاطين العثمانيين منذ عصر محمد الفاتح<sup>1</sup>. ولتعود إلى ذكرى تحالف فرنسا مع الدولة العلية ونتائجها، فتقول أن إتفاقهما كان قاضيا بأن الدولة العلية تجعل وجهة حروبها بلاد نابولي وجزيرة صقلية وإسبانيا عوضا من مهاجمة النمسا التي تتحد جميع إمارات وممالك ألمانيا للمدافعة عنها، إذ هي مع إستقلالها جزء من التحالف الألماني، وأن جيوش فرنسا تدخل بلاد إيطاليا من جهة شمال غرب إيطاليا حينما تدخلها الجيوش العثمانية من جهة مملكة نابولي<sup>2</sup>.

لكن عدم دخول جمهورية البندقية في هذا التحالف وإظهارها العدوان لهم كان سببا في عدم نجاح كل هذه التدابير، وساعد على ذلك هياج الرأي العام المسيحي ضد التحالف الفرنسي العثماني وإحجام فرونسوا الأول أمام النفوذ العام خشية أن يرمي بالمروق عن دينه المسيحي باتحاده مع دولة إسلامية لمحاربة دولة تدين بدينه. فأراد السلطان سليمان الانتقام من جمهورية البنادقة على عدم انحيازها، مع أنه راعى جوارها ولم يغزوا بلادها<sup>3</sup>.

وبالنظر إلى أهمية هذه الجزيرة الإستراتيجية في البحر المتوسط، قرر خير الدين مهاجمتها<sup>4</sup>، وفي نفس الوقت غادر فيه خير الدين إستانبول. كان القانوني قد خرج على رأس الحملة الهمايونية متوجها إلى أولونيا عن طريق البر<sup>5</sup>، إلا أن خروج خير الدين باشا بالأسطول من إستانبول عام 1537م واشتراك الجيش العثماني والأسطول في حصار جزيرة كورفو Corfu التابعة للبندقية، ومع أن فرنسا قد عدلت عن مهاجمتها لشمال إيطاليا لعقدها هدنة نيس Nice مع إسبانيا في 1538م، إلا أن خير الدين ما لبث أن توجه للاستيلاء على جزر الأرخبيل، ثم هاجم السواحل الجنوبية لإيطاليا، وأنزل قوات عثمانية على مقربة

<sup>1</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر....، ص 265-266.

<sup>2</sup> العيدروس، التاريخ العسكري العثماني....، ص 186.

<sup>3</sup> نفسه، ص 286.

<sup>4</sup> الغاشي، البحر الأبيض المتوسط في الاستراتيجية العثمانية...، ص 44.

<sup>5</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر....، ص 266.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

من مدينة أوترانتو<sup>1</sup> Otrante نفس المدينة التي استولى عليها محمد الفاتح قبل وفاته في حملته الأخيرة على إيطاليا، لذلك قامت الشائعات في أوروبا بزحف السلطان على روما لتحقيق حلم جده الفاتح بالسيطرة على إيطاليا<sup>2</sup>.

لكن قبل أن يبلغ الجيش العثماني غايته، ترامت إلى السلطان سليمان أنباء نقض جنوة لمعاهدة السلم التي كانت تربطها بالدولة العثمانية منذ 1502م وأعلنت تحالفها مع الإمبراطور شارلكان في حروبه ضد العثمانيين<sup>3</sup>.

فكانت هذه الخطوة سببا في دفع السلطان سليمان إلى تأجيل حملته على روما وأعطى أوامره إلى قواته بالتوجه إلى جزيرة كورفو Korfu الواقعة على ساحل البحر الأدرياتيكي، والتي كانت تابعة لجنوة، فقام الأسطول العثماني بفرض حصار على الجزيرة من البحر، بينما حاصر 25 ألف جندي من البر لمدة 12 يوما، لكن سوء الأحوال الجوية ووصول أخبار عن تحرك القوات الصفوية في إيران نحو تبريز، وإرسال الجنوبيين لوفود معلنة رغبتها في تجديد معاهدات الصلح، كل هذه الأسباب وغيرها دفعت السلطان سليمان إلى رفع الحصار عن القلعة والعودة إلى استانبول<sup>4</sup>. وانتهى الصلح بين البندقية والدولة العثمانية في أواخر عام 1538م بتنازل البندقية عن ملفوازي ونابولي ودي رومانيا من بلاد مورة للدولة العثمانية<sup>5</sup>.

### المبحث الثالث: المعارك الكبرى للدولة العثمانية ضد الأوروبيين:

#### أ- معركة بريفيزا "بروزا"<sup>6</sup> البحرية 1538م

لقد استطاع خير الدين بربروس منذ توليه قيادة الأسطول العثماني عام 1533م، إخبار أندري دوريا بصفة عملية أنه يفوقه قوة ومهارة، فلم تقتصر نشاطات الأسطول في

<sup>1</sup> أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية المجلد الأول...، ص 299.

<sup>2</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 210.

<sup>3</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، ص 266.

<sup>4</sup> نفسه، ص، 266-267.

<sup>5</sup> العيدروس، التاريخ العسكري العثماني...، ص 287.

<sup>6</sup> وقعت في خليج بروزا في 28 سبتمبر 1538م بين التحالف الأوروبي المسيحي بقيادة أندري دوريا وبين الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بربروس وانتهت هذه المعركة بانتصار العثمانيين مما مكنهم من فرض سيطرتهم على حوض البحر المتوسط لمدة ثلاثين عاما تقريبا. أنظر: مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010، ص 186.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

عهدده على البحر المتوسط، بل تعدته لتشمل البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي. وكان ذلك يعد رد فعل عثماني من المد الإسباني والبرتغالي الذي كان يهدد بمواقع الدولة العثمانية من المتوسط إلى بحر العرب، فكانت إسبانيا والبرتغال تسعى إلى تطويق الدولة العثمانية من كل الجهات. فمنذ ذلك الحين كانت الغزوات البحرية تنطلق بقيادة رؤساء البحر في أكثر من اتجاه في نفس الوقت، مما يشير إلى ما وصل إليه الأسطول العثماني في ظل هؤلاء القادة من القوة والهيمنة والضخامة، لذلك أصبح خير الدين خصما عنيدا لإسبانيا خاصة في البحر المتوسط، أحبط مخططاتها ومطامعها مرارا وتكرارا<sup>1</sup>.

وتعود الإنتصارات التي حققها العثمانيون إلى حرص سلاطين آل عثمان منذ عهد السلطان محمد الفاتح على بناء أسطول بحري قوي وكبير، الأمر الذي مكنهم من صد الغارات البرتغالية والإسبانية عن السواحل العربية على البحر المتوسط. وقد شكل انضمام البحار خير الدين بربروس للدولة العثمانية إضافة نوعية ومهمة لبحريتها<sup>2</sup>. ولم يكتف بهذا بل شن عدة غارات على السواحل الإسبانية واستطاع على إثرها إنقاذ آلاف المسلمين من قبضة الإسبان<sup>3</sup>. مما جعله محل ثقة السلطان الذي فوضه لإدارة عمليات البحر المتوسط<sup>4</sup>.

بعد الاتفاقية التي وقعها السلطان مع فرنسا سنة 1535م كان عليه إظهار هذا الحلف عمليا على أرض الواقع هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت فرنسا عازمة على الضغط على إسبانيا بواسطة هذا التحالف، فعملت على إشراك الدولة العثمانية في حملتها الهجومية على إيطاليا، ووصل الاتفاق إلى سيطرة الفرنسيين على شمال إيطاليا بينما يفتح العثمانيون جنوبها<sup>5</sup>. فقام العثمانيون بالهجوم على السواحل الإسبانية وجزر البليار، وأيضا

<sup>1</sup> سالم، الإستراتيجية الفتح....، ص 209.

<sup>2</sup> توجهت إلى إستانبول بعد إقامة قصيرة في الجزائر، ومثلت بين يدي مولانا السلطان سليمان خان الذي تفضل بقبول في مجلسه الخاص، حيث أطلعته بشكل مفصل على جميع ما جرى لي في غزواتي الأخيرة، وبعد أنهيت زيارتي الرسمية مضيت إلى مصنع بناء السفن حيث جلست في مقر عملي واستعلمت عن التطورات التي حدثت في أثناء غيابي، ثم دعمت رئيس المهندسين وأمرته بالشروع في بناء ثلاثين سفينة من نوع ، ذلك لأنني كنت على وشك الخروج للغزو برفقة مولانا السلطان، أنظر: مذكرة خير الدين بربروس، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2010، ص180.

<sup>3</sup> الزيود، المرجع السابق، ص128.

<sup>4</sup> سالم، إستراتيجية الفتح....، ص 209.

<sup>5</sup> نفسة

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

عام 1537م هاجموا المدن الساحلية في جنوب إيطاليا وحاصرو بعض المستعمرات كانت تابعة للبندقية انطلاقا من قواعدهم في بحر الأدرياتيك<sup>1</sup>.

وقام تحالف مسيحي سريع في العام التالي 1538م ضم معظم الدول الأوروبية الكبيرة في ذلك العصر مثل: إسبانيا، وألمانيا والبرتغال، والبندقية بالإضافة إلى الدول الصغيرة لجنوة ومالطا وفلورنسا، ولم يتخلف عن هذا الحلف سوى فرنسا وإنجلترا. وقد تم هذا الحلف برعية البابا وزعامة شارلكان، وكان الهدف من الحلف توحيد أوروبا ضد الأتراك<sup>2</sup>.

هكذا تكون حلف صليبي لصد الهجمة العثمانية، يكون من إمبراطورية إسبانيا بكاملها وجمهورية البندقية وبابا روما<sup>3</sup>. بحيث كان هدف شارلكان الاستفادة من هذا الأسطول للقضاء على القاعدة العثمانية في الجزائر، بينما كانت البندقية تهدف إلى استعادة الجزر التي إستولى عليها العثمانيون في بحر إيجه<sup>4</sup>. وقد وصف خير الدين بربروس الأسطول الأوروبي بقوله: "جمع الملك كارلوس أساطيل البندقية وجنوة والبابوية وفلورنسا ومالطا، وجعلها تحت إمرة أندري دوريا، ففي حياتي لم أرى ولم أسمع بل حتى في كتب التاريخ لم أقرأ عن أسطول بهذا الحجم. لقد كان الأسطول مكونا من أكثر من ستمائة سفينة منها ثلاثمائة وثمانية سفن حربية ومائة وعشرون سفينة كبيرة لنقل الجنود، ويقوم بدفع الأسطول آلاف الجدافين. وتم نقل ستين ألف جندي على متن هذا الأسطول حتى أن بعض السفن الضخمة كانت تقل على متنها ألفي جندي، فصارت تبدو كقلعة تسبح ببطء على سطح الماء من جراء ضخامتها وثقلها<sup>5</sup>.

وكانت قيادة هذه الحملة قد أسندت من طرف شارلكان إلى البحار الجنوبي الشهير أندري دوريا<sup>6</sup>. أما الأسطول العثماني فقدرت سفنه بمائة وإثنين وعشرين سفينة<sup>7</sup>، تحمل ما يقارب عشرين ألف مقاتل يقودهم خير الدين بربروس. وعلى الرغم من هذا الفارق الكبير في

<sup>1</sup> كوليس، الاندفاع العثماني في أوروبا....، ص 80.

<sup>2</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر....، ص 267.

<sup>3</sup> سالم، الإستراتيجية العثمانية...، ص 210.

<sup>4</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر....، ص 267-268.

<sup>5</sup> مجهول، مذكرات خير الدين بربروس....، ص 184.

<sup>6</sup> دراج، الدخول العثماني...، ص 268، وأيضا أوزوتونا، المرجع السابق، ص 290.

<sup>7</sup> أوزوتونا، المرجع السابق، ص 290.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

العدد والعدة بين الأسطولين، تمكن الأسطول العثماني من إنزال هزيمة كبيرة وقاسية بالأسطول الأوروبي وتكبد خسائر فادحة حتى عاد متقهقرا يجر أذيال الهزيمة<sup>1</sup>.

وقد ساعد خير الدين بربروس أمهر البحارة العثمانيين الذين لعبوا دورا كبيرا في تثبيت الوجود العثماني في البحر المتوسط وشمال إفريقيا، أمثال صالح رايس، وطرغوث رايس، وسيد علي المرادي رئيس<sup>2</sup>.

دعا بربروس أميرالاته إلى سفينته الأميرالية، وتباحث معهم طويلا، بحيث تردد بعضهم إزاء تفوق العدو وكان رأيهم انتظار دخول العدو إلى شرم Preveze، حيث يتم تدميره بمدافع القلعة وبمساندة جنود البر، إلا أن خير الدين وضح لهم بأن الحرب البحرية تكون في البحار مفتوحة ولا تكون في الساحل، ولا يمكن القيام بالمناورة في الساحل، وإن المدافع بعيدة المدى ستفقد تفوقها عند اقتراب العدو<sup>3</sup>، وأنه في حالة إصابة إحدى السفن، فإن السفن حاملة جنود البر الذين لم يألفوا البحر يرمون بأنفسهم في البحر دون نظام ناشدين البر، وتاركين السفينة بدون طاقم<sup>4</sup>.

ولم يوافق على رأيهم، وأخبرهم بأنه يدرك أن العدو يفوقهم بثلاثة أو أربعة أضعاف، إلا أن قوتهم تكمن في حسن إدارتهم للأسطول والمحافظة عليه من أن يكون عرضة للدمار. وبالرغم من فارق العدد، إلا أن طبيعة المعركة حضروا لها مضطرين لخوضها وأنهم لم يترك لهم خيار آخر غير التفكير في تحقيق النصر على العدو<sup>5</sup>. وبالرغم من ذلك، فقد كان قادة الأسطول الصليبي على ثقة تامة من كسب المعركة دون عناء يذكر، وذلك اعتمادا على التفوق العددي والعسكري الكبير الذي كانوا يتمتعون به، حتى أنهم قاموا باقتسام ممتلكات الدولة العثمانية قبل بداية المعركة<sup>6</sup>.

تحرك الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بربروس في 25 سبتمبر 1538م متوجها صوب جنوب غرب بحر إيجه، حيث رسا بميناء أغريبوز<sup>7</sup> Agriboz، بينما أساطيل الحلف

<sup>1</sup> الزبيد، قادة الفتح الإسلامي....، ص128.

<sup>2</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر....، ص269.

<sup>3</sup> المناورة (الحركة والاستدارة)

<sup>4</sup> أوزوتونا، المرجع السابق، ص290.

<sup>5</sup> مجهول، مذكرات خير الدين بربروس....، ص185.

<sup>6</sup> دراج، الدخول العثماني....، ص268.

<sup>7</sup> نفسه، ص270.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

الحلف الأوروبي تلاقت عند ميناء بريفينزا Prevenza جنوبي جزيرة كورفور في البحر الأيوني<sup>1</sup>. وكان دوريا على وشك حشد قواته في كورفو Korfu، غير أنه لما بلغه نبأ إقتراب الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بربروس، أمر برفع الحصار على بروزة والانسحاب شمالا، وذلك لإستدراج الأسطول العثماني إلى خوض معركة غير متكافئة العدد وأن يحصره في حيز ضيق ويتمكن بذلك من تدميره بسهولة والقضاء عليه في بروزة<sup>2</sup>. كما رفض أندري دوريا القتال في ذلك اليوم لكي يتمكن من الاستعداد للمعركة ولما إنفتح أمامه منفذ في الشمال أخذ استعداده تحسبا لبدء المعركة، وفي الصباح الموالي وجدنا أنفسنا وجها لوجه مثلما حصل في الليلة السابقة<sup>3</sup>.

وفي صبيحة يوم السبت الموافق ل28 سبتمبر من نفس السنة تلاقى الأسطولان في موقعة بروزة البحرية وشاهد الأسطولان أحدهما الآخر بوضوح فكان الأمير الإسباني الكبير الجنوبي الأصل Andrea Doria على رأس الأرمادة "الأسطول الصليبي"، وكان الأمير الكبير Vineenti Capelli يقود الأسطول البندقي Marco Grimani يقود الأسطول البابوي، ولم يكن الأسطول أسطولا متجانسا ولذلك لم ينفذ الكثير من أوامر دوريا<sup>4</sup>. عكس الأسطول العثماني الذي كان متجانسا من حيث الهدف والغاية التي يرمي إلى تحقيقها من هذه المعركة، كما كانت معظم سفنه الحربية صغيرة وخفيفة تسهل عليها القيام بالمناورة والإلتفاف حول سفن العدو الضخمة المثقلة بالجنود والمعدات<sup>5</sup>.

وقد تمكن الأسطول العثماني من تحقيق نصر باهر رغم قلة عد قطاعه، ومما ساعد على ذلك، ذكاء خير الدين، وكان انتصارا هائلا للعثمانيين رغم قلة عدد سفنهم بالنسبة للأسطول الصليبي، لكن ذكاء خير الدين ودهائه العسكري الذي اشتهر به، كان له عامل مهم وحاسم في هذا النصر، حيث اعتمد على عامل المفاجئة والسرعة فضلا عن قدرة السفن العثمانية على المناورة وسرعة استدارتها بالمقاومة مع السفن الصليبية، فهاجم الأسطول الصليبي بكل قواته قبل أن يأخذ أهبطه للقتال. فتفرقت سفن الأسطول من هول الصدمة

<sup>1</sup> سالم، إستراتيجية الفتح...، ص210.

<sup>2</sup> دراج، الدخول العثماني...، ص270-271.

<sup>3</sup> مجهول، مذكرات خير الدين بربروس....، ص186.

<sup>4</sup> أوزتونا، المرجع السابق، ص296.

<sup>5</sup> دراج، الدخول العثماني...، ص269.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

الأولى، ولم تستمر المعركة أكثر من خمس ساعات تقريبا تحطمت فيها أكثر من مائة سفينة صليبية وأعطى دوريا أمر إطفاء الضوء وتراجع السفن المتبقية وكانت خسائر الأسطول الصليبي كثيرا<sup>1</sup>.

وتعود الهزيمة القاسية التي تعرضت لها البحرية الإسبانية والتي وضعت حدا لمحاولاتها في الهجوم على السواحل والمدن الإسلامية على البحر المتوسط إلى مجموعة من العوامل، نذكر منها<sup>2</sup>:

- طبيعة الأسطول الصليبي الغير متجانس وكثرة الأعراق المختلفة التي لا تجعلهم سوى غاية النهب والانتقام، كما كانت المنافسة والحسد على أشدهما بين قادة الأسطول الصليبي عكس الأسطول العثماني<sup>3</sup>.
- قدرت السفن التركية المتطورة والخفيفة على المناورة وبعد مدى مدافعها وعدم مقدرة السفن الصليبية على الاستدارة السريعة التي أدت إلى هزيمة المسيحيين<sup>4</sup>.
- إخفاق أندري دوريا في خطة محاصرة الأسطول العثماني عندما أصدر أوامره لأساطيله بالاقتراب من الأسطول العثماني إلا أنه تأخر كثيرا وهذا بعد كسر شوكة الأسطول المسيحي من طرف العثمانيين ومباغتتهم<sup>5</sup>، إضافة إلى نقل البحارة المسيحيين المدججين بالدرع التي تغطي معظم أجسادهم وأسلحتهم الثقيلة تعيق حركتهم على البحارة العثمانيين الذين يرتدون ألبسة خفيفة ويحملون أسلحة خفيفة<sup>6</sup>.
- ساعدت الرياح التي كانت تهب باتجاه معاكس للأسطول الصليبي على إدارة المعركة لصالح العثمانيين الذين شرعت وحدات أسطولهم الرئيسية في قصف السفن الأوروبية بقذائف مدفعية<sup>7</sup>.

كانت لهذه المعركة العديد من النتائج الإستراتيجية، حيث أدى هذا الانتصار إلى سيطرة الأسطول العثماني على البحر المتوسط حتى هزيمة معركة ليبانت البحرية عام

<sup>1</sup> أوزوتونا، المرجع السابق، ص 296. سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 110.

<sup>2</sup> الزيود، قادة الفتح الإسلامي...، ص 128-129.

<sup>3</sup> دراج، الدخول العثماني...، ص 268.

<sup>4</sup> أوزوتونا، المرجع السابق، ص 297.

<sup>5</sup> مجهول، مذكرات خير الدين...، ص 188.

<sup>6</sup> نفسه، ص 189.

<sup>7</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، ص 271.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

1571م. وعلى إثر هذا الانتصار عقد الصلح بين البندقية والدولة العثمانية عام 1539م بشروط خروج البندقية من التحالف الصليبي ضد الدولة العثمانية<sup>1</sup>.

لقد خسر الصليبيون في هذه المعركة نصف سفنهم التي بلغت 123 سفينة حربية، بين سفن غريقة وأخرى معطوبة، كما قام العثمانيون بإغراق عدد كبير منها والاستيلاء على 36 سفينة، بالإضافة إلى 3000 أسير، أما خسائر العثمانيين فقد كانت 400 شهيد، و800 جريح. وكانت أهم نتيجة تمخضت عن هذه المعركة، هي سيطرة العثمانيين على شرق ووسط البحر المتوسط بدون منازع<sup>2</sup>.

### ب- حصار مالطا 973هـ/1565م:

لقد كان فرسان القديس يوحنا من ألد أعداء المسلمين، فقد وهبوا أنفسهم لقتال المسلمين والتضييق عليهم بشتى الوسائل الممكنة، كما فعلت معظم الجماعات الدينية الصليبية منذ انطلاق الحملات الصليبية الأولى على المشرق<sup>3</sup>. وبعد أن شعر المسلمون في شرق البحر المتوسط بالأمان بعد استيلاء العثمانيين على رودس، بدأ فرسان يوحنا الخروج عليهم مرة أخرى من جزيرة مالطا، وكانوا في منطقة حصينة، إضافة إلى قوة العتاد الذي يملكونه، فضلا عن كونهم خلفاء الإمبراطور شارلكان الذي اتخذهم أداة لشل حركة الملاحة الإسلامية بين حوضي البحر المتوسط بعد تمركزهم هناك "مالطة" ذات الموقع الإستراتيجي، فضلا عن وقوعها بالقرب من الساحل الإفريقي ودعمها إلى آخر المعادل الإسبانية في حلق الوادي ووهران والمرسى الكبير<sup>4</sup>.

وتمثل مساهمة البحرية الجزائرية في معركة مالطة، مظهرا هاما لعلاقات العداء بين الجزائر وإسبانيا. فقد ساهمت الجزائر إلى جانب الدولة العثمانية للقضاء عليهم لأنهم شاركوا في كل الحروب الصليبية ضد بلدان المغرب الإسلامي، مثل احتلال تونس في 1535م، وحملت شارلكان 1541، كما كانوا يهاجمون السفن الإسلامية ويعترضون طرق الحجاج،

<sup>1</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 210-211.

<sup>2</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، ص 272.

<sup>3</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي...، ص 140.

<sup>4</sup> سالم، إستراتيجية الفتح الإسلامي...، ص 234.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

ويقومون بنشاط متزايد يتمثل في مراقبة حركة الأسطول العثماني على العموم، وضرب المواقع العسكرية المغربية عن طريق المباغلة والاستيلاء على السفن العثمانية<sup>1</sup>.

وبعد تحرير طرابلس الغرب، قرر السلطان العثماني سليمان القانوني القيام بحملة تآديبية على جزيرة مالطة التي كانت مركز فرسان القديس يوحنا، حيث أصبحوا يقلقون أقاليمها بتصرفاتهم، كما كانوا يشكلون خطرا على المراسلات بين الجزائر والدولة العثمانية من جهة، وأما من جهة أخرى أصبح هؤلاء الفرسان يقفون في وجه توسعات الدولة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط<sup>2</sup>.

ونتيجة لكل هذه العوامل قرر السلطان سليمان مهاجمت "فرسان يوحنا"، فبعث برسائل إلى كل قادة إيالات الدولة العثمانية يدعوهم فيها للمشاركة في حملة ضد مالطة. وكان من بينهم حسن باشا بن خير الدين حاكم إيالة الجزائر<sup>3</sup>، فقد تلقى هذا الأخير بايلرباي الجزائر عدة رسائل سرية من السلطان العثماني يطلعه فيها عن عزمه في توجيه قوة عسكرية كبيرة ضد جزيرة مالطة ويطلب منه الإستعداد لذلك<sup>4</sup>.

وعليه سارع حسن باشا حاكم الجزائر إلى تجهيز عمارة بحرية وهو على رأسها وكانت تشمل 25 سفينة وثلاثة آلاف رجل<sup>5</sup>، ولقد وصلت هذه العمارة البحرية إلى مالطة في 5 جويلية 1565م<sup>6</sup>.

وكان للبحرية الجزائرية بقيادة حسن باشا دور كبير في الحرب، بحيث اعترف بذلك المؤرخون الغربيون ومنهم هايدو بقوله: "لقد قدم حسن باشا خدمات عظيمة طيلة مدة هذه الحرب"<sup>7</sup>، حيث تولى هذا الأخير قيادة الهجومات الخطيرة في تلك الحرب. وتكون الأسطول الأسطول العثماني من قوة بحرية جزائرية بقيادة حسن باشا ومن الدولة العثمانية بقيادة بيالي باشا قائد القوات البحرية، ومصطفى باشا قائد القوات البرية. ومن طرابلس وجربة بقيادة

<sup>1</sup> التميمي، أول رسالة من أهالي ...، ص 86.

<sup>2</sup> عباد، المرجع السابق، ص 89.

<sup>3</sup> المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص 384.

<sup>4</sup> Haedo de diego, histoire des rois d'alger, traduit par: h.d.De Grammont Adolphe Jourdan. Libraire éditeur alger 1881, p130.

<sup>5</sup> بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر...، ص 179.

<sup>6</sup> (H.D) De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830), Paris, Ernest leroux, 1887, p100.

<sup>7</sup> Haedo. op.cit, p.130.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

درغوث باشا<sup>1</sup> وعلى الفور بدأوا في حصارها بأكثر من مائتي سفينة<sup>2</sup>. وقد تمت محاصرة الجزيرة وقصفها بعنف برا وبحرا ولمدة تزيد عن أربعة أشهر، وهو ما يعكس قوة مقاومة المالطيين وإصرارهم على عدم الاستسلام، خاصة وأنهم كانوا يملكون مدافع سريعة وقاذفات<sup>3</sup>.

ولقد كانت المقاومة المالطية مدهشة ورائعة، لقد تصدوا بكل بسالة وعنف إلى الهجمات العثمانية الموزعة، ولم يفسحوا المجال للعثمانيين في الاستيلاء على أهم حصونهم، ونظرا لطول مدة الحصار استنفد الجيش العثماني كل ذخيرهته الحربية ومعداته، وكان إستهلاك كل هذا الوقت في الحصار ضد استراتيجية الأسطول العثماني، التي تقتضي دوما تبني أسلوب المفاجأة وسرعة التحرك وإنهاء المعارك<sup>4</sup>.

وأثناء عمليات الهجوم، أصيب دارغوث باشا بشظية في رأسه وأردته قتيلا، ففي نفس اليوم قام حسن باشا بمهاجمة قلعة سانت ميشال وتمكن من إلحاق خسائر فادحة بالمدافعين عنها<sup>5</sup>، وتمكن الجزائريون من التقدم نحو الساحل والنزول به، حيث وصلوا إلى الحصن "سانت ميشال" ونصبوا عليه سبعة ألوية<sup>6</sup>.

ونظرا للدور الفعال الذي قام به حسن باشا في حرب مالطة رغم أن الحملة العثمانية كان مصيرها الفشل، فقد كافأه السلطان العثماني سليم الثاني بن سليمان القانوني، وعينه بعد موت بيالي باشا أميرالا للبحرية العثمانية في رجب 974هـ/ جانفي 1567م وغادر الجزائر نهائيا<sup>7</sup>. وعلى الرغم من الحصار الذي ضرب على مالطا إلا أن العثمانيين انسحبوا لما أرسل نائب ملك صقلية قوة صغيرة إلى مالطة، وكان الأتراك يعتقدون أنها كبيرة، ولقد تركوا وراءهم الكثير من التجهيزات والمؤونة وغيرها<sup>8</sup>. وكان لفشل العثمانيين في الاستيلاء على جزيرة مالطة عدة نتائج أهمها:

<sup>1</sup> عباد، المرجع السابق، ص 89.

<sup>2</sup> آلتز، المرجع السابق، ص 518.

<sup>3</sup> الغاشي، المرجع السابق، ص 46.

<sup>4</sup> سالم، إستراتيجية الفتح....، ص 235.

<sup>5</sup> آلتز، الأتراك العثمانيون...، ص 219.

<sup>6</sup> Haédo, Histoire des Rois..., p130.

<sup>7</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص 47.

<sup>8</sup> عباد، المرجع السابق، ص 89.

بداية الاتجاه الأوروبي بتكتيل القوى المسيحية للعمل المشترك للقضاء على العثمانيين، وهذا ما سوف يؤدي إلى الحلف المقدس الذي تزعمه البابا<sup>1</sup>. وقد كان انتصار فرسان القديس يوحنا دافعا لهم على إسترجاع طرابلس الغرب التي عهد بولايتها إلى قلع علي باشا بعد استشهاد الرايس دارغوث. وقد أدى هذا الانتصار أيضا إلى تعزيز معنويات الإسبان وعملهم على زيادة تحصينات قلاعهم في الشمال الإفريقي، وزيادة حركتها البحرية وتركيزها على البحر المتوسط<sup>2</sup>.

### ج- معركة ليبانت سنة 979هـ/1571م:

لقد امتدت مناطق الصراع العثماني الصليبي إلى ميادين بحرية بعيدة عن مركز الدولة، ولكن البحر المتوسط ظل الميدان الأهم باعتباره المركز الأول والميدان الأساسي لهذا الصراع، خاصة في أواسط القرن السادس عشر ميلادي. وقد ارتكزت السياسة العثمانية على إضعاف إسبانيا بإعتبارها القوة الصليبية الرئيسة في أوروبا<sup>3</sup>.

بعد استشهاد دارغوث باشا في حصار مالطة عام 1565م، تولى مكانه إمارة طرابلس القائد علع علي باشا الذي مالبت أن أصدر فرمانا سلطانيا عام 1568م بترقيته ونقله إلى إمارة الجزائر، ولقد أثبت علع علي باشا أنه كان من أعظم من تولى إمارة الجزائر وجاهد في الشمال الإفريقي<sup>4</sup>، بحيث كان من أعظم الأهداف التي يرمي إليها، هو إعادة الحكم الإسلامي إلى الأندلس، بالإضافة إلى إنهاء الحكم الإسباني والموليين في الشمال الإفريقي<sup>5</sup>.

كانت الجزائر قد رفعت شعار التضامن الإسلامي مع الدولة العثمانية في مواجهاتها وحروبها المتواصلة، وبرز بحارتها بقيادة علع علي باشا كأحسن رجال البحر من خلال مشاركته في معركة ليبانت<sup>6</sup>، التي تعتبر من مظاهر العداء بين الجزائر وإسبانيا في حوض

<sup>1</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 236.

<sup>2</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي...، ص 140.

<sup>3</sup> حنيفي هلايلي، بوجلال مسعودة، قضايا البحر الأبيض المتوسط...، ص 573.

<sup>4</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 262.

<sup>5</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي...، ص 143.

<sup>6</sup> محمد سي يوسف، أمير أمراء الجزائر علع علي باشا، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص 150.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

البحر المتوسط، حيث قررت إسبانيا نقل الصراع بعيدا عن سواحلها، وإشعال النزعة الصليبية الأوروبية في مواجهة الخطر الإسلامي المتنامي<sup>1</sup>. وتعد هذه المعركة من أهم الأحداث العسكرية التي جرت في البحر المتوسط كونها كانت إنتصارا للشجاعة والتقنية الحربية<sup>2</sup>.

كانت البندقية الجمهورية الإيطالية الوحيدة التي لم تخضع للإسبان، وحفاظا على مصالحها السياسية كانت تفضل الحياد تجاه الصراع بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، غير أن الدولة تضايقت من غارات قراصنة قبرص<sup>3</sup> ضد مصالحها في شرق البحر المتوسط والذين كانوا يعترضون العثمانيين والحجاج، فقرر السلطان العثماني الاستيلاء على قبرص التي كانت تابعة للبندقية<sup>4</sup>.

لقد كانت سياسة الدولة العثمانية في ذلك الوقت تهدف إلى إتمام السيطرة على الطرق الملاحية في البحر المتوسط وإحكام السيطرة على شرقي هذا البحر، مما يؤمن حرية التجارة الإسلامية وسلامتها إلى جانب تأمين طريق الحج الرئيسي بشكل كامل، وبالطبع لن يتسنى لهم السيطرة على هذا الجزء الإستراتيجي الهام سوى بإتمام السيطرة على الجزر الهامة ذات الموقع المتوسط بين إستانبول العاصمة العثمانية وبين باقي سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية، حيث أهم الموانئ العثمانية في الشام ومصر، هذا إلى جانب الحد من نشاط سفن بحارة جمهورية البندقية وقراصنتها الذين انتهكوا أكثر من مرة حدود الدولة العثمانية<sup>5</sup>.

وفي منتصف شهر مارس 1570م أرسل السلطان العثماني مبعوثا إلى البندقية يطلب منها تقديم ترصية حول انتهاكات التي ارتكبتها القراصنة، وكحل للمشكل طلب منها

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، جمع وتقديم، عبد الجليل التميمي، تونس، 1984، ص99.

<sup>2</sup> هلايلي، بوجلال مسعودة، قضايا البحر الأبيض...، ص573.

<sup>3</sup> قبرص: تتميز هذه الجزيرة بقربها من المجالات البحرية والبرية العثمانية، بسبب موقعها في المنطقة الشرقية للبحر المتوسط، وقد كانت تابعة للبندقية، وكان سكانها يزاولون القرصنة ويعترضون السفن والبحرية العثمانية ولهذا قرر السلطان العثماني مهاجمتها وإخضاعها. أنظر: الغاشي، البحر المتوسط في الاستراتيجية العثمانية...، ص46.

<sup>4</sup> المحامي، المصدر السابق، ص 158-159.

<sup>5</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي...، ص146.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

تسليم قبرص مقابل السلم بين البلدين، غير أن مجلس شيوخ البندقية رفض ذلك<sup>1</sup>. عندئذ قرر السلطان العثماني افتتاحها بالقوة. وقد سارع العثمانيون بإنزال جيوشهم في الجزيرة والاستيلاء على نيقوسيا وكل تراب الجزيرة ما عدا قلعة فمقسوتا. و بعد استيلاء العثمانيين على قبرص عام 1570م<sup>2</sup>. وعلى إثر ذلك أعلنت حكومة البندقية الاستنفار و بدأت بتسليح سفنها التجارية وأطلقت حملة سياسية "لإثارة المسيحية المهتدة"<sup>3</sup>.

ولقد وجدت البندقية في البابا "بيوس الخامس" الموحد الروحي للمسيحيين الشخصية المناسبة. فبالرغم من التناقضات وتضارب المصالح الذي كان يسود علاقات الدول الأوروبية، خاصة بين فرنسا وإسبانيا والبندقية فقد وفق "البابا" خلال أسابيع في أن يجعل جميع الأطراف تتوحد وتتفق على مبادئ وقاعدة مشتركة للعمل ضد العثمانيين<sup>4</sup>، فتم توقيع الحلف المقدس في 25 ماي 1570م، الذي ضم الإسبان، والألمان، والإيطاليين، والبابوية، وعين دون خوان<sup>5</sup> النمساوي قائدا لقوات التحالف الأوروبي<sup>6</sup>.

وقد توصلت الأطراف الأوروبية في النهاية إلى عقد إتفاق وهو تحالف هجومي دفاعي موجه بالدرجة الأولى ضد الدولة العثمانية، كما أصرت إسبانيا أنه موجه أيضا ضد إيلات المغرب في شمال إفريقيا<sup>7</sup>. وقد كانت قواتهم البحرية تتكون من 70 سفينة إسبانية، و140 سفينة بندقية، و12 سفينة للبابا، و9 سفن لرهينة مالطا<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، "رؤية منهجية لدراسة العلاقة، العثمانية المغربية في القرن 16م"، المجلة التاريخية المغربية، ع 30، تونس، 1983، ص 97.

<sup>2</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض.....، ص 146-147.

<sup>3</sup> التميمي، رؤية منهجية....، ص 97.

<sup>4</sup> الحضيري، المرجع السابق، ص 23.

<sup>5</sup> دون خوان: هو ابن شارلكان ولد بمدينة راتسيون سنة 1545م، وبعد موت أبيه أراد فيليب الثاني إدخاله إدخاله ضمن إحدى الرهينات ولما لم يقبل عينه قائدا في جيشه وفي سنة 1570م كلفه بإذلال من بقي من المسلمين بإقليم غرناطة فأذاقهم أنواع الذل والعذاب حتى هاجروا إلى إفريقيا. أنظر: المحامي، المصدر السابق، ص 257.

<sup>6</sup> التميمي، الولايات العربية ومصادر وثائقها....، ص 97.

<sup>7</sup> الحضيري، المرجع السابق، ص 23-24.

<sup>8</sup> المحامي، المصدر السابق، ص 103.

## الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في المتوسط.

كانت القيادة العثمانية على علم بالتحركات الأوروبية، ونظرا للدور البارز الذي صارت تلعبه البحرية الجزائرية، المتحالفة مع البحرية العثمانية، فقد وجه السلطان العثماني سليم الثاني رسالة إلى بايلرباي الجزائر علق علي، مؤرخة في 02 ذو القعدة سنة 978هـ يدعو فيها إلى تجهيز سفنه، والاتحاق بالأسطول العثماني<sup>1</sup>، سارع علق علي إلى تلبية النداء، حيث غادر الجزائر في ربيع سنة 1571م على رأس حوالي خمسين سفينة، قصد الالتحاق بالأسطول العثماني في كورفو، وأثناء الطريق قام بغزو عدة مواقع مسيحية بالجزر الأيونية<sup>2</sup>.

وهكذا بدأ الباب العالي في تجميع الأسطول العثماني بالتنسيق مع الولايات، وتراوح عدد قطع سفنه ما بين 180 و200 سفينة حسب آراء بعض المؤرخين العثمانيين<sup>3</sup>، وقد انطلق الأسطول العثماني من ميناء إستانبول في ربيع سنة 979هـ/1571م<sup>4</sup> ليحجبه خلال عدة أشهر السواحل الشرقية وليعيث في بعضهما. وقد أدى خروج الأسطول المبكر إلى استنفاد طاقة الجيش بسبب الملل والتعب بعد طول انتظار وتحرك مستمر من توقع هجوم أسطول الحلفاء<sup>5</sup>، بينما تحرك الأسطول الأوروبي البالغ حوالي 208 سفينة من ميناء ميسينا ميسينا بإيطاليا متأخرا. وقد تحول الأسطول الأوروبي نحو خليج ليباننو بقيادة دون خوان ليفاجي الأسطول العثماني فيه، وكانت خطة الأوروبيين هي ضرب الحصار البحري على العثمانيين داخل الخليج وتقسيم الأسطول إلى ثلاث جهات كما فعل العثمانيون الذين عاهدوا لعلج علي باشا بقيادة الجناح الأيسر لأهمية الإستراتيجية، مع ذلك فقد تمكن الجانب الأوروبي من إلحاق أكبر هزيمة بحرية بالعثمانيين على الإطلاق في عرض البحر المتوسط. ولم ينجوا من الوحدات العثمانية كلها إلا الثلاثون سفينة التي عهدت لعلج علي باشا<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سي يوسف محمد، قلع علي باشا ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص 115-116.

<sup>2</sup> Haédo, histoire des Rois..., p146.

<sup>3</sup> التميمي، رؤية منهجية...، ص 99.

<sup>4</sup> ألتز، المرجع السابق، ص 230.

<sup>5</sup> جلال يحيى، المغرب العربي الحديث والمعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1983، ص 175.

<sup>6</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي...، ص 148.

• أسباب هزيمة العثمانيين في معركة ليبانت:

لقد أرجع جون ولف أسباب انتصار الأسطول المسيحي إلى عاملين أساسيين وهما: وجود السفن الست (06) الضخمة التي تعود للبندقية وكون أغلبية الجنود المسيحيين والبحارة يحاربون بالدروع الضخمة، أما الجنود الأتراك، فلا يكادون يتوفرون عليها من جهة، وكون جل الجنود المسيحيين مسلحين بالأسلحة النارية من جهة أخرى. في حين كان الجنود الأتراك بإستثناء عدد قليل يحاربون بالأقواس والسهام والرماح والسيوف المحدبة<sup>1</sup>.

عدم أخذ الأسطول العثماني بنصيحة قلع علي باشا الذي كان يعلم جواسيسيه أعداد القوات المتحالفة، لذا كان يفضل خروج سفن المسلمين إلى عرض البحر حتى لا تبقى محصورة في مكان ضيق يسهل على السفن المعادية إستهدافها بالقذائف فتم إحراق العديد منها<sup>2</sup>.

عاد علج علي إلى الجزائر. وبالرغم من هزيمة الأسطول العثماني، إلا أنه برز من خلالها هيبة وقوة الأسطول الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى ظهور رجال أكفاء أمثال العلج علي الذي أشاد له السلطان العثماني سليم الثاني، بعدما قام بإنقاذ ما تبقى من الأسطول العثماني. وتقديرا لجهوده عينه السلطان سليم الثاني قائدا للأسطول العثماني مع إحتفاظه بلقب بايلرباي الجزائر الذي يحق له بموجبه تعيين خليفة له فعين لخلافته عرب أحمد باشا<sup>3</sup>.

• نتائج معركة ليبانت

- لقد كانت خسائر الأسطول العثماني كبيرة وضخمة، فقد أغرق الأوروبيون 94 سفينة واستولوا على 130 سفينة أخرى عليها نحو 300 مدفع و30 ألف رجل<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عبد القادر فكايير، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المركز الجامعي خميس مليانة، ع9، ديسمبر 2014، الجزائر، ص420.

<sup>2</sup> إلهام يوسف، ولاء علي صقر، الصراع الإسباني العثماني على تونس 941-982هـ/1534-1574م، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج(40)، ع5،

2018، سوريا، ص412.

<sup>3</sup> محمد مبارك الهلالي الميللي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، (د.ت)، الجزائر، ص106.

<sup>4</sup> عباد، المرجع السابق، ص95.

- كانت لهذه الهزيمة التي مني بها العثمانيون في البحر المتوسط العديد من النتائج على صعيد السياسة الدولية، خاصة على الجانب الأوروبي الذي عد هذا الانتصار إنتصارا كبيرا للمسيحية، واعتبره انطلاقة جديدة للصليبية الأوروبية في معاودة استرجاع الأراضي المسلوبة وإنهاء النفوذ العثماني في البحر المتوسط<sup>1</sup>.
  - شكل هذا النصر ضربة قوية للتفوق العسكري العثماني في حوض البحر المتوسط، حيث أدى لإضعاف النشاط البحري الإسلامي في غربي حوض البحر المتوسط لصالح الملاحة البحرية الأوروبية وسيطرتها التامة على طرق التجارة العالمية<sup>2</sup>.
  - انسحاب البندقية من الحلف المقدس عام 981هـ/1573م، وأخذت تبحث عن سبل الكفيلة باستمرار تجارتها مع الدولة العثمانية التي فرضت عليها شروط قاسية. خاصة بعد أن أصبحت البندقية تحت سيطرتها، فتدخل الفرنسيون بين الطرفين لتحقيق الشروط التي فرضها العثمانيون، وأخيرا اضطروا لقبول الشروط العثمانية<sup>3</sup>.
- بعد أن تراجع دور الأسطول العثماني، أضحى الأسطول الجزائري بقيادة علج علي يتولى الدفاع عن المسلمين في المتوسط وتقديم الدعم للأندلسيين، كما كان يرغم فرنسا على إحترام المعاهدة التي أبرمتها مع الدولة العثمانية. وما يمكن قوله، هو أن الأسطول الجزائري قد ملأ الفراغ الذي تركه الأسطول العثماني في المتوسط بعد هزيمته في معركة ليبانت 1571م، كما تعد هذه الهزيمة من بين العوامل التي دفعت السلطان العثماني إلى التفكير في ضرورة القيام بالإصلاحات الإدارية في كل الولايات التابعة له، خشية أن يستغل حكامها ضعف السلطة المركزية والاستقلال عنها.

<sup>1</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي...، ص 148.

<sup>2</sup> إلهام يوسف، ولاء علي صقر، المرجع السابق، ص 411.

<sup>3</sup> نفسه، ص 411.

الفصل الثالث: الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

المبحث الأول: الأوضاع الداخلية في الأقطار المغربية.

المبحث الثاني: الأطماع الأوروبية في الأقطار المغربية ودوافع الإحتلال.

المبحث الثالث: ظروف إتحاق الجزائر وتونس وطرابلس بالدولة العثمانية.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

### المبحث الأول: الأوضاع الداخلية في الأقطار المغربية.

يمثل موضوع العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الأقطار المغربية العنصر الأكثر حركية، وبالتالي فهو يكون عنصر الربط بين أحداث التاريخ التي قد تبدوا متناقضة، وفي الغالب بحوث العلاقات في التاريخ تقتصر على الناحية السياسية والدبلوماسية بين الدول، وهذا ناجم عن الاهتمام بالتاريخ السياسي دون أنواع التاريخ الأخرى<sup>1</sup>، كما أن علاقات الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني تندرج ضمن ثلاث أصناف عريضة تلك مع دول المجاورة تونس المغرب الأقصى والعلاقات الجزائرية الأوروبية، ففي الحالتين الأولى والثانية كان الهدف الأساسي واحد، يتمثل في منع أي تحالف أو تجمع قوي يؤدي إلى القضاء على الإيالة أو تهديد أمنها الخارجي<sup>2</sup>.

تشير معظم الدراسات إلى الدور السياسي الذي لعبته كل من تونس والمغرب الأقصى في إضعاف القدرات الحربية للجزائر، وهذا من خلال الحروب المتبادلة بين الجزائر والجزائريين تونس والمغرب الأقصى، وهو الأمر الذي كان له دور مميز في الإخلال بالقوة الدفاعية للجزائر هذا من جهة، ومن جهة أخرى التدخل من الدولتين المجاورتين كان أمر متوقعا، لأن الجزائريين كانوا يتدخلون بدورهم في شؤون جيرانهم في الأوقات المناسبة سواء في الإيالة التونسية، أو المغرب الأقصى<sup>3</sup>.

### 1- علاقة إيالة الجزائر بإيالة تونس أثناء التواجد العثماني:

تميز تاريخ العلاقات بين الإيالة الجزائرية وإيالة تونس بمظاهر مختلفة ومراحل عديدة مخالفة لبعضها البعض، بداية من التواجد العثماني في كليهما، وأحيانا كانت تلك الأحداث متكررة (مثل الحروب)، وكذلك فترات السلم المتذبذبة، إضافة إلى صدور مناوشات بين الحكام ولعل من العوامل التي أثرت على مسار العلاقات السياسية مشكل الحدود<sup>4</sup>، الذي يعتبر ذو

<sup>1</sup> أعمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب (1517-1659)، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ، سنة 1406-1986م ص 139.

<sup>2</sup> حنيفي هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد المغرب العربي بين الطموحات الاستراتيجية والخلاف السياسي، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 5، جامعة سيدي بلعباس، (د.س.ط)، ص 55.

<sup>3</sup> نفسه.

<sup>4</sup> تعتبر المعاهدة أو إتفاقية واد السرات المبرمة سنة 1628م، أول معاهدة حددت فيها الحدود الفاصلة بين الجزائر وإيالة تونس بسبب الصراع بين قبيلة بني شنوف المتحالفة مع أولاد صاولة، وأولاد سعيد من

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

أهمية بالغة، ويتبين ذلك منذ الوجود العثماني. اتضح جليا الخلاف والصراع على المناطق الحدودية بين الإيالتين مثل قسنطينة والكاف وتبسة<sup>1</sup>.

ونظرا لأهمية هذا الدور وأبعاده في انعدام الأمن على المستوى الخارجي للإيالة الجزائرية، فإن دراسة تطور العلاقات بين الإيالتين يتيح الفرصة للتعرف على ماهية الخطر الحدودي ودوره في انهيار النظام الدفاعي للجزائر بداية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ميلاديين، وهي فترة حرجة من تاريخ إيالة الجزائر العثمانية، وكذلك محاولة الجزائر إدخال تونس إلى حظيرة الخلافة العثمانية تحت الوصاية الجزائرية<sup>2</sup>.

قبل دخول العثمانيين إلى تونس كانت تحت حكم السلطان الحفصي أبو العباس أحمد الذي تميزت فترة حكمه بالضعف والخضوع للإسبان، الذين تمكنوا من مد نفوذهم والسيطرة على حلق الوادي، ونتيجة هذا توجهت هيئة من تونس إلى استانبول سنة 1563م تطلب المساعدة من السلطان العثماني لإنقاذهم<sup>3</sup>. من حكامها وطرد الإسبان منها، فلبى السلطان العثماني ندائهم وأمر العلي باشا بالتوجه إلى تونس<sup>4</sup>، وبعد وصول العلي باشا إلى تونس تمكن من

---

تونس. وبين قبيلة الحرار أسياد الحنانشة القاطنة بقلعة سنان شرق تبسة، وبعد إنهزام الجيش التونسي أبرمت المعاهدة، ومن أهم البنود: يشكل واد السرات الحد الفاصل بين الإيالتين، تهديم برج الكاف، وأيضا كل فرد ينتقل إلى الضفة الأخرى من الواد يكتسب مواطنة الدولة الموجود على أرضها. للمزيد أنظر:

Ernest Mercier, Histoire de constantine ,and.J Malle et F.Birpon, imprimeur éditeur, 1903, p 215-216.

<sup>1</sup>صورية حصام، العلاقات بين إيالتين الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية 2013، ص2.

<sup>2</sup>حنيفي هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد...، ص 56.

<sup>3</sup>لقد أرسلت هذه البعثة التونسية إلى السلطان العثماني سليمان القانوني (1520-1566م). وكان الهدف الجوهري منها السعي لكسب موافقة السلطة السياسية والدينية العليا للدولة العثمانية على مطلب إيالة الجزائر، والتي بينت الأحداث أن لها طموحات ترابية في مملكة الحفصيين المنهارة، كما أن إقدام العثمانيين إلى عثمة واحتواء تونس بعد ثلاث سنوات من تاريخ هذه البعثة التونسية، يؤكد بصدق مخاوف السلطان أحمد الحفصي يومئذ من جاره العثماني بالجزائر. أنظر: هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد المغرب.....، ص57.

<sup>4</sup>ألتر، المرجع السابق، ص ص 228، 232.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

طرد أبو العباس أحمد وأخذ البيعة من سكانها للسلطان العثماني، ونصب بها حامية عثمانية ثم عاد إلى الجزائر من أجل تنظيم الأسطول تلبية لطلب السلطان لاسترجاع حلق الوادي من الإسبان<sup>1</sup>.

لقد كان إرسال التونسيين لطلب المساعدة من العثمانيين بالجزائر، باعتبارهم منقذين وأيضاً لشجاعة العثمانيين واسترجاعهم العديد من المناطق من يد الإسبان، وهذا ما يظهر من خلال إرسال القبائل التونسية للعديد من رؤسائها لطلب النجدة<sup>2</sup>.

حرص السلطان الحفصي للمحافظة على استقلالية الرقعة الترابية الخاضعة له من توسع العثمانيين من جهة، وتحذير الحامية الإسبانية المتواجدة بتونس وحلق الوادي من جهة ثانية، وارتبط بعلاقات تعاون ظاهري مع رغووث باشا أيام توليه على طرابلس الغرب، ومع هذا فإن درغووث باشا، حافظ على مراسلته السياسية مع السلطان الحفصي، الذي كان ممثلاً له لتمكنه من القضاء على أعدائه الشايبين الذين أجلاهم من القيروان<sup>3</sup>.

أثناء تحرك العليج علي باشا في المرة الأولى إلى تونس والتي وفق فيها في ربط ما تبقى من القطاع الترابي الحفصي، إلى الإدارة العثمانية بالجزائر، ترك حلق الوادي دون تغيير لأنها كانت تشرف عليها حامية إسبانية، والتي التجأ إليها السلطان الحفصي أحمد، وعاد العليج علي باشا لتنظيم الأسطول، وبعد معركة ليبان 1571م، التي غيرت بعض الأمور للجانب المسيحي، إغتتم الأمير يوحنا الأستيري-ابن شارلكان- الفرصة بحملة لإسترجاع مدينة تونس من العثمانيين. وتحرك من جزيرة صقلية على رأس أسطول يتكون من 138 سفينة تحمل 25 ألف من المقاتيل، وتمكن من دخولها دون أي مقاومة<sup>4</sup>.

وفي منتصف 1573م صدرت أوامر عن السلطة المركزية العثمانية، وهي فرامانات تؤكد على أن تونس تتمتع بنظام إداري مستقل عن إطار إيالة عثمانية، وهو الأمر الذي سوف يتأكد على إثر الحملة العثمانية سنة 1574م<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد العروسي المطوي، السلطة الحفصية، دار الغرب الاسلامي بيروت، 1986، ص 720.

<sup>2</sup> التميمي، "رؤية منهجية لدراسة العلاقة، العثمانية ...، ص 92-93.

<sup>3</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد...، ص 57.

<sup>4</sup> المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص 398، 399.

<sup>5</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد...، ص 57، 58.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

بعد احتلال يوحنا مدينة تونس، بدأت الاستعدادات الحثيثة من طرف الدولة العثمانية لاسترجاعها واسترجاع حلق الوادي<sup>1</sup>، ويظهر ذلك من خلال الرسائل التي بعث بها السلطان العثماني إلى حكام الأقاليم العثمانية في شمال إفريقيا، يدعوهم فيها للاستعداد وتجهيز القوات العسكرية للمشاركة في الحملة<sup>2</sup>، ولم يمضي وقت حتى وصلت طلائع الأسطول العثماني بقيادة العلي بايرباي، كما وصل الأسطول الجزائري بقيادة أحمد عرب، بالإضافة إلى أسطول طرابلس بقيادة مصطفى باشا، وكذلك جيش القيروان بقيادة حيدر باشا<sup>3</sup>، ويصف ابن أبي دينار وصول العلي بايرباي إلى تونس بقوله: "فلما وصل الباشا قلعج علي إلى تونس وشهد تحصن الباسطيون وكثرة النصارى والأعراب المرتدين.... بعث إلى الوزير بطلب منه عدة مدافع أخرى وزيادة العسكر، فبعث له ألف جندي.... فلما وصلوا إليه اجتمع أمرهم أن يدوروا بالبرج من كل جهاته. وكان الكفرة ومن معهم من المرتدين كثيرين..."<sup>4</sup>.

إن نجاح هذه الحملة العثمانية العسكرية الحاسمة والأخيرة في التاريخ البحري العثماني، على قلعتي حلق الوادي وسان جون الإسبانيتين، جعل سنان باشا والعلج علي باشا يؤكدون على استقلالية إيالة تونس، وتأكيد مكانة حيدر باشا باعتباره بايربايا عليها<sup>5</sup>. وهكذا سقطت الدولة الحفصية نهائيا وأصبحت تونس تعيش مرحلة جديدة من تاريخها تحت لواء الخلافة العثمانية، وبمساهمة الجزائر التي كان لها الدور البارز في هذا الفتح والذي أظهر جانبا مهما من تاريخ العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية<sup>6</sup>.

### 2-الخلافت حول الحدود الجغرافية:

إن الحدود الجغرافية لإيالة تونس قد ضبطت على إثر عثمنتها ابتداء من صيف 1574م، فالباشا المعين من طرف الباب العالي، يساعد الديوان من الضابط الكبار للأوجاق،

<sup>1</sup> عباد، المرجع السابق، ص96.

<sup>2</sup> حيمر، المرجع السابق، ص136.

<sup>3</sup> المدني، حرب الثلاثمائة سنة....، ص400.

<sup>4</sup> أبي دينار، المصدر السابق، ص187.

<sup>5</sup> وهي الرتبة التي ستمكن سنان باشا من الإشراف على إيالة حتى أوائل 1576م ليتم تعويضه بربح باشا. وقد كلف بإدارة تونس كيبيرباي منذ 18 ماي 1573م. أنظر هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد.....، ص 58.

<sup>6</sup> جميل، الجزائر والباب العالي.....، ص157.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

بالإضافة إلى جهاد تونس، وبعد ذلك ثار<sup>1</sup> رجال الأوجاق سنة 1591م ونصبوا واحدا من ضباطهم يتولى القيادة كرجل ثاني إلى جانب الباشا، ولكنه مسؤول عن القانون والنظام، وبعد عديد من التغييرات في نظام الحكومة في إيالة تونس استقر خط البايات<sup>2</sup> في شكل حكم عائلي<sup>3</sup>، في الوقت الذي كان فيه دايات الجزائر يطلبون التدخل في عديد من الخلافات العائلية للحكام التونسيين<sup>4</sup>.

لقد تباعدت سياسة تونس عن الجزائر تباعدا كبيرا منذ انفصال تونس عن الجزائر بتكوين باشويتين مستقلتين عن بعضهما البعض، وتعود أصول مسألة الحدود بين البلدين إلى

---

<sup>1</sup> عرفت تونس في نهاية القرن السادس عشر ميلادي إنقلابا عسكريا قامت به طائفة إنكشارية على رؤساء الديوان أفضى إلى نهاية عهدة الباشوات واستبداله بعهد الدايات، الذين عملوا ما بوسعهم من أجل فرض نفوذهم الممتدة قرابة نصف قرن بفضل شخصيات خارمة كعثمان داي (1594-1610م) الذي سن قوانين في البلاد، عرفت بالميزان من أجل إحلال الأمن والاستقرار فيها، وكذلك يوسف داي (1610-1637م) الملقب بحامي القرصنة نظرا لأعماله البحرية الهامة ولكن هؤلاء الدايات، بالرغم ما تمتعوا به من إمكانيات إلا أن نفوذهم أخذ في التراجع لصالح البايات. للمزيد أنظر: عبد الرحمان المؤذن وعبد الرحيم بنجادة، العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية المتوسطة، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط2005، ص2، ص101.

<sup>2</sup> البايات: لقب تركي بمعنى صاحب الزعامة، أو الغني أو صاحب الدار، وأطلق على بعض أصحاب السلالات الحاكمة في أسيا الوسطى وتونس. للمزيد أنظر: كوثر العايب، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات "1711-183"، مذكرة ماجستير، جامعة الوادي، السنة الجامعية 2013/2014، ص22.

<sup>3</sup> استمرت القاليد المملوكة القديمة في إطار التنظيمات العثمانية، ولعل عراقة التقاليد الحكومية في تونس سهلت قيام أسر فيها بعد فترة قصيرة من الحكم على النمط العثماني. وقد مر الحكم العثماني في تونس بأربع مراحل متفاوتة المدة وهي كمايلي:

1- مرحلة الفتح وحكومة الباشوات 1574-1590م.

2- مرحلت الدايات 1591-1631م.

3- مرحلة الأسرة المرادية 1631-1705م.

4- الأسرة الحسينية 1705-1957م، أنظر: حنيفي هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد....، ص 72-73.

<sup>4</sup> نفسه، ص58.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

المشاحنات والصراعات القائمة بين مختلف القبائل المتاحة لحدود التماس بين الدولتين، وخاصة حول أراضي المراعي<sup>1</sup>.

لقد سويت المشكلة سنة 1614م، بتمديد مناطق القبائل التابعة لبايلك قسنطينة في عمق التراب التونسي، لأن قسنطينة كانت تحت وطأة الحكام الحفصيين أتباع الدولة الموحدية، ولكن بعد الدخول العثماني لتونس تغير الوضع أثناء الضعف الداخلي الذي آلت إليه إيالة تونس، وجعل باياتها يريدون استرجاعها، حيث ظهر الصراع خلال الربع الأخير من القرن السادس عشر ميلادي والسابع عشر ميلادي<sup>2</sup>.

وقد لعبت مشكلة الحدود بين الدولتين دور كبير في تأزم العلاقات السياسية، ففي عهد حسن باي قسنطينة (1608-1622م) تم إبرام ضبط الحدود مع إيالة تونس عام 1614م، لكن في عهد يوسف داي (1610-1637م) قام التونسيون بخرق المعاهدة، فلجأ مراد باي (1622-1647م) إلى استعمال القوة من خلال شن حملة عسكرية على الجزائر، إنتهت بهزيمة الجيش التونسي في معركة السطارة قرب مدينة الكاف في 17 ماي 1628م، وذلك في عهد حسن باي قسنطينة، وفيها أجبرت الحكومة التونسية على إبرام إتفاق جديد لضبط الحدود بين الإيالتين تحت مجموعة من الشروط السالفة الذكر<sup>3</sup>.

منذ إعلان تونس باشوية مستقلة عن الجزائر عام 1590م، لم يتدخل الجزائريون في الشؤون السياسية لتونس، إلى غاية نهاية القرن السادس ميلادي<sup>4</sup>.

لقد عرفت العلاقة بين الإيالتين بالاستقرار. وكان هذا الاستقرار بينهما يعود إلى طبيعة الحكام ومدى قوتهم، فبقدر ما كان لبعض الدايات والبايات من قوة والقدرة على فرض آرائهم وسطوتهم على أعضاء الديوان، بقدرما وجد دايات وبايات عديمي الشخصية يتحكم فيهم ضباط الجيش تخوفا وتجنباً من أي تمرد أو غضب يصدر من هذه الفئة الرئيسية في الإيالة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 58.

<sup>2</sup> حصام، المرجع السابق، ص 10.

<sup>3</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد....، ص ص 58، 59.

<sup>4</sup> حصام، المرجع السابق، ص 28.

<sup>5</sup> نفسه، ص 14.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

لعل السبب في توطيد العلاقات بينهما، يرجع إلى دور الجزائر وفضلها الكبير في تحرير تونس من الاحتلال الإسباني، ولكن سرعان ما تغير موقف الطرفين خاصة بعدما أصبح دايات الجزائر يتدخلون في شؤون تونس، فأثر ذلك بشكل سلبي على حسن العلاقات الجزائرية والتونسية، بعدما رفض عدد بايات تونس أن يكونوا أتباعا لحكام الجزائر<sup>1</sup>.

### 3- تدخل الجزائريين في شؤون تونس أثناء حكم الأسرة المرادية:

في سنة 1675م توفي مراد باي<sup>2</sup> تونس، مخلفا ولدين هما: محمد باي وعلي باي، حكما الإيالة التونسية معا لمدة من الزمن، وهذا حسب ما يرويهِ القيرواني التونسي، لكن الخلافات ما لبثت أن ظهرت بينهما، قرر الديوان تكليف عمهما الحفصي بإدارة الإيالة، لكن محمد باي لم يتقبل الأمر ففر من تونس إلى الكاف، ليجمع أنصاره ضد عمه الحفصي، من بين أنصاره نجد الحاج المرادسي شيخ الخناشنة من صف ناصر بن خالد<sup>3</sup>، وبعد أن قويت شوكة محمد باي استولى على السلطة ففر عمه الحفصي بدوره من تونس، بعد مدة من الزمن ثار علي باي على أخيه، فهرب هذا الأخير إلى قسنطينة ومنها تمكن من الحصول على دعم سلطان بن مناصر شيخ الخناشنة من صف مناصر بن خالد، فتزوج بإحدى بناته، اندلعت الحرب بين البايين التونسيين، وبين صفي الخناشنة، قتل خلالها الحاج المرادسي. لم تتوقف الحرب رغم تدخل العلماء إلا بعد أن استولى علي باي على السلطة، فلجأ محمد باي إلى الأتراك في الجزائر ليطالب دعمهم.

تعتبر حملة 1677م أول المحطات التي تدخلت فيها الجزائر في شؤون تونس، وذلك من أجل الفصل في الصراع القائم للاستحواذ على السلطة داخل البيت المرادي بين الأخوين محمد باي و علي باي. وقد وقفت الجزائر إلى جانب علي باشا الذي وفد إليها طردا وأقام مع

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط3، ج3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990، ص321.

<sup>2</sup> مراد باي: تولى الحكم بعد وفاة والده حمودة باشا عام (1666-1675م) كان رجل ذا شجاعة وحكمة سياسية، وأيضا تمكن من ضبط أموره حكمة. أنظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص54.

<sup>3</sup> كانت قيادة قبيلة الخناشنة بيد الأحرار، رغم أنهم لا ينتمون إليها، لما توفي القائد خالد اعترف الأتراك بابنه مناصر على حساب أخيه الأكبر ناصر، وهو الشيء الذي أدى إلى انقسام الأحرار إلى صنفين، صف ناصر وصف مناصر. للمزيد أنظر: عباد، المرجع السابق، ص137.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

إحدى أكبر قبائلها " قبيلة الحناشنة" علاقة مصاهرة بغية مضاعفة أنصاره من الإيالة الجزائرية، وبالفعل كان له ذلك، بحيث تمكن علي باشا بفضل السند الجزائري من إلحاق هزيمة بأخيه عند جبل وسلات سنة 1677م<sup>1</sup>.

بعد هذا الصراع بين الأخوين وفوز علي باشا على أخيه محمد، ظهر طرف ثالث تمثل في عمهما "محمد الحفصي"<sup>2</sup>، وهو الأمر الذي دفع بالجزائر لإرسال وفد بغية إصلاح بين المتخاصمين، وقدمت في سبيل ذلك مشروعا نص على اقتسام البلاد مناصفة بينهم، وهذا حسب ما يورده لنا ابن أبي الضياف بقوله "يكون الملك بالحاضرة لعلي باي ويكون محمد الحفصي باشا بالحاضرة أدبا مع الظاهر السلطاني، ويبقى محمد باي بالقيروان والساحل ويجعل ابنه تحت يد أخيه في محلته"<sup>3</sup>.

لكن هذا الصلح لم يستمر طويلا، حيث اندلعت الحرب الأهلية بين الأخوين، وبما أن الشعب التونسي كان يفضل حكم محمد باي عن أخيه علي نظرا لظلمه وتعسفه في حقهم<sup>4</sup>، فإن الجزائر تحركت وفق إدارة الشعب ونصبت محمد باي على كرسي الحكم عام 1686م<sup>5</sup>.

بعد تنصيب محمد باي على تونس عام 1686م من طرف الجزائر وبفضل إدارة الشعب، عمل على التخلص من التبعية للجزائر، لهذا نظم أترك الجزائر حملة أخرى على تونس عام 1689م، وخلعوا الباي محمد ونصبوا مكانه بايا جديدا هو ابن شكر<sup>6</sup>، لكن الباي السابق الذي

<sup>1</sup> محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تق وتحت: محمد الحبيب الهيلة، مج 2، (د.ط)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985، ص 458.

<sup>2</sup> محمد الحفصي: هو أخو مراد باي، يذكر بأنه أغرى أحد أبناء مراد باي بعد وفاته عام 1675م، بحيث قام بإغراء علي باي أمام الديوان من أجل تقديمه عليهما في السلطة. وقد استولى هو على السلطة عام 1086هـ/ 1675م، لكن محمد باي ثار عليه ومخافة من أهوال الحرب تنازل عن السلطة لابن أخيه محمد، وذهب إلى استانبول، وهناك حظى بلقب الباشا، لكن محمد باي نفاه بعد صلح الجزائر إلى بلاد الروم التي ظل فيها إلى غاية وفاته عام 1097هـ/ 1686م، ونقلت رفاتة ودفن بتونس، أنظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ص 60، 69.

<sup>3</sup> نفسه، ص 69.

<sup>4</sup> العايب، المصدر السابق، ص 29.

<sup>5</sup> عباد، المرجع السابق، ص 146.

<sup>6</sup> ابن شكر: جاء اسمه في التحفة المرضية: أحمد بن الشقير، وفي كتاب عثمان باشا: محمد شركس.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

كان يتميع بمساندة السكان استعادة سلطته سنة 1694م، بعد ذلك جمع ابن شكر اتباعه وأعلن الحرب على محمد باي، وتدخل رمضان باي قسنطينة إلى جانبه فألحق الإثنان هزيمة نكراء بمحمد باي، في منطقة الكاف مكنت ابن شكر من استعادة السلطة<sup>1</sup>.

لكن نفور الشعب من هذا الحاكم (الباي ابن شكر) وتفضيلهم لمحمد باي دفع لهم عزله وضعه من اللجوء السياسي للجزائر مرة ثانية، وهنا سعى الداوي شعبان<sup>2</sup> من أجل رد الاعتبار لابن شكر غير أن الانتكاشية تمردوا عليه، وكانت نهايته على أيديهم عام 1106هـ/1695م<sup>3</sup>.

### 4-العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس 1700-1711م:

عندما أصبح مراد باي الثالث<sup>4</sup> على رأس الحكم<sup>5</sup> في تونس رجع إلى السياسة التي كان محمد باي قد سلكها، منذ عشر سنوات، وهي التدخل في الضريبة التي كانت تدفع إلى بايلك

<sup>1</sup> محمد بن محمد الاندلس، الوزير السراج، الحلل السندسية...، ص 552، 555. وأيضا: أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1283هـ، ص ص 107، 108.

<sup>2</sup> الداوي شعبان: تولى الحكم سنة 1100هـ/1689م، وبعد إبرام الصلح مع تونس توجه بجيوشه إلى تونس سنة 1105هـ/1694م، فاستولى عليها ثم غادر إلى الجزائر بغنائم كثيرة، بعدما ألزم رعيته بدفع ضريبة سنوية، وترك ابن شكر بايا هناك، وبمجرد خروج الداوي شعبان من تونس خلعت الرعية الباوي ومنعته من دخول الجزائر، وهددت الداوي شعبان إذ عاد لمحاربة تونس، رغم هذا صمم الداوي شعبان على محاربة تونس والانتقام من المتمردين، وفي هذه الأثناء تمردت فرقة الحدود الشرقية الجزائرية، ونزحت بقصد الهجوم على الجزائر، فبعث الداوي شعبان بجماعة يثق بهم، لعلمهم يعطونهم فيرجعون عما عزموا عليه قبل وصولهم إلى أبواب المدينة، لكن كل ذلك باء بالفشل، وقبض عليه من طرفهم وزجوا به في السجن، وشنق بعد ثلاثة أيام، بعدما قاسى من العذاب ألوانا وذلك سنة 1106هـ/1695م. للمزيد أنظر: محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتحت: محمد بن الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 24، 25.

<sup>3</sup> نفسه، ص 25.

<sup>4</sup> مراد باي الثالث: تولى الحكم وعمره 18 سنة، عرف بجوره وهتكه للحرمانات، وشدة قتله بسيفه الباله، والذي يعني بالتركية حاد الشفرتين، ولذلك كني مراد باي الثالث بمراد بوباله. أنظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 89. وأيضا: الوزير السراج، المصدر السابق، ص 654.

<sup>5</sup> تولى مراد باي الثالث الحكم واعتلى كرسي الحكم التونسي بدون أي تدخل أو مساعدة الجزائرية. أنظر: حصام، المرجع السابق، ص 26.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

قسنطينة في عهد إبراهيم خوجة<sup>1</sup>. وكانت نهاية العهد المرادي تسيير بهذا الباي، والتي تعتبر من أخطر الحملات في تاريخ الإيالتين نظرا للأضرار التي مست الطرفين.

إن أول ما كان يقوم به أي باي تونسي بعد أن يتولى مقاليد الحكم، هو الإسراع في تحسين العلاقات بين إيالة الجزائر، وكسب ودها والامتثال للشروط المملاة ضمن الاتفاقيات المبرمة بين البلدين، ونذكر على سبيل المثال: دفع مبالغ مالية، البعث بالهدايا وغيرها<sup>2</sup>، لكن مراد باي الثالث الذي اعتلى كرسي الحكم هذه الفترة، فقد بدأ حكمه بالهجوم على قسنطينة سنة 1700م<sup>3</sup>. وكان الهدف من ذلك السعي إلى إعادة مدينة قسنطينة للتبعية التونسية، كما كانت عليه من قبل في العهد الحفصي، وأيضا الحد من تدخل حكام إيالة "الجزائر" في الشؤون الداخلية لإيالة تونس، إضافة إلى كرهه وحقده لأتراك الجزائر. ويظهر ذلك من خلال تحريضه لقبائل الحدود، كقبيلة الحنانشة، أيضا أسباب أخرى جراء حدوث هذه الموقعة والتي تعود لرفض داي الجزائر هدية مراد باي الثالث<sup>4</sup>، غير أن رفض الهدية لم يكن السبب الكافي لإعلان الحرب على إيالة الجزائر، وفي ربيع أن ربيع 1700م حدثت معركة بين قوات الإيالتين، وخرج منها مراد باي الثالث منتصرا وارتكب مجزرة في الأسرى بلغ عدد ضحاياها حوالي خمسمائة من الانكشارية<sup>5</sup>، وأثناء هذه الحروب المريرة بين الإيالتين تدخلت الدولة العثمانية لإيقاف حالة العنف بينهما، بعقد صلح، لكن مراد باي الثالث رفض وامتنع وفتح مفاوضات مع سلطان المغرب مولاي اسماعيل (1672-1727م)، بعمل مشترك ضد الجزائر<sup>6</sup>. لكنهما فشلا، ومع ذلك أراد مراد باي الثالث إعادة الكرة على الجزائر، لكنه فشل ولقي حتفه على يد أحد جنوده الذي تولى الحكم خلفا له<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية....، ص 59.

<sup>2</sup> خط همايون عدد 57416 تاريخ 1203هـ/1785م. أنظر الملحق رقم: 05.

<sup>3</sup> EL Hadj Mohamed El Moubarek , « Kitabtarithquasantina » in **R.A.N°57**, Par Dournon, p 275-276.

<sup>4</sup> العربيالحناشي، الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس (1640 - 1740) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الكفاءة في البحث، إشراف محمد الهادي الشريف، جامعة تونس، السنة الجامعية 1987/1988م، (غير منشورة)، ص 47.

<sup>5</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد....، ص 59.

<sup>6</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية....، ص 59.

<sup>7</sup> المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر....، ص 66-67.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

كان الهدف من وراء هذا الهجوم الثنائي المترامن تشتيت القوات الجزائرية، مستغلا المشاكل الداخلية للإيالة الجزائرية<sup>1</sup>. مما دفع بالداي حسن شاوش (1698-1700م) إلى الاستقالة من منصبه وخلفه الداوي الحاج مصطفى (1700-1705م) الذي كان جنديا قويا، ونظم حملة قوية لفك الحصار على قسنطينة وهاجم معسكر التونسيين، خلال الليل وحقق انتصار حاسما، وسحق القوات التونسية، كما قام بارتكاب مجزرة ضد الموالين لمراد باي الثالث<sup>2</sup>.

وفي سنة 1702م عقد مع إبراهيم الشريف<sup>3</sup> الذي خلف مراد باي الثالث، ولم تمنع هذه الفترة الانتقالية التي تولى فيها حكم تونس شخصية تركية وهو الباوي إبراهيم الشريف (1702-1705م) من حدوث اشتباكات بين الطرفين التونسي والجزائري، لأنه بعد اغتيال الباوي مراد الثالث استغل الباوي إبراهيم الشريف الفرصة وتوج بايا على تونس، معتمدا على المساعدة الجزائرية من أجل إقناع الباب العالي لمنحه هذا المنصب، وذلك بإبرام السلم والاتفاق بين الإياليتين تحت مجموعة من الشروط "بنود":

- دفع مبلغا ماليا سنويا لإيالة الجزائر.

- إرسال هدايا لكبار رجال الحكم في الجزائر<sup>4</sup>.

إلا أن هذا الباوي لمجرد تثبيته أمور الحكم، أخذ يتملص من دفع الضريبة السنوية للجزائر، مما دفع بالداي مصطفى<sup>5</sup> إلى محاربه عند الحدود الشرقية لمدينة الكاف. وكان النصر حليف

<sup>1</sup> حصام، المرجع السابق، ص32.

<sup>2</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية....، ص 59-60.

<sup>3</sup> إبراهيم الشريف، حكم تونس (1702-1705م) وهو ضابط تركي عمل بعد عودته من استانبول على قتل مراد باي الثالث، وكان ذلك سنة 1702م بأوامر يقال أنها تلقاها من الأستانة، عمل جاهدا من أجل إعادة أمجاد الطبقة العسكرية. وقد خالف حكام الإيالة "الجزائر" في بعض البنود المتفق عليه أثناء تنصبه بايا على تونس، مما جعل العلاقة تسوء بينه وبين الداوي الحاج مصطفى، مما أدى إلى محاربه. أنظر: محمد الشريف الهادي، تاريخ تونس، مؤسسة مراس للنشر، تونس، (دط)، 1980، ص 80. وأيضا ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص94.

<sup>4</sup> حصام، المرجع السابق، ص33.

<sup>5</sup> الداوي مصطفى: تولى الحكم (1700-1705م) وكان جنديا قويا، تولى الحكم بعد استقالة الداوي حسين شاوش، تمكن منجدة سكان قسنطينة ومدينة الجزائر، ومن أشهر أعماله صده لحملة مراد باي الثالث

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الداي مصطفى وقبض عليه وقام بأسره<sup>1</sup>. وقد جاء مؤسس عهد الحسينيين<sup>2</sup> حسين بن علي (1705-1740م). وكان طموح حكام الجزائر يعمل على إرغام الحكام التونسيين على دفع كميات من الأقمشة والزيت سنويا، بالإضافة إلى إرسال الهدايا الثمينة للدايات في جميع المناسبات<sup>3</sup>، إذ قام الباي الجديد حسين بن علي على قلب موازين القوى لصالحه، وأجبر الداى على عقد هدنة يتعهد فيها بدفع كافة التعويضات الحربية، وهكذا انسحبت القوات الجزائرية مخلفة وراءها كما هائلا من العتاد الحربي، وعند وصولهم إلى الجزائر أقدم الديوان على مصادرة كافة أموال وأملاك الداى، وعين بدلا منه الداى حسين خوخة (1705-1707م) الذي عمل على إطلاق سراح إبراهيم الشريف الذي لقي حتفه على يد أحد جنود الحسين بن علي<sup>4</sup>.

بعد تولي حسين بن علي كرسي الحكم في إيالة تونس رحلت القوات الجزائرية تاركة ما لديها من عتاد، ولم تهمهم الغنائم، وتم إجلاء الجيش الجزائري من كل مناطق إيالة تونس، خاصة مدينة الكاف التي كانت محل الصراع، واستقر الأمن بين الإيالتين وفتح باب التفاوض مع الداى الجديد حسن خوخة داي الجزائر، وقبل الاقتراحات من باي تونس والتي كانت قد رفضها الداى السابق مصطفى<sup>5</sup>.

اتسمت العلاقات السياسية بين الإيالتين في هذه الفترة بالسلم لسنوات طويلة، دامت قرابة ثلاثون سنة، وهذا راجع إلى شخصية الحكام. فمنذ أن اعتلى هذا الداى كرسي الحكم ظل محافظا على السلم، رغم أن إيالة الجزائر تداول عليها العديد من الدايات، حيث تقاهم حسين

---

على قسنطينة، وأيضا كسره للحلف المشترك بين باي تونس وسلطان المغرب مولاي اسماعيل. للمزيد أنظر: المدني، محمد عثمان باشا....، ص ص 65، 66.

<sup>1</sup>ابن ميمون، المصدر السابق، ص ص 28، 29.

<sup>2</sup>عهد الحسينيين: نسبة إلى مؤسس الأسرة الحسينية الحسن الذي حكم ( 1705-1735م) واستمر حكم الأسرة الحسينية قرنين ونصف من الزمن، أي منذ تولي حسن بن علي 1705م إلى غاية إعلان الجمهورية يوم 25 جويلية 1957م. للمزيد أنظر: حمادي الساطي، فصول في التاريخ والحضارة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1999، 1، ص ص 42، 43.

<sup>3</sup>هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد....، ص60.

<sup>4</sup>المدني، محمد عثمان باشا، داي الجزائر....، ص 66. وأيضا الضياف، المصدر السابق، ج2، ص ص 28، 29.

<sup>5</sup>الضياف، المصدر السابق، ج2، ص90، 91.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

بن علي مع كل واحد من حكام الجزائر، إضافة أن إيالة الجزائر في هذه الفترة كانت تعاني من اضطرابات داخلية، ما جعلها تبتعد عن التدخل في شؤون تونس مثل تحرير وهران سنة 1708م من الاحتلال الإسباني، وأيضا القيام ببعض الإصلاحات داخل البلاد<sup>1</sup>.

### 5- علاقة الإيالة الجزائرية بالمغرب الأقصى خلال القرنين 16 و17م:

كان للمغرب الأقصى قبل قيام السعديين، وفي عهدهم أيضا علاقات خارجية مع البلدان المجاورة له وغير المجاورة، وفي عهد محمد الشيخ بالذات عرفت العلاقات تطورات هامة. وكانت هذه العلاقات تتميز بالعداء والعنف، خاصة مع جارتهم الإيالة الجزائرية<sup>2</sup>، كما شهد المغرب الأقصى بداية القرن السادس عشر ميلادي اضطرابات داخلية، أي صراعات بين الوطاسيين في فاس، وهم الذين كانت تقف إلى جانبهم الطريقة القادرية، والأشراف السعديين في مراكش، وهم الذين كانت تساندهم الطريقة الشاذلية<sup>3</sup>. ونفس الشيء كانت تعانيه الإيالة الجزائرية من تحسر داخلي بين الزيانيين في النصف الغربي الجزائري والحفصيون في نصفها الشرقي، وظل الأمر كذلك إلى أواسط القرن السادس عشر ميلادي، عندما تمكن السعديون في المغرب من توحيد أجزائه تحت نفوذهم، وفعل العثمانيون نفس الشيء بالجزائر، ولكن العلاقات بين هذين البلدين تميزت بالتوتر طيلة ومعظم الاوقات<sup>4</sup>.

### أ- المرحلة الأولى من بداية العلاقات بين البلدين القرن 16م

كانت العلاقات بين الجزائر والمغرب تمتاز بالتنافس الشديد خلال المرحلة الأولى من تأسيس الإيالة. وقد كانت الخلافات في القرن السادس عشر ميلادي، تدور حول مراقبة تلمسان والمناطق المحيطة بها، ومن المعروف أن سلاطين المغرب وقفوا حجر عثرة أمام التوسعات العثمانية في غرب الإيالة الجزائرية، وكان الهدف العثماني من المشاريع التوسعية هو تحقيق السيطرة على طريق الذهب، الذي يربط المغرب ببلاد السودان، والوصول إلى المحيط الأطلسي

<sup>1</sup> حصام، المرجع السابق، ص43.

<sup>2</sup> بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر .... ، ص62.

<sup>3</sup> عباد، المرجع السابق، ص 76.

<sup>4</sup> عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص13.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

للك الحصار، الذي فرضه البرتغال على الدولة العثمانية جنوب القارة الإفريقية<sup>1</sup>. وقد حاول سلاطين المغرب السعديين من تحقيق مغرب الموحدين، وهذا ما أشار إليه المؤرخ التمزوتي بقوله: "والعثمانيون إنما عملوا وقادوا الأمر في الحقيقة، نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها وهم موالينا وساداتنا الشرفاء ملوك بلاد المغرب"<sup>2</sup>.

لقد صادف نزول العثمانيين في المغرب العربي، بداية حكم الأسرة السعدية للمغرب الأقصى سنة 1524م، وكانت ولادة هذين النظامين المتنافسين، كرد فعل ديني لما لحق بمسلمي الأندلس من ناحية، والعدوان الإسباني والبريطاني على سواحل المغرب من ناحية ثانية، بحيث كان الوطاسيون في المغرب الأقصى قبل ظهور الأشراف السعديين، والزيانيون والحفصيون في الجزائر، وعجزت هاتين القوتين عن مقاومة الغزو البرتغالي والإسباني، وفقدت نتيجة ذلك شعبيتها، وانهارت تدريجياً، فاسحة المجال للحكمين الجديدين<sup>3</sup> اللذين عملا على توحيد أجزاء البلدين، ثم على توحيد البلدين ذاتهما تحت حكم واحد، ولكن الهدف في الأخير لم يتأت لأي من الحكمين<sup>4</sup>.

ساهم العثمانيون في الجزائر منذ مطلع القرن السابع عشر ميلادي على تجزئة<sup>5</sup> المغرب الأقصى، إلى إمارات تابعة للأشراف والزوايا والطرق الصوفية، وحالت المنافسة القبلية وعداوة

<sup>1</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد.....، ص 64.

<sup>2</sup> أبو الحسن علي بن عمر التمزوتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تحقيق: هندي دي كاستري،

المغرب، 1926، ص ص 46، 47.

<sup>3</sup> شهد المغرب العربي ظهور حكمين جديدين في البلدين، حكم الأتراك العثمانيون في الأشراف السعديين في المغرب الأقصى خلفاً للوحدات السياسية، والقوى العديدة التي كانت قائمة آنظر: بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب...، ص 142.

<sup>4</sup> نفسه، ص 142.

<sup>5</sup> تجزأ المغرب الأقصى إلى إمارات، بعضها كان تحت حكم صلحاء مرابطين أصحاب زوايا كالدلائيين في الأطلس المتوسط أو السماليين في سوس، وبعضها بيد مجاهدين كمحمد العياشي، الذي حارب البرتغاليين في البريعة، ثم الإسبان في المعمورة، وبعضها كان تحصر نظر رؤساء هلايين أصحاب عصبية كعرب الشبانات ناحية مراكش، وبعضها تمثل جمهوريات حرة كسلا وتطوان. كان أغلب سكانها من مهاجري الأندلس، وكانت تشارك في الجهاد البحري، وكان لهذه الإمارات دور في تقوية البلاد ونشر

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الأمراء السعديين، وإتباعهم لرجال الدين، دون الوصول إلى توحيد المغرب الأقصى من طرف زعماء الزوايا والطرق الصوفية<sup>1</sup>، وجعلت العلاقات بين البلدين الجزائر والمغرب الأقصى تتطور في اتجاه النزاع بدل التعاون، واتضح أن أهمية رفض السعديين الانضواء تحت لواء الدولة العثمانية، ورغبتهم في مد نفوذهم إلى الجزائر والمشرق، تقليدا للأشراف الفاطميين الذين انطلقوا من المغرب نحو المشرق، وثبتوا خلافتهم فيه، ولتحقيق أهدافهم الاقتصادية والسياسية، تلك الرغبة التي اصطدمت برغبة حكام الجزائر في مد نفوذهم إلى المغرب، تحقيقا أيضا بأهدافهم السياسية والاقتصادية والإستراتيجية، وأهمها وحدة العالم الإسلامي تحت نفوذ الدولة العثمانية وقيل ذلك وحدة المغرب العربي الإسلامي<sup>2</sup>.

لقد وجد الملوك المغاربة في توظيف تيار النسب الشريفى الفرصة الملائمة لخدمة مصالحهم التوسعية من الناحية الشرقية، مستغلين في ذلك المساندة الشعبية التي كانوا يتمتعون بها داخل الجزائر (تلمسان)<sup>3</sup>، ولتحقيق هذا المشروع السياسي الطموح، اعتمد المغرب الأقصى على نفوذ الطرق الصوفية التي كانت تمثل القاعدة الشعبية ويستندون عليها لتهديد التواجد العثماني بالجزائر. وازداد التنافس حول هذه المدينة الحضارية والإستراتيجية، فالذي يسيطر عليها يملك التدخل في عمق المغرب والجزائر، زيادة على كون هذه المدينة الحضارية يمثل محطة تجارية هامة، ولهذه الأسباب كانت تمثل منذ البداية مطمعا لحكام المغرب، وهدفا لغزواتهم التوسعية منذ العهد المريني<sup>4</sup>، كما حلموا أيضا الوطاسيون بإعادة وحدة المغرب كله، وأيضا ضم تلمسان إلى ممتلكاتهم من أمنياتهم في تلك الفترة.

تميزت العلاقات بين أترك الجزائر العثمانيين، والوطاسيون بالود والسلمية، لكنها لم ترق إلى مستوى التعاون الكبير الفعال ضد أعدائهم وخصومهم.

---

الفوضى. للمزيد أنظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر العصور، ج2 دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1984، ص ص 284، 360.

<sup>1</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد المغرب العربي...، ص65.

<sup>2</sup> بن حروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب...، ص143.

<sup>3</sup> كانت مدينة تلمسان تضم عناصر من أتباع الطرق الصوفية الشاذلية والجزولية (طريقة أشرف السعديين)، والتي هيأت السكان إلى قبول زعامة سلاطين المغرب السعدي. أنظر: حنيفي، محاولة الجزائر العثمانية...، ص75.

<sup>4</sup> نفسه، ص64-65.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

ويمكن القول أن الوطاسيين، ذهبوا ضحية السياسة المترددة التي اتبعتها الدولة العثمانية والجزائر تجاههم، وتجاه المغرب عموماً. وقد يكون وراء تردد العثمانيين في سياستهم تجاه مغرب الوطاسيين، هو مشاغل الدولة العثمانية في شرق أوروبا، ومشاغل الجزائر بأمر تلمسان وغيرها من الأمور الداخلية، وبروز السعديين قوة كبيرة تتمتع بثقة أهل المغرب بل والجزائر، ومن ثم كان من المحبذ أخذها بالسياسة واللين، لا بالقوة والعنف، ولا سيما أنه بدى لها واضحا أن الحكام الوطاسيين الذين كانت ستعمل من أجل دعمهم، محكوم عليهم بالزوال لعجزهم عن معالجة قضايا المغرب الكبرى، وأهمها الغزو الخارجي والانقسام الداخلي<sup>1</sup>.

أما بالنسبة لعلاقات حكام الجزائر العثمانيين مع المغرب الأقصى فترة السعديين في النصف الأول من القرن 16م/10هـ، كانت في مجملها سلمية ودية طوال عهد أحمد الأعرج، ثم مالت نحو العداء والعنف، نتيجة رغبة الأتراك العثمانيين، وفي مقدمتهم السلطان العثماني في فرض الهيمنة على المغرب، والتبعية على محمد الشيخ السعدي، لكن امتناع هذا الأخير على الرضوخ للعثمانيين، والمبادرة إلى مهاجمتهم في الجزائر في عقر دارهم<sup>2</sup>.

ويفضل القاعدة الشاذلية<sup>3</sup> (أكثر الطرق الصوفية انتشارا في المغرب الأقصى)، كانت تلمسان تفتح أبوابها مرارا للجيوش المغربية في العهد السعدي. وتوضح لنا صورة الصراع الجزائري المغربي في العهد السعدي على شكل حملات عسكرية. وقد اتخذ الصراع الجزائري المغربي في هذا العهد أشكالا مختلفة حروب ومعاهدات<sup>4</sup>.

### ب- التدخل السعدي في الغرب الجزائري ومحاصرة مدينة تلمسان:

كان من المفروض أن تتطور العلاقات بين القوتين الإسلاميتين المجاورتين السعدية بالمغرب الأقصى، والعثمانية بالجزائر، في اتجاه التعاون لتحرير مناطق مختلفة من طرف الاستعمار البرتغالي والإسباني، وتقديم العون لإخوانهم الأندلسيين، لأن مبرر قيام السعديين

<sup>1</sup> بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العشر الهجري....، ص 89.

<sup>2</sup> نفسه، ص 91.

<sup>3</sup> كانت مراكز الطرق الصوفية تشكل حلقة، تمتد من فاس إلى تلمسان وتونس مرورا بالواحات، وكانت الطرق الصوفية تشجع سلاطين المغرب في استمالة العائلات الكبرى التي تتمتع بنفوذ روحي في إيالة الجزائر. أنظر: هلايلي، محاولة الجزائر توحيد....، ص 65.

<sup>4</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية....، ص 65.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

بالمغرب الأقصى وجود الأتراك بالجزائر، وهو الجهاد ضد الكفار الإسبان والبرتغاليين، أي الجهاد ضد أعداء الإسلام، لكن حدث العكس وتطورت العلاقة في اتجاه النزاع والعداء، وكان السبب المباشر لهذا النزاع، هو تدخل السعديين في تلمسان لضمها إلى ممتلكاتهم وتوسيع ملكهم واستكمال فتوحاتهم المغربية، هذا من جهة ومن جهة ثانية، بغض السعديين للأتراك وحسدهم لهم، وأيضا تخوف السعديين من دخول الأتراك لهذه المدينة، وجعلها محطة لغزوهم، كما لا تنسى رفضها الدخول تحت لواء الخلافة العثمانية<sup>1</sup>.

وقد مهد محمد الشيخ لتدخله في تلمسان (1549-1556م) واستمر حصارها تسعة أشهر، وجاءت نجدات عثمانية أرسلها حسن باشا<sup>2</sup>، بقيادة حسن قورصو<sup>3</sup>، الذي هزم الجيش السعدي وأبرم معاهدة ملوية مع محمد الشيخ جاءت في سبعة بنود:

- واد ملوية هو الحد الفاصل بين البلدين.
- احترام الحدود الفاصلة بين البلدين الموروثة عن مملكتي الزيانيين والمرينيين.
- عدم اعتداء على بعضهما البعض.
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل بلد.
- عدم التحالف مع عدو كل طرف ضد طرف ثاني.
- عدم تأييد التآمرين على النظام القائم لكل بلد.
- التعاون بينهما ضد الإسبان<sup>4</sup>.

وبعد هذه الهزيمة التي منى بها المغاربة، أدرك السلطان العثماني سليمان القانوني، ما ستخلفه مثل هذه التدخلات من أثر في نفوس المغاربة، فقد كان باستطاعته بعد هذه الهزيمة القاسية، أن يأمر الجيش من إتمام عمله بإخضاع المغرب كاملا، ولكنه أدرك أن جهاده في الشمال الإفريقي كان وسيظل ضد الصليبيين، الذين أرادوا إخضاع هذه البلاد وليس ضد إخوانه

<sup>1</sup> بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب....، ص ص 141، 142.

<sup>2</sup> حسن باشا: وهو حسن بن خير الدين باشا تولى بايلرباي على الإيالة الجزائرية ثلاث مرات المرة الأولى (1544-1552م)، المرة الثانية (1557-1562م)، المرة الثالثة (1562-1567م). أنظر: بهلول،

النظام الإداري العثماني....، ص 25.

<sup>3</sup> حسن قورصو: حكم الجزائر ما بين 1556-1557م.

<sup>4</sup> المدني، حرب الثلاثمائة سنة....، ص ص 331، 333.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

من المسلمين المجاهدين، فقام ببعث رسالة إلى السلطان محمد الشيخ، يخبره فيها بعزل حسن باشا، الذي لم يحسن الجوار ويحيطه علما بأنه عين صالح باشا<sup>1</sup> واليا على الجزائر، والذي يتمنى أن تكون علاقته به حسنة، ولم يكتف السلطان العثماني ببعث الرسائل ولكنه تبع ذلك بإرسال سفارة هامة إلى مراکش برئاسة العلامة الصالح أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلس القارقاريشي نزل الجزائر يقصد المهادنة بين السلاطين<sup>2</sup>.

لكن السلطان محمد الشيخ خرق معاهدة ملوية، وبدأ يوجه غاراته على منطقة تلمسان تمهيدا للاستيلاء عليها، وفي الوقت نفسه بدأ في اتصالاته بإسبان وهران، لإجراء مفاوضات حول مشروع التحالف السعودي الإسباني، ضد الجزائر. وعلى إثر هذه الخيانة توجه صالح راييس بحملة وانتصر على جيش المهدي في وادي سبو جانفي 1554م، ونصب أبي حسون على عرش فاس<sup>3</sup>.

تمكن محمد الشيخ من القضاء على أبي حسون سنة 1554م، واستغل في تلك الفترة الصراع القائم بين طائفة الرياس والانكشارية على السلطة، واعتمادا على التقارب السعودي الإسباني نتيجة لمشروع التحالف بينهما ضد الجزائر، أعد الشريف محمد الشيخ جيشا للاستيلاء على تلمسان، ولكنه فشل بسبب ضعف قدراته العسكرية<sup>4</sup>، وفي الفترة (1556-1573م) أراد أبو محمد عبد الله الغالب تحقيق مشروع أبيه التوسعي في الجزائر، بالاستيلاء على تلمسان، معتمدا على الحلف السعودي الإسباني، واتفق مع ملك إسبانيا فيليب الثاني (159-1621م) على أن

---

<sup>1</sup> صالح باشا: هو عربي ومن الإسكندرية تعرف إلى الأتراك حين قدومهم إلى مصر، وقد رافق البحار خير الدين في رحلاته البحرية من أهم أعماله ساهم في انقاذ بقاء المسلمين في الأندلس، وقد تولى منصب حاكم الجزائر عام 1552م، وقضى على التمردات في المغرب الأقصى، وفتح فاس عام 1554م، وقضى على بقية الزيانيين، حيث قام بتوسعات كبيرة وصلت إلى الصحراء الكبرى. وقد توفي عن عمر يناهز 70 سنة بسبب مرض الطاعون الي اجتاح مدينة الجزائر سنة 1556م. أنظر: صغييري، العلاقات الجزائرية العثمانية...، هامش رقم 01، ص 30 .

<sup>2</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط...، ص 172.

<sup>3</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد...، ص 66.

<sup>4</sup> الجمل، المرجع السابق، ص 100.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

يهاجم الجزائر في وقت واحد، وسلم له ضمانا ميناء طنجة ومدينة باد<sup>1</sup>، وهاجم الإسبان مستغانم من البحر، بينما السلطان المغربي عبد الله تولى مهاجمة تلمسان واستلائه عليها، غير أن حسن باشا تمكن من محاصرة الإسبان والقضاء عليهم في معركة مزعران أوت 1558، وقتل قائد الجيش الإسباني الكوديتو أسر الكثير منهم<sup>2</sup>، وبهذا الانتصار قرر عبد الله الانسحاب من تلمسان قبل وصول جيش حسن باشا، ولما أبعد حسن باشا الخطر الإسباني من مستغانم جهز جيشا كبيرا وسار به إلى المغرب، وعند وادي اللبن نشبت معركة انتصر فيها الجيش الجزائري على عبد الله الغالي<sup>3</sup>.

### 6- مواصلة التدخل الجزائري في شؤون المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور الذهبي:

بعد وفاة عبد الله الغالب بويق ابنه (السلطان محمد المتوكل 1573-1576م) العرش السعدي وعزم على خلع عبد الملك وأحمد المنصور، ولم تدم مدة حكمه طويلا، واتصلا عبد الملك وأحمد المنصور بالسلطان العثماني للاستجداد، ليعينهما على الاستحواذ على السلطة في المغرب الأقصى<sup>4</sup>. ولم تكن هذه أولى علاقات عبد الملك مع العثمانيين، فقد كان له معهم علاقات خاصة، منذ لجوئه مع أمه وإخوته إليهم، جراء طغيان عبدالله الغالب، وانخراطه بين صفوف المحاربين العثمانيين إلى اشتراكه في معركة حلق الوادي بين العثمانيين والإسبان، التي بمقتضاها دخلت تونس نهائيا في الإمبراطورية العثمانية<sup>5</sup>، فتوجه القائد رمضان إلى فاس بجيش كبير<sup>6</sup>، وانهزم المتوكل أمام القوات العثمانية عند وادي سيبو

<sup>1</sup>الناصرى أبو العباس أحمد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، (تح وتعل: جعفر ومحمد الناصري)، ج5، دار الكتب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1954-1956م، ص49.

<sup>2</sup>سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للحوض المتوسط....، ص174.

<sup>3</sup>هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد....، ص67.

<sup>4</sup>Daedo, Histoire des rois d'Alger ..., p.161.

<sup>5</sup>سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للمتوسط....، ص175.

<sup>6</sup>أمد السلطان العثماني عبد الملك بقوة كبيرة بلغت نحو خمسة آلاف فارس عربي، وعشرون مدفعا وسار عبد الملك وأخوه أحمد المنصور حتى أحواز فاس، والتقى بجيش أخيه المتوكل، وانتصرا عليه، حيث لاذ المتوكل بالفرار ودخل عبد الملك فاس 983هـ / 1576م، وبإيعه أهلها ودخل مراكش في نفس السنة وبإيعه أهلها أيضا، وبقي هو في مراكش واستخلف أخاه أحمد المنصور على فاس، وأما المتوكل فقد فر إلى طنجة عند ملك الإسبان، لطلب النجدة فلم ينجده. أنظر: الجمل، المغرب العربي الكبير....، ص170، 175.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

ثم في معركة وادي الريحان 1575م، واستولى عبد الملك على العديد من الغنائم جراء إنهزام المتوكل<sup>1</sup>، وقدم هذه الغنائم تسديدا للتعويضات للجيش الجزائري وتقديم هدايا معتبرة للسلطان العثماني<sup>2</sup>.

ونتيجة للمخاوف التي أثارتها الحملة الجزائرية على المغرب لدى الإسبان، أصدر فيليب الثاني أوامر بتقوية القواعد الإسبانية في المغرب والمدن الساحلية الأندلسية، وإرسال قطع من الأسطول الإسباني إلى مليلة تحسبا لأي هجوم جزائري عليها، أما ملك البرتغال سبستيان فقد فكر جيدا في غزو المغرب، ولم يلبث أن شرع في إعداد حملة ضخمة لتحقيق طموحه، ولعل مبعث مخاوف الإسبان والبرتغاليين كان أثناء تردهم من حملة جزائرية من عبد الملك على أنه ينوي غزو وهران قبل دخول فاس، ويظهر هذا عندما عزم عبد الملك على دفع التعويضات للحملة الجزائرية وبطلبه منها العودة إلى الجزائر، حتى لا يثقل على الجزائريين بمطالب التبعية لهم، إذ كان يريد أن يسترجع استقلاله التام، لكن ظاهريا وأمام المسيحيين ظل يظهر أنه التابع المخلص لحكام الجزائر، ولا سيما للسلطان العثماني حتى يؤمن على نفسه وعلى مملكته من تجاوزات أتراك الجزائر وأطماعهم<sup>3</sup>.

وقد كانت تلك التدخلات والتجاوزات من حكام الجزائر محل استياء عبد الملك، وهو موضوع شكواه إلى السلطان العثماني، مما جعل العلاقات بينه وبين حكام الجزائر تتحو نحو التوتر، وجعل عبد الملك يمضي في تقريره من الإسبان بهدف التعاون معهم ضد الجزائريين<sup>4</sup>، مما جعل السلطان العثماني يقوم بعزل رمضان باشا، ويعين حسن باشا البندقي مكانه (الملقب بالفنزبانو)، وأمره بعدم التعرض إطلاقا لمملكة عبد الملك ولرعاياه، وتنفيذ لأوامر السلطان العثماني جرت بين حكام الجزائر وعبد الملك اتصالات ومشاورات مكثفة، حول ما يجري عمله أمام مضي ملك البرتغال في إعادة الغزو للمغرب، وفي هذا الإطار توجه إلى المغرب عدة مبعوثين للتداول مع عبد الملك في المساعدة التي يمكن أن يقدمها حكام الجزائر له، وأخبروه أن الأسطول العثماني في صيف ذلك العام سيصل إلى الحوض

<sup>1</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد.....، ص 67.

<sup>2</sup>Diego, Haedo, Histoire des Rois,.....,p.161.

<sup>3</sup> بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب...، ص ص 196، 198.

<sup>4</sup> نفسه، ص 198.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الغربي للمتوسط، لكن عبد الملك كان غير متحمس في واقع الأمر لاستقدام الأسطول العثماني إلى المغرب، لأنه يعلم أن دعم الأتراك لا يكون خالياً من الطمع في بلاده<sup>1</sup>. وبالرغم من أن عبد الملك تقرب من الإسبان فنصحهم أندريا غاسبار وكورسو بعدم استقدام الأسطول العثماني، وكذا بعدم استقبال قرصنة الجزائر في ميناء العرائش وسلا<sup>2</sup>، زاعماً له أن مجيء هؤلاء إلى المغرب لا يغني خزينته، وإنما يفقرها إذ مجيئهم سيبعد التجار المسيحيين عن مملكته. وقد أثر هذا الإسباني على موقف عبد الملك كثيراً، بحيث بعث بسفينة لاستقدام زوجته وابنه إسماعيل، وأيضاً قام بإعادة الأتراك الذين كانوا عنده في خدمته على أمل ألا يهاجمه البرتغاليون، ولما أمر عبد الملك هذا السفير الإسباني أندريا بالتوجه إلى البلاط الإسباني سفيراً عنه، اعتذر عن القيام بهذه المهمة، ودافع بأنه لم يكن مدافعاً في المغرب لأمر سياسي، علماً أنه كان في الجزائر غير معتمد للأمر السياسي، ومع ذلك يقوم بنقل رسائل عبد الملك ورغباته. وقد أثار اعتذار أندريا ودفاعه دهشة عبد الملك واستغرابه<sup>3</sup>.

وفي عام 1578م توجه الجيش البرتغالي من لشبونة بمعاونة المتوكل على الله الخائن لبلده، بقيادة الملك سبستيان حتى وصل إلى الضفة اليسرى لوادي المخازن، ووصل الجيش المغربي قبل الجيش الغازي إلى هذا المكان، حيث وقعت الواقعة الحاسمة بين الجيشان هزم فيها جيش عبد الملك جيش سبستيان، وخليفه المتوكل هزيمة ساحقة. وكان من بين القتلى ملك البرتغال والمتوكل على الله، وأيضاً السلطان عبد الملك<sup>4</sup>، وسميت هذه المعركة بمعركة الملوك الثلاثة<sup>5</sup>، وبوبيع أبو العباس أحمد المنصور بالخلافة بعد موت عبد الملك.

فتحت هذه المعركة صفحة جديدة للعلاقات بين المغرب وأوروبا، وأيضاً بين المغرب والدولة العثمانية، وأمام تطور الأحداث لم يجد السلطان العثماني بداً من قبول الأمر الواقع،

<sup>1</sup> بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب...، ص ص 202، 203.

<sup>2</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط...، ص 176.

<sup>3</sup> بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب...، ص 203.

<sup>4</sup> توفي السلطان عبد الملك بن مروان في معركة وادي المخازن، لكن خليفته أحمد المنصور كتم خبر وفاته حتى لا يؤثر ذلك على نفسية الجيش المغربي.

<sup>5</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص ص 55، 62.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

والتراجع عن غزو المغرب، رغم أن العلي باشا كان يتحين الفرص لتحقيق حلمه القديم، في إعادة الحكم الإسلامي للأندلس<sup>1</sup>.

أما على صعيد العلاقات الودية بين المغرب والدولة العثمانية وحكومة الجزائر، فقد صفا الجو بين البلدين على إثر قبول السلطان مراد بالأمر الواقع وميله إلى سياسة المهادنة، بينه وبين سلطان المغرب، كما أن أحمد المنصور لم ينس للسلطان العثماني نجدته له ولأخيه عبد الملك ضد المتوكل، وكذا لم ينس المنصور إثر بيعته في وادي المخازن أن يكتب للسلطان مراد العثماني بما أحرزه من نصر على جيوش البرتغال، وقد وفدت له رسل السلطان ومعهم الهدايا لتهنئته<sup>2</sup>.

وقد جاءت الرسائل السعدية إلى العثمانيين دليلا على صفاء جو العلاقات المغربية في عهد أحمد المنصور الذهبي، وفي بعض هذه الرسائل أدلة على استئناف الجهاد في المغرب، مما قد يفهم منه أن المشاورات بين السعديين والعثمانيين كانت جارية لاسترداد الأندلس وتخليص المسلمين المعذبين فيها.

كانت هذه المراسلات التي استمرت أغلب سنوات حكم المنصور، دليلا أكيد على العلاقات الودية بين البلدين، مما أسفر عنه المزيد من التقدم والازدهار للمغرب في عهده، ولقب بالذهبي لبلوغ المغرب في عهده عصرها الذهبي من التوسع والرخاء الاقتصادي والاجتماعي<sup>3</sup>.

لكن العلاقات الودية بين سلطان المغرب الأقصى والأتراك الجزائريين، لم تلبث أن تغيرت فقبل توجيه السلطان العثماني حملة ضد المغرب حاولت إستمالة أحمد المنصور الذهبي إليه، بمختلف الوسائل فقام ببعث رسالتين إلى أحمد المنصور، عرض في الأولى التحالف معه ضد فيليب واستعداده لتقديم المساعدة الكبيرة له لتحرير الأندلس، وقبل ذلك إمضاء معاهدة حسن الجوار معه، وبعث بالثانية إلى أحمد المنصور، وعرض فيها تزويجه من إحدى بناته لإقامه مزيدا من الروابط والوفاق بين السلطانين، والجدير بالملاحظة أن السلطان العثماني حرص على أن لا يخاطب السلطان السعدي في الرسالتين المذكورتين إلا بلقب الأمير الكبير والحاكم، فقد جاء في مقدمة إحداهما: "هذا كتابنا الشريف إلى الجناب

<sup>1</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط...، ص ص 178، 179.

<sup>2</sup> الجمل، تاريخ المغرب العربي الكبير...، ص ص 183، 185.

<sup>3</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط...، ص ص 179، 181.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الأمير الكبير، النصرى، الأمجدي، الأسعدي... فرع الشجرة الزكية النبوية، نصير القرآن... مولاي أحمد الحاكم بولاية فاس ومراكش". في حين احتفظ السلطان العثماني بألقاب كالسلطنة والخلافة لنفسه، قائلاً في رسالة إلى أحمد المنصور: " فنجح بأمره إلى مبايعتنا بالسلطنة ومتابعتنا بالخلافة الباهرة"، ففهم السلطان المغربي بأن السلطان العثماني مقاصده بعيدة غير مأمونة من وراء عروضه المتقدمة، وأهمها مد نفوذه إلى المغرب<sup>1</sup>، إضافة إلى العروض المتقدمة عرض عليه إمداده بأسطول عظيم يستعين به في إعادة فتح الأندلس، لكن لم يتضح موقف أحمد المنصور تجاه العروض العثمانية واستمر في تقربه من الإسبان، وما لبث أن وجه أحمد المنصور سفارة إلى استانبول مخبراً السلطان العثماني بوصوله إلى شبه اتقاق عسكري مع الملك الإسباني، لمؤازرته ضد العثمانيين في مقابل تنازله عن مدينة العرائش وبعض الامتيازات الأخرى<sup>2</sup>.

أثناء تقرب أحمد المنصور من الإسبان وتثاقله عن الاستجابة لعروض السلطان العثماني، غضب هذا الأخير، ويبدو أن العلي باشا كان حلمه القديم كما ذكرنا سابقاً، ضم المغرب إلى الدولة العثمانية، وهذا ما جعله ينتهز الفرصة ويشجع السلطان العثماني من أجل التدخل بالقوة للقضاء على الأشراف السعديين، فأذن له السلطان العثماني بالتوجه إلى المغرب والقضاء على دولته، ولما علم السلطان أحمد المنصور عن طريق أحد قناصل إنجلترا بتأهب العلي باشا لغزوه، أوفد عن طريق البحر سفارة تحمل هدية إلى السلطان العثماني بقصد الاعتذار له عن التأخر على لجواب، والعمل على إيقاف الحملة الموجهة ضده<sup>3</sup>. فقبل السلطان مراد الثالث الاعتذار والهدية رغم أنه كان على علم بالتقارب بين السلطان أحمد المنصور والإسبان، وأمر العلي باشا الذي كان والياً على الجزائر بالعدول عن حملته، وأعلن أنها مخافة لإرادته وهدده إن خالف أوامره<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب...، ص 217.

<sup>2</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط...، ص 178، 179.

<sup>3</sup> بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب...، ص 218، 219.

<sup>4</sup> نفسه، ص 220، 221.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

وقد شجع تراجع العثماني عن غزو المغرب الأقصى<sup>1</sup>، أحمد المنصور على أن يتراجع بدوره عن توقيع أي إلتزام للإسبان بتسليم العرائش لهم، وأخذ يسوقهم إلى أن فقدوا الأمل في الحصول على ذلك الميناء، بعد أن قضوا بضع سنين في المفاوضات بشأنه، وخسروا من أجله ما لا كثيرا.

في الوقت الذي كان يجري فيه تبادل السفارات بين أحمد المنصور والسلطان العثماني لتصفية العلاقات، كانت تجري بين المنصور وأتراك الجزائريين العثمانيين مراسلات وسفارات، تستهدف توطيد العلاقات بين حكومة الجزائر والمنصور وتقويتها<sup>2</sup>.

لقد توطنا إلى أن العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور قد تميزت في السنوات الأولى من عهده المتزامنة مع الولاية الأولى لحسن باشا، كما رأينا بعض التوتر، وتميزت العلاقات بينهما في ولاية حسن باشا الثانية بالسلام القلق، ومالت أكثر فأكثر بين البلدين نحو السلام الراسخ، والوفاق، ولا سيما بعد رحيل حسن باشا عن الجزائر سنة 1587م إلى استانبول، وموته هناك عام 1591م، لأنه كان يرغب في التدخل في المغرب ويحرض السلطان العثماني على ذلك<sup>3</sup>.

إن العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى، حتى بعد أن مالت إلى السلام الراسخ بعد سنة 1588م على الخصوص لتجنب الطرفين العثماني والسعدي ما يوترها، ولم ترق إلى التعاون الفعال، والتلاحم بينهما، للتغلب على الصعوبات التي واجهتهما، وذلك لانعدام الثقة الكاملة بينهما، ظل أحمد المنصور ينظر إلى الجزائر على أنها بلد العدو، وهو ما أثبتته في إحدى رسائله إلى ولده محمد الشيخ، وفي نفس الوقت كان يتظاهر بالصدقة والمودة في رسائله إلى حكام الجزائر، وهؤلاء كانوا لا يرون فيه إلا مجرد حاكم للمغرب لا خليفة، ولا أمير المؤمنين، ولا إماما كما كان يحلو لأحمد المنصور يقلب نفسه، ولذلك فإن العلاقة بين الطرفين لم تزد في أحسن الظروف عن المجاملات وعروض التعاون في مناسبات معينة، بحيث لم ترق العلاقات إلى التعاون الفعال الذي كان منتظرا أن يحصل، وأحسن دليل بقاء

<sup>1</sup> أهم ما أعقب تراجع العثمانيين عن غزو المغرب، وتراجع أحمد المنصور عن تسليم العرائش للإسبان، هو ميل الطرفين العثماني والمغربي إلى التفاهم، وإقامة السلم بينهما، أنظر: بن خروف، العلاقات السياسية ...، ص222.

<sup>2</sup> نفسه، ص223.

<sup>3</sup> نفسه، ص231.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الإسبان محتلين لمواقع عديدة في البلدين، إضافة إلى هذا المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور قد خرج في علاقاته مع الجزائر والدولة العثمانية متحررا من كل تبعية، أو نفوذ للعثمانيين عليه، بعد أن امتد إليه نفوذهم في عهد أخيه عبد الملك، مما جعل نتيجة حملتهم معه سريعة الزوال بداية من ولاية المنصور<sup>1</sup>.

### 7- مواصلة التدخل الجزائري في شؤون المغرب الأقصى بعد حكم أحمد المنصور:

واصل التدخل الجزائري في الشؤون المغربية أوجه في النصف الأخير من القرن السابع عشر ميلادي، ولقد وجدت الأسرة العلوية<sup>2</sup> مضايقة من الجانب العثماني المستقر بالجزائر، والذي كان يؤيد منازعي السلطة بالمغرب، فواصلوا بذلك سياستهم القائمة على التدخل والتي يعود تاريخها إلى العهد السعودي، اختار حكام الجزائر جانب الدلائيين لما ثاروا على المولى اسماعيل سنة 1677م، كما أنهم مدوا يد المساعدة إلى خضر غيلان، الذي كان يسعى لتأسيس إمارة مستقلة في منطقة شمال المغرب، مما يعني أن الجزائر العثمانية اتخذت منذ البداية موقفا عدائيا إزاء الدولة العلوية، فاتسمت هذه العلاقات بالتوتر والتأزم أحيانا، والحروب تارة أخرى، وهذا منذ أول غارة قام بها السلطان محمد علي وجدة سنة 1646م، وقام محمد الشريف العلوي (1640 - 1658م) بدافع التوسع على منطقة وجدة التي كانت تابعة للجزائر العثمانية في تلك الفترة، وأغار على قبائل زناسن، وبني مطهر وذوي يحيى وبني سنوس، وبني عامر والجعافرة والأحرار وعين ماضي<sup>3</sup>، وكرد فعل لهذه الغزوات قام أحمد باشا (1650 - 1656م) حاكم الجزائر، بإرسال حملة عسكرية لمواجهة غارات

<sup>1</sup> بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب...، ص ص 238، 239.

<sup>2</sup> يرجع نسب الأشراف العلويين إلى جدهم الأعلى الحسن بن القاسم، الذي وفد إلى المغرب سنة 664هـ / 1265م من ينبوع النخيل ببلد الحجاز، في أوائل عهد الدولة المرينية، أين استقر بسجلماسة. أنظر: عبد القادر الميلى، العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر ميلادي، "مقاربة سياسية"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، السنة الدراسية 2016 - 2017، ص 140.

<sup>3</sup> حركات، المرجع السابق، ص 257.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الشريف العلوي، وانتهت بعقد معاهدة تم بموجبها تخلي الجزائر عن أراضي غربي تافنة إلى وادي ملوية لصالح المغرب العربي<sup>1</sup>.

ومع هذا التاريخ بالذات تبدأ الحلقة الأولى في صدام الحدود بين المغرب والجزائر باسم الأسرة العلوية، أو في العهد العلوي<sup>2</sup>، هذا الصدام ساهم في تقسيم سكان وجدة ومنها شرقا حتى تلمسان إلى قسمين: حزب قبل الدخول في مشمولات الإمبراطورية العثمانية، والاستناد لإدارة باشوية الجزائر، وحزب آخر مناوئ للتبعية العثمانية<sup>3</sup>. وهذا الصراع له خلفيات لنزاع قديم متجدد، بحيث لا يخرج هذا الصراع عن استمرار طابع النزاع للعلاقات التي طبعت منذ البدايات الأولى مع العثمانيين، ولتجدد في أيام العلويين، فقد سلكوا هذا المسلك خاصة في عهد المولى الرشيد<sup>4</sup> (1075 - 1082هـ / 1664 - 1672م)<sup>5</sup>، بحيث حددت المعاهدة المبرمة مع إيالة الجزائر، ليتفرغ بعد ذلك للاستيلاء على المغرب المجزأ إلى إمارات، ولكنه أغار من جديد على قبائل بني يزناسن الموالية للأتراك العثمانيين، وما لبث أن انسحب إلى تازة مكملًا مشروعه التوحيدي للمغرب، وتابع مولاي إسماعيل (1672-1727م) مشروع أخويه للتوسع في الجزائر، ومهد لذلك بتحريض سكان تلمسان على الثورة ضد التواجد العثماني بالجزائر، وتوغل الجيش المغربي في الصحراء ثم في وادي الشلف، وانظم إليه بنو عامر سنة 1676م، فهاجم الجيش الجزائري المحلّة<sup>6</sup> بالمدفعية، فقرر مولاي

<sup>1</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد...، ص ص 67، 68.

<sup>2</sup> إبراهيم حسن شحاتة، أطوار العلاقات المغربية العثمانية، قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947م)، الاسكندرية، 1981، ص 385.

<sup>3</sup> نفسه، ص 385.

<sup>4</sup> يعتبر من المؤسسين الحقيقيين للدولة العلوية، ومما قيل في حقه: " هذا السلطان من أجل من أنجب الإسلام السلاطين الملوك، كمعمر، مع قصر مدته ما كان غير مدمر...، وعلى عهده راجت بضائع العلم وعمرت أسواقه بعد الكساد...، قال أبو علي الحسن ابن مسعود اليوسي في رسالته لأبي النصر: ففضح من قبله وأتعب من بعده، ولو طالمت مدته لجاؤه علما بني بلده...". أنظر: عبد الرحمان بن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، الرباط، 1937/1356، ص ص 11، 12. نقلا عن عبد القادر الميلى، المرجع السابق، ص 144، هامش رقم 03.

<sup>5</sup> نفسه، ص 144.

<sup>6</sup> المحلّة: جمع محلات وهي تمثل أهم مؤسسة إدارية في إيالة الجزائر، واتخذت شكل سلطة متنقلة تقوم بجباية الضرائب والرقابة والتأديب، والمحلّة لم تكن من إنشاء الأتراك في بلاد المغرب، وإنما هي مؤسسة

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

اسماعيل الانسحاب وقبول عرض الجزائر بإقرار الحدود القديمة<sup>1</sup>، وقد واجه المولى إسماعيل العلوي هذه الإستراتيجية بحملات عسكرية واتفاقيات سلم مثلما فعل خلال هذه الحملة التي عمد فيها إلى قبول فكرة الحدود عند واد التافنة كحد فاصل بين الترابين سنة 1088هـ/ 1679م<sup>2</sup>.

وفي 26 جانفي 1682م، قام المولى اسماعيل بعقد معاهدة سان جرمان مع الملك الفرنسي لويس الرابع، وإقرار التعاون المغربي الفرنسي، وفي نفس السنة 1682م أعلنت الجزائر مساندة ابن محرز ضد السلطان العلوي، وخلال هذه المرحلة تأزم الوضع في الجزائر، حيث عمد الأسطول الفرنسي بقيادة الأميرال دوكين الذي تلقى الأوامر بتخريب مدينة الجزائر. وقد تصدى الداوي بابا حسن (1682- 1683 م) لهذه الحملة، كما أرسل حامية عن طريق البحر لنجدة تلمسان، وهزمت اسماعيل الذي تراجع واعترف بالحدود مع الجزائر<sup>3</sup>.

وفي سنة 1679 م، وجه مولاي إسماعيل جيشا بقيادة نجله زيدان، لردع قبائل بني عامر الذين كانوا يعرضون خدماتهم على العثمانيين، وتارة أخرى على المخزن<sup>4</sup> المغربي،

---

قديمة كانت قبل وجود الأتراك، ولكن الأتراك عملوا على إعادة بعثها، لأنها كانت تمثل السلطة في قمع المتمردين، لأنها عبارة عن فرقة عسكرية ترسل من مدينة الجزائر مركز السلطة إلى البايالك الثلاثة . وكانت هذه المحلات تخرج إلى الأرياف مرتين في السنة، في فصل الربيع والخريف، وكانت مهمتها مساعدة البايات على جمع الضرائب من القبائل. أنظر: أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي " الفترة العثمانية 1519 - 1830 م"، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 19.

<sup>1</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد.....، ص 68.

<sup>2</sup> المليق، العلاقات بين الجزائر والمغرب ....، ص 153 .

<sup>3</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد....، ص 68.

<sup>4</sup> يحيل المخزن مفهوما على كثير من الوظائف لكنه يظل أكثر اتصالا بحقل السلطة، بكل ما تعنيه من قوة قهرية إلزامية، تفترض الطاعة. فكلمة المخزن هي موضع المخزن، ومنه مخزن البضاعة عند التجار، ويعود الاستعمال الرسمي لكلمة المخزن لإبراهيم بن الأغلب أمير إفريقيا، وهو صندوق من حديد تحصل فيه الأموال من الضرائب قصد إرسالها إلى الخليفة العباسي ببغداد، وهي تحيل عموما على الدولة، إذ المخزن انطلق ماليا وانتهى سلطويا. للمزيد أنظر: عبد الرحيم العطري، تحولات المغرب القروي أسئلة التنمية المؤجلة، م، ط، ب، الرباط، 2009، ص ص 36، 37، نقلا عن: المليق، المرجع السابق، ص 54، هامش رقم 2 .

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

فرد الداوي الحاج شعبان (1688-1695م) على هذا التعاون بإرسال حملة أدت إلى انهزام زيدان وتراجعته إلى فاس<sup>1</sup>.

وقد أسفرت المعركة على خسائر جسيمة، أدت إلى مقتل 5000 مغربي و100 قتيل من الجانب الجزائري، ثم تقدم الداوي شعبان بجنوده إلى فاس التي كانت محمية بأربعة وعشرين ألف من الجنود المشاة، وبعشرين ألفا من الفرسان، وراح السلطان إسماعيل يلتمس من الداوي شعبان إبرام الصلح بينهما، فقبل الداوي هذا الالتماس، ثم نصبت خيمة في مكان متوسط بين الجيش المغربي وبين الجيش الجزائري، فاجتمع فيها السلطان والداوي وأمضيا عقد الصلح هناك.

وأن السلطان مولاي إسماعيل عندما كان ذاهبا إلى الخيمة التي نصبت من أجل إبرام عقد الصلح، كانت يدها مكتوفتين، وذلك إشعار باستسلامه وخضوعه، وعندما وصل أمام الخيمة قبل الأرض ثلاث مرات، ثم دعا الله أن يستره وأردف قائلا للداوي: أنت خنجر وأنا لحم، فإن شئت قطع، فلم ينله مكروه من الداوي، بيد أنه شرط عليه شروطا عجز عن تطبيقها فيما بعد<sup>2</sup>، وتتمثل أهم نقاط البنود فيما يلي:

- اعتراف إسماعيل بوادي ملوية كحد فاصل بين الجزائر والمغرب.
- تتوقف الاعتداءات والتحرشات العسكرية بين البلدان .
- تسريح إسماعيل لجيوشه غير الضرورية.
- يدفع مولاي إسماعيل ضريبة للداوي.

بعد هذه التسوية لجأ السلطان إسماعيل إلى إبرام معاهدة صداقة وتجارة مع فرنسا، ومثلها مع باي تونس مراد علي(1696-1703م)، واتفقا معا على مهاجمة الجزائر في زمن واحد من الشرق والغرب، وبعد أن انقضى صلح سنة1700م ، أقدم مولاي إسماعيل بالزحف على الجزائر، وأغار زيدان على معسكر عاصمة بايلك الغرب مستغلا غياب الداوي مصطفى بوشلاغم، كما قام إسماعيل باكتساح الأراضي الجزائرية في 28 أوت 1701<sup>3</sup>، فوصل إلى

<sup>1</sup>De Grammont, Histoire d'Alger sous ....p.134، 135.

<sup>2</sup>بن ميمون، المصدر السابق، ص24.

<sup>3</sup>الناصرى، أبو العباس أحمد، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح وتع: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتب للنشر والتوزيع، ج7، الدار البيضاء، 1956، ص89.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

مشارف وادي جديوية<sup>1</sup>، إلا أن الهجوم المغربي كلف جيش إسماعيل خسائر بشرية<sup>2</sup> حيث قتل 3000 مغربي ، وجرح إسماعيل قرب وادي شلف، وكاد أن يقع في قبضة جنود الانكشارية<sup>3</sup>.

لم تتوقف أطماع إسماعيل التوسعية في الجزائر، رغم الهزائم المتكررة، ففي سنة 1708م قاد حملة لمهاجمة وهران لا تزال تحت الاحتلال الإسباني، بحيث توجه جنوب مرسى أرزيو، لكن مصطفى بوشلاغم تصدى له وهزمه في مكان يدعى زبوجة الغرب<sup>4</sup>، ومنذ هذه الكارثة توقفت عمليا كل المواجهات العسكرية الكبرى ما بين القوتين، لأن كلا من الجزائريين وجيرانهم المغاربة انشغلوا بالقضايا الداخلية، لا سيما القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي ساعدت على إنكفاء الثورات المحلية، فضلا عن الضغط الأجنبي، أما السلطان إسماعيل فاكتفى بإرساله ابنه عبد الملك، الذي أغار على الجنوب ووصل بالحاميات إلى عين ماضي، حيث تمركزت بقرية بوسمغون، ما بين سنوات "1710 - 1713م" زمن حكم الداوي علي شاوش<sup>5</sup>.

### المبحث الثاني: الأطماع الأوروبية في الأقطار المغربية ودوافع الاحتلال.

كانت إسبانيا من بين الدول الأوروبية الأشد معارضة للوجود العثماني في الجزائر، نظرا لقرب الجزائر منها ولطموح إسبانيا في السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، بحيث كان الإسبان في بداية التواجد العثماني بالجزائر "الإخوة بربروس" يدافعون عن المدن الجزائرية الساحلية التابعة لهم ويقدمون الدعم لسلطين الدولة الزيانية والمتآمرين على الأتراك

<sup>1</sup> وادي جديوية: هو من روافد واد الشلف.

<sup>2</sup> تعد هذه المعركة أهم معركة استنصر فيها إسماعيل العلوي، ومني فيها بفشل ذريع، بحيث قادها بنفسه، وأحدث هذا الانتصار للجزائر فرحة كبيرة وعقبه مباشرة وصلت التبريكات لأتراك الجزائر، وأسفرت هزيمته عن هزائم بشرية فادحة قدرها المؤرخون بثلاثة آلاف رأس من جنده، ثم حز رؤوسها لتعلق على أبواب العاصمة الجزائرية، وهذا بعد أن أصابته بجروح ووصفته بالكارثة، ولم يكن هذا فحسب بل غنم الجزائريون حسان إسماعيل العلوي، وما أدراك ما مكانة الحصان في نفسية الرجل المغربي قديما وحديثا. أنظر: الميليقي، المرجع السابق، ص ص 166، 167.

<sup>3</sup> بن ميمون، المصدر السابق، ص ص 27، 28.

<sup>4</sup> زبوجة الغرب وهو مكان يقع جنوب سبخة أرزيو، ويدعى أيضا: غابة مولاي إسماعيل أنظر: المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، ص 46.

<sup>5</sup> هلايلي، محاولة الجزائر العثمانية توحيد....، ص 70.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

مثل سالم التومي وابن القاضي وأحميدة العبد ومحمد بن علي، كما قاموا بإرسال بعض الحملات ضد مدينة الجزائر<sup>1</sup>. وبعد إلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية واسترجاع خير الدين لحسن البينيون1529م ازداد غضب الإسبان واعتبروا التهديد العثماني تهديدا خطيرا يجب إيقافه<sup>2</sup>. فجهّزوا حملة بحرية ضخمة بعد تحالف إسباني فرنسي-جنوي بقيادة إسبانيا<sup>3</sup>.

كانت الحملة بقيادة أندري دوريا قد انطلقت في شهر جويلية 1531م، من جنوة بإيطاليا، وكان الأسطول يتكون من أربعين سفينة، وتمكن دوريا من الاستيلاء على ميناء هنين ثم هاجم مدينة شرشال واقتحمها، إلا أن السكان العثمانيين تمكنوا من إلتحاق الهزيمة بجيش دوريا<sup>4</sup>، وأحدثت هذه الهزيمة الذعر لدى الإسبان، فقرر شارلكان الملك الإسبان قيادة حملة بنفسه ضد مدينة الجزائر<sup>5</sup>، خاصة بعد استدعاء خير الدين إلى استانبول ظنا منه أن رحيل خير الدين سيسهل عليه احتلال المدينة. وقد بدأ شاركان استعداداته للحملة منذ احتلاله لتونس وهزيمته لخير الدين في سنة 1535م<sup>6</sup>، ونظرا للأهمية الكبيرة التي أولاها شاركان لهذه الحملة، فقد جمع لها إمكانيات بشرية ومادية ضخمة ساهمت فيها الكنيسة الكاثوليكية واستجاب لها نبلاء إسبانيا وإيطاليا وألمانيا متطوعين من مختلف البلدان الأوروبية، وتألّف أسطول شارلكان من خمسة وستين سفينة حربية وأربعمئة وخمسين سفينة نقل على متنها أربعة وعشرين ألف جندي واثنا عشر ألف بحار<sup>7</sup>.

أبحرت الحملة في 18 أكتوبر م1541 من إسبانيا يتقدمها شارلكان وفي يوم 23 أكتوبر من نفس السنة نزلت قوات شارلكان على الضفة اليسرى من وادي الحراش<sup>8</sup>، ونزل شارلكان بالحامة ونصب خيمته على مرتفع حصن الإمبراطور وتمكن الجيش الإسباني رغم المقاومة من التقدم نحو المدينة واحتلالها يوم 24 أكتوبر 1541 واتخذها شارلكان قاعدة له وقام بمحاصرة المدينة من كل جانب بعد احتلاله للمرتفعات المحيطة بها.

<sup>1</sup> مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين..... ص ص 70 - 72.

<sup>2</sup> Haedo, Histoire des Rois d'Alger... , p.125.

<sup>3</sup> مؤلف مجهول ، غزوات عروج وخير الدين .....، ص 72.

<sup>4</sup> Haedo, Histoire des Rois d'Alger.... pp. 127,128.

<sup>5</sup> وولف ، المرجع السابق ، ص 47.

<sup>6</sup> عباد ، المرجع السابق، ص ص 60 - 62.

<sup>7</sup> نفسه، ص 62.

<sup>8</sup> المدني ، حرب الثلاثمئة سنة.....، ص ص 280، 282.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

### • حملة شارلكان على الجزائر 1541 ونتائجها:

وجد الإمبراطور شارل الخامس أن انتزاعه لتونس من يد العثمانيين لم يؤدي إلى نتيجة، بل ازداد الأمر سوءا بازدياد الغارات التي كان يقوم بها العثمانيون على السواحل الأوروبية<sup>1</sup>، فكان يفكر في توجيه حملة ضخمة ضد الجزائر التي أصبحت مركز الغارات البحرية ومأوى الهاربين من الأندلس، وقاعدة السلطان سليمان القوية والحصينة اتجاه السواحل الإسبانية، خصوصا بعد الأنباء الحزينة التي وصلتته من أوروبا إثر نجاح جيوش السلطان سليمان في الاستيلاء على مدينة بودا في المجر. فأراد أن يقضي على الإيالة الجزائرية وبغرض سيطرته على الحوض الغربي للمتوسط، لكن انشغاله بالمشاكل الأوروبية حال دون تنفيذ مشروعه. وما إن حال الوقت، حتى بدأ بجمع كل الدول الأوروبية حيث كان البحارة والجيش خليطا من مختلف أصقاع الإمبراطورية الإسبانية، وتمكن من تجهيز أكبر حملة عسكرية عرفها البحر المتوسط خلال القرن 16 ميلادي<sup>2</sup>. وأراد شارلكان أن تكون هذه الحملة ضربة قاضية للوجود العثماني في الشمال الإفريقي كله وفي الجزائر خاصة. وقد ارتبطت هذه الحملة بعدة عوامل أهمها:

1. رغبة شارلكان في الانتقام للشرق الإسباني الذي لطم بسبب الهزيمة العظيمة التي مني بها الأسطول الإسباني في معركة بروزة سنة 1538م<sup>3</sup>، ومحاولة شارلكان استغلال فرصة وجود خير الدين بالشرق (استانبول) لما استدعي من طرف سليمان القانوني، ظنا منه أن غيابه ترك فراغا كبيرا في الإيالة الجزائرية<sup>4</sup> وحرمها من تلك القوة المعنوية التي كانت تستمدتها من شخصية خير الدين وسمعته<sup>5</sup>.
2. كانت إسبانيا ترى أن احتلال الجزائر يمكنها من طرد العثمانيين من الحوض الغربي للمتوسط<sup>6</sup>. وهذا من خلال الانتصار السياسي الذي أحرزه الإسبان في تلمسان والغرب الجزائري بفعل استمالتهم سلطان تلمسان وتمكنهم من إخضاع الدولة

<sup>1</sup> مجهول، مذكرات خير الدين...189.

<sup>2</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص116. أحمد سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص223.

<sup>3</sup> دراج، الدخول العثماني للجزائر...، ص275.

<sup>4</sup> كان تعيين حسن باشا بن خير الدين واليا للجزائر في حياة أبيه إختيارا صائبا من قبل الدولة العثمانية ووفاء لهذه العائلة العميقة الولاء للعرش العثماني، فقد إهتم بإعداد الجيش وتدريبه وتأمين الخدمات الصحية والثكنات العسكرية والاهتمام بتحصين المدينة. أنظر: جاسم محمد شطب، المرجع السابق، ص70.

<sup>5</sup> المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا...، ص271.

<sup>6</sup> المحاومي، المصدر السابق، ص209.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الحفصية (احتلال تونس 1535م)<sup>1</sup>، لذا فإن احتلال الجزائر سيضمن له السيطرة على غرب البحر المتوسط ويؤمن له الطرق البحرية ويمكنه من فرض حصار محكم من الشرق والغرب والجنوب على فرنسا وإخضاعها بشكل نهائي لسلطانه، خاصة وأن فرونسوا الأول كان قد عقد تحالفا مع السلطان العثماني سليمان القانوني ضد شارلكان<sup>2</sup>.

3. محاولة شارلكان تخفيف الضغط العثماني على أوروبا، خاصة النمسا والمجر، بتوجيه اهتمام السلطان العثماني سليمان القانوني إلى الحوض الغربي للمتوسط<sup>3</sup>.

كما أن الرعايا الإسبان كانوا قد اشتكوا مرارا إلى ملكهم مما يفعله بهم أهل الجزائر، لذا قرر الإمبراطور شارلكان مهاجمة مدينة الجزائر، خاصة بعد فشل المفاوضات الإسبانية مع خير الدين ثم مع خليفته حسن آغا<sup>4</sup>، وأيضا انتصار العثمانيين في موقعة بروزة وطرد الإسبان من الجزائر شجع العثمانيون من فرض سيطرتهم على شرق وغرب المتوسط، حتى صار شارلكان نفسه يصعب عليه التنقل في السفن من برشلونة إلى نابولي<sup>5</sup>.

4. رغبة إسبانيا ومن ورائها الدول الأوروبية في تحطيم الجزائر، لاعتبارها أخطر قاعدة للقراصنة، تسببت في دمار وخراب السواحل الإسبانية، واحتلالها يعني السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط خاصة وأن مدينة الجزائر تراقب كل الطرق الكبرى للبحر المتوسط<sup>6</sup>.

وكان هدف الحملة هو الاستيلاء على الجزائر والقضاء على العثمانيين من البحر المتوسط، بحيث كانوا يعتقدون أنه لولا بروز العثمانيين بالمغرب لأمكنهم إنشاء مملكة مسيحية على السواحل المغربية<sup>7</sup>.

لقد استغل شارلكان أثناء حملته هذه فترة انشغال الدولة العثمانية بحربها مع النمسا والمجر والمقاومات العنيفة التي واجهتها من طرف المسحيين رغم الانتصارات التي حققتها<sup>8</sup>، وأيضا عقد هدنة بين شارلكان وخصمه فرونسوا الأول ملك فرنسا في 1537م، ثم في عام

<sup>1</sup>ألتر، المرجع السابق، ص155.

<sup>2</sup>دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، ص ص 273-274.

<sup>3</sup>بلحميسي، غارة شارل الخامس...، ص95.

<sup>4</sup>وولف، الجزائر وأوروبا...، ص55.

<sup>5</sup>دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، ص273.

<sup>6</sup>بلحميسي، غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر...، ص94.

<sup>7</sup>سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي...، ص127.

<sup>8</sup>المدني، حرب الثلاثمائة بين الجزائر...، ص272.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

1538م التي لعب فيها البابا بول الثالث دورا هاما والتي كان يهدف فيها إلى توحيد أوروبا المسيحية ضد التقدم الإسلامي نحو إيطاليا<sup>1</sup>. وبعد هزيمة بريغينزا أي عام 1539 عقد إجتماع بين شارلكان وفرونسوا، وتعهد فيه هذا الأخير إلتزام الحياد، وهو ما مكن شارلكان من تجهيز جيشه وأسطوله وأمر بالتوجه إلى الجزائر<sup>2</sup>.

سير الحملة:

أدرك شارلكان بأن الوقت مناسب لتنفيذ مشروعه، فبدأ في الاستعدادات المادية والبشرية والتي شرع فيها أواخر 1540م<sup>3</sup>. وقد شارك في هذه الحملة نبلاء إسبانيا وإيطاليا وألمانيا كجنود متطوعين إلى جانب فرسان مالطا وكان الأسطول يتكون من خمس مائة وستة عشر سفينة حربية وناقلات جند، وعهد بقيادة الأسطول إلى عدد من كبار القادة من بينهم أندري دوريا<sup>4</sup>.

ولعب حسن آغا قبل هذه المعركة دورا رئيسيا في تنظيم وإدارة المقاومة، فاستدعى أعيان المدينة ونظم اجتماعا مع أعيان المدينة والعلماء وشجعهم على الوقوف في وجه القوات الأوروبية، كما أمر بتتصيب المدافع على أبراج المدينة ووزع السلاح عليهم وعلى الأهالي وما يحتاجونه من البارود والرصاص وخطب في الناس يشجعهم على الصمود<sup>5</sup>.

قبل بداية الحملة (المعركة) أرسل شارلكان خطابا مع أحد فرسانه إلى والي الجزائر حسن آغا، يطلب منه تسليم المدينة باعتباره ملك الملوك في أوروبا لكن رد حسن آغا جاء متحديا ورافضا<sup>6</sup>.

تمكنت القوات الإسبانية من النزول بسهولة إلى البر في وجهة مجاورة لميناء الجزائر وذلك يوم 23 أكتوبر 1541م<sup>7</sup>. وتصدى لهم المقاومون لمنعهم من النزول إلى البر، لكن الأوروبيون أطلقوا عليهم قذائف المدافع من البحر وأبعدهم وبدأت القوات الإسبانية تتقدم إلى

<sup>1</sup> وولف، الجزائر وأوروبا...، ص 56.

<sup>2</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 224.

<sup>3</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص 115.

<sup>4</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي...، ص 127.

<sup>5</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، ص 274-282.

<sup>6</sup> قنان، نصوص ووثائق في تاريخ...، ص 46.

<sup>7</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 224.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الأمام ورد عليهم المدافعون بقذائف المدفعية التي كانت منصوبة على أسوار المدينة<sup>1</sup> وبقيت الهجومات بينهم إلى غاية 25 أكتوبر فتغير الجو وهطلت الأمطار بغزارة وهبت رياح قوية إستمرت عدة أيام، اقتلعت فيها خيام جنود الحملة وارتطمت سفنهم بعضها ببعض وأصبح الأسطول الإسباني مهدد بالغرق فبدأ في الانسحاب هو والجيش المتمركز على الساحل، وانتهز حسن آغا هذه الفرصة وقام بالهجوم المفاجئ، وأيضاً قام الأهالي بانتهاز هذه الفرصة وانقضوا عليهم من كل الجهات فأخذوا غنائم لا تحصى بالإضافة إلى الأسرى<sup>2</sup>.

اعتبر أهل الجزائر هذه العاصفة عوناً من الله على أعدائه، فرجوا من المدينة من هجوم شامل على أطراف القوات الإسبانية التي أربكت العاصفة نظامها وفقد القيادة للسيطرة على الوضع<sup>3</sup>. وانهزم الإسبان وبدأت القوات البرية والبحرية في الانسحاب، ومني الإسبان بهزيمة مروعة حتى أن الإمبراطور شارلكان شوهد لأول مرة وهو يبكي، بل أنه قد انتزع تاجه على رأسه وألقاه في البحر وبعد عودته إلى إسبانيا ترك عرشه واعتزل الدنيا وتستر في معابد الرهبان متأثراً بما حل به<sup>4</sup>.

### • نتائج فشل حملة شارلكان:

كانت خسائر الجيش المسيحي بقيادة شارلكان كبيرة مادياً وبشرياً. وكان للحملة نتائج هامة على الجزائر وقد تركت آثار عميقة على المخططات الإسبانية في شمال إفريقيا ومستقبل الوجود العثماني في الجزائر أهمها:

- ترسيخ دعائم الوجود العثماني في الجزائر والإيالة الجزائرية أكثر من أي وقت مضى، كما غدا موقف الإسبان من موقف هجوم إلى موقف دفاع، إنما لبثوا أن فقدوا مدينة بجاية، واشتدت الحملات الجزائرية لتحرير مناطق أخرى مثل وهران والمرسى الكبير، كما تفرغ سكان الجزائر إلى توطيد نفوذهم باتجاه الشرق والغرب والجنوب<sup>5</sup>.
- أما الخسائر المادية فتمثلت في 16 مركباً من نوع غليوت و140 سفينة ناقلة للجنود ومدفعية ثقيلة وآلات الحصار والزاد والخيام... الخ، وبلغ عدد المدافع التي خلفها

<sup>1</sup> دراج، الدخول العثماني...، ص ص 279-289.

<sup>2</sup> مجهول، غزوات عروج وخير الدين...، ص ص 119-121، آلتز، المرجع السابق، ص ص 160-168.

<sup>3</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، ص 288.

<sup>4</sup> سالم، السيطرة العثمانية في حوض...، ص ص 127-228، آلتز، المرجع السابق، ص ص 160-168.

<sup>5</sup> بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر...، ص 31.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الإسبان 200 مدفعا، وقيل 100 مدفع استولى عليها المسلمون وزينوا بها الحصون الحربية وسائر أسوار المدينة، حتى أصبح ما غنمه المسلمون يضرب به المثل<sup>1</sup>.  
- أيضا من نتائج حملة شارلكان هو التفاف الجزائريين حول حسن آغا وأهم من ذلك المساعدات العسكرية التي بعث بها السلطان سليمان والتي نظر إليها أهل الجزائر ومسلموا إسبانيا على السواء باعتبارها تعزيزا لشوكة المسلمون. وكانت هذه الهزيمة أكبر هزيمة مني بها شارلكان في حياته. وقد شبه أهل الجزائر هذه الهزيمة بهزيمة أصحاب الفيل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم فقالوا في رسالة أرسلوها إلى السلطان سليمان، أن الله سبحانه وتعالى عاقب شارلكان وجنوده "بعقاب أصحاب الفيل" وجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم ريحا عاصفا وموجا قاصفا فجعلهم بسواحل البحر ما بين أسير وقتيل، ولا نجا منهم من الفرق إلا القليل"<sup>2</sup>.  
- كانت الخسائر البشرية أيضا كبيرة جدا، بحيث كان عدد القتلى بسيوف المسلمون 12000 إضافة إلى خيلهم وأن جثثهم ملأ ما بين الجزائر ودلس شرقا وشرشال غربا<sup>3</sup>.

كان لهزيمة شارلكان في الجزائر صدى كبير في حوض البحر المتوسط، مما أكسبها شهرة واسعة في الحوض الغربي للمتوسط، وأصبح يحسب للجزائر ألف حساب، كما وصفوها بالمحروسة وخبر الهزيمة نزل على أوروبا كالصاعقة وهي أكبر وأعظم هزيمة لحقت بشارلكان منذ توليه حكم إسبانيا، وبعد هذه الهزيمة تكونت لدى أوروبا والعالم المسيحي قناعة بأن مدينة الجزائر قوة لا تقهر<sup>4</sup>. وبعد هذه الهزيمة أصبحت الجزائر مهابة الأجانب وتبددت أحلام وآمال شارلكان في القضاء على الوجود العثماني في الجزائر.

### المبحث الثالث: ظروف إلتحاق الجزائر وتونس وطرابلس بالدولة العثمانية.

شهد القرن العاشر هجري- السادس عشر ميلادي، تحولا كبيرا في بنية القوى الدولية في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتشكلت في هذه الرقعة الفسيحة من العالم موازين القوى من جديد، وتجدد الصراع على أشده بين الشرق والغرب مصطبغا بالدين.

### نتائج وانعكاسات سقوط غرناطة:

فبعد فتح القسطنطينية سنة 1453م تابع العثمانيون حملاتهم الإسلامية في شرق أوروبا وشرق البحر المتوسط، وبعد سقوط غرناطة 1492م تابع الإسبان حملاتهم المسيحية على سواحل بلدان المغرب الإسلامي وحوض البحر المتوسط الغربي، وكان لقضية

<sup>1</sup> دراج، الدخول العثماني...، ص284، أتر، المرجع السابق، ص162.

<sup>2</sup> سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي...، ص128.

<sup>3</sup> دراج، الدخول العثماني...، ص285.

<sup>4</sup> بلحميسي، غارة شارل الخامس...، ص ص105-108.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

"المورسكيين"<sup>1</sup> في الأندلس إثر تأجيج الصراع بعد انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس، حيث اضطراب هؤلاء من جزاء التنكيل والتعذيب الذي مارسه عليهم ما يسمى بمحاكم التفتيش الأساسية إلى الجلاء عن أوطانهم، ولقد ترتب على هجرتهم بعض النتائج الجديدة على المجتمع المغربي، ومنها تأجيج الصراع البحري بين القوى الإسلامية والمسيحية، فقد اندفعت إسبانيا وراء هؤلاء الفارين إلى سواحل المغرب الإسلامي فكان لابد للمغاربة من صد هذه الحركة بحركة مجابهة وهي "حركة الجهاد البحري"<sup>2</sup>.

لقد اعتبرت إسبانيا نفسها المدافع الأول عن جميع المسيحيين في المتوسط خاصة بعد إتمام وحدتهما نتيجة زواج فرديناند وإيزابيلا سنة 1469م، هذه الوحدة أو الزواج السياسي أفرز دولة قوية ناشئة مسيحية في الشمال، وتحقق حلم الوحدة الإسبانية بسرعة كبيرة، ومن ذلك تولدت أسطورة إسبانيا "الإمبريالية"، كما يقول بروديل: أطلق هذان الملكان على نفسيهما لقب "الملكين الكاثوليكين" مما يعكس صورة التعصب الديني ضد الإسلام<sup>3</sup>.

ويعد تصفية الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس بعد سقوط غرناطة عام 1492م تتويجا لانتصارات كانت قد بدأت تتلاحق منذ القرن 15م في كل من أراغون وفالنسيا والأندلس، كوجه من وجوه الصراع الديني الحضاري بين الإسلام والمسيحية، واتخذ هذا الصراع شكلا استيطانيا ضد الشعب الموريسكي (المسلمين)<sup>4</sup> ومثلت هذه القضية وجها من أوجه الصراع الحضاري بين العالمين (المسيحي والإسلامي).

<sup>1</sup>المورسكيين: يعني هذا الاسم باللغة الإسبانية "Moriscos" تصغير للفظ مورو "Moro" ويقصد بها التحقير والإساءة أو في بعض الأحيان تعني مسلم عربي أو مغربي لاسيما أين يقطن موريتانيا أو طنجة كما أن ترجمة كلمة Moriscos تعني المسلمين المنبوذين، ومن خلال ذلك يتم التوصل إلى أن المعنى العام لتعريف المورسكيين هم المسلمين الذين تنصروا إجباريا وكرها من أجل إعتناق المسيحية ولذلك أطلق عليهم اسم النصاري الجدد أنظر: إلهام محمود كاظم ومشتاق بشير الغزالي: اضطهاد مسلمين الأندلس "المورسكيين Moriscos" في عهد شارل الأول "كارلوس الخامس" 1516-1556، مجلة كلية التربية للنبات للعلوم الإنسانية، ع 20، جامعة الكوفة، 2017، ص 20-21.

<sup>2</sup>الحضيري، المرجع السابق، ص 3.

<sup>3</sup>حنيفي هلايلي، مسعودة بوجلال، قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرديناند بروديل، مجلة الحوار المتوسطي، ع 15-16، الجزائر، مارس 2017، ص 564.

<sup>4</sup>فرناند يروديل، المتوسط والعالم المتوسطي "تر: مروان أبي سمرا"، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993، ص 139.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

ولعل ما حدث في كل من غرناطة<sup>1</sup> والحمراء والمناطق المجاورة التي كان يتواجد بها المورسكيين الأندلييس في إسبانيا من ثورات وانتفاضات، ما هو إلا نتيجة من نتائج الاضطهاد الشامل، ولاسيما السياسي "الملوك" والكنسي "الكنيسة ورجال الدين" منه، والذي انتهى بالمجازر والسبي والأشغال الشاقة بعد مصادرة أملاك المورسكيين وطردهم منها وإسكان ما يقارب اثنتي عشر ألف (12 ألف) عائلة فلاحية مسيحية فيها، وأمام إصرار المورسكيين على البقاء في إسبانيا ومواصلة كفاحهم، لجأ الملك فيليب الثاني لإصدار أمر يقضي بإجبار الرجال من المورسكيين على العمل في البواخر تقاديا لتناسلهم وبالتالي محاولة منع تكاثرهم<sup>2</sup>.

ويمكن القول أن الحكومة الإسبانية قد عملت على مطاردة ومنع كل ما يمكنه أن يؤدي إلى مواصلة عيش أو استمرارية الإسلام في غرناطة، وهدفت من وراء هذه السياسة إلى تقديم إنذار للمسلمين (المورسكيين) لكي يخلصوا في تبعيتهم لها ولجعلهم يشعرون بالخوف والارتباك<sup>3</sup>، ومن هذا المنطلق الديني- المتعصب- تأججت نار الحقد الصليبي الأوروبي الذي كانت توجهه الكنيسة ضد الإسلام والمسلمين بالمشرق والمغرب، ونال مسلموا الأندلس النصيب الأكبر من ويلات الحرب الصليبية هذه بصفتهم يقطنون جزءا من أوروبا ويهددون المسيحية في عقر دارها<sup>4</sup>.

ومن هنا يمكن القول أن هذا الحقد الصليبي المسلط على المورسكيين لم يتوقف إلا بعد طردهم نهائيا من إسبانيا كلها ما بين 1609م وعام 1614م<sup>5</sup>.

ولقد تركت هذه الممارسات آثارها السيئة في نفوس المهاجرين، الذين تحول بعضهم وحولوا معهم جمع من سكان سواحل بلدان المغرب إلى غزاة في البحر في محاولة استرداد بعض حقوقهم التي سلبت منهم، واضطروا لتركها في ديارهم الأندلسية تحت وطأة المطاردة ومحاكم التفتيش، وكذلك لصدا السفن المسيحية والإسبانية التي تعترض سفن المسلمين الفارين بما خف حمله وارتفع ثمنه<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>Broudel, La méditerranée..., p118-200.

<sup>2</sup>بروديل، المرجع السابق، ص ص، 139-140.

<sup>3</sup>Broudel, la Méditerranée.....,pp 526-527.

<sup>4</sup>عنان محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، القاهرة، 1996، ص78.

<sup>5</sup>هلايلي، بوجلال، قضايا البحر الأبيض المتوسط...، ص567.

<sup>6</sup>الحضيري، المرجع السابق، ص5.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

إن ما حدث في إسبانيا اتجاه المورسكيين الأندلسيين يمكن اعتباره استعماراً حقيقياً، وهذا بالنظر إلى كل ما تعرضوا له من نهب واعتداء وقتل واستبداد ومجازر واضطهاد ديني.... إلخ، وهذا الاستعمار ليس ثمرة تحولات اقتصادية واجتماعية، بل هو نتيجة مباشرة للسيطرة السياسية، وهذا ما يتضح في إرغامهم على اعتناق الدين المسيحي<sup>1</sup>. وهذا ما طرحه فرناند بروديل حول القضية الموريسكية والذي كان مفاده: لما فعلت إسبانيا ما فعلته بالموريسك؟ إلا أن الإجابة على هذا التساؤل جاءت من جهة نظره على النحو التالي: أن المورسكيين واجهوا الحضارة الغربية المفروضة عليهم بالرفض، وفي القابل كان يستحيل على إسبانيا التعايش مع مركز إسلامي يقوم في قلبها- وهذا اعتراف بعجزها- فوجدت نفسها في مواجهة خيارين إثنين: إما إقتلاع ذلك المركز من جذوره، وإما التعايش معه بغية دمجهم وهضمه على نحو شامل، لتختار أخيراً الحد الأكثر جذرية ألا وهو اقتلاع المورسكيين ونفيهم من المدن أولاً ومن الأرياف ثانياً<sup>2</sup>، هكذا هو حال القضية الموريسكية التي ما هي إلا حلقة من حلقات الصراع الحضاري الطويل في البحر المتوسط بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي.

### 1- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية:

عرض خير الدين فكرة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وإدخالها ضمن أملاكها حتى تكتسب نوعاً من الحماية الدولية ويجد هو الحماية والسيطرة على المتمردين<sup>3</sup>، وهذه الفكرة تدل على نكاه خير الدين وبعد نظره، حيث أدرك أنه مع تصاعد الخطر الإسباني، فإن الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة القادرة على دعمه، فاستحسن كبار المدينة الفكرة وأرسل خير الدين الدين رسالة باسم الأعيان والفقهاء والأئمة والتجار وكافة سكان مدينة الجزائر<sup>4</sup>، مع وفد برئاسة أبي العباس أحمد بن القاضي الذي اشتهر بجهاده ضد الإسبان لتصور أوضاع المسلمين

<sup>1</sup>بروديل، المرجع السابق، ص139.

<sup>2</sup>نفسه، ص140.

<sup>3</sup>وليام شالر، مذكرات وليام شالر "قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م"، تر: إسماعيل العربي،

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 40-41.

<sup>4</sup>التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر ...، ص116.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

المتردية في الجزائر، وعرض أبعاد القضية عليه ومطالبته بربط مصير الجزائر السياسي بالدولة العثمانية، وخصوصا أن النزاع بين القبائل أدى إلى توغل الإسبان في السواحل الجزائرية<sup>1</sup>.

كما أن إستغاثة أهالي الجزائر بالدولة العثمانية، وفرض الولاء والطاعة للسلطان العثماني في استانبول، كان له مغزى كبير، وهو أن خير الدين أدرك بحنكته السياسية وإستراتيجيته العسكرية في تدبير شؤونه في قيادة العمليات، وخوضه حربا مع قوى كبيرة، ذات سلطة واسعة كإسبانيا والبرتغال، وكان بحاجة إلى حليف قوي بغية التصدي لهذه الأخطار التي تهدده، وبالطبع كانت الخلافة العثمانية هي القوة الإسلامية المرشحة لهذا التحالف<sup>2</sup>.

كانت الرسالة التي بعث بها أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني، مؤرخة في أوائل ذي القعدة سنة 952هـ بين 26 أكتوبر ونوفمبر 1519م. ومما جاء في الرسالة: "إننا ندعوا بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العليا دعاء يبلغها أقصى الأمانى، فإن عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي، معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالإجلال والتعظيم، وأن رسالتنا هذه لا تستطيع أن تستعرض كل الأسرار... لقد جرت حوادث جليلة ولها أخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة أعداء السنة، ومفادها أن طائفة الطاغية لما استولت على بلاد دلس انتقلوا منها إلى قلعة وهران، للاعتداء على سائر البلاد، غير أنهم بعد استيلائهم على بجاية وطرابلس، بقيت الجزائر كالنقطة وسط الدائرة وبقينا كذلك حيارى.... وقد نظرنا في الأمر ورأينا أن المحن والشدائد تشتد وأن الضرورة تقتضي بحقن دماء أنفسنا، وخوفا على حريمنا وأموالنا وأولادنا من السبي والتفريق، تصالحنا مع التثليث وإنا لله وإنا إليه راجعون"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد المنعم الحميمي، الدولة العثمانية والمغرب العربي، الموسوعة الثقافية التاريخية والحضارية

"التاريخ الحديث"، دار الفكر العربي للطبع والنشر، مج 12، القاهرة، 2007، ص5.

<sup>2</sup> بهلول، النظام الإداري العثماني في الجزائر.....، ص22.

<sup>3</sup> التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول.....، ص ص 116-120.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

كان السلطان العثماني سليم الأول<sup>1</sup> "1520-1512م" مقيما في القاهرة بعد فتحها سنة 1571م لتنظيم البلاد، وقابل الوفد وأجابهم على سؤالهم وأعلمهم بموافقته على أن يشمل دولة الجزائر، وأن تكون مشتركة مع الدولة العثمانية في الجهاد ضد المسيحية<sup>2</sup>.

أرسل خير الدين فرمانا سلطانيا منحه لقب الباشا<sup>3</sup>، وعينه حاكما على الجزائر برتبة "يكلربك"<sup>4</sup> أي أمير الأمراء وهو أعظم ألقاب الدولة العثمانية، كما أرسل إليه ألفين من الجنود الإنكشاريين وبعض الأسلحة والذخائر، وسمح له بجمع ما شاء من المتطوعين الراغبين في الإنضمام إلى صفوف المجاهدين<sup>5</sup>، يضاف إلى ذلك أنه أعطى خير الدين لقب "قبودان"<sup>6</sup>، ونتيجة لذلك، دخلت الجزائر رسميا تحت السيادة العثمانية سنة 1519م، وتحصل خير الدين على القوات اللازمة لصد الهجوم على الجزائر، وجعلها مركزا عثمانيا لمجابهة الإسبان، وقاعدة

<sup>1</sup> سليم الأول: هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية ولد في 10 أكتوبر 1470م وتوفي في 22 سبتمبر 1520 عرف لدى الغرب بسليم العابس، ويلقب كذلك بـ "ياوز" وتعني بالتركية الشجاع، حكم لمدة 8 سنوات ابتداء من 1512 حتى وفاته، للمزيد أنظر: المحامي، المصدر السابق، ص ص189، 191.  
<sup>2</sup>(v)Lustky, Modern History of the Arab countries, Progress publishers, Moscon, 1969, pp. 167-168.

<sup>3</sup>الباشا: معناها رئيس الرؤساء ومشتقة من "بادشاه" الفارسية وهي كلمتان باد تعني العرش وشاه تعني صاحب أي صاحب العرش. أنظر: جميل المرجع السابق، ص62.

<sup>4</sup>يكلربك أو الباييرباي: تعتبر برتبة مير ميران، أي أميرالأمراء، وهو من المناصب الرفيعة في الدولة، وعندما منح السلطان خير الدين هذا اللقب لم يكن يتمتع به سوى عدد محدود من كبار الشخصيات العثمانية، وكان هذا المنح دلالة على إمتياز لخير الدين وللولاية التي كان يحكمها كنائب للسلطان. أنظر: بهلول، النظام الإداري العثماني للجزائر.....، ص26.

<sup>5</sup>عبد المنعم الجميعي، الدولة العثمانية والمغرب العربي.....، ص ص6، 7.

<sup>6</sup>قبودان: هو أمير البحر أو قائد الأسطول. وكان زيه مميذا عن بقية رجالات الدولة العثمانية، فكان يرتدي على رأسه (قلاوى) مزينة بقماش الصرمة النفيسة، وهذا القماش كان يلف من اليمين إلى اليسار بشكل مائل، أما الجهة الخلفية (للقلاوى) فكان من الصرمة الخضراء، ومغطاة بفرو السمور، وكان القبودان باشا يلف على وسطه زنارا، ويثبت فيه خنجرا مطليا بالذهب، وكان يحظى بعناية خاصة من السلطان العثماني إلا أنه أدنى مرتبة من الصدر الأعظم وأعلى من بقية الوزراء. أنظر: محمود شوكت، التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية" 1362-1826م"، تر: يوسف جميل نعيصة، محمود علي عامر، ط1، دار الإحصار العلمي للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2017، ص ص96، 97.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

لتوسيع رقعة الحكم العثماني في شتى أنحاء بلاد العرب، وإلى جانب ذلك نودي على منابر مساجدها باسم السلطان العثماني، وصارت العملة تصك باسمه<sup>1</sup>.

بعد دخول الجزائر تحت سلطة العثمانيين بمبادرة من خير الدين، أصبحت قاعدة لتوسيع الحكم العثماني في كافة بلدان المغرب العربي، وقد شهدت عدة تحولات خلال الحكم العثماني لها، وذلك حسب أوامر لسلطة العليا التي كانت تمثله.

### 2-الفتح العثماني الأول لتونس:

بعد توحيد خير الدين للجبهة الداخلية في الجزائر، رأى أنه من الواجب عليه في ذلك الوقت إنهاء حكم الدولة الحفصية الضعيفة التي توشك على الانهيار، فقد كانت أعين شارلكان تتجه إليها مما يمثل أشد الخطر على النفوذ العثماني في شمال إفريقيا<sup>2</sup>.

ارتبطت الحملة على تونس بصراع الحفصيين على السلطة وهما فتح المجال للعثمانيين للتدخل من خلال الأسطول الذي قاده خير الدين القابودان العام للأسطول العثماني<sup>3</sup>، بحيث حققت البحرية العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني انتصارات واسعة في البحر المتوسط تمثلت في العمليات التي تزعمها خير الدين بربروس، الذي كان يحكم الجزائر باسم السلطان العثماني<sup>4</sup>.

وفي تلك الأثناء استدعى السلطان سليمان خير الدين إلى استانبول عام 1533م ليعهد إليه بقيادة الأسطول العثماني والإشراف على تنظيمه وتطويره، فبعد أن تولى أندري دوريا قيادة الأساطيل الإسبانية، علم السلطان أن خير الدين أكفأ من يتصدى له، فمن له يتصدى لهذا القبطان الماهر غير خير الدين بربروس. وهكذا كان على خير الدين أن يعلن مند اللحظة الأولى لأندري دوريا<sup>5</sup>.

وكان أول أمر يتلقاه خير الدين من السلطان سليمان هو فتح تونس، وكانت هناك الكثير من العوامل دفعت السلطان سليمان القانوني إلى الاهتمام بمد النفوذ العثماني إلى

<sup>1</sup>Sakina Missoun, alger à l'époqueottomane de la médina et la maison, traditionnelle.I.N.A.S.

Alger, 2003, p34.

<sup>2</sup>سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص220.

<sup>3</sup>الغاشي، المرجع السابق، ص43.

<sup>4</sup>نغم طالب عبد الله، المرجع السابق، ص950.

<sup>5</sup>سالم، السيطرة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط...، ص ص120-121.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

تونس ومن أهم تلك العوامل: الموقع الجغرافي في منتصف الساحل الإفريقي، وتوسطها بين الجزائر وطرابلس، وأيضاً قربها من إيطاليا التي كانت أحد جناحي الإمبراطورية الرومانية المقدسة، هذا إلى جانب مجاورتها لجزيرة مالطا مقر فرسان القديس يوحنا الحلفاء الطبيعيين للإمبراطور شارل الخامس وأشد الطوائف عداءاً للإسلام، ثم الإمكانيات الهائلة التي تتيحها موانئ تونس في التحكم في المواصلات البحرية بين حوضي البحر المتوسط، هكذا تضافرت عدة عوامل على إضفاء أهمية عسكرية على تونس في هذا الصراع الحربي بين السلطان سليمان وبين الإمبراطور شارل الخامس<sup>1</sup>.

إن دعم الوجود العثماني في الجزائر التي أصبحت إيالة عثمانية من عام 1519م، كان يتطلب فتح تونس التي كانت مستهدفة من الإسبان. كما أن ضم تونس إلى الدولة العثمانية يضمن التواصل بين الجزائر والدولة العثمانية وأزالت كل الحواجز التي يمكن أن تعرقل المسالك البحرية من الشرق المتوسط وغربه. وبعد هذا العمل الي أقدم عليه السلطان العثماني يندرج في إطار الإستراتيجية العثمانية في المتوسط، وفي أوائل صيف عام 1534م بعدما سافر السلطان سليمان قاصداً مدينة تبريز متجهاً لغزو إيران، خرج خير الدين بمراكبه من بوغاز الدردنيل غير قاصد تونس مباشرة بل، عرج في طريقه على جزيرة مالطا وبعض موانئ جنوب إيطاليا لغزو مراكبها وأهلها بدون احتلالها حتى يعلم قصده الأصلي وهو فتح تونس<sup>2</sup>، وقصد بذلك نشر الرعب في نفوس الأوروبيين تمهيداً للاستيلاء على تونس، وحتى يجبر الحكومات الأوروبية على توزيع قوتها على السواحل للتصدي لها، وبعد ذلك توجه خير الدين على رأس قواته فاستولى على تونس عام 1534، وأعلن تبعيتها للدولة العثمانية، وأنهى الحكم الحفصي بها، كما سقطت في يده المدن الساحلية، وتوغلت قواته جنوباً في الداخل وأعلنت القبائل ولاءها للدولة العثمانية<sup>3</sup>.

ولما وصل الإمبراطور شارلكان خبر سقوط تونس ودخول العثمانيين إليها اتحد مع رهينة القديس يوحنا التي نزلت بجزيرة مالطا على استرجاع تونس وإعادة مولاي حسن إلى ملكه<sup>4</sup>. وكان شارلكان يدرك جيداً امتداد الحكم العثماني إلى هذا الإقليم الهام، الذي يشرف

<sup>1</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني....، ص 221.

<sup>2</sup> العيدروس، التاريخ العسكري العثماني...، ص ص 184-185.

<sup>3</sup> سالم، إستراتيجية...، ص ص 221-222.

<sup>4</sup> العيدروس، التاريخ العسكري العثماني...، ص 185.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

بشكل مباشر على المواصلات بين حوضي البحر المتوسط وأيضا قربه الشديد من أقاليم الدولة الرومانية من الناحية الشرقية، وهذا بالطبع غير تهديد النفوذ الإسباني في قواعده الباقية في الشمال الإفريقي، وتشجيعا للموريسكيين على مواصلة الهجرة والاستقرار بتونس إلى جانب الجزائر، وإرسال حملة قوية لطرد العثمانيين وإعادة الحكم الحفصي الموالي له<sup>1</sup>.

لقد شكل دخول العثمانيين إلى تونس دافعا قويا لتحرك القوى الأوروبية المسيحية بزعامة البابا وشارلكان للهجوم على تونس وانتزاعها من خير الدين<sup>2</sup>، وجهاز عمارة قوية قادها هو بنفسه ونزل مع أشرف إسبانيا من ثغر برشلونة في 29 ماي 1535م ووصل إلى حلق الواد وحاصرها هي ومدينة تونس مدة شهر تقريبا واستولى على ما بقلعتها وثرغها من المدافع والمراكب<sup>3</sup>. ودخلت القوات الإسبانية تونس وعلى رأسها الإمبراطور شارلكان، حيث تقدم إليه سلطان تونس مولاي الحسن مع عدد كبير من أنصاره منحنيا أمام قدميه، معلنا فروض الطاعة والولاء، وهكذا تمكن شارلكان من الاستيلاء على تونس<sup>4</sup>.

والواقع أن التحالف المسيحي بزعامة إسبانيا لم تكن لتدخل إلى تونس لولا تحالفها مع بعض القوى المحلية التي قبلت بالمعاهدة المجحفة، والتي نصت بنودها على مايلي:

أ- اعتراف الدولة الحفصية بتبعيةها للدولة الإسبانية.

ب- ملكية الإسبان بشكل مطلق لمرسى حلق الوادي، وقرطاجنة، وعنابة، والمهدية.

ج- إلتزام السلطان الحفصي برفض إيواء مهاجري الأندلس من اليهود والمسلمين<sup>5</sup>.

د- إطلاق سراح جميع الأسرى المسحيين بتونس.

هـ- السماح للمسيحيين بإقامة شعائرهم الدينية بالإضافة إلى بنود أخرى لا يسع المجال لذكرها<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص 222.

<sup>2</sup> إبراهيم بك حليم، المصدر السابق، ص 88.

<sup>3</sup> العيروس، التاريخ العسكري العثماني...، ص 185.

<sup>4</sup> سالم، إستراتيجية الفتح العثماني...، ص ص 222-223.

<sup>5</sup> نيقولاوي، المرجع السابق، ص 33.

<sup>6</sup> الغاشي، المرجع السابق، ص 44.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

### 3- طرابلس الغرب 1551م.

كانت ليبيا قبل 1498م جزءا من الدولة الحفصية ثم خرجت من أيديهم في بداية حكم عبد الله محمد الخامس الحفصي. وأسست دولة أشبه بجمهورية مستقلة يحكمها رجال الطرق الصوفية الذين كانوا يعرفون بالمرابطين، ولكن القسم الشرقي من البلاد ويسمى برقة، فقد كان خاضعا لسلطة المماليك، غير أن السلطة الحقيقية كانت في يد البدو الذين ظلوا يمثلون القوى الحاسمة في برقة وطرابلس وفزان. وفي أواخر القرن 15م أسس المهاجرون الأندلسيون مدينة بنغازي التي حلت بها جماعات المهاجرين القادمين من طرابلس وبلدان الشرق الأدنى، فتحوّلت المدينة إلى ملجأ للبحارة والتجار المسافرين عبر البحر من الإسكندرية إلى المغرب وبالعكس<sup>1</sup>. فقد كانت طرابلس الغرب إحدى موانئ إفريقيا الهامة، وكان يصدر منها جزء لا يستهان به من منتجات قلب القارة الإفريقية<sup>2</sup>.

أما في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، فقد كانت طرابلس منطقة استراتيجية خطيرة بالنسبة لحركة التجارة مع داخل إفريقيا، وهي المأوى الوحيد والمفضل للقوافل الصحراوية الوافدة من السودان والمحملة بالتوابل والذهب وتجارة العبيد. كما أن طرابلس الغرب تمثل خطا ساحليا ذا أهمية قصوى لتأمين حرية التجارة والنقل في عرض البحر المتوسط، كما أن واجهتها القريبة من مالطا وإيطاليا قد أعطى لهذا الإشراف العسكري حيوية كبيرة<sup>3</sup>.

أيضا بالنسبة لطرابلس الغرب في القرن السادس عشر ميلادي، شهدت فوضى سياسية فهي تارة تتبع السلطة المركزية للسلطان الحفصي في تونس، وتارة أخرى منفصلة عنه، وهذا ما جعل الإسبان يطمعون بها نظرا لأهميتها الاستراتيجية لأنها كانت طريق تأمين التجارة والنقل في البحر، إضافة إلى قربها من جزيرة مالطا وسواحل الدويلات الإيطالية وجزر اليونان<sup>4</sup>. بحيث استولى الإسبان على طرابلس الغرب عام 1510م، واستمروا بها إلى

<sup>1</sup>دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر...، ص76.

<sup>2</sup>سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي...، ص130.

<sup>3</sup>التميمي، رؤية منهجية لدراسة العلاقات...، ص74.

<sup>4</sup>التر، المرجع السابق، ص22.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

غاية تسليمها إلى فرسان القديس يوحنا، الذين كانوا يتخذون من جزيرة مالطا مقرا لهم بعد أن طردهم الأتراك العثمانيون من جزيرة رودس، وقد ضلوا يحتلون ليبيا حتى عام 1551<sup>1</sup>.

وبعد دخول الإسبان إلى طرابلس واحتلالها تحولت تجارة المسلمين من مدينة طرابلس إلى مناطق أخرى مثل مصراتة وتاجوراء، وفقدان ميناء طرابلس الواقع تحت سيطرة الإسبان لأهميته كمنفذ لتجارة وسط إفريقيا فتلاشى بذلك مصدر من مصادر الثروة، وشعرت الإدارة الإسبانية أن احتلال طرابلس صار يشكل عبئا ثقيلا على خزينتها، وأيضا انشغال شارل الخامس بعد أن أصبح إمبراطورا للدولة الرومانية المقدسة في حروبه مع فرنسا، هذا ما جعله يتنازل عن جزيرة مالطا لفرسان القديس يوحنا بشرط القبول بالدفاع عن طرابلس<sup>2</sup>.

كان تسليم إسبانيا طرابلس إلى فرسان القديس يوحنا أمر أغضب السلطان العثماني إلا أن وجود الجزائر كإيالة عثمانية وتميز ولائها بالقوة وروح المغامرة. قد طمأن السلطان العثماني وهياً له الأسباب في الإقدام على فتح طرابلس<sup>3</sup>. وبالنسبة لفرسان القديس يوحنا لما دخلوا مالطا قبلوا عداة المواطنين وكرهيتهم ووجدوا مقامة كبيرة من قبل الراضين لهم الذين تجمعوا في منطقتي تاجوراء وجنزور اللتان نزحت إليهما المقاومة المحلية منذ الاحتلال الإسباني في سنة 1510م، واشتدت المقاومة بظهور شخصية خير الدين "كرمان" وهو أحد رجال خير الدين بربروس الذي منحه قيادة المقاومة بعد مشاركته لبربروس في أول هجوم ضد قوات فرسان مالطا في طرابلس 1531م. وقد تمركز خير الدين كرماني في تاجوراء وأخذ في تشديد الضغط والهجوم على قلعة طرابلس، وقام بتشييد قلعة محصنة بالقرب من طرابلس سميت ببرج القائد تمكنه من مراقبة ميناء طرابلس<sup>4</sup>.

وحول هذا الأمر اهتم قادة الدولة العثمانية من قلب أوروبا إلى تقوية أسطولهم البحري وتعزيز نشاط البحارة العثمانيين، وهذا ما تفسره الرؤية العثمانية الجديدة في فتح تونس على يد خير الدين سنة 1534<sup>5</sup>، وفي هذه الأثناء كان نجم الدولة العثمانية يسطع على الحوض الغربي للمتوسط، ولما علم ليزدي أدمو المرشد الأكبر لمنظمة فرسان القديس يوحنا، بخروج

<sup>1</sup> رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، مطابع دار روتابرينت، 1994، ص ص 296-297.

<sup>2</sup> الحضيبي، المرجع السابق، ص 12.

<sup>3</sup> رأفت الشيخ، المرجع السابق، ص 297.

<sup>4</sup> الحضيبي، المرجع السابق، ص 14.

<sup>5</sup> سالم، السيطرة العثمانية في الحوض...، ص 132.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

خير الدين باشا من استانبول واستيلائه وفتحة تونس، قام بإرسال نجدة عسكرية إلى طرابلس الغرب خشية تعرضها إلى هجوم مباغت، كما بعث رسالة إلى حاكم طرابلس الغرب يدعوه فيها إلى أخذ الاحتياطات الكافية من حيث الالتزام والانضباط العسكري، ومعاقبة المخالفين، وتسليح السفن، وتخزين المواد الغذائية، لأن القلعة قد تتعرض إلى حصار طويل أو هجوم من قبل خير الدين بربروس<sup>1</sup>.

وفي هذه الأثناء توفي في مالطا المرشد الأكبر ليزدي آدمو Lise Adamo أصبحت أوضاع طرابلس مهددة بالخطر بعد أن احتل خير الدين بربروس تونس<sup>2</sup> وحاول سنة 1536م أن يفاجئ حامية طرابلس أثناء الليل، إلا أن جواسيس الحامية تنبهوا لخير الدين قرماني، واتخذت القلعة استعداداتها، إلا أن هذا الأخير أوشك على تحقيق النصر لو لم يتلقى جرحا بليغا جعله غير قادر على مواصلة القتال<sup>3</sup>، ويحتمل بعد الهزيمة التي مني بها أن يكون قد قتل في تلك الأثناء، ومن المؤكد لم يظهر له ذلك فيما بعد. وقد خلفه في مكانه قائد يدعى مراد آغا<sup>4</sup> ولهذا قرر وفد من أهل تاجوراء الليبية الذهاب إلى السلطان العثماني لطلب الإعانة، وأنهم من طرابلس الغرب قدموا لحضرة السلطان مستغيثين به<sup>5</sup> فقبل السلطان العثماني إغاثة ونجدة سكان طرابلس الغرب فسار مراد آغا<sup>6</sup> مع الوفد من العساكر الذين نزلوا في تاجوراء الليبية. وقد تمتع مراد آغا بنفوذ قوي وشهرة واسعة بين السكان لما امتاز به من خلق رفيع وتواضع كبير. وقد وصفه أحد المؤرخين الليبيين بقوله "كان أعظم

<sup>1</sup> رابحة محمد خيضر، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني (1550م)، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج 6، ع 2، جامعة الموصل، 2008، ص 113.

<sup>2</sup> ايتوري روسي، طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا، تر وتق: خليفة محمد التليسي، المشأ العامة للنشر والتوزيع، ط1، 1969، ط2، 1985، طرابلس، ص 62.

<sup>3</sup> الحضيبي، المرجع السابق، ص 14.

<sup>4</sup> ايتوزي روسي، المصدر السابق، ص 63.

<sup>5</sup> أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي، "تاريخ طرابلس الغرب" المسمى التذكار فمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تع: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349، ص 93.

<sup>6</sup> مراد آغا: أصله إيطالي من مواليد راقوصا أسره القراصنة ثم باعوه وآل أمره إلى قصر السلطان سليمان القانوني، فيما بعد انضم إلى أسطول خير الدين عام 1538، عين واليا على طرابلس الغرب من 1551 إلى غاية 1553م. أنظر: أحمد الطاهر الزاوي، ولات طرابلس الغرب من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد العثماني، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت 1970، ص 153-154.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الحكام العثمانيين في طرابلس"، بينما أطلق عليه المؤرخين الغربيون لقب "ملك تاجوراء" كسلفه خير الدين قرمان<sup>1</sup>.

وفور وصول مراد آغا إلى تاجوراء الليبية باشر بتحسينها ثم قام بإعداد قوة من الأهالي، إضافة إلى من معه من جنوده وبدأ بشن هجمات متفرقة ضد فرسان يوحنا<sup>2</sup>. كما عمل مراد آغا على إقامة الحواجز على الطرق، ووضع عليها الحراسة، فقطع بذلك طرق المواصلات التي تربط طرابلس الغرب بمناطق الدواخل لفرض الحصار الإقتصادي على فرسان القديس يوحنا. وأدرك حاكم طرابلس الغرب خطورة التهديد الذي يشكله مراد آغا على قوته<sup>3</sup>. وكان درغوث باشا قد اتخذ من المهديّة مركزا له ، فأمر شارل الخامس كلا من أندري دوريا Andre Doria وخوان ديفيجا Juan Dan devaga نائب ملك صقلية بإعادة الاستيلاء على هذه المدينة، فتمكنا من ذلك رغم دفاع درغوث عنها سنة 1551م. وكان شارل الخامس يرغب في منح المهديّة إلى منظمة فرنسا مالطا<sup>4</sup> وبعد سقوط المهديّة وتقدم الإسبان بالأراضي التونسية وضرب شوكة العثمانيين بالإيالات المغربية زاد اهتمام العثمانيين بهذه المنطقة، ودفع السلطان سليمان إلى رد فعل سريع وحاسم لما جرى على مدينة المهديّة في توجيه أسطول عثماني ووضع حدا لفرسان القديس يوحنا بطرابلس الغرب<sup>5</sup>.

ولهذا جهز سنان باشا. وعلى الفور بطلب من السلطان العثماني، سليمان القانوني أسطولا ضخما مكونا من 112 سفينة و52 مركبا من سفن صغيرة وكبيرة واصطحب على متن الأسطول 8 آلاف إنكشاري و400 محارب و600 فارس بخيولهم وكميات كبيرة من المؤن والمعدات اللازمة، كما عهد إلى الرئيس درغوث قيادة بعض السفن الأخرى<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>رابحة محمد خضير، المرجع السابق، ص114.

<sup>2</sup>محمد علي عامر، ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى ليبيا"، الجمعية الثانوية للطباعة، دمشق، (د، س، ط)، ص160.

<sup>3</sup>رابحة محمد خضير، المرجع السابق، ص144.

<sup>4</sup> التميمي، رؤية منهجية.....، ص76.

<sup>5</sup>سالم، السيطرة العثمانية في الحوض...، ص134.

<sup>6</sup>التميمي، رؤية منهجية...، ص77، وأيضا سالم، السيطرة العثمانية على الحوض...، ص ص134-

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

وما إن علم فرسان مالطا بفرار السلطان العثماني أصابهم الذعر والارتباك فطلبوا من نائب ملك صقلية إمدادهم بالجنود والعتاد<sup>1</sup>. وبمساعدة صالح راييس بايلرباي الجزائر ودرغوث باشا وقبل الوصول إلى طرابلس هاجم الأسطول الإسلامي مالطا عام 1551م، غير أن استئصال الفرسان في الدفاع عن جزيرتهم حال دون سقوطها، فانسحب سنان باشا ورفاقه إلى جزيرة قوزو واحتلوها<sup>2</sup>، ووصلت الحملة في 4 أوت 1551م إلى مدينة طرابلس الغرب وحاصرها العثمانيون لمدة عشر أيام حيث أصبح سقوط المدينة أكيد<sup>3</sup>.

ولقد تمكن الأسطول الإسلامي من ضرب منشآت الميناء ودخلوا المدينة بعد قصفها وطرد الفرسان منها، وتم تعيين مراد آغا واليا عليها، وأضحت بذلك طرابلس منذ عام 1551م ولاية عربية تحت السيادة العثمانية<sup>4</sup>، ولكن شؤونها تديرها الجزائر نيابة عنها، وهذا ما يبرز لنا أهمية ومكانة الجزائر بالنسبة للدولة والسلطان العثماني، ولعل إعطائها لهذا الإمتياز يمكن إرجاعه كمكافأة لها ولبحارتها مقابل تحرير طرابلس الغرب.

### 3-نكسة الاسبان في جزيرة جربة 1560م:

فباخضاع طرابلس الغرب بقيت تونس وخاصة الأجزاء الداخلية تقف حاجزا في سبيل توحيد إمارات الشمال الإفريقي. وقد شغل وضع الوسط والجنوب التونسي درغوث باشا، وأراد العمل لإخضاع المنطقة وضماها للنفوذ العثماني، وهكذا بدأ التخطيط مع أمير الجزائر حسن باشا بن خيرالدين لضرب قلعة حلق الوادي وتونس، ومن المعلوم أن منطقة القيروان كانت تخضع للشابيين والمهدية للإسبان، وجربة للشيخ سليمان وقفصة لأتباع الشابية. هكذا رأى درغوث باشا أن الوقت مناسباً للقضاء على هذه التجزئة وضرب النفوذ الإسباني بالبلاد<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> علي عامر، خير فارس، المرجع السابق، ص161.

<sup>2</sup> محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2008، ص224.

<sup>3</sup> وولف، المرجع السابق، ص68.

<sup>4</sup> يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص218.

<sup>5</sup> سالم، السيطرة العثمانية في الحوض الغربي...، ص136.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

وقد كانت جزيرة جربة مستهدفة من طرف التحالف المسيحي كغيرها من مدن ساحل شمال إفريقيا<sup>1</sup>، مما جعل إسبانيا والدول الأوروبية تتوحد وتسوي خلافاتها بعقد صلح "كاتوكامبرسيس" سنة 1559م<sup>2</sup> بين إسبانيا وفرنسا وأعطى أوروبا أول فرصة للتخطيط لعمل جماعي منسق، حيث تحالفت كل من إسبانيا، فرنسا، البنادقة، والحكومات الإيطالية، والبابا وفرسان مالطا، وقرروا القيام بالحملة العسكرية ضد طرابلس الغرب، وضد الخطر الرئيسي المتمثل في شخصية دارغوث رايس<sup>3</sup>.

وقد علمت الدولة العثمانية بتلك الحملة وبتهيئتها العسكرية، لكنها الدولة العثمانية في تلك الأثناء عام 1559م كانت في وضع دقيق جدا، فقد أمر البرتغاليون بالسيطرة على خليج البصرة وبعض أجزاء البحر الأحمر، وتشكلت في تلك المياه أهم التحركات البحرية مهددة السواحل العثمانية. كذلك كان الخطر الروسي يتحرك في اتجاه البحر الأسود وبحر أوزون، كذلك وجود مجموعات نشطة من القراصنة الأوروبيين ببحر الأدرياتيك وبحر إيجه لخلخلة الأمن بفضل ما تقوم به من الاعتداءات على السواحل العثمانية، كل هذه العوامل كانت تؤثر على سياسة الدولة العثمانية وتوجيهها نحو توزيع اهتماماتها تجاه أهم المشاكل التي تتعرض لها<sup>4</sup>. ورغم كل هذا تهيأت الدولة العثمانية لتلك الأحداث التي تجري غربي المتوسط، خاصة بعدما أحيط علما بتفاصيل الحملة الإسبانية على طرابلس. وكان الأسطول المسيحي ضخما، ويضم القوات من جنسيات مختلفة، واجتمعت الأرمادة الأوروبية التي تقودها

<sup>1</sup>الغاشي، المرجع السابق، ص45.

<sup>2</sup>تعتبر هذه المعاهدة أول تسوية عامة أوروبية في تاريخ أوروبا الحديث. وقد وضعت نهاية لما يعرف بمصطلح "الحروب الإيطالية Les guerres d'italie وهي حروب متقطعة نشبت بين فرنسا وإسبانيا خلال فترة إمتدت خمسة وستين عاما (1494-1559م). وكانت هذه الحروب مظهرا من مظاهر التنافس الدولي بين هاتين الدولتين من أجل السيطرة والنفوذ في أوروبا، والرغبة في التوسع الإقليمي داخل القارة، وكانت شبه الجزيرة الإيطالية ميدانا لتصارع الجيوش الفرنسية والإسبانية خلال المراحل الأولى لهذه الحروب التي تطورت بعد ذلك واتسع نطاقها إلى ميادين متعددة خارج شبه الجزيرة الإيطالية، أنظر: الحضييري، المرجع السابق. هامش رقم 3، ص 19

<sup>3</sup>وولف، المرجع السابق، ص ص 73-74، وأيضا التميمي، رؤية منهجية....، ص ص 81-82.

<sup>4</sup>سالم، السيطرة العثمانية في الحوض....، ص 138.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

إسبانيا "فليب الثاني" في جزيرة مالطا، ولم تستطع مغادرة مراسيها إلا في فصل الشتاء<sup>1</sup> من سنة 1560م، بسبب العواصف البحرية، فقرر الإسبان عدم التوجه إلى مدينة طرابلس للقضاء على درغوث رايس الذي كان يستعد للحملة بل التوجه إلى جزيرة جربة للاستيلاء على عش القراصنة حسب تعبير المصادر الأوروبية<sup>2</sup>.

ففي عام 1560 قام الإسبان بإنزال حوالي 200 سفينة بحرية بجزيرة جربة واحتلالها، إلا أن القوة البحرية العثمانية بشمال إفريقيا خاصة بطرابلس، وتونس والقيروان وسوسة وصفاقص، ومن خلال الدعم الذي بعث به السلطان سليمان القانوني، تمت مفاجأة الأسطول الإسباني وملاحقته بعرض البحر المتوسط، فتم إغراق ما يزيد عن 20 سفينة حربية إسبانية، ونقل 27 سفينة، كما تم الاستيلاء على 21 سفينة حربية. وبذلك أضافت الدولة العثمانية انتصارا آخر لسجلها بحوض البحر المتوسط<sup>3</sup>.

كانت هزيمة جربة حدثا مريعا للسمعة الإسبانية، بل هددت أمنها أيضا، لأن ذلك الانتصار قوى عزائم الأتراك في غرب المتوسط وشجع المورسكيين على الثورة، ولم تنته مشاكل إسبانيا البحرية في حوض المتوسط بهزيمة جربة، فقد فاجأ درغوث رايس الأسطول الإسباني وأغرق عددا من سفن الملك الإسباني فليب الثاني، التي كانت متواجدة خارج الساحل الجنوبي لصقلية، لذلك فإن البحرية الإسبانية لم تستطع أن تقوم مرة ثانية باستعراض قوتها بشكل جدي في حوض البحر المتوسط إلا في سنة 1564م<sup>4</sup>.

### 4-الفتح العثماني الثاني لتونس 1574م:

كانت لتونس أهمية كبيرة في توطيد الحكم العثماني في الجزائر، بل وفي شمال إفريقيا والمعروف تاريخيا أن التواجد العثماني في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط كان بتونس عام 1504م، حيث اتخذ الإخوة بربروس مدينة جربة التونسية

<sup>1</sup> إختيارا لإسبان هذا الوقت بالذات للحملة ضنا منهم أنه يمكنهم مباغثة العثمانيين الذين تعودوا الخروج للبحر في فصل الربيع، لكنهم أخطأوا في تقديراتهم، كما أخطأوا في عدم التوجه مباشرة إلى طرابلس التي كانت بها حامية عثمانية، وكما أن دارغوث رايس قام بتمويه الإسبان عندما كان يتحرك بين طرابلس وجزيرة جربة في محاولة منه للتخطيط والتنسيق. أنظر: التميمي، الولايات العربية ومصادر.....، ص ص 84-85.

<sup>2</sup> وولف، المرجع السابق، ص 74.

<sup>3</sup> مجهول، غزوات عروج وغير الدين.....، ص 111.

<sup>4</sup> وولف، المرجع السابق، ص 75.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

مركزا لنشاطاتهم البحرية<sup>1</sup>. ولقد كانت تونس الحفصية قد عرفت صراعات من أجل الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة، وهذا ما جعل سكانها يرسلون إلى خير الدين سنة 1532م لنجدتهم<sup>2</sup>، وكانت الفرصة مواتية لأتراك الجزائر والدولة العثمانية للسيطرة عليها بحيث تمثل موقعا إستراتيجيا هاما في حوض البحر المتوسط قبل أن تسقط بيد الإسبان الذين كانوا يريدونها لوقف توسع العثمانيين في الحوض الغربي للمتوسط. قام خير الدين بشن حملة على تونس سنة 1534م بعد أن فر منها السلطان الحفصي، إلا أن حملته لم تعمر مدة طويلة، إ تمكن الإسبان بمساعدة السلطان الحفصي من استرجاعها. إثر ذلك عاد السلطان حسن الحفصي إلى عرشه بعد أن فرضوا عليه توقيع معاهدة الذل والهوان<sup>3</sup>.

و بقيت تونس بين المد والجزر، نظرا لانشغال شارل الخامس و أخيه ملك النمسا مع الأتراك والفرنسيين في أوروبا، ولم تبذل إسبانيا جهدا كبيرا لدعم جهودها في تونس، و أدت العلاقات بين الأمراء الحفصيين حول السلطة إلى تأرجحهم بين التحالف مع الأتراك أو مع الإسبان<sup>4</sup>.

ولما تولى علج علي حكم الجزائر عام 1568م، اغتتم الأوضاع المتردية في تونس، وأيضا الدعوة التي تلقاها من في بعد الناقلين على الوضع من أعيان تونس وكانت إسبانيا منشغلة بقضية الأندلسيين في جانفي 1569م فشن حملة برية على تونس في أكتوبر 1569<sup>5</sup>.

وتمكن علج علي من تحرير تونس وانتصر على السلطان الحفصي أحمد أبو العباس وأخذ البيعة من سكانها، كما نصب بها حامية عثمانية<sup>6</sup>، ثم أرسل طلبا إلى السلطان العثماني من أجل تقديم قوات عثمانية كبيرة للقضاء على الحصن الإسباني القوي في حلق

<sup>1</sup> بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب 923ص32.

<sup>2</sup> وولف، المرجع السابق، ص46.

<sup>3</sup> عباد، المرجع السابق، ص ص53-62.

<sup>4</sup> نادية محمد مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، 1996، ص39.

<sup>5</sup> بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب...، ص50.

<sup>6</sup> العروسي المطوي، المرجع السابق، ص720.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

الوادي، إذ بدون القضاء على هذا الحصن تبقى تونس معرضة للخطر من الإسبان في كل لحظة، إلا أن السلطان العثماني لم يستجب لطلب علج علي، مما جعله يعود إلى الجزائر للقيام بتنظيم الأسطول، وبقيت حلق الوادي محتلة<sup>1</sup>.

وبعد معركة ليبانت 1571م، قرر الأمير يوحنا الأستيري "ابن شارلكان" أن يغتتم فرصة الرعب الذي أحدثته هذه المعركة، وجهز حملته الصليبية لغزو مدينة تونس واسترجاعها من أيدي العثمانيين، فخرج في شهر أكتوبر 1573م من جزيرة صقلية متجها إليها على رأس أسطول مؤلف من 138 سفينة تحمل 25 ألف من المقاتلين، وتمكن من الاستيلاء عليها دون أي مقاومة تذكر<sup>2</sup>.

هكذا قرر السلطان العثماني سليم الثاني بن السلطان سليمان القانوني تسخير كل الجهود لفتح تونس من جديد، وإنهاء الحكم الإسباني والموالين له إلى الأبد، خاصة في حلق الوادي الذي أدى الوجود الإسباني بها إلى الكثير من المشاكل للعثمانيين في الشمال الإفريقي. ولم يكن قرار السلطان سليم منفردا بل لاقى الإجماع من مستشاريه إلى جانب رؤساء البحر الذين علموا جيدا مدى الضرر الذي لحق بالبحرية العثمانية والنفوذ العثماني من جراء تواجد الإسبان بقلعة حلق الوادي<sup>3</sup>.

ويظهر ذلك من خلال الرسائل التي بعث بها السلطان العثماني إلى حكام الأقاليم العثمانية في شمال إفريقيا يدعوهم فيها إلى الاستعداد وتجهيز القوات العسكرية للمشاركة في الحملة المرتقبة<sup>4</sup>. ولم يمضي وقت طويلا عن احتلال تونس حتى وصلت طلائع الأسطول العثماني بقيادة العلج علي بايلرباي، كما وصل الأسطول الجزائري بقيادة أحمد أعراب، بالإضافة إلى أسطول طرابلس بقيادة مصطفى باشا. وكذلك جيش القيروان بقيادة حيدر باشا<sup>5</sup>، وعن وصول العلج علي إلى تونس يقول ابن أبي الضياف: "فلما وصل الباشا علج علي إلى تونس وشهد تحصن الباستيون وكثرت النصارى... بعث إلى الوزير يطلب منه

<sup>1</sup> بن خروف، العلاقات بين الجزائر و المغرب.....، ص50

<sup>2</sup> المدني، حرب الثلاثمائة سنة ....، ص399.

<sup>3</sup> سالم، السيطرة العثمانية في الحوض الغربي...، ص150.

<sup>4</sup> حيمر، المرجع السابق، ص136.

<sup>5</sup> المدني، حرب الثلاثمائة سنة....، ص400.

## الفصل الثالث : الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغربي.

عدة مدافع أخرى وزيادة العساكر، فبعث له ألف ينشيري (جندي).... فلما وصلوا إليه اجتمع أمرهم أن يدوروا بالبرج من كل جهاته وكانت الكفرة ومن معهم من المرتدين كثيرين....<sup>1</sup>. ولقد أرسى الأسطول العثماني يوم 13 جويلية بالقرب من رأس قرطاجة قبالة حلق الوادي، وأمر القائد الأسطول البري بضرب الحصار على تونس تحت قيادة حيدر باشا شيخ القيروان ودعمه أربعة آلاف تركي من جنود الأسطول وثمانية مدافع كبيرة وصغيرة، وفي يوم 17 جويلية شرع في قصف حصن حلق الوادي من جهتين، وفي 10 أوت وصل القائد رمضان إلى تونس مع خمسة آلاف تركي من الجزائر وعدد من الأهالي، وقد تمكنوا في 13 سبتمبر 1574م، من فتح تونس، فاضطر الإسبان إثر ذلك إلى التخلي عن فكرة إحتلال تونس نهائياً<sup>2</sup>. وبسقوط الحصن سقطت الدولة الحفصية وانتهت مرحلة الإحتلال الإسباني على تونس، وأصبحت هذه الأخيرة إحدى إيالات الدولة العثمانية، وعين حيدر باشا واليا عليها وكلفه بوضع نظام مشابه للنظام العثماني السائد في الجزائر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 187.

<sup>2</sup> عباد، المرجع السابق، ص 96.

<sup>3</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 2، ص 189.

الفصل الرابع: التقارب العثماني الأوروبي وانعكاساته.

المبحث الأول: دوافع منح الامتيازات للدول الأوروبية.

المبحث الثاني: التقارب العثماني الفرنسي.

المبحث الثالث: التقارب العثماني الإنجليزي 987هـ/1580م.

المبحث الأول: دوافع منح الامتيازات للدول الأوروبية.

1-دوافع الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية:

أ- الدوافع الدينية:

إن الدولة العثمانية دولة دينية بالدرجة الأولى، ذات طابع إسلامي، كما أن جميع أنظمة الدولة العثمانية قوانينها وقراراتها مستمدة من الشريعة الإسلامية السمحة فهو المصدر الأول والأساسي أجل هذه الأنظمة و لكل القرارات والإجراءات التي تتخذها الدولة العثمانية حيث تعمل على نشر المبادئ الإسلامية في كافة أنحاء العالم من أجل أن يكون لها نفوذ ديني في العالم بأسره<sup>1</sup>.

لذا كانت فكرة نشر الدين الإسلامي من بين الأهداف التي كانت الدولة العثمانية تسعى إلى تحقيقها وقد اعتمدوا على الوسائل السلمية و تحديدا عن طريق عقد معاهدات الامتيازات و بذلك تم دخول الإسلام إلى أوروبا عبر البوابة الجنوبية الشرقية بواسطة التجار المسلمون الذين كانوا يتعاملون مع تلك الدول الأجنبية وقد نتج عن هذه الامتيازات تخلي مجموعة من الأوروبيين عن المسيحية و اعتناق الإسلام هروبا من سياسة شارل الخامس<sup>2</sup> وبطشه والاحتماء بالسلطين العثمانيين<sup>3</sup>.

ومن جهة أخرى تعتبر معاهدات الامتيازات التي أبرمتها الدولة العثمانية إذ نجد مثلا معاهدة الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية لفرنسا 1535م تنص على بعض البنود التي تهدف إلى حماية هؤلاء الأجانب مثل تحرير أسرى الحرب ويتجلى معظم بنود تلك

<sup>1</sup>قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط التشريعية ط2، الدار العربية للعلوم بيروت 2003، ص22-23

<sup>2</sup>ياسر عبد العزيز قاري، دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية دراسة تحليلية تاريخية رسالة مكملة لنيل درجة الدكتوراه، تخصص التاريخ الحديث جامعة أم القرى مكة المكرمة المملكة العربية السعودية منشورة 2001، ص.11

<sup>3</sup>عبد الفتاح حسن أبو علي، الدولة العثمانية و الوطن العربي الكبير، (د، ط)، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/ 2008م ص72.

المعاهدات في حقوق كفلتها الشريعة لأهل الذمة<sup>1</sup> سواء تجارية أو غيرها و عليه ما يمكن قوله في هذا الجانب هو أن سياسة السلاطين كانت تخضع لرقابة المفتي و من ورائه طائفة الإنكشارية المتصوفة و في ذلك ضمانة ضد مخالفة الأحكام الشرعية<sup>2</sup>.

وقد حرصت الدولة العثمانية على الالتزام بالشروع في جميع المجالات و اهتمامها البالغ بالعدل بين رعايا الدولة من أجل جلب الأجانب للتطلع على المبادئ الإسلامية و الاحتكاك بالمسلمين و إحاطتهم بالاحترام و التقدير لتسهيل عملية اعتناقهم الإسلام. كما اهتمت الدولة العثمانية بنشر الطمأنينة في كافة أنحاء الدولة العثمانية التي جمعت بدورها عناصر متنوعة من أقوام يختلفون في جنسيتهم و دينهم و لغتهم وعاداتهم و تقاليدهم، بالإضافة إلى الأتراك والعرب يوجد الإغريق و البلغار و الألبان و الأرثوذكس والكاثوليك. و قد فر هؤلاء من البطش و الاضطهاد والتهديد في بلدانهم الأصلية ووجدوا الاستقرار والطمأنينة في الدولة العثمانية. وباشروا أعمالهم التجارية و حسنوا أحوالهم و ذلك نتيجة للتسهيلات التي منحت لهم من طرف الدولة العثمانية التي تساعدهم على فتح تجارتهم من جهة والاستقرار من جهة أخرى، و مع مرور الوقت يصبحون مسلمين و تكون الدولة العثمانية قد بلغت الهدف المرجو و عملت بذلك على نشر الإسلام<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> أهل الذمة و تعني في اللغة الأمان و العهد و من ذلك سمي أهل العهد وهم المشركون الذين يؤدون الجزية و هو الأمان كما قال أبو عبيد سمي المعاهد ذميا لأنه أعطى الأمان على ذمة الجزية التي توحد منه و في التنزيل قوله تعالى " لا يرقبون في مؤمن إلا لا ذمة و أولئك هم المعتدون" التوبة الآية 10 و أهل الذمة هم المعاهدون من اليهود والنصارى و غيرهم ممن يقيمون في دار الإسلام على سبيل التأييد ، أنظر: كمال السعيد حبيب، الأقليات السياسية في الخبرة الإسلامية ط1، مدبولي القاهرة مصر 2002، ص39.

<sup>2</sup> فائقة محمد حمزة، عبد الصمد بحري، المرجع السابق، ص99-100.

<sup>3</sup> عزام الحويلي، الدولة العثمانية ج1، دار البداية عمان، الأردن، 2015، ص 300.

ب-الدوافع الاقتصادية:

كانت موانئ البحر الأبيض المتوسط و شواطئ البحار المتصلة به من بحر إيجا و مرمره و البحر الأسود ملتقى تجار المشرق الأقصى و المغرب الأقصى قبل إكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح<sup>1</sup> الذي ساعد على الإستغناء عن وساطة الشرق الأوسط و الأدنى<sup>2</sup>، كما ساعد على توسيع التجارة الأوروبية وقد تحولت الطرق التجارية الشرقية إلى المحيط الهندي و المحيط الأطلسي و خسر البحر المتوسط هيمنته و خسرت معه الدولة العثمانية<sup>3</sup> و بالرغم من هذا التحول الهائل في الاقتصاد العالمي إلا أن الدولة العثمانية لم تهتم بتنمية اقتصادها و الاهتمام بالمجال العلمي و الصناعي على غرار الدولة الأوروبية فقد كانت منهكة في الحروب دون انقطاع و لهذا عملت على منح الامتيازات للدول الأجنبية من أجل تحقيق التجارة بالدولة العثمانية و التي لم تكن مكتفية ذاتيا من الناحية الاقتصادية وفق ما هو متواتر وخاصة أنها كانت تركز على الاستيراد بعدل التصدير<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>راس الرجاء الصالح: هو الطريق الذي اكتشفه الرحالة فاسكو ديحاما عام 1497 للوصول إلى الهند وهو الطريق الذي يدور حول افريقيات ويقع جنوبها و اتخذته الدول الأوروبية بديلا في الطريق التجاري للبحر المتوسط و ذلك من أجل التخلص من احتكار تجار البندية و التجار المسلمين. انظر: أشرف صالح محمد سيد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط1، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 1517هـ/ 2009م، ص72.

<sup>2</sup>خليل ساحلي أوغلي، تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني منظمة المؤتمر الإسلامي ارسيا، اسطنبول، 2000، ص 1.

<sup>3</sup> أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة " 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية" وقف البحوث العثمانية، 2008، اسطنبول، ص ص، 195، 194.

<sup>4</sup> أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط2، بيروت، لبنان، 1986، ص ص، 133، 134.

ج- الدوافع السياسية:

سعى السلطان سليمان القانوني إلى استغلال تلك الظروف التي كانت تعانيها أوروبا من صراع وتنافس كبيرين من أجل تزعمها العالم. وقد كان قائما بين أسرة آل فالوا<sup>1</sup> التي كان يمثلها الملك الفرنسي فرنسوا الأول و أسرة آل هابسبورغ<sup>2</sup> التي كان يمثلها شارل الخامس، و أيضا ذلك التمرد الديني الذي نتج عنه ظهور حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر هذه الأخيرة التي أدت إلى تحطيم هيبة الكنيسة الكاثوليكية. وهنا برز دور الدولة العثمانية في مساعدة تلك التيارات المنشقة عن الكنيسة بتقديم المساعدات و إقامة علاقات سلمية خاصة مع المذهب البروتستانتي مبينا لهم ذلك التشابه بينه وبين الدين الاسلامي ليكون الهدف من وراء كل ذلك إضعاف قوة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وتفكيك وحدتها لتبقي أوروبا بعد ذلك مقسمة والحيلولة دون إتحاد القوة الأوروبية الموجهة للقضاء على الدولة العثمانية فاستغل السلطان سليمان القانوني هذه الانقسامات وقرب الملك الفرنسي فرنسوا الأول عن طريق منحة الإمتيازات سنة 1536م ليكون وسيلة استخدمها لتحقيق غاية وهي عرقلة الحلف المقدس، كما كانت تلك الصراعات الأوروبية بمثابة العامل المساعد على نجاح الفتوحات التي قام بها العثمانيون في أوروبا الوسطى<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>أسرة آل فالوا: هي أسرة حكمت فرنسا عام 1328م إلى غاية 1589م، وسميت بفالوا نسبة إلى مقاطعة تقع شمال فرنسا، ولقد كان لها دور كبيرا في تحريك العالم خلال القرن السادس عشر ميلادي. للمزيد أنظر: زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث، ج1، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 16.

<sup>2</sup>آل هابسبورغ: هي عائلة من أشهر العائلات الملكية في أوروبا تولى أفرادها الحكم في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ما يقارب 400عام، كما تولى أفراد من هذه العائلة الحكم على عروش مختلفة في أوروبا من القرن 13م إلى غاية أوائل القرن 20م وينسب إسمها إلى إحدى القلاع التي امتلكتها وتعني قلعة الصقر، التي بنيت في سويسرا عام 1020م... للمزيد أنظر: نورالدين حاطوم، تاريخ القرن السابع عشر لأوروبا، ط1، الموسوعة التاريخية الحديثة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1986م، ص 8.

<sup>3</sup>قاري، المرجع السابق، ص 149.

د- الدوافع العسكرية:

كان من ضمن الدوافع العسكرية التي جعلت الدولة العثمانية تمنح تلك الإمتيازات للدول الأوروبية عامة وفرنسا خاصة هي من أجل استخدامها كحليف بواسطته تأخذ الشرعية بالتدخل العسكري لمحاربة شارل الخامس عن طريق استخدام الأسطول البحري وجيشها النظامي، وبهذا تكون الدولة العثمانية قد وجدت فرصة سانحة تمكنها من أداء دور عسكري مهم على الساحة الأوروبية، والوقوف في وجه نفوذ شارع الخامس عن طريق حث فرنسا على عدم الاشتراك في تلك العمليات البحرية المسيحية ضد الدولة العثمانية البحر المتوسط<sup>1</sup>. و يرى المؤرخ يلمازأوزتونا أن من دوافع منح الدولة العثمانية امتيازات لإنجلترا رغبتها في بناء تحالف عسكري ضد مملكة اسبانيا التابعة لإمبراطورية فيليب الثاني<sup>2</sup> الذي أخذ يهدد المدن الإسلامية في شمال إفريقيا وهذا ما دفعت بالملكة إليزابيث الأولى<sup>3</sup> التقرب من السلطان مراد الثالث<sup>4</sup> لضم الإمبراطورية، فتعهد بإسنادها ماليا و عسكريا وهذا شرط إنقيادها وبلادها لطاعته<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> العزاوي، المرجع السابق، ص 22، 23.

<sup>2</sup> فيليب الثاني: ملك إسبانيا ولد 21 ماي 1527م، وتوفي عام 1598م، وصلت إسبانيا في فترة حكمه إلى ذروة قوتها على الرغم من فشلها في قمع ثورة هولندا 1566م، ويعرف عصره أحيانا بالعصر الذهبي، إلا أن فترته شهدت تدهورا في الإقتصاد، كما عمل على تنظيم الحملة البحرية الضخمة ضد إنجلترا البروتستانتية عام 1588م، للمزيد أنظر: جلال يحي، أوروبا في العصور الحديثة، (د.ط)، الإسكندرية، مصر، 1981م، ص 419.

<sup>3</sup> إليزابيث الأولى: " 1533 - 1603م" ملكة إنجلترا تولت العرش سنة 1588م، دخلت في صراع مع فيليب الثاني، قامت بإضعاف مركز فرنسا الدولي وألحقت هزيمة باسبانيا وذلك باغراقها الأسطول الإسباني، وفي عهدها أصبحت إنجلترا من أقوى الدول. للمزيد أنظر: محمد حسين نصار، الموسوعة العربية الميسرة، م1، ط1، المطبعة العصرية، لبنان، 2009، ص 406، 407.

<sup>4</sup> مراد الثالث: سلطان عثماني ارتقى العرش عام 1544م، قام الجيش الإنكشاري بعدة تمردات في عصره، ضم بلونيا تحت حمايته، وأنهى الوجود البرتغالي في المغرب، كما جدد الإمتيازات للدول الأوروبية كفرنسا

## 2-المسار التاريخي للإمتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية:

لم تكن الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية ولية القرن 16م وإنما هي إمتداد للتاريخين القديم والإسلامي. وقد ورثت الدولة العثمانية هذا النوع من المعاهدات عن الدولة البيزنطية<sup>2</sup>. فقد كان البنزنطيون يتخذون تلك المعاهدات كشرط أساسي للتبادل التجاري ومن أجل استمرار سياستهم الداخلية والخارجية، لذا كان من الطبيعي أن يتبنى العثمانيون هذا النظام خاصة بعد أن توسعت رقعة الدولة العثمانية في كل من آسيا و إفريقيا و أوروبا<sup>3</sup>. أما عن المسار التاريخي لهذه الإمتيازات في الدولة العثمانية فإننا نجدتها تتعامل بهذا النظام ضد المرحلة الأولى من تاريخ تأسيسها ولو بصورة ضيقة، وفيما يخص طبيعة الإمتيازات فقد كانت في معظمها ذات طابع تجاري منها المعاهدات التي عقدتها الدولة العثمانية مع جمهورية راجوسا<sup>4</sup> الإيطالية عام 1365م والرامية إلى إحياء تجارة الشرق، كما حصلت جنوة<sup>5</sup> الإيطالية أيضا على إمتيازات لها نفس الطبيعة التجارية من طرف الدولة

---

وانجلترا، اندلعت في عهده الحرب مع الدولة الصفوية في 1577م. للمزيد أنظر: محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 259، 261.

<sup>1</sup> يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مر: محمود الأنصاري، م1، ط1، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، تركيا، 198م، ص 393.

<sup>2</sup> الشناوي، المرجع السابق، ص 40.

<sup>3</sup> وليد العريض، " تاريخ الإمتيازات في الدولة العثمانية وآثارها "، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، م24، العدد1، الاردن، 1997م، ص 147.

<sup>4</sup> راجوسا: شبه جزيرة تقع على شاطئ البحر الأدرياتيكي، كانت هذه المدينة من عام 1403م-1809م عاصمة لجمهورية أرستقراطية، وقد أثرت ثراء كبير من تجارتها مع الدولة العثمانية. وقد أصبحت تسمى الآن ب " دوبرفنيك". للمزيد أنظر: خلف بن دبلان بن خضر الودينان، الدولة العثمانية والغزو الثقافي حتى عام 1327هـ/ 1909م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة مكة المكرمة، 1410هـ/ 1990م، ص 45.

<sup>5</sup> جنوة: مدينة تقع في شمال غربي إيطاليا، بين خليج جنوة وجبال الألب وجبال الأبنين وهي أكبر الموانئ الإيطالية وأكثرها إزدحاما، كانت تمثل مركزا تجاريا هاما، عرفت بتبادلها التجاري مع الدولة العثمانية.

العثمانية سنة 1387م، وعندما تمكن السلطان محمد الفاتح من فتح القسطنطينية سنة 1453م أبقى على تلك الإمتيازات التجارية التي كانت قد حصلت عليها البندقية وجنوة وفلورنسا في العهد البيزنطي، كما وقع معاهدة مع جمهورية البندقية عام 1454م منحهم فيها حق حرية التجارة، كما سمح لباقي المدن الايطالية الإستفادة من نفس الإمتيازات بهدف تشجيع و تنشيط التجارة الخارجية مع أوروبا والشرق عموماً، وهكذا كانت الإمتيازات في التاريخ العثماني أغلبها تجارية<sup>1</sup>.

### 3- أشكال الامتيازات الأجنبية بالدولة العثمانية:

إن منح الإمتيازات الأجنبية بداية كانت تمنح على شكل إمتياز تجاري أي كل دولة كانت تسعى لتحقيق مصالحها التجارية الإقتصادية، لكن مع مرور الوقت نجد الإمتيازات قد تطورت من النوع التجاري إلى أنواع أخرى. وهذا على حسب كل دولة والأهداف التي تسعى لتحقيقها لذلك نجد الإمتيازات قد تعددت و تنوعت:

#### أ- الامتيازات الدينية:

تعتبر أولى أشكال الإمتيازات الأجنبية التي تعود إلى عهد السلطان سليمان القانوني والملك الفرنسي فرنسوا الأول، حيث تتمثل في حق رعاية البعثات البشرية و العناية بالأماكن المقدسة و ترميمها بمنطقة فلسطين، كما تتمثل في حرية العبادة ومنحت الكثير من الكنائس و المعابد المسيحية و اليهودية والقنصليات الأجنبية الحق في حمل مسؤولية ورعاية مواطنيها فترات التاريخ الإسلامي، كما منحت الدولة العثمانية في كافة الجهات الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينية دون إجبارهم على تطبيق أحكام الدين الاسلامي، وبقي المسيحيون على نصرانيتهم و اليهود على يهوديتهم<sup>2</sup> مع حفظ أملاكهم<sup>3</sup>. وهذه الإمتيازات ممنوحة إلى

<sup>1</sup> العريض، المرجع السابق، ص 147.

<sup>2</sup> قال الله تعالى: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" الآية 256 سورة البقرة.

<sup>3</sup> ليلي الصباغ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس والسابع عشر ميلادي، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1989، ص 114.

الأجانب من طرف الدولة نفسها في النواحي المختلفة كحسن المعاملة و الحماية ومظاهر الإعفاءات المختلفة<sup>1</sup>.

#### ب-الإمتيازات الاقتصادية:

تتوعد الإمتيازات في التاريخ القديم والحديث فمنها الإمتيازات التجارية التي تشمل منح حرية التجارة وحرية الإستيراد والتصدير والإعفاء من أصناف الضرائب، والرسوم الجمركية وحرية سير السفن التجارية لصاحب الإمتياز. وقد عملت المجتمعات على تنظيم حقوق الأجانب فيها حسب قوانينها الخاصة لكن الدول الاستعمارية في العصر الحديث حاولت من خلال الامتيازات السيطرة على مقدرات الشعوب الضعيفة التي لا زال بعضها أسيرا ضمن أنماط استعمارية مختلفة<sup>2</sup>.

وقد وجد في التاريخ القديم أمثلة كثيرة على هذا النوع في تواريخ روما وبيزنطة. فيذكر فيليب حتى أن بعض المدن التي لم تكن من المستعمرات الرومانية أعطيت حق الرعاية أو بعض الامتيازات الخاصة عن طريق المنحة أو المعاهدة وهناك أمثلة كثيرة على هذا النوع من الامتيازات التجارية في عصر القوة من تاريخ الدولة العباسية وخصوصا في تسهيل وصول تجار الغرب الأوروبي وحجابه إلى الأماكن المقدسة والامبراطورية العثمانية<sup>3</sup>.

#### ج- الإمتيازات السياسية:

الامتيازات السياسية هي امتيازات حقوقية والتي تعيد في تحقيق الأمن منح الحصانة للحفاظ على حقوق الأجانب، حيث يبقى الأجنبي مرتبطا بقوانين وطنه، كما تتمثل الامتيازات السياسية في إعطاء الحرية في انتخاب المجالس الدينية ورؤسائها وحرية الاستيطان الأجنبي، بالإضافة إلى حرية تعيين الحاكم المدني كما أجازت الدولة العثمانية

<sup>1</sup> العريض، المرجع السابق، ص 146.

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> نفسه.

للأجانب بالإشراف على مواطنهم لحل النزاعات و الخصومات التي قد تتجم عنهم. بالإضافة إلى منح الدولة حق الإقامة في اسطنبول و في المدن التي تختارها الدولة المتعاقدة معها وبذلك يصبحون الأجانب غير ملزمين في الخضوع لسلطة الحكام المحليين، حيث جعلتهم الدولة على طبقة مستقلة كما أصبحوا يشكلون حكومة داخل الحكومة العثمانية<sup>1</sup>.

وبذلك استغلت الدول الأوروبية ذلك الحق الذي منح للقناصل وفرض إرادتها وحماية مصالحها على حساب مصالح الدولة العثمانية ومن ثم التدخل في شؤونها الداخلية ضف إلى ذلك أن الأسر الحاكمة لم تمنع زواج بناتها و أبنائها من الأسر الحاكمة في محيط الدولة الجغرافي، إذ قام السلطان محمد الفاتح بتزويج ابنته من الولي الشرعي لمملكة فارس وغيرها من الزيجات والمصاهرات السياسية<sup>2</sup>. ويمثل مركز الصدر الأعظم المرتبة الثانية بعد السلطان وهذه الوضعية يؤكدها محمد الفاتح بقوله "...صاحب الصلاحية المطلقة في إدارة شؤون الدولة"<sup>3</sup> ويعني الصلاحية المطلقة بأن له كل الحق في اتخاذ القرارات المتعلقة بالدول دون الرجوع إلى أي طرف و خاصة إذا كان السلطان غائباً في المعارك أو في العاصمة فيمكن أن يحل محله في اتخاذ القرارات.

كان إبراهيم باشا من معاصري معاهدة الإمتيازات الأجنبية والفرنسية التي عقدها السلطان سليمان مع فرنسوا الأول ملك فرنسا فنرى عن إبراهيم باشا بأنه كان يتظاهر أمام الرسل الأجانب بأنه بوسعه أن يجر سيده إلى كل ما يريد و بأنه يتمتع بسلطة مطلقة، أما آخر أعمال إبراهيم باشا السياسية قيامه بإنجاز الإتفاقية مع فرنسا التي تنص بموجبها على توسيع الإمتيازات التجارية التي حصلت عليها فرنسا في مصر منذ زمن المماليك. بالإضافة

<sup>1</sup> نفسه، ص 145.

<sup>2</sup> فائقة محمد حمزة، عبد الصمد بحري، المرجع السابق، ص 111.

<sup>3</sup> حسن الضيفة، الدولة العثمانية الثقافية والمجتمع والسلطة، (د.ط)، دار المنتخب العربي، بيروت،

لبنان، 1997، ص 88.

إلى عقد إتفاقية تعاون عسكري مع فرنسا لكن لم تظهر بمواردها على أرض الواقع إلا في مشاركات قليلة<sup>1</sup>.

### المبحث الثاني: التقارب العثماني الفرنسي.

يعود ظهور الجزائر الحديثة في الإطار الإقليمي الذي هو عليه الآن تقريبا خاصة بالنسبة لحدودها الشرقية والغربية إلى منتصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي و بالرغم من إنضمامها للدولة العثمانية لكن طبيعة علاقاتها مع هذه الإمبراطورية قد اكتسب منذ البداية طابعا خاصا ميزها عن كونها مجرد إقليم أو ولاية من ولايات الدولة العثمانية وبحكم هذه الميزة كان عليها أن تضبط علاقاتها الخارجية منذ البداية وفق ما تقتضيه مصالحها و ظروفها الخاصة<sup>2</sup>.

#### 1-علاقات الجزائر بالدول الأوروبية:

لقد كانت الجزائر أ قوة دول المغرب الإسلامي بسبب كبر مساحتها وطول سواحلها وغناها الإقتصادي ووفرة تجارتها ورواجها مع الخارج، وأيضا إمتداد دواخلها إلى قلب القارة فيما وراء الصحراء الكبرى وكانت علاقاتها مع الخارج أوسع مدى وكلمتها أكثر تأثير في السلم والحرب وهذا ما أكسبها صفة الزعامة على سائر نيابات المغرب الأخرى واعترفت دول أوروبا بذلك. وأخذت تدفع لها الضرائب والهدايا وتهابها وتبرم معها معاهدات السلم والصداقة حتى تتجنب نقيمتها وغضبها<sup>3</sup>.

كانت الضريبة هي مفتاح العلاقات الجزائرية الأوروبية فكانت تدفع الجزية لأنها لم تستطع أو أنها لم تطور سياسة عمل جماعي ضد الجزائر، فكانت الضريبة المدفوعة بمثابة حماية فردية وأيضا إمتياز للقوى الأوروبية الصغيرة التي تعتمد في حياتا على التجارة السلمية و في مقابل هذه كان الجزائريون يمتنعون عموما من مهاجمة سفن أو موانئ الأمم

<sup>1</sup> روبرير ماتران، المرجع السابق، ص ص 278، 289، 210، 226.

<sup>2</sup> قنان، قضايا ودراسات في تاريخ...، ص 45.

<sup>3</sup> بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية...، ص 52.

التي تدفع الجزية<sup>1</sup>، ومن أهم الدول التي تدفع الضرائب للجزائر هي الولايات المتحدة الأمريكية، هولندا<sup>2</sup> والبرتغال والدانمارك والنرويج، السويد، و الدويلات الإيطالية تدفع الضريبة كل عامين أما إسبانيا وفرنسا وانجلترا وسردينيا وهانوفر والبنديقية تدفع هدايا دورية للدايات والباشوات وأعضاء الديوان عند إبرام المعاهدات أو تعيين القناصل لها في الجزائر<sup>3</sup> ونستثني من الدول الأوروبية روسيا والنمسا اللتين كانتا تعتبران الإيالة مقاطعة عثمانية وعليه كانت تجبران الباب العالي "الدولة العثمانية" على التدخل لمنع البحارة الجزائريين من الإعتداء على أساطيلها<sup>4</sup>. لقد كانت السياسة الجزائرية الخارجية مرنة و تصورية و اتسمت بالاعتناع المطلق بالتفوق البحري والإعتقاد بدوام الدولة لعامل حيوي في سياسة أمنية الإسلام مع الفهم العميق لمخاوف ومطامح ومناهضات أوروبا<sup>5</sup>.

حينما استنجد الملك الفرنسي فرسنوا الأول (françois 1<sup>er</sup>) بالسلطان العثماني إثر تهديدات شارل الخامس (charlesquint) حيث رأى الملك الفرنسي أنها الدولة الوحيدة القادرة على الحد من توسعات شارل الخامس و إنقاذ مملكته هذا يدل على المكانة التي كانت تتمتع بها الدولة العثمانية في تلك الفترة<sup>6</sup> و بعد تلقي فرنسا عدة هزائم دفعت فرنسوا الأول إلى التفكير في البحث عن حلفاء خارج أوروبا وبعد إستسلام هذا الأخير للإمبراطور

<sup>1</sup> صحراوي عبد القادر، جميل عائشة، التمثيل الدبلوماسي في الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء الغرامات العثمانية، مقال في مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، 2017/02/12، ص 492.

<sup>2</sup> كانت هولندا أول دولة قامت بتنظيم الحماية من الغارات وذلك بدفع إتاوة، فاعتبر القناصل الفرنسيون والإنجليز هذا العمل مهانة، ولكن الهولنديون قرروا أن شراء الحماية آخر صمن فرضها بواسطة السفن الحربية. للمزيد أنظر: وولف، المرجع السابق، ص 218.

<sup>3</sup> بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية ...، ص ص 22، 23.

<sup>4</sup> محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب،

الجزائر، 1984/ ص ص 43، 44.

<sup>5</sup> الحيلالي، المرجع السابق، ص 262.

<sup>6</sup> كمال حسنة، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث (1789-1807م)، رسالة

ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 12.

شارل الخامس في فيفري 1525م بمقاطعة ميلانوا أصبحت فرنسا مهددة والملك الفرنسي أسير بمدريد مما دفع البلاط الفرنسي إلى الاستجداء بالسلطان العثماني<sup>1</sup>.

أدت تلك التطورات الخطيرة إلى اللجوء الملك فرنسوا ووالدته دوقة لويزا سافوي Louise Savoie إلى السلطان العثماني من خلال المبعوث الخاص جين فرانجيباني leanfrangipani للتدخل والإفراج عن الملك الأسير ودعوه لمهاجمة المجر حليف شارل لفتح جبهة جديدة تضعف موقف شارل. وقد قابل السلطان المبعوث شخصيا وأجزل له العطاء في 6 جانفي 1525م، لكن معاهدة رسمية لم توقع بين الطرفين و هيأت تلك المعطيات جبهة موحدة ضد تطلعات شال للهيمنة على أوروبا وفيتلك الأثناء أرغم فرنسوا الأول على توقيع معاهدة مدريد 14 ديسمبر عام 1525م للحصول على حريته، تنازلت بموجبها فرنسا عن الأراضي المنخفضة و إيطاليا و تطورت الحرب الإيطالية حينما اجتاح جنود شارل الخامس روما في مارس 1527 م، ووقع صلح مع شارل الخامس بمثابة هدنة مؤقتة<sup>2</sup>.

وتعود الجذور الأولى لقيام العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا إلى النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي<sup>3</sup> وهي المرحلة التي شهدت تغيرات واضحة في توازن القوى بين الشرق الذي كان ممثلا في الدولة العثمانية وهي في القوة والتوسع وحسن التأثير على

<sup>1</sup> نفسه، ص13.

<sup>2</sup> نغم طالب الله، المرجع السابق، ص946.

<sup>3</sup> يرجع الكثير من المؤرخين إلى البدايات الأولى للعلاقات العثمانية الفرنسية بداية من 1536م عندما تم توقيع معاهدة إمتيازات بين السلطان سليمان القانوني والملك الفرنسي فرنسوا الأول ، إلا أن سياسة التقارب بدأت قبل تلك السنة وبالضبط عندما أراد فرنسوا الأول أن يقيم تحالفا مع سليمان القانوني عن طريق بعثات سرية أرسلها في سنتي 1525-1531م إلا أنها لم تأتي بنتيجة إلي غاية معاهدة 1536م. للمزيد أنظر: مرادجه دوسون، نظم الحكم والإدارة للدولة العثمانية في عهد مرادجه دوسون أي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ميلادي، ترجمة : فيصل شيخ الأرض، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1847، ص212.

السياسة العالمية بقيادة السلطان سليمان القانوني<sup>1</sup> والغرب الذي مثلته أوروبا والتي شهدت أحداثا طغى عليها الصراع حول قيادة الإمبراطورية الرومانية المقدسة<sup>2</sup> بين الملك شارع الخامس والملك الفرنسي فرانسوا اللذان بلغ التنافس بينهما إلى شدته<sup>3</sup>. مما دفع بالملك الفرنسي إلى طلب المساعدة من السلطان سليمان القانوني ومن هنا تبدأ السياسة التقارب العثماني الفرنسي تتخذ وتيرة مصاعدة<sup>4</sup> وتطورا ملحوظا في العلاقات بين الطرفين و أهمية بارزة في السياسة الجديدة للدولة العثمانية اتجاه الدول الأوروبية<sup>5</sup> ويتجسد ذلك في توقيع أول معاهدة امتيازات بين الدولة العثمانية و فرنسا هذه المعاهدة التي أخذت شكلا مغايرا لتلك المعاهدات التي أبرمها العثمانيون قبل ذلك التاريخ كما أنها تحتوى أغراض عديدة وأصبحت مثل أساس المعاهدات اللاحقة التي اسندت عليها بقية الدول الأوروبية فيما بعد تناول نفس تلك الامتيازات التي حازت فرنسا<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كمال حسنة، المرجع السابق، ص 1.

<sup>2</sup> الإمبراطورية الرومانية المقدسة: قامت هذه الإمبراطورية عام 962م غربي ووسط أوروبا واتخذت من ألمانيا قاعدة لها، واستمرت حتى عام 1806م، وقد كانت متصلة بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية، إلا أنها عانت كثيرا بسبب النزاعات بين أباطرتها والباباوات وقد حكمت أسرة هابسبورغ هذه الإمبراطورية حوالي 400 سنة. للمزيد أنظر: أحمد مهدي، محمد شويخات، الموسوعة العربية العربية، ط3، (د د ن)، المملكة العربية السعودية، 1425هـ/2004م، موسوعة إلكترونية.

<sup>3</sup> فاطمة بوجلطي، إنعكاسات الإمتيازات الأجنبية على بلاد الشام خلال القرن 19م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، الجزائر 2، 2010-2011م، ص 14.

<sup>4</sup> كمال حسنة، المرجع السابق، ص 1.

<sup>5</sup> جلال يحيى، أوروبا في العصور الحديثة...، ص 340.

<sup>6</sup> إدريسي الناصر رئيسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر ميلادي، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان، 1428هـ/2007م، ص 288.

أ- معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية 942هـ - 1535م:

تتميز العلاقات العثمانية الفرنسية بأنها ذات تاريخ طويل إذ يعود في جذوره على أوج قوة الدولة العثمانية لا سيما عهد السلطان سليمان القانوني و بالتحديد القرن السادس عشر ميلادي الأمر الذي جعلها تتسم بالتداخل والتشابك في المجالات السياسية والاقتصادية وغيرها من المجالات وعلى الرغم من أنها مرت بفترات مختلفة من القوة و الضعف والفقر أحيانا منذ عهد السلطان سليمان القانوني في عام 1536م وقد شهدت هذه العلاقات بين الدولتين تطورا تدريجيا منذ عقد أول معاهدة بينهما و ساهمت العديد من العوامل الداخلية و الخارجية لكل من الدولة العثمانية وفرنسا في تطور علاقتهما الثنائية فبعد إبرام معاهدة الامتيازات عام 1535م ثم تحديد هذه المعاهدات من الحين والأخر تحديدا مع موت أو عزل السلطان العثماني وتسلم السلطان الجديد سدة الحكم<sup>1</sup>.

1- ظروف إبرام المعاهدة:

كان لإبرام معاهدة الإمتيازات العثمانية الفرنسية حملة من الدوافع التي كانت تطمح لها كلا الدولتين سواء فرنسا أو الدولة العثمانية، بحيث أدت بهم في الأخير إلى التحالف وتوقيع المعاهدة عام 1535م<sup>2</sup> و تتمثل هذه الدوافع بما يلي:

<sup>1</sup> فاطمة حسين فاضل المبرج، العلاقات العثمانية الفرنسية 1566-1540م ، جامعة الإمام الصادق (ع)، كلية الآداب، مجلة سر من رأى، المجلد 11، ع 41، السنة الحادية عشر، حريزان 2015، ص 270.

<sup>2</sup> الملاحظة التي يجب أن ننوه إليها هي أن الدولة العثمانية عقدت معاهدة قبل هذا التاريخ أي سنة 1532م وتم فيها التحالف بين السلطان العثماني سليمان القانوني والملك الفرنسي فرنسوا ومنحت من خلالها فرنسا حق حماية الرعايا الكاثوليك في الدولة العثمانية، لتكسب بذلك فرنسا مكانة مرموقة في الدولة العثمانية وتصبح لها فرص التقرب أكثر من الدولة العثمانية مقارنة مع بقية الدول الأوروبية الأخرى. للمزيد أنظر: اسماعيل أحمد ياغي، العالم الفرنسي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ/ 1997م، ص180.

أولاً: الجانب الفرنسي:

كانت خلال النصف الأول من القرن 16م تعيش صراعات كانت قائمة بين أسرة آل هاسبورغ ممثلة في شخصية شال الخامس الذي كان يهدف إلى تقسيم العالم والإحتفاظ بأوروبا لنفسه وبين أسرة فالوا التي مثلها فرانسوا الأول<sup>1</sup> وكان الصراع حول أحقية حمل التاج الإمبراطورية الرومانية المقدسة والذي انتهى إلى شارل الخامس سنة 1519<sup>2</sup> الفتح باب الحروب وذلك لعدم تقبل فرنسا للوضع الذي وجدت في نفسها محاطة بمناطق حكمها كانت خاضعة لحكم شارل الخامس، بحيث كانت تعيش تطويقاً جعلها تبحث عن حليف خارج أوروبا لفك حصارها ودعم قوتها لمواجهة شارل الخامس وفي تلك الفترة كانت الدولة العثمانية تتنافس الإمبراطورية الرومانية المقدسة لزعامة العالم ولهذا كان لقيام علاقات ودية بين العثمانيين وفرنسا أمر ضروري لأنهما إشتراكاً في نفس العدو و الهدف<sup>3</sup>.

ثانياً: الجانب العثماني:

إن الدوافع التي جعلت السلطان العثماني سليمان القانوني يمنح إمتيازات إلى الملك الفرنسي فرانسوا الأول تختلف تماما عن الأسباب التي جعلت فرنسا توقع تلك المعاهدة وتتمثل هذه الدوافع في :

-كان هدف السياسة العثمانية من منح هذه الامتيازات لفرنسا وجعلها توقع على المعاهدة هو إضعاف الإمبراطورية الرومانية المقدسة و إبقاء أوروبا مقسمة ولهذا لعدم شن حرب موحدة ضد الدولة العثمانية القوية فكان التعاون مع فرنسا هو السبيل الوحيد لتحقيق هذا الغرض<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>Scipion Marin.conduite de France envers la TurquieGrinmberte et Dopes Libraires.Paris.1840.p 1.

<sup>2</sup>إكمال الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية " تاريخ وحضارة" ، تر: صالح سعداوي، ج1، (د.ط)، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، اسطنبول، 1999، ص 36.

<sup>3</sup> يعقوب لاندوا، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية"1517-1914م"، تر: جمال أحمد الرفاعي واحمد عبد اللطيف حماد، (د.ط)، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، ص ص 533، 534.

<sup>4</sup>نادية محمود مصطفى، المرجع السابق، ص 27.

- انتهز السلطان العثماني سليمان القانوني فرصة النزاع القائم بين الإمبراطور شارل الخامس و الملك الفرنسي فرنسوا الأول بالانفراد بفرنسا و اتخاذها قوة مساندة لتوسعاته في أوروبا<sup>1</sup>.

- كان لإكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح<sup>2</sup> أثره الكبير في التقليل من الأهمية التجارية للبحر الأبيض المتوسط، لذا سيكون لعقد تحالف مع فرنسا أهمية إستراتيجية في إعادة تنشيط التجارة بالبحر المتوسط وبالتالي زدهار التجارة العثمانية على حساب المنافسة البرتغالية التي احتكرت طريق راس الرجاء الصالح<sup>3</sup> بحيث عملت الدولة العثمانية للسعي لبقاء سياستها الخارجية الرامية إلى استمرار العلاقات مع المغرب ومن ثم مواصلة التجارة البحرية مع البنادقة والجنوبيين والفرنسيين ثم الانجليز والهولنديين<sup>4</sup>.

وبعد إقتناع الملك الفرنسي فرنسوا الأول بفكرة التحالف مع العثمانيين بعث بعثة ممثلة في شخص جون دولافور<sup>5</sup> الذي ذاع صيته وموهبته السياسية في السفارة فذهب إلى إسطنبول كسفير مقيم بها وأعطيت له صلاحيات التفاوض من قبل الملك الفرنسي مع السلطان العثماني سليمان القانوني طالبا منه المحافظة على تلك الإمتيازات التي منحها الجولة إلى فرنسا والعمل من أجل الحصول على تسهيلات أخرى لرعاياها داخل السلطنة

<sup>1</sup> محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، (د.ط)، القاهرة، 1414هـ/ 1994م، ص 67.

<sup>2</sup> رأس الرجاء الصالح: هو الطريق الذي أكتشفه الرحالة فاسكو دي جاما عام 1497م للوصول إلى الهند، وهو الطريق الذي يدور حول إفريقيا ويقع جنوبها اتخذته الدول الأوروبية ليكون كريقا تجاريا بديلا لها عن البحر المتوسط، وذلك من أجل التخلص من احتكار تجار البندقية والتجار المسلمين. للمزيد انظر: أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص72.

<sup>3</sup> كمال حسنة، المرجع السابق، ص 6.

<sup>4</sup> أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 94.

<sup>5</sup> جون دولافوري، Jean de la foret: هو سفير فرنسي يقيم في الدولة العثمانية كان على إطلاع وثقافة واسعة بها، إهتم بالمسائل الأجنبية، بعث في فيفري سنة 1536م لإبرام معاهدة صداقة بين الملك الفرنسي فرنسوا الأول والسلطان العثماني سليمان القانوني. للمزيد أنظر:

M.Lecote De Saint- priest. Mémoire sur L'ambassade de France en Tueque et sur le commerce des Français dans le levant. Librairie de la societ e asiatique. Paris.p 181.

العثمانية<sup>1</sup> خاصة ما يتعلق بالجانب التجاري وحرية الملاحة البحرية بالنسبة للطرفين العثماني والفرنسي لتكون بذلك أساس لكل المعاهدات اللاحقة والتي لها نفس الطبيعة<sup>2</sup>.

وبذلك تم الإتفاق على إبراهيم معاهدة إمتيازات جديدة منحت فرنسا الحماية لرعاياها وحق التجارة في الشرق<sup>3</sup>. وتم ذلك في سنة 942هـ الموافق لأول من شهر فيفري عام 1535م والتي وقعها على الجانب العثماني في الصدر الأعظم إبراهيم باشا، أما الجانب الفرنسي فقد وقعها السفير جون دولافوري وبهذه تكون هذه المعاهدة الأولى من نوعها في تاريخ العلاقات العثمانية الأوروبية بصفة عامة وفرنسا على وجه الخصوص<sup>4</sup>.

### طبيعة المعاهدة العثمانية الفرنسية سنة 942هـ - 1535م

خطبت معاهدة الإمتيازات التي تم إبرامها بين الدولة العثمانية وفرنسا عام 942هـ - 1535م بإهتمام كبير وذلك لأنها مثلت نقطة تحول في تقرب العلاقات العثمانية الفرنسية وليس هذا فحسب، بل كانت بمثابة حجر الزاوية التي على أساسها ستمنح بقية الدول الأخرى البعض من هذه الإمتيازات المماثلة كتلك التي حصلت عليها فرنسا. أما بالنسبة ما يخص أهميتها فتمكن في كونها تناولت مظاهر متنوعة سياسية عسكرية اقتصادية وحتى القضائية والدينية<sup>5</sup> و بموجب هذه المعاهدة أكد الطرفان حالة السلم القائم بينهما والذي سيدوم

<sup>1</sup>كمال حسنة، المرجع السابق، ص6.

<sup>2</sup>J. de Hammer. Histoire de l'empire ottoman de puis son origine jusqu'à nos jour de puis l'avènement de souleiman 1 jusqu' au premier traité de paix de L'Autriche avec la porte ottomane 1520- 1547.traduire. j.jhell bert.1995.p 228.

<sup>3</sup> George carles.la Turquie economiqueetude comparative de commerce Français et les étranger . paris.1906.p 71.

<sup>4</sup>le Baron .de testa. Recueille des Traités de la porte ottoman avec les Etrangeres. Amayot et diteurdes archives diplomatique. T1. Paris.sd. p15.

<sup>5</sup>مايثير الجدل الكبير في تلك المعاهدة العثمانية الفرنسية 942هـ/ 1535م هو نوعيتها، بحيث كانت مهمة السفير الفرنسي " جون دولافوري" التي بعث على أساسها إلى اسطنبول ذات طابع سياسي وهو طلب المساعدة والدعم ومواجهة شارل الخامس، إلا أنها أخذت فيما بعد منحى تجاري وهذا ما فسرتة الباحثة الدكتورة ليلي الصباغ بقولها أن تعليمات فرنسوا الأول الكتابية إلى دولافوري لا تنص على الأمور

سيدوم بين الدولتين على مدى حياة العاهلين وبالنسبة لجميع الأراضي والأقاليم التابعة لهما كما وسعت هذه المعاهدة إلى ما تم ذكره في المعاهدة السابقة بخصوص التسهيلات التي منحت للتجار الفرنسيين في مدينة الاسكندرية لتصبح سارية المفعول في جميع أراضي الدولة العثمانية<sup>1</sup> فهؤلاء لهم الحق في بيع و شراء كل السلع غير المحضورة، كما تنص المعاهدة على دفع رسوم بعض السلع المحددة و اعفاء هؤلاء التجار من الرسوم الأخرى وعلى اعتبار أنه لم يكن لفرنسا في هذه الفترة سوى قنصل واحد في الموانئ العثمانية فقد وسعت الصلاحيات القضائية لهذا الأخير اذ أصبح له الحق في الفصل بين المنازعات سواء كانت مدنية أو جنحية التي تقع بين رعايا دولته كما وضحت الكيفية التي يتم فيها تسوية المنازعات التي قد تنشأ بين الرعايا الفرنسيين و العثمانيين و التي يكون الفصل فيها للقضاة العثمانيين بحضور مترجم القنصلية<sup>2</sup>

كما أكدت على حرية الإبحار لرعايا كل من البلدين و على عدم تفتيش مراكب بعضهما البعض عند إلتقائها في البحر ومما يثير الإهتمام بخصوص هذه المعاهدة كونها تنص على مبدأ هام و أساس في العلاقات الدولية والذي أهمل فيما بعد بخصوص العلاقات العثمانية الأوروبية وهو المتعلق بمبدأ المعاملة بالمثل، ولقد نص على هذا المبدأ صراحة فيما يتعلق بالترتيبات الخاصة بالتسهيلات التجارية التي يحظى بها رعايا كل من البلدين فالرعايا العثمانيون في فرنسا والأراضي التابعة بها والرعايا الفرنسيين في ممالك الدولة

---

التجارية في الشرق ، ولكن هذا لا يعني حسبها بأنه يكن مكلف شفويا بالبحث في هذه الأمور، فاتجاه فرنسا نحو تقوية تجارتها في الشرق كان واضحا في القرن 16م، كما أن صراعاتها في إيطاليا ورغبتها في فرض سيادتها البحرية والتجارية للتعاون مع الدولة العثمانية دليل واضح أنظر: الصباغ، المرجع السابق، ص 138.

<sup>1</sup> العزاوي، المرجع السابق، ص 17.

<sup>2</sup> زكريا بن علي، الدولة العثمانية ودول البحر الأبيض المتوسط في عهد بايزيد الثاني وسليمان القانوني،

رسالة ماجستير في التاريخ ، شعبة الجزائر والعالم المتوسطي في العهد العثماني، جامعة الجبالي

اليابس، سيدي بلعباس، 2015/2014، ص ص 176، 177.

العثمانية سواء منها المتعلق بحرية التنقل أو بالرسوم الجمركية أو منع التفتيش في البحر<sup>1</sup> وتم اصدار مرسوم عثماني يمنح فيه امتيازات<sup>2</sup> للرعايا الفرنسيين المتواجدين بكل الأراضي الخاضعة للسلطنة العثمانية<sup>3</sup> وذلك لتنمية فرنسا عسكريا و اقتصاديا و الحيلولة دون وقوعها لقمة سائغة في يد ألمانيا و اسبانيا<sup>4</sup> و كان القصد من ورائها عرقلة قيام حلف مقدس يعقده العالم الكاثوليكي الأوروبي ضد الدولة العثمانية ذات السياسة الإسلامية فحصل بذلك السلطان على حليف له في أوروبا ضد اسبانيا و ألمانيا<sup>5</sup>.

و ليكن معلوما لدى العموم أنه في شهر فيفري سنة 942هـ الموافق لـ1535 م اتفق بمدينة الاسبانية العلية كل من السفير الفرنسي جان دي فوري مستشار و سفير صاحب السعادة الأمير فرنسوا ملك فرنسا المعين لدى الملك العظيم ذي القوة و النصر السلطان سليمان بعد أن تباحثا في مضار الحرب وما ينشأ عنه من المصاعب و ما يترتب على السلم من الراحة و الطمأنينة<sup>6</sup> واشتملت المعاهدة على سنة عشر بندا أتاحت من خلالها فرنسا تحقيق مصالح تجارية و سياسية و قضائية<sup>7</sup> وهذا لأهميتها الكبرى للجانبين ونورد أهم ما جاء في محتواها:

<sup>1</sup> نفسه، ص177.

<sup>2</sup> هي الحقوق والامتيازات التي منحها السلاطين العثمانيين للدول الأجنبية ورعاياها على أراضي الدولة العثمانية في فترات مختلفة أو تلك التي حصل عليها الاجانب نتيجة لضغوطهم السياسية والإقتصادية على الدولة العثمانية لعمود ضعفها وانحطاطها ، أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 32.

<sup>3</sup> محمد الطاهر سخري، مختصر تاريخ الدولة العثمانية ، مطبعة المعارف، ط1، ج1، الجزائر، 2008، ص158.

<sup>4</sup> يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص 300.

<sup>5</sup> المحامي، المصدر السابق، ص 223.

<sup>6</sup> نفسه، 224-225.

<sup>7</sup> العزاوي، المرجع السابق، ص19.

البند 01: قد تعاهد المتعاقدان بالنيابة عن جلالة الخليفة الأعظم و ملك فرنسا على السلم الأكيد و الوفاق الصادق مدة حياتهما و في جميع الممالك و الولايات و الحصول و المدن و الموانئ و الشعور و البحر و في جميع الأماكن المملوكة لهم الآن أو التي تدخل في حوزتهم فيما بعد حيث يجوز لرعاياهما و تابعيهما بحرا بمراكب مسلحة أو غير مسلحة و التجول في بلاد الطرف الآخر و المجيء إليها و الإقامة بها أو الرجوع إلى العثور و المدن أو غيرها يقصد الاتجار على حسب رغبتهم بكمال الحرية بدون أن يحصل لهم أدنى نعد عليهم أو على متاجرهم.

البند2: يجوز لرعايا و تابعي الطرفين البيع و الشراء و المبادلة في كافة السلع الغير ممنوع الاتجار فيها و لسيرها و نقلها برا و بحرا من مملكة إلى أخرى مع دفع العوائد و الضرائب المعتادة قديما بحيث يدفع الفرنسيون في البلاد العثمانية ما يدفعه الأتراك و يدفع الأتراك في البلاد الفرنسية ما يدفعه الفرنسيون بدون أن يدفع أي الطرفين عوائد أو ضرائب أو مكوسا أخرى<sup>1</sup>

البند 3: كلما يعين ملك فرنسا قنصلا في مدينة القسطنطينية أو في بيرا<sup>2</sup> أو غيرها من مدائن المملكة العثمانية كالقنصل المعين الآن بمدينة الإسكندرية يصير قبوله و معاملته بكيفية لائقة لا يكون له أن يسمع و يحكم و يقطع بمقتضى قانونه في جميع ما يقع في دائرته من القضايا المدنية و الجنائية بين رعايا ملك فرنسا بدون أن يمنعه من ذلك حاكم أو قاضي شرعي أو صوباشي<sup>3</sup> أو أي موظف آخر ولكن لو امتنع أحد رعايا الملك عن إطاعة أوامر أو أحكام القنصل فله أن يستعين بموظفي جلالة السلطان على تنفيذها و عليهم

<sup>1</sup> المحامي، المصدر السابق، ص ص 223-224.

<sup>2</sup> بيزا: هي ميناء مدينة أثينا.

<sup>3</sup> الصوباشي: لفظ فارسي مركب من " صو" ومعناه الجند و" باشي" معناه رئيس، وهي مرتبة إدارية عسكرية تواجدت في العهد العثماني قبل إلغاء الإنكشارية. للمزيد أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1996م، ص 196.

مساعدته ومعاونته وعلى أي حال ليس للقاضي الشرعي أو أي موظف آخر أن يحكم في المنازعات التي تقع بين التجار الفرنسيون و باقي رعايا فرنسا حتى لو طالبوا منه الحكم بينهم و أن أصدر حكما في مثل هذه الأحوال يكون حكمه لاغيا لا يعمل به مطلقا.

البند 4: يجوز سماع الدعاوي المدنية التي يقيمها الأتراك أو حياه الخراج أو غيرهم من رعايا جلاله السلطان ضد التجارة أو غيرهم من رعايا فرنسا أو الحكم عليهم فيها ما لم يكن مع المدعين سنوات بخط المدعي عليهم أو حجة رسمية صادرة من القاضي الشرعي أو القنصل الفرنسي و في حالة وجود سندات أو حجج لا تسمع الدعوى أو شهادة مقدمها إلا بحضور ترجمان القنصل<sup>1</sup>.

البند 5: و لا يجوز للقضاة الشرعيين أو غيرهم من مأموري الحكومة العثمانية سماع أي دعوى جنائية أو الحكم ضد تجار و رعايا فرنسا بناءا على شكوى الأتراك أو جباه الخراج أو غيرهم من الرعايا الدولة العلية بل على القاضي أو المأمور الذي ترفع إليه الشكوى أن يدهم المتهمين بالحضور بالباب العالي محل إقامة الصدر الأعظم الرسمي.

السند 6: لا يجوز محاكمة التجار الفرنسيين ومستخدميهم و خادميهم فيما يختص بالمسائل الدينية أمام القاضي أو السجنق بك أو الصوباشي أو غيرهم من المأمورين بل تكون محاكمتهم أمام الباي العالي و من جهة أخرى يكون مصرح لهم بإتباع شعائر دينهم و لا يمكن جبرهم على الإسلام أو اعتبارهم مسلمين ما لم يقورا بذلك غير مكرهين.

البند 7: لو تعاقد واحد أو أكثر من رعايا فرنسا مع أحد العثمانيين أو اشترى منه بضائع أو استدان منه نقودا ثم خرج من الممالك العثمانية قبل أن يقوم بما تعهد به فلا يسأل القنصل أو أقارب الغائب أو أي شخص فرنساوي آخر عن ذلك مطلقا كذلك لا يكون ملك فرنسا ملزما بشيء بل عليه أن يوفي طلبه المدعي من شخص المدعي عليه أو أملاكه لو جدت بأراضي الدولة الفرنسية أو كان له أملاك بها .

<sup>1</sup>المحامي، المصدر السابق، ص 225.

البند 8: لا يجوز استخدام التجار الفرنسيين أو مستخدميهم أو خدامهم أو سفنهم أو ما يوجد بها من المدافع و الذخائر أو التجارة جبرا عنهم في خدمة جلالة السلطان الأعظم أو غيره في البر والبحر ما لم يكن ذلك بطوعهم واختيارهم<sup>1</sup>.

البند 9: يكون لتجار فرنسا و رعاياها الحق في التصرف في كافة متعلقاتهم بالوصية بعد موتهم و عند وفاة أحد منهم وفاة طبيعية أو قهرية عن وصية فتوزع أمواله و باقي ممتلكاته على حسب ما جاء بها و لو توفي و لم يوص فتسلم تركته إلى وارثه أو الوكيل عنه بمعرفة القنصل لو كان في محل وفاته قنصل و إلا فتحتفظ التركة بمعرفة قاضي الجهة بعد أن تعمل بها قائمة جرد على يد شهود أما لو كانت الوفاة في جهة بها قنصل فلا يكون للقاضي أو مأمور بنت المال أو غيرهما حق في ضبط التركة مطلقا و لو سبق ضبطها بمعرفة أحد منهم يصير تسليمها إلى القنصل أو من ينوي عنه لو طلبها قبل الوارث أو وكيله و على القنصل توصيلها و تسليمها إلى صاحب الحق فيها.

البند 10 : بمجرد اعتماد جلاله السلطان و ملك فرنسا لهذه المعاهدة فجميع رعاياهما الموجودين عندهما أو عند تابعيهما أو على مراكبهما أو سفنهما أو في أي محل أو إقليم تابع لسلطتهما في حالة الرق سواء أكان ذلك بشرائهم أو بأسرهم وقت الحرب يصير إخراجهم فورا من حالة الاسترقاق إلى بحبوحة الحرية بمجرد طلب و تقرير السفير أو القنصل أو أي شخص آخر معين لهذا الخصوص و لو كان أحدهم قد غير دينه و معتقده فلا يكون ذلك مانعا لإطلاق سراحه<sup>2</sup>.

البند 11: لو تقابلت دونانات إحدى الدولتين المتعاقبتين ببعض مراكب رعايا الدولة الأخرى فعلى هذه المراكب تنزيل قلعها و رفع أعلام دولتها حتى إذا عملت حقيقتها لا تحجزها أو تضايقها السفن الحربية أو أي تابع للدولة صاحبة الدونانمة<sup>3</sup> وإذا حصل ضرر

<sup>1</sup>نفسه.

<sup>2</sup>نفسه، ص 226-227.

<sup>3</sup>الدونانمة: ومعناها الأسطول.

لأحدهما فعلى الملك صاحب الدونامة تعويض هذا الضرر فوراً و إذا تقابلت سفن رعايا الدولتين فعليهما رفع العلم و إبداء السلام بطلقة مدفع و المجاوبة بالصدق لو سئل ربانها عن الدولة التابع إليها و لما تعلم حقيقتها لا يجوز لأحدهما أن تقتش الأخرى بالقوة أو تسبب لها أي عائق كان.

البند 12: إذا وصلت إحدى المراكب الفرنسية سواء بطريقة الصدفة أو غيرها إلى إحدى موانئ أو شطوط الدولة العلية تعطى ما يلزمها من المأكولات و غيرها من الأشياء مقابل دفع الثمن المناسب بدون إلزامها تفرغ ما بها من البضائع لدفع الأثمان ثم يباح لها الذهاب أينما تريد و إذا وصلت إلى الأستانة و أرادت السفر منها بعد الاستحضر على جواز الخروج من أمين الجمرك و دفع الرسم اللازم و تفتيشها بمعرفة الأمين المشار إليه فلا يجوز و لا يمكن تفتيشها في أي محل آخر إلا عند الحصون المقامة بمدخل بوغاز جاليبولي الدردنيل ليون دفع شيء مطلقاً لا عند هذا البوغاز و لا في أي مكان آخر عند خروجها خلاف ما صار دفعه سواء كان الطلب باسم جلالة السلطان أو أحد مأموريه.

البند 13: لو كسرت أو أغرفت مراكب إحدى الدولتين بالصدفة أو غيرها عن البلاد التابعة للطرف الآخر فمن ينجو من هذا الخطر يبقي متمتعاً بحريته لا يمانع في أخذ ما يكون له من الأمتعة و غيرها أما لو غرق جميع ما بها فما يمكن تخليصه من البضائع يسلم إلى القنصل أو نائبه لتسليمها لأربابها بدون أن يأخذ القبودان باشا أو السنجق بيك أو الصوباشي أو القاضي أو غيرهم من مأموري الدولة أو رعاياها شيئاً منها وإلا فيعاقب من يرتكب ذلك بأشد العقاب و هؤلاء المأمورين أن يساعدوا من يخصص لاستلام الأشياء المذكورة.

البند 14: لو هرب أحد الأرقاء المملوكين لأحد العثمانيين و احتفى في بيت أو مركب أحد الفرنسيين فلا يجبر فرنسا وبين إلا على البحث عنه في بيته أو مركبه و لو وجد عنده يعاقب الفرنسي بمعرفة قنصله و يرد الرقيق لسيدته<sup>1</sup>.

البند 15: كل تابع لملك فرنسا إذا لم يكن أقام بأراضي الدولة العلية مدة عشر سنوات كاملة بدون انقطاع لا يلزم بدفع الخراج أو أي ضريبة أيا كان اسمها و لا يلزم بحراسة الأراضي المجاورة أو مخازن جلاله السلطان ولا بالشغل في الترسانة أو أي عمل آخر وكذلك تكون معاملة رعايا الدولة في بلاد فرنسا وقد اشترط ملك فرنسا أن يكون للباب و ملك إنجلترا أخيه و خليفة الأبدى وملك ايقوسيا<sup>2</sup> الحق في الاشتراك بمنافع هذه المعاهدات لو أرادوا بشرك أنهم يبلغون تصديقهم عليها إلى جلاله السلطان و يطلب منه اعتماد ذلك في ظرف ثمانية شهور تمضي من هذا اليوم.

البند 16: يرسل كل من جلاله السلطان و ملك فرنسا تصديقه للأخر على هذه المعاهدات في ظرف ستة شهور تمضي من تاريخ إمضائها مع الوعد من كليهما بالمحافظة عليها والتتبيه على جميع العمال و القضاء و المأمورين و جميع الرعايا بمراعاة كامل نصوصها بكل دقة ولكي لا يدعي أحد الجهل بهذه المعاهدة يصير نشر صورتها في الإسكندرية ومصر ومرسيليا ونابونة<sup>3</sup> وفي جميع الأماكن الأخرى الشهيرة في البر والبحر التابعة لكل من الطرفين<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المحامي، المصدر السابق، ص ص 228-229.

<sup>2</sup> إيقوسيا : هي ايكوسيا ecosse ويسمى الانجليز سكوتلاند scotland، وهي الجزء الشمالي من أراضي المملكة المتحدة - إنجلترا- وقد كانت آنذاك دولة مستقلة.

<sup>3</sup> نابونة: نوربون Norbonne ميناء على البحر الأبيض المتوسط جنوب غرب ميناء فرنسا.

<sup>4</sup> المحامي، المصدر السابق، ص ص 227، 229.

تحليل بنود المعاهدة:

من خلال تحلل بنود هذه المعاهدة نلاحظ أنها كانت في البداية ذات طبيعة سياسية من خلال الاتفاق الذي أبرمه كل من السلطان العثماني سليمان القانوني و الملك الفرنسي فرانسوا الأول من أجل الحد من توسع الإمبراطور شارل الخامس و مواجهة قوته عن طريق تشكيل حلف قوي وهذا أطلق على هذه المعاهدة تسمية معاهدة صداقة وتجارة<sup>1</sup> ويظهر ذلك جليا في البند الأول وهذا مقتطف منه "قد تعاقد المتعاقدان بالنيابة على جلالة الخليفة الأعظم و ملك فرنسا على السلم الأكيد و الوفاق الصادق مدى حياتهما..."<sup>2</sup> وهذا ما يمثله المحور الأول من مضمون المعاهدة أما المحور الثاني من مضمون المعاهدة فقد تعلق بالجوانب الاقتصادية التي برزت بوضوح في البنود التالية: الثاني، الرابع، الثامن والتي كان الجانبين العثماني و الفرنسي حرية الانتقال والمتاجرة في كلا البلدين دون جباية على الطرفين<sup>3</sup>

نلاحظ أن الدولة العثمانية وجدت في فرنسا الأداة الجديدة التي سخر السلاطين العثمانيين لصالح الاقتصاد العثماني من أجل التعاون معا وإعادة تنشيطه في الطرق التجارية التقليدية<sup>4</sup> أما فرنسا فقد منحت تسهيلات و ضمانات لحماية رعاياها وزيادة حصتها من التجارة العالمية وأيضا الاستفادة فرنسا من ناحية الملاحة البحرية لكونها الطرف الأضعف في خضم الأحداث المتعاقبة وعليها وعلى أمنها واستقلالها و ذلك حسب المادة الثانية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914م، تقديم أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، 1969، ص 321.

<sup>2</sup> المحامي، المصدر السابق، ص 224.

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 224 - 225.

<sup>4</sup> ياسر عبد العزيز محمود قاري، المرجع السابق، ص 228

<sup>5</sup> نفسه، ص ص 227، 228.

وفيما يخص الجانب العسكري الذي تضمنته هذه المعاهدة فقد كان واضحا و ذلك من خلال محتوى البنود التالية: الأول، والعاشر والحادي عشر والثاني عشر وهي تنص على تعاون العثمانيين و الفرنسيين عسكريا بتوحيد جهود كلا الأسطولين عند خوص أية معركة اتجاه الإمبراطور شارل الخامس مثلما حدث في تلك المعركة التي شارك فيها الأسطول العثماني والفرنسي ضد نابولي سنة 1537م ومنها فإن هذه المعاهدة لم تهمل معاملة الأسطولين لبعضهما البعض في عرض البحر و الموانئ وموقف كل طرف من الآخر في حالة غرض الأسطولين كما تعرضت إلى كيفية معاملة الأسرى و العبيد بالإضافة إلى تناولها لقضية رفع العلم وقد تم ذكر كل هذا في البنود التالية: الرابع عشر، الثالث عشر، الثاني عشر، و الحادي عشر، في إطار القوانين الفرنسية<sup>1</sup>.

كما احتوت المعاهدة على مواد ذات طبيعة قضائية متمثلة في البنود التالية: الثالث، الرابع و الخامس و التاسع و الرابع عشر تعلقت في مجملها بالإحكام المدنية و القضايا الجبائية<sup>2</sup> التي يكون الرعايا الفرنسيين طرفا فيها فمنح ملك فرنسا الحق في تعيين القناصل بالدولة العثمانية من أجل تولي مهام القاضي لمحاكمة رعايا فرنسا دون تدخل الدولة العثمانية و مل تغفل هذه المعاهدة على الجانب الديني و ذلك لما له من أهمية كبيرة في تنظيم شؤون الأجانب بالدولة العثمانية دون الخروج عن الأحكام الشرعية للدين الإسلامي و على هذا الأساس جاء البند السادس الذي تناول ضرورة محاكمة التجار الفرنسيين من قبل الإمبراطورية العثمانية فيما يخص المسائل الدينية كما تركت له الدولة العثمانية حرية إقامة شعائهم الدينية دون إجبارهم على تطبيق أحكام الدين الإسلامي كما تركم لهم حرية الديانة دون إكراههم على ترك ديانتهم واعتناق الإسلام<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>Paptstin poyoulet. Histoire de constantinople de puis le bas l'empire ottoman. T2. Paris. 1835. P 83

<sup>2</sup> ياسر بن عبد العزيز محمود قاري، المرجع السابق، ص 229.

<sup>3</sup> الصباغ، المرجع السابق، ص 114.

وهذا هو محتوى البند السادس لا يجوز محاكمة التجار الفرنسيين ومستخدميهم و خادميهم فيما يختص بالمسائل الدينية أما القاضي أو السنجق بيك<sup>1</sup> أو الصوباشي<sup>2</sup> بل تكون محاكمتهم أمام الباب العالي و من جهة أخرى يكون مصرح لهم بإتباع شعائر دينهم و لا يمكن جبرهم على الإسلام<sup>3</sup>

نلاحظ من خلال ما سبق ذكره أن هذه المعاهدة قد تكونت من قسمين متكاملين "التجارة" و "الإقامة" وذلك أن حرية التجارة قد فرضت حرية الإقامة وهذا حسب ما ذهب إليه الباحثة ليلي الصباغ<sup>4</sup>.

وخلصته القول التي يمكن أن نقولها عن هذه المعاهدة هي أنها قد مكنت كل من الدولة العثمانية فرنسا من أن تحققا ما كان بحاجة و ما يخدم مصالحهما خاصة فيما يتعلق بالجانب التجاري، فرغم أن معظم البنود كانت مجحفة في حق الدولة العثمانية إلا أن الأمر الذي لا يمكن إنكاره عن هذا المعاهدة هو أنها مكنت الدولة العثمانية من أن تجسد السياسة الجديدة التي ميزت العلاقات العثمانية الأوروبية من القوة إلى السلم و التقارب والعمل من أجل الإتفاق وتحقيق المصالح وبهذا كانت الإمتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للشعوب الأوروبية الوسيلة الضرورية لتجاوز تلك المتغيرات التي كانت تعيشها الدولة العثمانية بصفة خاص وأوروبا بصفة عامة.

<sup>1</sup> بيك: مصطلح تركي يطلق على كبار القادة وقد اعتمده العثمانيون كلقب لحاكم الولاية أو المقاطعة ولم يشع ها المصطلح إلا بعد سيطرة الأتراك العثمانيون على البلاد العربية، أنظر: محمد عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، العددان 117-118، كانون الثاني، 2012، ص 369.

<sup>2</sup>الصوباشي: هو المحتسب أو مدير الشرطة.

<sup>3</sup>المحامي، المصدر السابق، ص 226.

<sup>4</sup> الصباغ، المرجع السابق، ص 14.

التعاون العثماني الفرنسي ضد إمبراطورية شارلكان بعد توقيع معاهدة 1535م:

تلا توقيع معاهدة 1535م عقد حلف بين فرنسا الأول وسليمان القانوني في مواجهة أسرة هابسبورغ على أن يبقى أمره في طي الكتمان حتى لا يتعرض العاهلان لسخط شعبهما في وقت يسود التعصب الديني<sup>1</sup> و قد جرى الإتفاق على أن يسيطر الفرنسيون على شمال إيطاليا بينما يفتح العثمانيون جنوبها<sup>2</sup>.

فاستجاب السلطان سليمان لطلب فرانسوا في ماي 1537م و قام بتنفيذ حملته العسكرية لتخفيف الضغط على القوات الفرنسية واستولى الأسطول على ميناء قلوبا في البحر الأيوني<sup>3</sup> ومن هناك قام بحصار موانئ البندقية وجزيرة كورفو<sup>4</sup> وتصدى الأسطول العثماني القائد أندري دوربا وهو قائد القوات البحرية الإسبانية<sup>5</sup> ومع أن قسما من الجيش الفرنسي قد جاء لتقديم المساعدة<sup>6</sup> إلا أنه تلقى الهزيمة في المرحلة الأولى و لكن سرعان ما تفوق خيرا لدين بربروس على القوات الاسبانية و القائد أندري دوربا

في سنة 1538م تشكل حلف صليبي دولي تكون من الأباطور الروماني المقدسة و جمهورية البندقية و البايوية وتلاقت أساطيل هذا الحلف في ميناء بريفزا جنوبي جزيرة كورفو ضد الدولة العثمانية فلجأ خير الدين بربروس على الحيلة للقضاء عليهم و تمكن من تحقيق الإنتصار<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 95.

<sup>2</sup> خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة: د، محمد م. الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2002، ص 59

<sup>3</sup> الشناوي، المرجع السابق، ص 168.

<sup>4</sup> إنالجيك، المرجع السابق، ص 60.

<sup>5</sup> الشناوي، المرجع السابق، ص 168.

<sup>6</sup> إنالجيك، المرجع السابق، ص 60.

<sup>7</sup> الشناوي، المرجع السابق، ص 169.

وفي نفس السنة تقدم الفرنسيون إلى شمال إيطاليا للاستيلاء على ميلانو و جنوة في الوقت الذي بدأ فيه بربروس سلسلة من القارات على أملاك الهابسبورغ في غربي المتوسط و وسطه وكان السلطان سليمان قد أعد جيشا قوامه 300.000 جندي ونقله خير الدين بربروس إلى إيطاليا جنوبا<sup>1</sup> لكن إحجام فرنسا عن التقدم<sup>2</sup> نتيجة هياج الرأي العام المسيحي ضد التحالف الفرنسي العثماني خشية أن يرمى بالمروق من دينه المسيحي بالتحالف مع دولة إسلامية لمحاربة دولة تدين بدينه<sup>3</sup> وتدخل البابا بين فرنسا وملك النمسا لعقد صلح تمهيدا لتوحيد أوروبا ضد العثمانيين وأوعد به فرنسا الأول بالمشاركة في حملته ضد العثمانيين<sup>4</sup>.

و قد تم عقد الصلح بين فرنسا الأول و شارلكان في 1538م<sup>5</sup>، هذا ما أدى على عدم نجاح نجاح مشروع الحملة و عمل فرنسا بعدها على محاولة لعقد هدنة بين السلطان سليمان و تتازل الخامس و كتب في 1539م خطابا للسلطان سليمان القانوني فرد عليه أنه لا يهادنه إلا إذا رد له أي لملك فرنسا جميع القلاع و الحصون التي فتحها لكن ذلك قوبل بالرفض من قبل شارلكان هذا ما أدى على فتور العلاقات بين الدولة العثمانية و الإمبراطورية الرومانية و صارت الحرب بينهما<sup>6</sup> وفي 950هـ الموافق لـ 1543م طلب ملك فرنسا من جديد مساعدة السلطان سليمان<sup>7</sup> على محاربة شارلكان بأسطوله و قائده خير الدين<sup>8</sup> فتردد

<sup>1</sup> إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، (د.م.ن)، 1998، ص 69.

<sup>2</sup> المحامي، المصدر السابق، ص 235.

<sup>3</sup> حاطوم، موسوعة تاريخ عصر النهضة...، ص 341.

<sup>4</sup> ياغي، الدولة العثمانية...، ص 69.

<sup>5</sup> إنالجيك، المرجع السابق، ص 60.

<sup>6</sup> المحامي، المصدر السابق، ص 238.

<sup>7</sup> ياغي، الدولة العثمانية...، ص 71.

<sup>8</sup> المحامي، المصدر السابق، ص 237.

السلطان في بادئ الأمر بفعل عدم ثبات ملك فرنسا في المرات السابقة<sup>1</sup> لكن وعلي الرغم من علم السلطان بالسياسة المزدوجة التي تتعامل بها فرنسا مع الدولة العثمانية فقد وافق السلطان على تقديم المساعدة<sup>2</sup> بناء على إلهام السفير الفرنسي "المسيو بولان" وتشجيع بربروس له<sup>3</sup> وبخاصة علمه بمهاجمة شارلكان بجيوشه لمدينة الجزائر و ارتداد عنها خائبا في 31 أكتوبر 1541م<sup>4</sup> بعد ذلك خرج الأسطول العثماني تحت قيادة خير الدين من ميناء الأستانة مصطحبا معه السفير الفرنسي بولان لتقديم المساعدة للفرنسيين على تخليص ميناء نيس من قوات شالكان<sup>5</sup> فوصل إلى ميناء مرسيليا إحدى مدن فرنسا الجنوبية بعد أن غزا في طريقه جزيرة صقلية<sup>6</sup> وبعدها تمكن من الوصول إلى "ريجيو" بالقرب من نابولي وتمكن من فتحها و توجه إلى ميناء أوستيا في رومو انتقل بعدها إلى غربي المتوسط و دخل الأسطول ميناء طولون قاعدة الأيرالية البحرية الفرنسية في البحر المتوسط أما السلطان العثماني فتقدم بدوره إلى الغرب و فتح مدن قالبو في الضفة الغربية لنهر الدانوب وسيكلس وجران العاصمة الروحية للمجر<sup>7</sup>.

لكن تقدر على العثمانيين والفرنسيين فتح الحصن مدينة فيس و اشتكوا في معركة ضد اندري دوربا و تحت محاصرتها من جهة البحر و فتحت عنوة يوم 21 جمادى الأولى سنة 950هـ - 22 أوت 1546م<sup>8</sup> بعد ذلك ترك خير الدين بربروس الأسطول العثماني في غرب البحر المتوسط وقبل عودته إلى اسطنبول أمر الأسطول لغرب سواحل اسبانيا

<sup>1</sup> طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة ...، ص 202.

<sup>2</sup> سيد محمد السيد محمود، المرجع السابق، ص 279.

<sup>3</sup> طقوش، المرجع السابق، ص 202.

<sup>4</sup> المحامي، المصدر السابق، ص 237.

<sup>5</sup> بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ ...، ص 338.

<sup>6</sup> المحامي، المصدر السابق، ص 237.

<sup>7</sup> أوزتونا، المصدر السابق، ص 301، 303.

<sup>8</sup> المحامي، المصدر السابق، ص 237.

وسردينيا<sup>1</sup>، كما قضى خير الدين فصل الشتاء في ميناء طول بفرنسا فتحول هذا الأخير إلى قاعدة بحرية إسلامية عثمانية برضاء و موافقة السلطات الفرنسية في 08 سبتمبر 1543م<sup>2</sup>. ولم يدم هذا طويلا حيث قام ملك فرنسا بعقد اتفاقية مع شارل الخامس نتيجة لرد الفعل السلبي الذي أظهرته معظم البلاطات الأوروبية والسياسيون ضد التحالف العثماني الفرنسي وتم توقيع المعاهدة بين فرنسوا الأول و شارل الخامس سنة 1544م<sup>3</sup> حيث يلتزم ملك فرنسا بالعهد مع الدولة العثمانية فاضطر إلى التراجع<sup>4</sup> لهذا عمد خير الدين بربروس إلى احتلال طولون و نيس و خرب سواحل ايطاليا وفرنسا وعاد بعدها إلى اسطنبول مصطحبا معه نحو 400 من رجال التجديف الذين عملوا في الأسطول الفرنسي عام 951هـ-1544م<sup>5</sup> وكان هذا العمل آخر أعمال خيرا لدين و ظل في اسطنبول حتى توفي 953هـ-1546م<sup>6</sup>، ولو أن الحملة المشتركة تمت كما خطط لها أصبحت ايطاليا ولاية عثمانية لكن الحقيقة التاريخية نقول أنه لا يمكن للصليبيين أعداء الإسلام أن يتخلى بعضهم عن بعض وإن كانوا مختلفين ظاهريا تبعا للمصالح و الأهواء فلا أخلاق ولا موثيق لهم في تعاملهم مع المسلمين<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أحمد فؤد متولي، تاريخ الدولة العثمانية، منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، بتراك للنشر والتوزيع، (د.ط)، القاهرة، 2005، ص 264.

<sup>2</sup> الشناوي، المرجع السابق، ص 172.

<sup>3</sup> طقوش، المرجع السابق، ص 202.

<sup>4</sup> إبراهيم حسين، سلاطين الدولة العثمانية" عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، (د.ط)، الإسكندرية، 2014م، ص 247.

<sup>5</sup> سيد محمد السيد محمود، المرجع السابق، ص 279.

<sup>6</sup> الشناوي، المرجع السابق، ص 173.

<sup>7</sup> إبراهيم حسين، المرجع السابق، ص 247.

تجدد معاهدات نظام الإمتيازات مواصلة عقد المعاهدات بعد وفاة فرانسوا الأول:

بعد وفاة الملك فرانسوا الأول حدا ابنه بهنري الثاني حذوه في موالاته للدولة العثمانية والمحافظة على محبتها و توثيق الألفة والإتحاد معها للاستعانة بها عند الحاجة فأبقى على السفير دارسون كسفير فرنسا في الدولة العثمانية وأمره بمواقفه السلطان في حملته الأخيرة على بلاد العجم وفي عودته زار بيت المقدس وقابل الرهبان والقساوسة الذين أيدوا المعاهدات السابقة القاضية بجعل جميع الكاثوليك المستوطنين بأراضي الدولة العثمانية تحت حماية فرنسا<sup>1</sup>. وقد اندلعت الحرب بين النمسا و فرنسا ثانية في تلك الفترة فعاد السفير إلى القسطنطينية واتفق السلطان على أن يتحد الأسطول العثماني مع الفرنسي لفتح الجزيرة كورسيكا عقابا لأهالي جنوة المحتلين لها وعلى مساعدتهم لشارلكان ولتكون قاعدة الأسطول المشترك لغزو سواحل اسبانيا وايطاليا وبذلك أبرمت معاهدة بتاريخ 16 صفر 960هـ فيفري 1553م<sup>2</sup> ضمت تسعة بنود وكان هدفها توحيد النشاط البحري ولهذا تعاونت البحریتان على مهاجمة سواحل كليبريا وجزيرة صقلية وكورسيكا في 1555م، وكان هذا التعاون هو الأخير بين الدولتين لتغير الظروف ونشوب حرب القرم<sup>3</sup>.

وفي سنة 1560م خلف شارل التاسع هنري الثاني على عرش فرنسا و تم تعيين هنري دي فالوا وهو أخ ملك فرنسا على عرش بولونيا باتفاق مع فرنسا و بذلك تجددت الهدنة مع ملك بولونيا في سنة 1569م في عهد السلطان سليم الثاني ابن سلطان سليمان القانوني و ذلك في الوقت الذي أصبحت فرنسا ملكة التجارة في البحر المتوسط<sup>4</sup>. وقد

<sup>1</sup> محمد الطاهر سحري، مختصر تاريخ الدولة العثمانية، مطبعة المعارف، ط1، الجزائر، ج1، 2008، ص 183.

<sup>2</sup> فاطمة علي عبد الله العواد، العلاقات العثمانية الفرنسية (926هـ - 974هـ / 1552 - 1566م)، دراسة وثائقية" إشراف عبد الله سراج منسي، (د.م.ن)، ص 7.

<sup>3</sup> طقوش، المرجع السابق، ص 204.

<sup>4</sup> عيسى الحسن، الدولة العثمانية" عوامل البناء وأسباب الإنهيار، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2009، ص 193.

اشتراط في معاهدة 1569م على جميع السفن الأجنبية التي تجوب الشرق الأدنى مهما كانت هويتها أن ترفع العلم الفرنسي<sup>1</sup>.

وفي الوقت الذي بدأت فيه الحرب الفرنسية مع النمسا في عهد وزارة الكردينال ريشيلو أخذ نفوذ فرنسا لدى الباب العالي مراد الرابع في الضعف حتى تقاسمت معها البندقية حق حماية الكنائس المسيحية أيام السلطان مراد الرابع ولعدم إهتمام فرنسا بالامتيازات الدينية إختص اليونانيون بخدمة بيت المقدس و مازاد علاقة الدولتين العثمانية و الفرنسية فتورا تدخل فرنسا سرا لمساعدة البندقية في الدفاع عن جزيرة كريت و إمدادها بالسلاح حيث ضبظت الدولة العثمانية مراسلات مشفرة سرية سنة 1559م بين البلدين<sup>2</sup> بعد هذا أرسلت فرنسا للدولة العثمانية تطلب منها تجديد الإمتيازات لإقناع دول أوروبا بأن نظام الإمتيازات حقا من حقوقهم الطبيعية<sup>3</sup>.

حصل الفرنسيون على موافقة لصيد المرجان التي كانت حلم الفرنسيون منذ زمن بعيد مع دفع عشر ما يحصلون عليه من المرجان مثلما كان يدفع أهالي جنوة سابقا وحدد على أثرها الفرنسيون الصلح مع الدولة العثمانية في عهد مراد الثالث حيث أصدر هذا الأخير أمرا لجميع أمراء وجميع المماليك التابعة للدولة العثمانية بإطلاق سراح جميع الأسرى الفرنسيين وإعادة جميع الأموال والسفن التي أخذت منهم سنة 1619م<sup>4</sup>، كما كان لفرنسا إمتيازات

<sup>1</sup> وليد صبحي العريض ، تاريخ الدولة العثمانية" التاريخ السياسي والإداري ودراسات تاريخية"، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، ( د م ن)، 2012، ص 302.

<sup>2</sup> وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2003، ص 129.

<sup>3</sup> عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 194.

<sup>4</sup> ألتر، المرجع السابق، ص 260.

تجارية في الشرق الجزائري وكانت تدفع الجزية سنويا مقابل حقها في صيد المرجان واحتكار تصدير الحبوب إلى أوروبا<sup>1</sup>.

ومن التسهيلات كذلك التي منحت للفرنسيين أن كل التجار الفرنسيين الذين يرسون في موانئ أو على شواطئ المملكة يستطيعون إنزال سلعهم والقيام بالبيع والشراء<sup>2</sup>. وهذا ما يتضح لنا في العنصر الموالي حول معاهدات الجزائر مع فرنسا لكن الجزائر قطعت علاقاتها مع فرنسا بعد الحملة الفرنسية على مصر وأصبحت إنجلترا تتنافسها في البحر المتوسط<sup>3</sup>.

وأول من حصل على الإمتيازات في الجزائر هما "توماس لانش" و"كارلينديدي" عام 1561م اللذان أسسا مؤسسة تجارية ومحطة لصيد المرجان شرق مدينة عنابة التي عرفت في التاريخ بحصن فرنسا أو الباسنتيون<sup>4</sup>، إذ أسس هذا الأخير على الساحل الشرقي للجزائر على بعد إثني عشر فرسخا<sup>5</sup> شرق عنابة وأربعة فراسخ غرب القالة من طرف مؤسسة المرجان المارسييلية في مقابل رسوم تصل إلى 1500 أوقية ذهبية إلى بالة الجزائر سنويا<sup>6</sup>، أما هيكله فهو عبارة عن حصن ضحك مربع الشكل على ساحل البحر يشمل ساحة وحديقة

<sup>1</sup> محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية " 1791-1830"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (د.ط)، الجزائر، 2009، ص 12.

<sup>2</sup> سيدهم فاطمة الزهراء، العلاقات الجزائرية الفرنسية ما بين " 1790-1830م"، دار كوكب العلوم، ط1، الجزائر، 2013، ص 80.

<sup>3</sup> نفسه، ص 81.

<sup>4</sup> شويتام، نهاية الحكم العثماني....، ص 67.

<sup>5</sup> فرسخا: أصله فرنسك فارسي دخل العربية بمعنيين: الأول يدل على الزمن، والثاني ارتبط بمسافة معلومة اتفق على تقديرها بالمسافة التي مشاها الرجل قعد واستراح، وهي عند بعضهم ستة أميال. غير أن الفقهاء المسلمين قدروا الفرسخ بثلاثة أميال. للمزيد أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات...، ص 337.

<sup>6</sup> لكل الشيخ، الإمتيازات الإقتصادية الفرنسية في الجزائر خلال القرن السادس عشر، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، جامعة غرداية، ص 5.

وكنيسة ومقبرة ومنازل للضباط ومخازن للبضائع يحيك به سور ضخمة ومجموعة مدافع و تتسع لحوالي 800 شخصا ويتبع له عدد من المراكز الصغيرة بين جيجل والقالة وبه أطباء وصيادلة لعلاج وتحضير الأدوية<sup>1</sup>.

### المبحث الثالث: التقارب العثماني الإنجليزي 987هـ/1580م.

كانت التجارة القائمة بين الإنجليز وشرق البحر المتوسط محصورة في المدن الإيطالية التي كانت بمثابة همزة وصل بين الشرق والغرب في جميع المجالات التجارية، لذا نجد أن نشاط التجار الإنجليز حال دون وجود علاقة بين الطرفين، فالتجارة القائمة بين الإنجليز وشرقي البحر المتوسط احتكرتها كل من إمارة جنوة ومملكة البندقية المتحكمتان آنذاك في المبادلات التجارية الدولية<sup>2</sup>.

بالإضافة لهذا فإن البنادقة أيضا احتكروا التجارة البريطانية مع الشرق حتى أواخر القرن 16م، لذلك اعتمد الإنجليز في بداية نشأتها على سفن جمهورية راجوزة<sup>3</sup>، لنقل تجارتها للشرق، وإقامة العلاقات معه، أما فيما يخص تجارتهم في المناطق التابعة للدولة العثمانية، فلم يبدأ النشاط التجاري الإنجليزي معها إلا في سنة 1511م، حينما بدأ التجار الإنجليز بالتعامل مع بعض الجزر العثمانية في البحر المتوسط ذلك بشراء المنتجات الزراعية كالتوابل والقطن والحرير<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية ... ، ص 70.

<sup>2</sup> ياسر بن عبد العزيز محمود قاري، المرجع السابق، ص 270.

<sup>3</sup> جمهورية راجوزة "راكوزا": Raguse تقع في الجنوب الغربي من البوسنة، أسفل سواحل دالماجيا أسسها السلاف والصرب، أطلق عليها الأوروبيون في العصور الوسطى اسم "رانيكا" وعرفت فيما بعد "راكوزا"، وأرض هذه الجمهورية غير صالحة للزراعة، لذا انصرف سكانها للعمل في التجارة. للمزيد من التفاصيل أنظر: بيتر شوجر، المرجع السابق، ص 191، 205.

<sup>4</sup> رائد سامي حميد الدوري، معاهدة الامتيازات العثمانية الإنجليزية لعام 1580 "أسباب عقدها - بنودها- بنودها- نتائجها" دراسة تحليلية تاريخية، جامعة تكريت، كلية التربية للبنان، العراق، ص 04.

لقد سمح التقارب العثماني- الإنجليزي نهاية القرن 10هـ/ 16م للقراصنة الإنجليزي باستخدام المرافئ العمانية في شمال إفريقيا...كقواعد وأسواق للغنائم التي يحصلون عليها من الدول الكاثوليكية، وأبعد من هذا كان هدفهم إقامة علاقة مباشر مع الإيالات المغاربية وخاصة الجزائر، وقد كان العديد من القراصنة الإنجليزي من انضم إلى البحار الجزائريين في العديد من نشاطاتهم في المحيط الأطلسي<sup>1</sup>، وهذا التحفيز من الدولة العثمانية للإنجليز ساهم كثيرا في دخولهم إلى الحوض المتوسط<sup>2</sup>، وعلى الرغم من أن أول اتصال جمع الدولة العثمانية وإنجلترا ذو سبغة عسكرية<sup>3</sup> إلا أن المصالح الاقتصادية الإنجليزية اقتضت الضرورة لإقامة علاقة مع الدولة العثمانية، وعلى هذا الأساس جاءت المحاولات الأولى فردية، قام بها التاجر الإنجليزي أنطوني جنكسون<sup>4</sup> الذي التقى بالسلطان العثماني " سليمان القانوني" سنة 1553م في مدينة حلب، حيث تمكن الإنجليزي من الحصول على حرية التجارة ومزولة نشاطهم في أقاليم الدولة العثمانية تحت راية<sup>5</sup> العلم الفرنسي<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> اينالجيك، لمرجع السابق، ص 522.

<sup>2</sup> بول كولر، العثمانيون في أوروبا، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ص 143.

<sup>3</sup> شاركت إنجلترا في الحملة الصليبية التي دعا إليها البابا في هنغاريا عام 947هـ/ 1540م بالإضافة إلى ذلك ساندت " شارل الخامس" في حملته على الجزائر والتي كانت سنة 948هـ/ 1541م. للمزيد أنظر: إدريس الناصر رئيسي، المرجع السابق، ص 155.

<sup>4</sup> هو تاجر بريطاني سعى لإقامة علاقات مع الدولة العثمانية، نظرا لاتساع النشاط التجاري الإنجليزي في الأقاليم العثمانية. أنظر: حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص 75.

<sup>5</sup> الجدير بالذكر أن أغلب الدول التي مارست التجارة في أقاليم الدولة العثمانية في القرن السادس عشر كانت تحت الحماية الفرنسية ومرد ذلك إلى النفوذ القوي الذي كانت تتمتع به هذه الأخيرة لدى الباب العالي.

<sup>6</sup> صلاح أحمد هريدي علي، الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصر العثماني، دراسة وثائقية من سجلات المحكمة الشرعية (923-هـ / 1213هـ) (1517م/ 1798م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 22.

وتعود أولى الاتصالات الرسمية بين سلاطين الدولة العثمانية وملوك إنجلترا إلى تلك الرسالة التي بعثها السلطان العثماني " مراد الثالث" إلى الملكة " إليزابيث الأولى" بتاريخ 20 مارس 1579م التي تضمنت موافقة السلطان العثماني على تقديم امتيازات واسعة للإنجليز في الأقاليم العثمانية<sup>1</sup>. وقد مهدت هذه الرسالة لإبرام المعاهدة بين الطرفين في سنة 1580م بعد أن عارضت الملكة من جانبها عن استعدادها التام لمنح الرعايا العثمانيين المقيمين في إنجلترا تسهيلات مماثلة<sup>2</sup>. كما كانت الامتيازات التي قدمت للإنجليز في الأقاليم العثمانية ذات طابع تجاري وهذا مقتطف منها: "... بلادنا كانت دائما مفتوحة لكل من أعدائنا وحلفائنا لكن بعدما أعلمنا بأن سيادتكم ترغب في بقاء علاقة وطيدة معنا، فإن بلادنا ستبقى دائما مفتوحة لمواطنيكم.... وأن سفنكم التجارية سواء الكبيرة أو الصغيرة منها ستكون آمنة في نطاق سيطرتنا، عند قدومها ثم عودتها إلى إنجلترا ثانية... وإن لتجاركم الحرية في القدوم والعودة مرة ثانية إلى أوطانهم، حيث لهم الحق في تحميل ما يشاؤون من سلع تجارية كباقي المسيحيين، شرط عدم الإخلال بالنظام..."<sup>3</sup>. وقد رحبت الملكة الإنجليزية إليزابيث بهذه الرسالة ردت عليه برسالة مماثلة مرحبة فيها بالعلاقات بين البلدين، كما شكرت للسلطان تعرض مواطنيها للأسر من قبل البحارة العثمانيين طالبة منه العمل على إطلاق سراحهم<sup>4</sup>.

### ظروف وأسباب عقد المعاهدة 1580م/ 987هـ:

لقد اختلف المؤرخون حول الدوافع والأسباب التي دفعت إلى التقارب العثماني الإنجليزي والذي توج بإبرام معاهدة الامتيازات سنة 1580م، بحيث يرى الطرف الأول أن الدولة العثمانية كانت بحاجة ماسة إلى الموارد الحربية اللازمة لتغطية متطلبات الحرب مع

<sup>1</sup>قرياش بلقاسم، العلاقات الجزائرية الإنجليزية الأولى من منظور إنجليزي (1550-1620)، ضمن بحوث ودراسات تاريخية، إعداد وتنسيق: قاصري محمد السعيد، ط1، الجزائر، 2018، ص 533.

<sup>2</sup> أباطة، المرجع السابق، ص 89.

<sup>3</sup>قرياش، العلاقات الجزائرية...، ص 533.

<sup>4</sup>نفسه، ص 533.

الصفويين هذا من جهة، ومن ثانية سعى السلطان مراد الثالث إلى بناء تحالف عسكري ضد إمبراطورية "هابسبورغ" التي ما فتئت تهدد البلاد الإسلامية وخاصة في جنوب البحر الأبيض المتوسط، أما التفسير الثالث فهو رغبة الدولة العثمانية في كسر الاحتكار الفرنسي على التجارة في الشرق هذا من ما يخص الدولة العثمانية<sup>1</sup>.

أما ما يتعلق بالدوافع الخاصة ببريطانيا والتي دفعتها إلى إقامة علاقات تجارية مع الدولة العثمانية فهذا يعود إلى الفوائد المترتبة عن ذلك وفي مقدمتها تحقيق أرباح تجارية طائلة والتخلص من الوسطاء التجاريين، إضافة إلى رفع مستوى البحرية التجارية الإنجليزية<sup>2</sup> وأيضا حصول إنجلترا على امتيازات تجارية موازية لتي منحت لفرنسا في عهد السلطان "سليمان القانوني" في معاهدة الامتيازات 1535م، وكان أهم امتياز حصلت عليه إنجلترا هو رفع علمها على متن سفنها في المياه العثمانية، وحصول رعاياها على حرية التجارة دون الحاجة إلى العمل تحت راية العلم الفرنسي<sup>3</sup> وتخفيض الضرائب على تجارها بعد الطلب الذي تقدمت به الملكة للسلطان العثماني<sup>4</sup>.

أيضا من العوامل التي ساهمت في حدوث التقارب العثماني الإنجليزي اغتنام إنجلترا توتر العلاقات العثمانية الفرنسية بسبب أزمة الحكم في بولونيا<sup>5</sup> وسارعت إلى عقد معاهدة الامتيازات التي حصلت بموجبها إنجلترا على امتيازات خاصة فيما يتعلق بالأنشطة التجارية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ياسر بن عبد العزيز محمود قاري، المرجع السابق، ص 287، 288.

<sup>2</sup> الصباغ، المرجع السابق، ص 177.

<sup>3</sup> الدوري، المرجع السابق، ص 10.

<sup>4</sup> إدريس الناصر رئيسي، المرجع السابق، ص 160.

<sup>5</sup> في بداية عام 1575م ترك ملك بولونيا "هنري دي فالوا" الحكم في بولونيا وعاد إلى فرنسا، وفي ظل هذه الظروف قامت الدولة العثمانية بفرض الحماية عليها. وقد أدى هذا الإجراء إلى توتر العلاقة بين الطرفين. للمزيد أنظر: المحامي، المصدر السابق، ص 259.

<sup>6</sup> طقوش، المرجع السابق، ص 240.

وقد أدى عقد الاتفاقية بين الدولة العثمانية وإنجلترا إلى إثارة مخاوف فرنسا التي بذلت جهودا كبيرة للحيلولة دون حدوث التقارب العثماني الإنجليزي خشية من ظهور منافس جديد لها في "الليفانت"<sup>1</sup>، وخاصة وأنها كانت الدولة المتحكمة والمهيمنة على التجارة في الشرق، وكإجراء احترازي قامت بتجديد الامتيازات الممنوحة لها سابقا، وكان ذلك في سنة 1581م/ 988هـ<sup>2</sup>.

ولم تكن فرنسا الدولة الوحيدة التي عارضت الاتفاق العثماني الإنجليزي، فقد سعت البندقية من جانبها إلى عرقلة استقبال السفير الإنجليزي "وليام هاربورن"<sup>3</sup> في اسطنبول وذلك بالتعاون مع السفير الفرنسي فباءت الجهود المبذولة بالفشل<sup>4</sup>.

### طبيعة المعاهدة العثمانية الإنجليزية 1580م/987هـ:

اتسمت معاهدة الامتيازات العثمانية الإنجليزية سنة 1580م/987هـ بطابع تجاري، وبها حصلت إنجلترا على الكثير من الامتيازات وعلى درجة كبيرة من الأهمية أبرزها تلك التي تعلق بحرية التجار الانجليز في مزاوله نشاطهم التجاري في أقاليم الدولة العثمانية وأيضا رفع العالم الإنجليزي على السفن التجارية الإنجليزية بدلا من العلم الفرنسي، بالإضافة

<sup>1</sup> هي شركة إنجليزية مارست اختصاصات سياسية وتجارية واسعة في شرق البحر المتوسط، فهي التي كانت ترشح سفراء إنجلترا في اسطنبول وتدفع لهم مرتباتهم، وكان جميع قناصل إنجلترا وكل موظفيها الدبلوماسيين في ممتلكات الدولة العثمانية يعدون مستخدمين في الشركة، ويتقاضون منها مرتباتهم، أما الاختصاصات التجارية لهذه الشركة، فقد حصلت إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا على حق المتاجرة في حوض الشرقي للبحر المتوسط. أنظر: ن أباطة، المرجع السابق، ص 90.

<sup>2</sup> ياسر عبد العزيز محمود قاري، المرجع السابق، ص 290.

<sup>3</sup> تاجر إنجليزي أسندت إليه مهنة التفاوض مع السلطان العثماني " مراد الثالث" من أجل الحصول على امتيازات تجارية في أقاليم الدولة العثمانية، وهو أول سفير إنجليزي يعين لدى الباب العالي سنة 1581م.

للمزيد أنظر: الصباغ، المرجع السابق، ص 175، 179.

<sup>4</sup> نفسه، ص 179.

إلى تخفيض نسبة الرسوم الجمركية، وقد مكنت هذه التسهيلات إنجلترا من تثبيت مركزها التجاري في شركة " الليفانت " التي تم تأسيسها سنة 1581م/988هـ<sup>1</sup>.

ونظرا لما كانت تدره التجارة من أرباح وفوائد، فقد سعت هولندا هي الأخرى للحصول على امتيازات تجارية مماثلة للامتيازات التي حصلت عليها إنجلترا<sup>2</sup>، لكن ابتداء من 1595م، أصبحت الحماية من نصيب إنجلترا التي كانت لها مكانة كبرى في شركة " الليفانت"، غير أن الحماية الإنجليزية لم تدم طويلا وبحكم المهارة التجارية التي يتمتع بها الهولنديون تمكنوا من إبرام معاهدة امتيازات تجارية سنة 1612م<sup>3</sup>، وبذلك أصبحت هولندا من أكبر الدول المنافسة لفرنسا وإنجلترا خاصة بعد تأسيسها لشركة الهند في سنة 1694م، ما جعلها تظهر كدولة كبرى في "الليفانت"<sup>4</sup>.

تضمنت المعاهدة اثنين وعشرين بندا<sup>5</sup>، وبالتعمق في هذه البنود يتضح أنها تناولت جانبين أساسيين: الجانب الأول يتعلق بالنشاط التجاري، أما الجانب الثاني فيشمل الأحكام القضائية المتعلقة بالرعايا الإنجليز المقيمين في أرجاء الإمبراطورية العثمانية، والملاحظ على هذه المعاهدة هو عدم التطرق إلى المسائل الدينية وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الطابع التجاري الذي تنفرد به معاهدة الامتيازات العثمانية الإنجليزية<sup>6</sup>.

وإذا ماجئنا لتحليل بنود المعاهدة فإننا نجد البنود السبعة الأولى و14 و21 و22 نصت في مجملها على حرية التجارة الإنجليزية في أقاليم الدولة العثمانية، وأكدت على ضرورة توفير الحماية اللازمة لتجار الانجليز وبضائعهم وسفنهم وعدم التعرض لهم مع ضرورة تقديم

<sup>1</sup> إينالجيك، المرجع السابق، ص 214، 215.

<sup>2</sup> الصباغ، المرجع السابق، ص 178.

<sup>3</sup> نفسه، ص 187.

<sup>4</sup> خليل إينالجيك وآخرون، التاريخ الإقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ط1، دار المدار الاسلامي، لبنان، 2007، ص 187.

<sup>5</sup> أنظر نموذج المعاهدة في الملحق رقم: 07.

<sup>6</sup> ياسر عبد العزيز محمود قاري، المرجع السابق، ص ص 304، 305.

الدعم اللازم للسفن التجارية والبحرية إذ ما تعرضت لأي خطر، غير أن تمتع التجار الانجليز بهذه التسهيلات مرتبط بدفع الضرائب المفروضة عليهم وعدم الانخراط في أنشطة أخرى غير التجارة وهذا ما نص عليه البند 14 من المعاهدة العثمانية الانجليزية، أما البند 15 فهو على درجة كبيرة من الأهمية حيث أتاح لإنجلترا إمكانية تعيين سفراء وقناصل في بعض الولايات العثمانية كالإسكندرية وطرابلس الغرب ودمشق<sup>1</sup>.

أما فيما يخص الأحكام القضائية المتعلقة بالرعايا الانجليز المقيمين في الإمبراطورية العثمانية فقد وردت الإشارة إليها في البند 8 و 9 و 10، حيث تم توضيح الإجراءات المتعلقة بأوضاع العبيد وتحصيل الديون، فالبنود 10 من المعاهدة ألزم التجار الانجليز بضرورة تسجيل أنشطتهم التجارية لدى القضاة العثمانيين، وهذا الإجراء انفردت به المعاهدة الإنجليزية عن باقي المعاهدات الأخرى<sup>2</sup>.

كما أكد البند 16 من نفس المعاهدة على عدم سماع الدعاوي الخاصة بالرعايا الانجليز إلا في حضور القناصل والمترجمين بحماية المصالح الانجليزية في الدولة العثمانية، أما فيما يخص باقي بنود المعاهدة العثمانية الانجليزية فهي مماثلة لما تضمنته معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية التي أبرمها السلطان العثماني سليمان القانوني<sup>3</sup>.

وفي الأخير يمكن القول أن معاهدة الامتيازات العثمانية الإنجليزية التي تم إبرامها في عصر السلطان "مراد الثالث" هي معاهدة امتيازات اقتصر على الجانب التجاري فحسب عكس المعاهدة الفرنسية التي تضمنت امتيازات مختلفة مكنتها من كسب مكانة هامة في الدولة العثمانية. وقد كان قراء التقارب العثماني الانجليزي أهداف تعلقت بالطرفين حيث سعت الدولة العثمانية من خلال هذه المعاهدة إلى تحقيق جملة من الأهداف في مقدمتها تنشيط الحركة التجارية وكسر الاحتكار التجاري الذي تفرضه فرنسا في "الليفانت"، وقد حققت

<sup>1</sup> إدريس الناصر رئيسي، المرجع السابق، ص 320.

<sup>2</sup> ياسر عبد العزيز محمود قاري، المرجع السابق، ص 306.

<sup>3</sup> الدوري، المرجع السابق، ص ص 20، 21.

الدولة العثمانية هذا الهدف إذ أصبحت إنجلترا من أهم الدول المنافسة لفرنسا في "الليفانت" خاصة بعد تأسيسها لشركات تجارية كبرى استطاعت من خلالها أن تتحكم في الحركة التجارية في الولايات العربية وبالتالي أصبحت إنجلترا من أكبر الدول ممارسة للنشاط التجاري في "الليفانت".

#### العلاقات العثمانية الإنجليزية بعد القرن 16م / 10هـ:

بالرغم من التقارب الذي كان بين إنجلترا والدولة العثمانية نهاية القرن 16م/10هـ والترحيب المتبادل بينهما، إلا أن إنجلترا رأته أنه من الضروري الدخول للبحر المتوسط تحت غطاء وذريعة الامتيازات التي حصلت عليها من الباب العالي. وقد حدث هذا بعد معركة الأرمادة بين إسبانيا وإنجلترا سنة 1588م/994هـ<sup>1</sup>، والتي انتهت بانتصار إنجلترا واعتبر أغلب المؤرخين أن هذه الواقعة هي السبب الرئيسي في دخول إنجلترا كطرف فاعل في الحوض المتوسطي<sup>2</sup>.

لقد كانت إنجلترا أقل الدول الأوروبية تأثراً بالصراع البحري المتوسطي مع إيالة الجزائر وبحارتها، وذلك بسبب بعدها الجغرافي عن هذا المجال البحري، لكن بعد تأكدها من أهميته الاقتصادية زاد اهتمامها به، لاسيما وأنها لمست ما حققته إسبانيا والبرتغال من مغامر عبر غزواتهم البحرية، فأطلق خلالها الملك الإنجليزي "جاك الأول" حرية العمل لقراصنته الذين حققوا أرباحاً خيالية من هجماتهم على مختلف السفن في البحر المتوسط

<sup>1</sup> ب.ج. روجرز، تاريخ العلاقات الانجليزية - المغربية حتى عام 1900، ترجمة ودراسة وتعليق: بونان لبيب رزق، ط1، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981، ص 50.

<sup>2</sup> حول تفاصيل هذه المعركة أنظر: Wiliamweir , 50 Battlesthatchanged the world , the conflicts: that Most influencedthe course of History ,Book-Martpress,Unite states of America,2001, p p 151,153.

وخارجه<sup>1</sup>، وتعود أولى هجمات البحارة الجزائريين ضد السفن التجارية الإنجليزية في البحر المتوسط وخاصة في غربه إلى بداية القرن 10هـ/ 16م، وهذا باعتبار أن الإنجليز لم يوقعوا أي معاهدة سلم وصداقة وتجارة لا مع السلاطين العثمانيين ولا مع حكام الإيالة<sup>2</sup>.

واستمر هذا الوضع حتى بداية القرن 17م/ 11هـ، حيث أن رياس البحر الجزائريين كانوا يرفضون مختلف جوازات المرور الممنوحة لهم سواء من طرف مسؤولي الإيالة، أو حتى من طرف الباب العالي، فكانت أغلب السفن الإنجليزية العابرة للبحر المتوسط من أهم أهداف هؤلاء البحارة، خاصة وأن أغلبها تحمل سلعاً وبضائع تجارية موجهة إلى المشرق لذا قرر ملوك إنجلترا إعداد خطط للقضاء على الأسطول الجزائري، فكلف قرصانان إنجليزيان بهذه المهمة حيث تظاهرا ببيعهما لسفينة تجارية غنموها من الإسبان، لكن انكشف أمرهما بعد ظهور المالك الحقيقي للسفينة وهو تاجر بنديقي وتم كشف خطة القرصانان الإنجليزيان، وبعد الضغط عليهما من طرف البحارة الجزائريين أقرا بأنهما كلفا بإحراق سفن البحرية الجزائرية فاحتج باشا الجزائر للملكة "إليزابيث" ولم يتم أي إجراء جراء هذه الواقعة<sup>3</sup>، وما زاد من تعقيد وضع العلاقات بين البلدين بداية من قرن 11هـ/ 17م وهو معاهدة الصلح الإنجليزية الإسبانية سنة 1604م/ 1010هـ<sup>4</sup>، هذه الحادثة أدت إلى زيادة الغارات الجزائرية ضد السفن الإنجليزية في البحر المتوسط والسواحل الإنجليزية، ففي "سبتمبر سنة 1008هـ/ 1602م كتب كبير أمراء البحر الإنجليزي إلى القنصل بالجزائر وإلى السفير في اسطنبول يحتج على سفينة ماريغولد (Marigold) في عرض المحيط الأطلسي بإسبانيا وفقد حوالي 1730 جنيه استرليني" ، كما أكد القنصل الإنجليزي في إسبانيا في عهد الملك

<sup>1</sup> بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية (1547-1791م)، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986، ص 110، 111.

<sup>2</sup> قرياش، العلاقات الجزائرية...، ص 535.

<sup>3</sup> وولف، المرجع السابق، ص 250، 251.

<sup>4</sup> قرياش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2015، ص 43.

جيمس الأول<sup>1</sup> أن 466 إنجليزي تم أسرهم من رياس بحر الجزائريين واسترقوهم، وكان رد ففعل إنجلترا هو منح التراخيص لضباط بحر إنجلترا للخروج في غارات ضد السفن الجزائرية<sup>2</sup>، وهكذا فإنه ابتداء من العقد الثاني للقرن 17م أصبح أسطول البحارة المنطلق من الجزائر يشكل تهديدا خطيرا لحركة السفن الانجليزية وسفن الدول الشمالية الأخرى<sup>3</sup>، ومع تزايد حملات الاستيلاء على سفن إنجلترا في البحر المتوسط من قبل بحارة جزائريين قرر قصر "باكنهام" Buck ingham سنة 1026هـ / 1620م توجيه حملة عسكرية تاديبية ضد الاسطول الجزائري وتم إسنادها إلى "روبير مانسيل" Robert Mansel والذي حصل على وعود من الملك الاسباني بتقديم بعض المساعدات العسكرية فجهزت أرمادة مكونة من ستة سفن حربية ذات 230 مدفعة، 12 سفينة تجارية مزودة ب243 مدفعة، بالإضافة إلى سفينة القائد مانسيل" ذات حمولة 600 طن و40 مدفعا و250 بحارا، فوصل الأسطول قبالة مدينة الجزائر أواخر شهر نوفمبر سنة 1620م، ورغم الخطط التمويهية التي قام بها "مانسيل" إلا أن قوات باشا الجزائر نجحت في صد وإفشال هذه الغارة، وبمقابل لك أدت إلى تحرير 40 أسيرا إنجليزيا مسنا<sup>4</sup>، وبعد مرور عامين من هذه الحملة، استطاع توماس روي Thomas Roe القنصل الانجليزي لدى الباب العالي توقيع معاهدة سلام وتجارة بين الدولتين، تضمنت تعيين جيمس فريزل" Jemes Frizell في منصب قنصل إنجلترا في الجزائر، وأيضا الترخيص للتجار الانجليز بتصريف منتجاتهم من الأقمشة في الاسواق الجزائرية، كما وافق الملك الانجليزي على فدية 17 تركيا كان مانسيل قد باعهم في اسبانيا مع عدد مشابه من

<sup>1</sup> جيمس الأول: بعد وفاة " إليزابيث الأولى" آخر ملوك أسرة تيودور، انتقل التاج في سنة 1009هـ/ 1603م إلى " جيمس السادس" ابن " ماري ستيوان" ابنة عم عمها التي كانت قد أعدمتها، وكان ملكا على اسكتلندا وأصبح ملكا على إنجلترا باسم جيمس الأول. للمزيد أنظر: جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المرزوقي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص 267.

<sup>2</sup> وولف، المرجع السابق، ص 251، 252.

<sup>3</sup> نفسه، ص 253..

<sup>4</sup> وولف، المرجع السابق، ص 254، 255.

العبيد الانجليز. ويعد "مراد رايس" أهم رياس البحر الجزائريين الذين تمكنوا من نقل نشاطاتهم البحرية إلى سواحل إنجلترا، ففي 20 جوان 1631م شن بمساعدة 230 بحار غارة بحرية على ميناء بالتي مور الواقعة غرب مقاطعة كورك الإيرلندية والخاضعة للنفوذ الانجليزي<sup>1</sup> وأسر خلالها حوالي 104 شخص ونقلوا إلى مدينة الجزائر<sup>2</sup>.

ويشير "روبير دافيس" Robert Devis " أنه في الفترة ما بين (1034-1047هـ/ 1628-1641م) غنم بحارة الجزائر حوالي 131 سفينة إنجليزية، وأسروا أكثر من 2555 أسيرا<sup>3</sup>، وهي أحد الدلالات التي تؤكد لنا بأن النصف الأول من القرن 11هـ/17م يمثل بالفعل العصر الذهبي للبحرية الجزائرية، وتعتبر معاهدة "روي" التي وضعت حدا للحرب الأولى بين إنجلترا والجزائر أرضية لباقي المعاهدات التي وقعت فيما بعد<sup>4</sup>، ولعل أبرزها معاهدة 23 أفريل 1662م التي تضمنت 14 بندا تقضي بضرورة تحقيق سلم حقيقي بين الدولتين، بحيث لا تعترض سفن كل دولة سفن الدولة الأخرى، "بل يعامل أحدهما الآخر بكل إحترام وصدقة ممكنة، وأن أي سفينة تابعة لملك بريطانيا العظمى أو أي من رعاياه، يمكن له أن يأتي بشكل حر إلى ميناء الجزائر... وأيضاً إلى ميناء آخر تابع للإيالة الجزائرية"<sup>5</sup>.

لكن بحلول سنة 1075هـ/1669م بادر "توماس آلان" إلى تجهيز حملة ضخمة ضد الجزائر ووضع شروطا عديدة لحاكم الجزائر "علي آغا" إن أراد تجنبها، ومن بينها إطلاق جميع الأسرى الإسبان والإنجليز الموجودين بالسجون الجزائرية، وإعادة جميع

<sup>1</sup> نفسه، ص 257

<sup>2</sup> عبد اللطيف بالطيب، أمير البحر مراد رايس الأصغر الجزائري "من الجزائر إلى إيرلندا"، ردا على كتاب "القرية المسروقة بالتي مور وقرصان البرابرة"، دار النعمان للنشر والتوزيع، 2014، ص 13.

<sup>3</sup> Robert C. Devis, Critian slave, Muslum masters, White slavery in th, Mediterranean, the Barbarycoast and Italy, P. Algrave Macmillan, 2003, p 6.

<sup>4</sup> وولف، المرجع، ص 258.

<sup>5</sup> علي تابليت، معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية (1619-1830م)، ج 2، منشورات ثالثة، الجزائر، 2014، ص 147.

البضائع المصادرة ومعاقبة رياس البحر المتسببين في ذلك، لكن شروطه قوبلت بالرفض، وكانت نتيجتها تحطيم سفينة جزائرية واحدة، وفي سنة 1077هـ/1671م شنت غارة بحرية إنجليزية أخرى على ميناء بجاية ودمرت خلالها 7 سفن جزائرية<sup>1</sup>، كلها مؤشرات توحى بعودة العلاقات الثنائية إلى الصراع مجدداً.

ورغم الصراعات البحرية التي عرفتتها فترة (1006 - 1077هـ / 1600-1671م) بين الجزائر وإنجلترا، إلا أن بعض التقارب المصلحي التجاري المشترك بدأ واضحاً في نهاية القرن 11هـ / 17م، حيث أشار "محمد أمي" أنه بعد توقيع معاهدة 1689م - ات الطابع التجاري- تمكن تاجر جزائري يدعى "الحاج أحمد" من تصدير شحنة من القمح إلى منطقة جبل طارق الإنجليزية وقدرت كميتها بـ 4000 قفيز بالإضافة إلى كيسين من الحرير، وتاجر آخر يدعى "عبد الرحمن" تمكن من تصدير صندوق متنوع م البضائع إلى نفس الوجهة<sup>2</sup>.

وهذا ما نستخلصه أن الحركة التجارية تواصلت بين البلدين رغم عديد الصدمات البحرية والمخاطر التي كانت تهددها، فتكونت بذلك علاقات متباينة في إطار محدود.

<sup>1</sup> وولف، المرجع السابق، ص ص 327-329 .

محمد الأمين عطلي، نشاط البحرية الجزائرية في القرن 17م وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، مذكرة 2ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2012، ص 80-95.

الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر.

المبحث الأول: في المجال السياسي .

المبحث الثاني: في المجال الإقتصادي .

المبحث الثالث: المجال الإجتماعي.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

تعدّ العلاقات العثمانية المغاربية ضاربة في عمق التاريخ، إذ تمتدّ من الوجود العثماني في الشمال الإفريقي ابتداء من القرن السادس عشر ميلادي، حيث ساهمت الإمبراطورية العثمانية في مواجهة الهجمات الأوروبية على الشمال الإفريقي عبر إرسال المساعدات العسكرية، وجاءت هذه المساعدات عقب استتجاد الدول المغاربية بالدولة العلية للتصدّي للحملات العسكرية عليها لا سيما الإسبانية منها. وقد ترأس الإخوة عروج وخير الدين بربروس جملة المساعدات العثمانية سنة 1516م ليكون هذا التاريخ بداية التواجد العثماني في الشمال الإفريقي<sup>1</sup>.

### المبحث الأول: في المجال السياسي.

تتوزع المجالات العثمانية في البحر المتوسط بشكل شاسع، حيث تتوزع على القارة الإفريقية والقارة الأوروبية بشكل يجعلها تحاصر البحر المتوسط من كل الجهات ، فالأراضي العثمانية في إفريقيا كانت تحدّ شمالا بالبحر المتوسط، وجنوبا بالصحراء الكبرى، وشرقا بالبحر الأحمر وغربا بالمغرب الأقصى الذي ظل خارجا عن نفوذها بالرغم من المحاولات المتعددة والمتكررة للسيطرة عليه، إلا أن الحضور العثماني في إفريقيا ظل مقتصرًا على المناطق الساحلية باستثناء مصر التي بسطت الدولة العثمانية سيطرتها عليها بشكل كلي<sup>2</sup>.

أما الشمال الإفريقي فإن الساحل منه ظل هو " القاعدة الرئيسية" للنفوذ العثماني على حد تعبير نيقولاي إيفانوف<sup>3</sup>، ففي ليبيا سيطر العثمانيون على طرابلس باعتبارها أهم مدينة في

<sup>1</sup> غراب امحمد رفيق ، بوساحة آمال ، التحوّلات الإقليمية العربية وانعكاساتها على العلاقات التركية الجزائرية ، "مقال تاريخي" كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر 3 ، الجزائر، مارس 2019، ص 190 .

<sup>2</sup> نيقولاي إيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 . 1574م ، نقله إلى العربية : يوسف عطالله ، مراجعة مسعود طاهر ، ط1 ، دار الفارابي، بيروت ، 1988 ، ص 200 .

<sup>3</sup> نفسه ص 218.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

المنطقة تطل على البحر المتوسط بما في ذلك قاعدة تاجوره التي تم تحويلها إلى قلعة أو حصن أدى دورا كبيرا في استقبال القراصنة<sup>1</sup>.

وفي تونس، وبعد أن تمكن العثمانيون من طرد الإسبان منها بسطوا سيطرتهم على كل مراكز الساحل المهدية، حلق الوادي والبستيون عام 1574م ، أما في الجزائر، فقد أخضع العثمانيون كل الساحل والمدن المطلة عليه ما عدا وهران والمرسى الكبير اللذان ظل تحت الإحتلال الإسباني إلى غاية 1792م، بحيث لها دور كبير في عمليات الجهاد البحري، والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط<sup>2</sup>. لقد شاعت أخبار الغزوات المظفرة التي كان يقوم بها الأخوان بربروس ومن معهم من البحارة الأتراك في غرب البحر المتوسط، حتى بلغت عاصمة الدولة العثمانية استانبول، ويقدر ما أشاعته من هلع في أوساط العواصم الأوروبية، فإنها أشاعت شعورا بالتعاطف الكبير والمودة في البلاط العثماني، ولا غرابة في ذلك فبالإضافة إلى رابطة الدين التي كانت تمثل عاملا هاما في الصراع بين أوروبا بقيادة إسبانيا والعالم الإسلامي بزعامة الدولة العثمانية، كما أنّ ثمة عامل سياسي آخر لعب دورا أساسيا في التقريب بين كل من الدولة العثمانية وسكان شمال إفريقيا وهذا العامل هو اشتراكهما في محاربة عدو واحد، بحيث وجد هؤلاء الدولة العثمانية وسكان شمال إفريقيا في سواحل غرب البحر المتوسط أنفسهم حلفاء في ميدان الحرب قبل أن يتم ترسيم هذا الحلف وفق التطورات التي عرفتها المنطقة في مرحلة لاحقة<sup>3</sup>. يعود ظهور الجزائر الحديثة في الإطار الإقليمي الذي هو عليه الآن تقريبا، خاصة بالنسبة لحدودها الشرقية والغربية، إلى منتصف القرن السادس عشر ميلادي وهذا بعد انضمامها للإمبراطورية العثمانية. وقد اكتسب طبيعة علاقاتها منذ البداية طابعا خاصا ميزها عن غيرها من الإيالات<sup>4</sup>. بحيث اتصف نظام الحكم الذي عرفته البلاد الجزائرية أثناء الحكم

<sup>1</sup> عبد العزيز نوار، تاريخ الشّعب الإسلامية في العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 66 . 69.

<sup>2</sup> نفسه، ص 69.

<sup>3</sup> دراج، الدّخول العثماني إلى الجزائر ... ، ص 182.

<sup>4</sup> جمال قنان، قضايا ودراسات...، ص 45.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

العثماني بتعاقب عدة أنظمة سياسية عبر فترات تاريخية محددة. وكان الحكم العثماني للجزائر حكما غير مباشر تتحدد فيه نفوذ السلطة العثمانية بالموافقة على تعيين الباشا بعد انتخابه من طرف الديوان العسكري بالجزائر، وبالوصول على العائدات المفروضة على الخزينة الجزائرية وبتقديم السلطة العثمانية على غيرها من الدول الأخرى انطلاقا من إقرار الحكومة الجزائرية بولائها للخليفة العثماني.

### 1- نظام الحكم والمؤسسات الإدارية:

وقد تطور هذا النظام مع مرور السنين إذ أصبحت الجزائر في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني مستقلة استقلالاً تاماً عن الخلافة العثمانية وتتمتع بسيادة كاملة ولم تعد تربطها بالدولة العثمانية إلا العلاقة الحميمة القائمة على الرباط الديني والاحترام المتبادل، وأصبحت الجزائر في تلك الفترة تتميز بإدارة منظمة وعاصمة قارة وحدود معترف بها دولياً<sup>1</sup>.

لقد مثل عصر البايلربايات بداية لتأسيس الوجود العثماني في الجزائر، وأصبحت هذه الأخيرة القوة المتمثلة للباب العالي في شمال إفريقيا والحوض الغربي للبحر المتوسط، بحيث أكسبها قوة في الداخل والخارج، وأيضا ما ميز هذه الفترة التفوق، لأنها تمثل عصر الأتراك الأمجاد وعهد البطولات والانتصارات السياسية المرتبطة بها<sup>2</sup>.

كما تم في المرحلة الأولى من الوجود العثماني توطيد ركائز الحكم وتوحيد رقعة البلاد والقضاء على توسعات الإسبان والكثير من التمردات. وكان خير الدين أول بايلرباي يحمل هذا اللقب بإيالة الجزائر<sup>3</sup>، بحيث كان يتصرف كملك حقيقي<sup>4</sup>، وكان يعين من قبل السلطان العثماني من رجال البحار الذين يعود الفضل لهم في تنظيم القوة البحرية العثمانية وفي التفوق

<sup>1</sup> عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، دار المعرفة ج2، الجزائر 2006، ص160-162.

<sup>2</sup> عائشة غطاس، الدولة والمجتمع الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، م، م، و، د والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2004، ص44-48.

<sup>3</sup> أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره "1800-1830"، ط1، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص17.

<sup>4</sup> العربي اشبيودان، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص31.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

البحري العثماني في البحر المتوسط، وفي إدخال الجزائر وتونس وطرابلس في دائرة الحكم العثماني<sup>1</sup>، بحيث كان البايبراي حاكم إيالات الثلاث الجزائر وتونس وطرابلس، ومنسقا مع الباب العالي وأصبحت إيالة الجزائر عاصمة شمال إفريقيا في الدولة العثمانية، وجبهة صراع متقدمة في البحر المتوسط، لذا سميت بدار الجهاد، ومن ثم كان البايبرايات الموجهين الرئيسيين لسياسة الباب العالي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وما لاحظناه هو أن التوجه كان يخضع بالدرجة الأولى لاعتبار حماية المنطقة، ورعاية مصالحها<sup>2</sup>، إذ خلال هذا العهد وبخلاف العهود اللاحقة استطاعت الجزائر أن توفق بين موقفها الاستقلالي في صياغة سياستها الغربية والمحافضة على علاقتها الوطيدة مع الدولة العثمانية<sup>3</sup>.

وقد تميّزت العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية بطابعين إثنين :

1 . علاقات التعاون والمساعدة المتبادلة، كما كانت البحرية الجزائرية تساهم إلى حد كبير في إنقاذ البحرية العثمانية في حروبها مع الدول الأوروبية<sup>4</sup>، لأن السلطة الكاملة للبلاد وتسيير شؤونها بيد بايلرباي، وهذا الأخير مرتبط ارتباطا مباشرا بالعاصمة استانبول (الباب العالي). أيضا من خلال المعاهدات والمراسلات المبرمة بين الجزائر والدول الأوروبية المتوفرة لدينا من بداية التواجد العثماني إلى غاية نهاية مرحلة البايبرايات لم نسجل معاهدة رسمية بين الجزائر وهذه الدول، وهذا دليل على أن الجزائر مرتبطة كليا بالدولة العثمانية، وأيضا هناك بعض الدول الأوروبية مازالت تهدد السواحل الجزائرية وخاصة الإسبانية مثل حملة شارلكان على الجزائر سنة 1541 م<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق ص 56.

<sup>2</sup> رقية شارف، تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة العثمانية الفترة الحديثة، مجلة الدراسات التاريخية، ع 13، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر 1433 هـ / 2011م، ص 135.

<sup>3</sup> نفسه، ص 136.

<sup>4</sup> مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها قبل 1830م، دار البعث قسنطينة 1985، ج 1، ص 81.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، المعاهدات الجزائرية الإسبانية 1791م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 7، 1414 هـ / 1993م، الجزائر، ص 80.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

أيضا من مميزات هذه الفترة ( القرن 16م) كان لإيالة الجزائر وعن طريق خير الدين دور أساسي في توطيد علاقة سليمان القانوني بفرانسوا الأول، هذا الأخير الذي استتجد بسليمان القانوني ضد الملك الإسباني شارلكان وهولندا وأمريكا اللاتينية، ويمكن اعتبار دحر حملة شارلكان وصددها عن الجزائر، نصر للعالم الإسلامي بصفة عامة والإيالة الجزائرية بصفة خاصة<sup>1</sup>.

كان معظم ولاية هذا العهد أقوىاء أثبتوا جدارتهم في الداخل والخارج وأتاح لهم المركز الممتاز، أن يمدوا سيطرتهم خارج حدود الإيالة إلى تونس وطرابلس ويتحكموا في تسييرهما والوصاية عليهما<sup>2</sup>، وكانوا يعينون باشوات هاتين الإيالتين نيابة عن الخلافة العثمانية<sup>3</sup>، بحيث كانت سلطتهم بالسultan العثماني قوية، ويتولون في هذه البلاد تنفيذ أوامره وتعليماته دون معارضة، ونظرا لدورهم الجهادي وقدرتهم في حكم البلاد نقل عددا منهم إلى الأستانة ليتولوا منصب قبطان باشا أو وزير بسبب كفاءتهم في قيادة الأساطيل البحرية مثل خير الدين وابنه حسن باشا والعلاج علي<sup>4</sup>.

ولقد بلغت البحرية الجزائرية أوجها في النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي، والنصف الأول من القرن السابع عشر ميلادي، حيث امتد نفوذ الجزائر البحري والسياسي إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط من ناحية، وإلى شواطئ أوروبا الغربية من ناحية أخرى. فقد كان الأسطول الجزائري يجوب المحيط الأطلسي من بريطانيا واسلندا إلى جزر الكناري والأزورس<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> شارف ، تشكل الكيانات السياسية... ص136.

<sup>2</sup> شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(926-1246هـ / 1519-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص25.

<sup>3</sup> زوليخة سماعيل، تاريخ الجزائر " من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال "، دار الدزاير أنفو، الجزائر 2013، ص211، 202.

<sup>4</sup> هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر ...، ص123.

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص282.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

وقد اضطلعت البحرية الجزائرية دورا أساسيا طيلة الفترة العثمانية، حيث كانت تقوم بعمل مزدوج : الدفاع على الجزائر، والدفاع عن باقي البلدان المغاربية، والمشاركة في الدفاع عن المقدسات الدينية والوطنية<sup>1</sup>، بحيث كان الأسطول الجزائري دائما في المقدمة يخوض المعارك الواحدة تلو الأخرى وهو الأمر الذي أربع أوروبا، وهدد مصالحها التجارية والاقتصادية على سواحل البحر المتوسط نتيجة قوة البحرية، وتعود قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني إلى عدة أسباب نذكر منها ما يلي :

- الموقع الجغرافي الممتاز للجزائر، وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا، والمتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، مما جعلها محط أنظار وصراع بين دول شمال وجنوب البحر المتوسط، حتى أطلق عليها اسم المحروسة أو دار الجهاد<sup>2</sup>.
- تجنيد الأوربيين في البحرية الجزائرية، والمعروفين بالأعلاج<sup>3</sup>، وهذا ما جعل الكثير منهم يصل إلى مراتب عالية في الحكم، بعد اعتناقهم للإسلام، وارتباطهم بالدولة العثمانية.
- الانتظام والتمويل في العمليات الحربية، حيث أصبحت الطريقة الجزائرية في الجهاد البحري والتنظيم مثالا يحتذى به، وخاصة بالنسبة لرجال الطائفة في تونس وطرابلس<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر...، ص178.

<sup>2</sup> حنيفي هلايلي، التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع 24، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع 2007، ص255.

<sup>3</sup> الأعلاج: جمع مفردا عالج أو قلع : أولوج في اللغة التركية السيف ، كما تعني كذلك الرجل الشديد الغليظ ، الذي اعتلج القوم ، أي اتخذوا صراعا وقتالا ، أما اصطلاحا فيقصد بهم الأسرى المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام ، وقد لُقّب بها العالج علي للكفاءة التي أبداه في معركة لبيانن الشهيرة 1571، والتي جعلته يصل إلى رتبة أمير البحريّة العثمانيّة، وكذلك بفضل ما قام به في تلك المعركة، وبحيث منحت له الفرصة لقيادة الأسطول العثماني ، للمزيد أنظر: أرجمنت كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي (1827-1847م) ودراسة عن الحاج أحمد باي قسنطينة، تر: عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرّسم، تونس1974، ص12.

<sup>4</sup> علي خلاصي، البحرية الجزائرية عبر التاريخ، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، منشورات المتحف المركزي للجيش، الجزائر 2007 ص14. وأيضا جمال الدين سهيل، ملامح شخصيّة الجزائر خلال القرن 11هـ /17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 13، الجزائر 2011، ص144.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

كذلك نجد أن بحارة الأسطول الجزائري كانوا يخضعون لإجراءات قانونية، تجبرهم على الدفاع عن حدود الإيالة من أي خطر أجنبي يهدد مصالحها<sup>1</sup>،

لكن مع نهاية القرن السادس عشر ميلادي تغير الوضع الذي كان سائدا في إيالة الجزائر، مما جعل الدولة العثمانية تفكر في تغيير نظام الحكم في الإيالة، وقررت فصل هذه الولايات عن بعضها<sup>2</sup>، ويمكن لنا أن نعتبر نقطة التحول هذه بدأت سنة 1565م، حين وضعت الدولة العثمانية التقسيم الإداري لإيالة الجزائر، أيضا هذا التاريخ يمثل فشل الأتراك في حصار مالطة، وخلالها بدأ الإنطواء التركي وتراجع البحرية العثمانية، كما كان مقدمة لهزيمة ليبانت 1571م، التي وضعت حدا للتفوق البحري العثماني<sup>3</sup>، وبعد هذه الهزيمة التي منيت بها الدولة العثمانية أصبحت غير قادرة على مراقبة كل ولاياتها، ولهذا السبب رأت أنه من الأنسب أن تجعل ولايتها (إيالة الجزائر) أكثر ارتباطا بالمركز (استانبول)، لذا فكرت في تقسيم الولايات وتغيير الحكم وإسناد كل إيالة إلى باشا يحكمها وتكون علاقته باستانبول بدل إيالة الجزائر كما كان سابقا<sup>4</sup>، كما بدأت المفاوضات بين العثمانيين والإسبان لوضع حد للصراع القائم بينهما في البحر المتوسط. كما أن الدولة العثمانية في هذه الفترة كانت منشغلة في حروبها مع الفرس، وأيضا تراجع وانحطاط البحرية العثمانية إثر تحطيم أسطولها في المعركة السالف ذكرها<sup>5</sup>.

كان نظام حكم الباشوات ما هو إلا استمرار لنظام حكم البايالربايات، وإنما اختلفت في التسمية فقط، إلا أن الاختلاف الذي كان قائما بين النظامين هو طريقة تعيين الحكام، أما بالنسبة لدور السلطان فكان مقصورا على المصادقة على البايالربايات الذين يرشحهم الرياس الإنكشارية ومدة حكمهم لم تكن محدودة، عكس الباشوات الذين كانوا يعينون من السلطان مباشرة من استانبول لمدة ثلاث سنوات فقط<sup>6</sup>. وكان الباشوات يقومون بشراء هذا المنصب من

<sup>1</sup> جمال الدين سهيل، المرجع السابق، ص 144.

<sup>2</sup> (G) Delphin, histoire des bacha d'Alger de 1515 - 1745" in R.H janvier – mars 1925, p20.

<sup>3</sup> بهلول، النظام الإداري العثماني في....، ص 32.

<sup>4</sup> شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته...، ص 25، 27.

<sup>5</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 58.

<sup>6</sup> شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته...، ص 25 - 27.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

الباب العالي ويلجؤون للحصول عليه عن طريق دفع الرشوة والهدايا لأن هذا المنصب كان يدر عليهم أموالا كبيرة، زد على هذا كانت واردات الجزائر وبقية الولايات الغربية الأخرى من أكثر الولايات غنى، ومادام الحصول أصبح الهدف الأساسي للباشوات، فقد أصبحت قضية الحكم في هذه الفترة الثانية من الحكم العثماني للجزائر مسألة ثانوية وأصبحت السلطة مفقودة في عهدهم، وكذلك الدفاع عن البلاد<sup>1</sup>.

رغم كل هذه الصراعات الداخلية والضعف الذي آلت إليه الباشوات، فإن ذلك لم يمنع رجال البحرية من مواصلة نشاطهم البحري، حيث تمكنوا من شن عدة غارات على المدن الأوروبية المطلة على البحر المتوسط، كرد فعل على الغارات التي كان الأوروبيون يشنوها على السواحل الجزائرية<sup>2</sup>، ورافقت هذه الفترة تعرض الجزائر لحملة إسبانية في عهد الباشا سليمان سنة 1601م، واشتد التنافس بين فرنسا وبريطانيا وهولندا حول الحصول على إمتيازات استغلال المرجان على السواحل الجزائرية<sup>3</sup>.

وكان الباشوات القادمون إلى الجزائر همهم الوحيد جمع الأموال، بحيث لم يكن لهم أساس أو سند محلي بين القوى التي كانت تسيطر على أوضاع الجزائر. وكان لهذا الشعور دور في خلق الانفصال بينهم وبين الرعية، وهذ ما يفرقهم عن البايبربايات الذين كانوا زعماء للجهاد، بينما الباشوات مجرد موظفين ترسلهم استانبول لخدمة السلطان العثماني في إيالة الجزائر<sup>4</sup>.

2- إستقلالية الجزائر التام عن الدولة العثمانية وترى اسم الجمهورية الجزائرية في غالب نصوص المعاهدات وفي المراسلات بينها وبين الدول الأخرى<sup>5</sup>، وفي سياق الحديث عن هذه الإستقلالية نذكر بعض الشهادات لمؤرخين غربيين عن إستقلالية الجزائر وسيادتها، بحيث

<sup>1</sup> ألتز، الأتراك العثمانيون...، ص ص 277 - 278.

<sup>2</sup> شويتام، نهاية العهد العثماني في الجزائر وعوامل...، ص ص 19 - 20.

<sup>3</sup> عمور، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ...، ص 91.

<sup>4</sup> هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، ص ص 132 - 133.

<sup>5</sup> حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، سلسلة تراث الجزائر الحديث، 2007، الجزائر، ص 92.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

يشير الكاتب الفرنسي دي غرامو De gramment : " لقد كان الديوان يتخذ القرارات بكل سيادة فيعلن الحرب ويعقد السلم ويوقع المعاهدات ويقيم الأحلاف بدون أن يتساهل عما إذا كانت تلك القرارات المتخذة موافقة أو مخالفة لسياسة الباب العالي"<sup>1</sup>.

ويذكر المؤرخ Henri Garrot : " إن تبعية الإيالة المغاربية (وخاصة الجزائر) للخلافة العثمانية مجرد تبعية اسمية"<sup>2</sup>. كما ذكر أيضا المؤرخ كات E.cat : "... طوال القرن السابع عشر ميلادي كانت الجزائر منهمكة في حروبها ضد دول كبرى : فرنسا - إسبانيا - إنجلترا،... أما علاقاتها مع الباب العالي فتكاد تكون منعدمة"<sup>3</sup>.

لقد عرفت العلاقة بين الإيالة الجزائرية الدولة العثمانية في بدايتها التبعية والخضوع التام للباب العالي ونهايتها الاستقلال والإنفراد بالحكم دون الرجوع للدولة العثمانية (الباب العالي).

لقد تغيرت العلاقات بين الدولة العثمانية والإيالة الجزائرية، بحيث زادت حدة الصراع مع الباب العالي ويبرز هذا عندما قام الباشا خضر<sup>4</sup>، بتشجيع طائفة رياس البحر بهدم المركز التجاري للفرنسيين في ساحل القالة وعنابة وأسر الأشخاص الذين كانوا فيه وعندما تدخلت الدولة العثمانية وطلبت إعادة بناء المركز الفرنسي وإطلاق سراح الفرنسيين رفض الديوان بشدة معارضة أوامر السلطان ، فضعت هيبة السلطان العثماني في الجزائر<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque, Edition. Leroux, paris 1887, p126.

<sup>2</sup> Henri garrot, Histoire général de l'Algérie, Imprimerie perexenza bastion, 1910, p659.

<sup>3</sup> Edward cat, petite histoire de l'Algérie Tunisie - Maroc, adolphjourden, Alger, T1, 1888, p301.

<sup>4</sup> خضر باشا حكم ثلاث مرات فالأولى كانت من 1589-1592م، والثانية 1592-1595م، والثالثة 1599-1603م، أنظر عائشة جميل، الجزائر والباب العالي...، المرجع السابق ص102.

<sup>5</sup> بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر...، ص278.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

وقد زادت حدة الأزمة أي توتر العلاقة بين الجزائر والدولة العثمانية مع إقدام إبراهيم باشا<sup>1</sup> باقتطاع من المال الذي أرسله السلطان العثماني إلى رياس البحر ليحفزهم على الالتحاق بالأسطول العثماني، وسبب ذلك حدوث اضطراب كبير بالجزائر وصل إلى حد اختطاف الباشا إبراهيم وتهديده بالقتل وانتهى الأمر بسجنه<sup>2</sup>.

في أواخر القرن السادس عشر ميلادي ظهر بإيالة الجزائر شخصيات قوية ذات نفوذ واسع تخطت سلطتهم الجزائر إلى الإيالتين المجاورتين تونس وطرابلس، مما جعل الدولة العثمانية تفكر في فصل هذه الإيالات بعضها عن البعض خشية من استقلال حكام تلك الإيالات وتأسيس دولة إسلامية منافسة لها، فقامت بإلغاء نظام البايلربايات وحولت الولايات الثلاث تونس وطرابلس والجزائر إلى نيايات يديرها باشا يعين لمدة ثلاث سنوات<sup>3</sup>.

ونتيجة لهذا التغيير أصبح السلطان العثماني يعين الباشا لمدة ثلاث سنوات، حيث يقوم بإرساله من تركيا إلى إيالة الجزائر، وبعد انتهاء فترة حكمه يستدعيه على أن يقوم بإرسال باشا آخر مكانه<sup>4</sup>. وكان الباشا الذي يرسل يعلم أن مدة ولايته محسوبة وهو الشيء الذي أكسبه الشعور باللامسؤولية وعدم حاجته لخدمة البلاد والشعب، فكان همه جمع المال في انتظار إنتهاء مدة ولايته وأصبحت السلطة مفقودة في عهدهم، وكذلك الدفاع عن البلاد<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup> إبراهيم باشا: قام بالاحتفاظ بالمال الذي بعثه السلطان العثماني وقام بدفعه كرشاوي لرجال الدولة في القسطنطينية حتى يبقوه في منصبه، ومن أجل هذا هاجمه الرياس واعتقلوه، بعد ذلك تم ترحيله إلى أزمير، مما فتح الباب على الانكشارية للقيام بالانقلاب والاستيلاء على الحكم فوجدوا هذه الحادثة فرصة أمامهم للقضاء على سلطة الباشا وإسناد السلطة التنفيذية، للمزيد أنظر: زوليخة سماعيلي، المرجع السابق ص222-223.

<sup>2</sup> عائشة جميل، الجزائر والباب العالي...، ص102.

<sup>3</sup> أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر "1766-1791م"، سيرته، حروبه أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر 1986، ص32-39.

<sup>4</sup> عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي من البداية وإلى غاية1962، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005، ص58.

<sup>5</sup> هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر...، ص132-133.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

وقد إقتصرت فترة الباشوات على العنصر التركي<sup>1</sup>. كما تعاقب على إيالة الجزائر خلال عهد الباشوات حوالي سبعة وعشرون باشا<sup>2</sup>، وتعرض الكثير منهم للسجن والعزل على يد الأوجاق<sup>3</sup>. وكان عهد معظمهم قصيرا، فقد استمر حكم يوسف باشا سنة 1640 أربعين يوما، ورغم استحداث نظام الباشوات إلا أن ديوان الأوجاق بدأ يتقوى ويوسع نفوذه وسيطرته، وعمل على التخلص من الهيمنة العثمانية، حيث تعاقبت جهوده مع جهود الباشوات لتجسيم هذا الاتجاه<sup>4</sup>، بحيث كان الباشا يعلن القرارات الرسمية على النحو التالي: "نحن باشا وديوان الباشا ميليشيا الجزائر التي لا تغلب"<sup>5</sup>، وأصبح الباشا يشارك مع اليولداش في ديوانهم المتكون من الجند للتداول في الشؤون السياسية الداخلية والخارجية.

لم يعد الباشوات يسيطرون على الوضع، فقد نافسهم في السلطة السياسية والإدارية الإنكشارية، وأصبح الباشوات يأخذون بآراء ديوان الإنكشارية التي قامت بالإنفصال عن الدولة العثمانية<sup>6</sup>، وسادت خلال هذه الفترة الكثير من الاضطرابات والفوضى وعدم الاستقرار السياسي السياسي فاشتد الصراع بين طائفة الرياس<sup>7</sup> وفرق الأوجاق<sup>1</sup>، مما سبب خلق فوضى عمت كامل

<sup>1</sup> عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة،...، ص 49.

<sup>2</sup> تعاقب على الحكم حوالي سبعة وعشرين باشا، وعاد بعضهم إلى الحكم أكثر من ثلاث مرات مثل خضر باشا (1589-1592م)، والمرتة الثانية (1595-1596م)، والمرتة الثالثة (1599-1603م) وأيضا (1620-1621م)، للمزيد أكثر أنظر: بهلول، النظام الإداري العثماني في الجزائر...، ص 33.

<sup>3</sup> الأوجاق: كمة تركية وهي تعني الموقد، وقد تطلق على قطاعات الجيش الإنكشاري الذي يعتبر كعائلة واحدة تجتمع حول موقد البيت، ومع مرور الزمن أصبحت تطلق على الجيش والحجومة معا. للمزيد أنظر: أرجموند كوران، المرجع السابق، ص 16.

<sup>4</sup> يحيى بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر...، ص 35.

<sup>5</sup> شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية...، ص 352.

<sup>6</sup> شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، ص 19-20.

<sup>7</sup> الرياس: هي مجموعة من الحكام اختاروا من البحر المتوسط ميدانا لحياتهم ومصدر رزقهم، لعب هؤلاء هؤلاء الرياس دورا بارزا في الحياة السياسية للجزائر في القرن 16 و17م بوجه خاص، بحيث اعتبر الكثير من المؤرخين هذه الفترة بالعصر الذهبي للبحرية الجزائرية، أنظر: وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 45، 46.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

كامل القطر الجزائري وأدت إلى إندلاع ثورة الكراغلة<sup>2</sup> في مدينة الجزائر<sup>3</sup>، إضافة إلى ثورات القبائل التي اندلعت سنة 1643م بسبب فرض الباشوات ضريبة سنوية كبيرة على بلاد القبائل، وشجعت ثورتهم المناطق الأخرى في شرقي الجزائر وغربها، مما أدى إلى إحداث فوضى كبيرة في هذا العهد<sup>4</sup>، أدت إلى تعرض الحكم لهزات عنيفة نتج عنها اضطرابات كبيرة أثرت على سير العلاقة بين الجزائر والدولة العثمانية<sup>5</sup>.

كان الباشا يهتم بمصالحه الشخصية بطرق غير مرضية<sup>6</sup>، بجمع أموال الضرائب للإثراء وشراء منصبه ونهب مرتبات الجند، دون أن يعبأ بأوامر السلطان العثماني ومشاكل الشعب وأحواله، فأرهبوا سكان الجزائر بجشعهم، مما أثقل كاهل الرعية وهم الأهالي الخاضعين للضريبة، إضافة إلى تعدد الموظفين القائمين على جمعها<sup>7</sup>.

أيضا توتر العلاقة بين إيالة الجزائر والدولة العثمانية سنة 1638م، بحيث كانت الدولة العثمانية في حالة حرب مع البندقية، وطلبت مساعدة البحرية الجزائرية، لكن سفن

---

<sup>1</sup> صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2002، ص95.  
<sup>2</sup> اندلعت ثورة الكراغلة في مدينة الجزائر سنة 1633م، وأيضا سنة 1639، بحيث حاصروا القوات التركية بالقصبة بسبب عجز الولاة عن دفع المرتبات للجنود، وحصلت بالمدينة مجزرة رهيبة بسبب انفجار مخزن البارود أنظر:

F.A.Knight, relation of seven years slavery under the turks of Algerian Suffered by on englishcaptive :ercghqhtmlondon, 1640, pp.70,75.

<sup>3</sup> بهلول، النظام الإداري العثماني في الجزائر...، ص36.

<sup>4</sup> عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل...، ص90.

<sup>5</sup> De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination...، p.192.

<sup>6</sup> كان الباشوات المعينون كل ثلاث سنوات ليسوا في العادة من البحارة أو الجنود، بل كانوا من المحظيين السياسيين الذين حصلوا على مناصبهم بأثمان غالية. فقد كانت الرشوة هي سلوك الحياة في استانبول في نهاية القرن 16م، بعد إنتهاء عهد السلاطين الكبار، وحل محلهم سلاطين ضعاف، غالبا ما كانوا تحت السلطنة الأم والحريم، ولهذا كان الباشا حريصا على ملئ جيبه والعودة إلى استانبول. للمزيد أنظر: وولف، المرجع السابق، ص134-135.

<sup>7</sup> De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination...، p.98-200.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

المساعدة تعرضت لعاصفة هوجاء أجبرتها على اللجوء إلى ميناء فالونا في الأرخيبيل<sup>1</sup>، إستغل البنادقة الفرصة وهاجموا السفن الجزائرية وألحقوا بهم خسائر فادحة كان لها أثر في إضعاف البحرية الجزائرية. وبعدها تصالح السلطان العثماني مع البنادقة، مما أثار سخط الجزائريين الذين قرروا عدم الإشتراك مع العثمانيين في الأعمال البحرية، وبعدها في سنة 1644م قرر السلطان العثماني مهاجمة جزيرة مالطة وطلب إسهام البحرية الجزائرية فرفض الجزائريون طلبه<sup>2</sup>.

إضافة إلى أن الجزائر عقدت معاهدة مع إنجلترا عام 1662م، وأيضا مع هولندا وهذا دليل على بداية إستقلالية الجزائر النسبية عن الدولة العثمانية<sup>3</sup>.

بعد إلغاء نظام الباشوات قام مقامه نظام الآغوات<sup>4</sup>، وأصبح الآغا<sup>5</sup> هو الذي يتحكم يتحكم في إدارة البلاد وتسييرها<sup>6</sup>. وكانت مدة حكم الآغا لا تتجاوز شهرين ويخلفه في مهامه أكثر العسكريين أقدمية، ومن جهة كان محاولة بارزة للانفصال عن الدولة العثمانية والاستقلال

<sup>1</sup> ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلماءها، تح : فارس كعوان ، ط 1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009 ، ص 51.

<sup>2</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 65 - 66.

<sup>3</sup> جميل ، الجزائر والباب العالي...، ص 103 - 104 .

<sup>4</sup> عهد الآغوات (1659 - 1671 م ) للمزيد أنظر: بهلول، النظام الإداري العثماني... ص 4 - 44 .

<sup>5</sup> الآغا : ويلقب بها كبير الخدم وسمي بلقب الآغا كبار رؤساء الانكشارية والبحرية وهي أعلى مرتبة في الجيش، وهناك اختلاف بين آغا العرب وآغا الانكشارية، فالأول بمثابة نائب الداي، وهذا المنصب يتقلده شخص واحد، كان يتولى وشؤون الأقاليم (الأوطان) التابعة لدار السلطان، وله العديد من الصلاحيات مثل القضاء، إصدار الأحكام والاشراف على القطاع الفلاحي، وتحديد ومتابعة عملية الحرث والحراث، وتحديد مسؤوليات كل الأطراف، ويتولى حل النزاعات بين الناس، ومنصب آغا العرب إداري وعسكري في نفس الوقت، أما بالنسبة للآغا الثاني (آغا الانكشارية ) فهو القائد العام للقوات البرية، وكان يعين على رأس الجند في مدة شهرين ، لهذا يعرف بآغا القمرين ، وعند عزله يعرف بمعزول آغا، للمزيد أنظر : شويتام ، المجتمع الجزائري وفعالياته... ، ص 29 .

<sup>6</sup> De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination ... p. 120

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

بالجزائر<sup>1</sup>. كانت الدولة العثمانية قد عينت علي باشا واليا على إيالة الجزائر، ومنحت له كل صلاحيات الوالي للتمتع بها، إلا أن خليل آغا اعترض على ذلك وقام بوضع الوالي علي باشا مع حاشيته في سفينة وأرسلهم إلى أزمير، ولما علم الصدر الأعظم<sup>2</sup>، محمد باشا الكوبريلي بالأمر استاء كثيرا واستدعى الوالي وأمر بقتله، وأرسل إلى آغا الجزائر قائلا: " إن الحكومة لن ترسل إليكم من الآن فصاعدا واليا، فبايعوا من تختارون من بينكم، فأنتم طائفة عاصية لا تطيعون السلطان ولا حاجة له لعبوديتكم، فإنه يمتلك آلاف البلاد كالجزائر، ومن الآن فصاعدا يمنع إقترابكم سواحل الدولة العثمانية<sup>3</sup>."

وبدأ التغيير يظهر بين الباب العالي والإيالة الجزائرية، كما قام الآغاوات بإصلاحات سياسية وإدارية، تمثلت في إلغاء اختصاصات الوالي الذي يرسل من استانبول، وأيضا قاموا بفصل الإيالة الجزائرية عن الدولة العثمانية، كما قاموا بتعديل التشكيلة الخاصة بالديوان<sup>4</sup>. وقد كانت هذه المرحلة (القرن 17م) أيضا مملوءة بالفوضى والاضطرابات والاعتقالات والتنافس على الحكم، أثر على العوامل الخارجية على السياسة المالية الجزائرية، هذا ما جعل الأوضاع لم تعرف تحسنا<sup>5</sup>، وفقدت البلاد كثيرا من سفنها التجارية وتأثرت طائفة الرياس بصفة

<sup>1</sup> Mahfoud kaddache , l'Algerie durant la période ottoman, office des population universitaire, Alger, 1992, p. 42 .

<sup>2</sup> الصدر الأعظم: هو الشخص الذي حاز منصب رئيس وزراء في الدولة العثمانية، وكان وكيلا مطلقا للسلطان العثماني، وللتفريق بينه وبين الوزراء الآخرين أطلق عليه هذا اللقب ، للمزيد أنظر : سهيل صابان، المرجع السابق، ص 143 .

<sup>3</sup> بيات، المرجع السابق، ص 541 .

<sup>4</sup>(A) Berbrugger "Notes relatives à la révolte de ben sakheri " in R.A vol 10 , 1866. p. 338، 340.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1791 - 1830 م) ويلييه قانون أسواق مدينة الجزائر (1659- 1805 ) ، منقحة ومزودة، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2012 ص 66، 67.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

بصفة خاصة لأنها تضررت أكثر من غيرها، باعتبارها مالكة الأسطول والمراكز البحرية ونتيجة لذلك تأمر رياس البحر على آخر<sup>1</sup> الآغوات وقتلوه عام 1671 م<sup>2</sup>.

وبعد مقتل علي آغا اختيرت عدة شخصيات لتخلفه لكنهم امتنعوا عن هذا المنصب لأنه يؤدي بصاحبه إلى القتل. وأنتهى الأمر بنجاح رياس البحر من إقصاء الإنكشارية عن السلطة وتعويضه بنظام آخر وهو نظام الدايات<sup>3</sup>.

مثل عهد الدايات عودة النفوذ إلى رياس البحر " رجال البحر "، الذين سيطروا منذ الوهلة الأولى على الحكم، وفي عهدهم نشطت البحرية الجزائرية، لكنه بعد سنة 1689م تغير الوضع وأصبح الداوي<sup>4</sup>، ينتخب من قادة الجيش " اليولداش "<sup>5</sup>. وقد أبقى رياس البحر على منصب الباشوية، كما فعل من قبلهم فرق الأوجاق الذين أبقوا عليه، فكان إسميا وشكليا لا تأثير له في توجيه سياسة البلاد وليس إلا رمزا للعلاقة الشكلية التي تربط بالخلافة العثمانية<sup>6</sup>.

ومن جهة نجد الفرق بين شكلية منصب الباشا في نظام الآغوات وشكليته في نظام الدايات، أن الباشوية في عهد الآغوات كان منصبا يحتله شخص معين من طرف السلطان العثماني دون الآغا، أما في نظام الدايات استمرت على شكلية الآغوات فترة من الزمن ثم تحول الأمر إلى أن أصبح الداوي هو نفسه الذي يحمل لقب الباشا<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> علي آغا حكم (1665 - 1671م) وبعد مقتله عام 1671 م من طرف رياس البحر تم اختيار خمسة أو ستة شخصيات لتخلفه لكنهم امتنعوا عن هذا المنصب ، للمزيد أنظر De Grammont, histoire d'Alger sous la domination... p 220

<sup>2</sup> يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ...، ص 43، 44.

<sup>3</sup> مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3 ، مكتبة النهضة الجزائرية، 1984 ، ص 177.

<sup>4</sup> الداوي كلمة تركية بمعنى الخال أو الزعيم أو الرئيس ، وتستخدم للدلالة على عمل وظيفي والتي تعني صاحب السلطة والقائم على أمور الدولة ، كان في بادئ الأمر لقباً شرفياً ، ثم تطور هذا اللقب بوظيفة

عسكرية في الجيش الإنكشاري في الإيالتين الجزائر وتونس ، أنظر : De paradis, op cit , p 98

<sup>5</sup> سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية...، ص 24 .

<sup>6</sup> عمار عمور، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ربحانة للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر 2002، ص 100.

100.

<sup>7</sup> نفسه، ص 178.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

لا شك أن بقاء الداوي في منصب الرياسة طوال حياته أعطى الدايات سلطة واسعة، ليحدوا من الديوان نفسه. وقد أبقى الدايات منصب الباشوية الشرفي لمدة من الزمن، بحيث يعين الباب العالي باشا يكون إلى جانب الداوي، لكن ليس له أي نفوذ ثم سرعان ما قاوم الدايات هذه الإزدواجية في الحكم. وكان ذلك سنة 1711م<sup>1</sup>، حيث رأى الدايات أن لا أهمية للباشا بجانب الداوي في السلطة، وأنه يمثل وسيلة لإثارة المشاكل، لهذا رفض الدايات الباشا المبعوث من السلطان العثماني، بالرغم من حكمه الشكلي، وبعدها بعث الداوي علي باشا رسالة للسلطان العثماني وشرح له فيها مخاطر السلطة المزدوجة<sup>2</sup>، وفتح مفاوضات مع الباب العالي قائلا: "إن الداوي يمثل السلطان والسلطة الجزائرية معا"<sup>3</sup>، وبذلك جمع بين سلطة الداوي وسلطة وسلطة الباشا، وهذا التاريخ يعني إستقلال إيالة الجزائر عن الخلافة العثمانية، وبقيت تبعيتها إسميا فقط للباب العالي وأصبح الداوي غير ملزم بتطبيق قرارات استانبول<sup>4</sup>.

### 2- القوة العسكرية البرية والبحرية:

كما نلاحظ أيضا منعرجا في العلاقات الجزائرية العثمانية في المرحلة الثالثة من الحكم العثماني في الجزائر، وذلك بأن الإيالة الجزائرية قدمت تقريرا يتعلق بنظامها الجديد إلى الباب العالي للمصادقة عليه، فأمضاه السلطان العثماني ولكن تحت شروط، بحيث يتحمل الديوان نفقات الجند، وكذا مرتبات الضباط، وجميع موظفي الإيالة الجزائرية، كما عقدت الجزائر<sup>5</sup>، معاهدة مع إنجلترا سنة 1662م والتي ضمت 16 بندا والتي سوف تطرقنا إليها في الفصول السابقة، كما عقد معاهدة مع هولندا في نفس السنة، وكانت هذه المعاهدات عبارة عن

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، ج4، الجزائر 1984، ص15-16.

<sup>2</sup> De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination... PP.276-277.

<sup>3</sup> المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر...، ص28.

<sup>4</sup> سبنسر، المرجع السابق، ص89-91.

<sup>5</sup> فالجزائر كانت تمثل محطة توقف ضرورية للأساطيل الانجليزية في البحر المتوسط بحكم موقعها وسط وسط إيالات شمال إفريقيا، وذلك ما سيزيد في دعم موقعها وموقفها في الملاحة الدولية، للمزيد أنظر: بليل، القناصل والقنصليات الأجنبية...، ص33.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

إقامة السلم بين الدول المتعاقدة، كما تظهر هذه المعاهدات بداية إستقلالية الجزائر النسبية عن الدولة العثمانية<sup>1</sup>. كانت المؤسسة العسكرية إحدى دعائم إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية، بما فيها البحرية والدور الهام الذي لعبته في البحر المتوسط، والتي أخذت نهج الجهاد ضد القوى الأوروبية، بحيث إحتل الجيش مكانة بالغة الأهمية في تاريخ الدولة العثمانية، فهو أداة للحكم والحرب معا. وقد إرتبط تأسيس إيالة الجزائر العثمانية سنة 1519م بالجيش كركيزة قوية في دعم نظام الحكم المركزي، وهي الخاصة ذاتها التي تكونت بها الدولة العثمانية<sup>2</sup>، لهذا كانت إيالة الجزائر في نظر بعض الكتاب الغربيين جمهورية عسكرية إعتبارا منهم على أن المؤسسة العسكرية كانت القاعدة الأساسية التي يقوم عليها نظام الحكم بالجزائر<sup>3</sup>.

### أ- بداية تكوين الجيش الإنكشاري:

وقد عرفت الجزائر أول تدفق للإنكشارية في بداية القرن 16م إثر إرسال خير الدين بربروس بموافقة من أهالي الجزائر، طلب الإنضمام إلى الدولة العثمانية، حيث أرسل السلطان سليم الأول (1512-1520) إلى الجزائر ألفين (2000) من الإنكشارية وأربعة آلاف (4000) من المتطوعين الأتراك<sup>4</sup>، لتدعيم قوة خير الدين وتثبيت حكمه من جهة، وحماية الجزائر من الهجمات الإسبانية من جهة أخرى، ومنذ ذلك التاريخ أصبح للجزائر جيش إنكشاري خاص<sup>5</sup>، عرف بأوجاق الجزائر، بجميع هياكله ومؤسساته. وكان استقراره بمدينة الجزائر، حيث

<sup>1</sup> جميل، الجزائر والباب العالي... ، ص104.

<sup>2</sup> حماس ، العلاقات بين إيالة الجزائر... ، ص91-92.

<sup>3</sup> شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية... ، ص19.

<sup>4</sup> Haedo (fraydiego de),"Histoire des rois d'Alger" ,in R. A 1880، p.7.

<sup>5</sup> كان الجيش الإنكشاري في الجزائر يتكون من فرق ووحدات صغيرة تسمى أوجاق وهو إسم مأخوذ من الجيش الإنكشاري باستانبول مع إختلاف بسيط، لأن كلمة أوجاق بالتركية تعني الجيش الإنكشاري كله. وقد بلغ عدد الأوجاق في مدينة الجزائر حوالي 424 أوجاقا يحمل كل واحد منهم اسما يعرف به، أنظر: عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها...، ص78.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

بُنيت له ثكنات للإيواء ونظمت قوانينه وحددت أجوره<sup>1</sup>، وعرفت الجزائر تنظيماً عسكرياً يشبه إلى حد ما المعمول به في الدولة العثمانية<sup>2</sup>.

كان جنود الجيش الإنكشاري يتمتعون بعدة حقوق لم يتمتع بها غيرهم من سكان الإيالة، ولم يكن هذا باعتبارهم طبقة معينة، وإنما لوضعهم القانوني بالنسبة للباب العالي أو الديوان. وكانت الأجور من ضمن تلك الحقوق<sup>3</sup>، وكان الجندي الإنكشاري بإيالة الجزائر يتلقى نفس الأجر الذي كان يستفيد منه الجندي الإنكشاري باستانبول، حيث كان يصرف له بانتظام من الخزانة المالية للإيالة، وكانت الرواتب تعتبر في الجزائر من أهم الإلتزامات التي يتعهد بها الباشا عند توليته ويحرص على تقديمها في مواعيدها<sup>4</sup>، وعلى نقيض ما كان معمول به في استانبول التي كان نظام الأجور لا يساوي بين الجند في الرواتب، فإن النظام بإيالة الجزائر كان مختلفاً تماماً، حيث كان يساوي بين الجند والضباط، وكانت عملية دفع الرواتب والزيادة فيها تتم بالتساوي دون إستثناء أحد<sup>5</sup>.

وقد لعب الجيش الإنكشاري دوراً كبيراً في الدفاع عن الجزائر، وفي صد الغارات المتكررة عليها كما أظهر بسالته في القتال والتضحية. وقد سعى حكام الجزائر في تنظيم الجيش على أسس مماثلة لجيش الدولة العثمانية الإنكشاري، ولتزويد هذا الجيش بالجنود الأكفاء والمخلصين، فكان لابد من تجنيد المتطوعين من مختلف مقاطعات الدولة العثمانية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع ببابيك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 2007-2008، ص12.

<sup>2</sup> كان إنكشارية الجزائر يتمتعون بنفس الامتيازات التي حصل عليها إنكشارية استانبول نظراً لحاجة الإيالة لهم، فمنحت لهم تسهيلات وحقوق مادية ومعنوية، للمزيد أنظر: محمد بن جبور، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17 و18م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية 2002-2003، ص39.

<sup>3</sup> جميل، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف....، ص 112.

<sup>4</sup> بن جبور، صورة الجزائر والجزائريين....، ص44.

<sup>5</sup> نفسه، ص45.

<sup>6</sup> Marcel Colombe, " Contribution a l'etude du recrutement de l'odjak d' Alger dans les dernières années de l'Histoire de la régence", in **R.A N°87**, Alger 1943, pp.165-180.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

قد شجعت الدولة العثمانية المتطوعين للذهاب إلى الجزائر وهدفها من وراء ذلك هو الإبقاء على إيالة الجزائر في دائرة النفوذ العثماني فهي تترك بعدها الجغرافي عن مركز الدولة العثمانية خوفا من انفصالها<sup>1</sup>. وكانت قضية تجنيد المتطوعين لفائدة الجيش الجزائري من المقاطعات العثمانية إحدى القضايا الهامة في تقوية العلاقات الجزائرية العثمانية، لذا أولى الباب القضية اهتماما كبيرا في سياسته الخارجية مع حكومة الجزائر<sup>2</sup>.

وقد أولى العثمانيون والجزائريون أهمية كبيرة للمتطوعين في الجيش باعتبارهم يشكلون إحتياطي يغذي الإيالة باستمرار، حيث زادت ظاهرة التطوع في الجيش خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وأصبحت تشكل إحدى الروابط الأساسية بين الإيالة الجزائرية والدولة العثمانية<sup>3</sup>.

وكانت عملية التجنيد تخضع لطبيعة العلاقات بين الجزائر والباب العالي، حيث كانت السلطات العثمانية تمنع التجنيد عن الجزائريين في المقاطعات التابعة لها حين تسوء العلاقات بين البلدان، ويذكر "جون وولف": " أن عدد جند الانكشارية في أوائل القرن التاسع عشر تناقص بسرعة لعدم امكانية التجنيد من المشرق"<sup>4</sup>، ومما لا شك فيه أن تناقص عدد الجند المتطوعين في الجزائر قد جاء نتيجة توتر العلاقات بين الباب العالي والإيالة، ومن جهة نتيجة ازدياد مشاكل الدولة العثمانية الخارجية وظهور عدة عقبات أمام مواصلة عملية التجنيد في الأناضول والمناطق الأخرى التابعة لها<sup>5</sup>.

ب . البحرية الجزائرية وحركتها الجهادية في تدعيم النفوذ العثماني في الحوض

الغربي للمتوسط:

<sup>1</sup> سبنسر، المرجع السابق ، ص 87.

<sup>2</sup> نفسه، ص 87.

<sup>3</sup> بن جبور، صورة الجزائر والجزائريين... ، ص 60.

<sup>4</sup> وولف، المرجع السابق، ص 125.

<sup>5</sup> بن جبور ، صورة الجزائر والجزائريين...، ص 63.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

إن تتبع النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن 16م نجده أنه لم يكن ذا شأن كبير، لكن إصرار الدولة العثمانية على مواجهة العدو الأوروبي في البحر المتوسط دفعها إلى بناء أسطول بحري قوي مدعوم بفرقة برية (الإنكشارية) والرياس الكبار، وهو ما مكنها من تجهيز عمليات بحرية كبيرة في المتوسط<sup>1</sup>. ومنذ إلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية ساهم الباب العالي في إنشاء ودعم المؤسسة العسكرية الجزائرية من عدة جوانب، ولقد اهتمت إيالة الجزائر بمختلف جوانب المؤسسة العسكرية، فمثلما نظمت الجيش البري وأولته عناية كبيرة، فقد كرست أيضا إهتمامها بالبحرية والأسطول البحري الذي كان يمثل هيبة وسيادة الدولة، ومحور قوة الجزائر العسكرية وسيادتها الإقليمية في الحوض الغربي للبحر المتوسط<sup>2</sup>.

لقد ظهرت النواة الأولى للبحرية الجزائرية مطلع القرن السادس عشر ميلادي، بعد أن جاء خير الدين بربروس من جيجل على رأس 21 مركبا، وفي سنة 1558م أصبح عدد الوحدات البحرية يزيد عن 53 قليدة (لومانة) و25 فرقاطة (بارجة) وعدد من المراكب الصغيرة، وفي سنة 1571 كان بالجزائر خمسون مركبا مسلحا، أما في نهاية القرن السادس عشر ميلادي وبالضبط سنة 1580م كان هناك خمسة وثلاثون قليوطة<sup>3</sup> وعدد من أنواع السفن الأخرى<sup>4</sup>، ومن هنا نلاحظ أن إيالة الجزائر عرفت في الفترة الأولى من تأسيسها قوة وازدهار وذلك لما كان الأسطول البحري يمارسه في الجهاد البحري ضد أطماع الغزاة الأوروبيين ويقهر ويصد هجماتهم، فكل الحملات البحرية انتهت بانتصار الجزائريين، بما فيها حملة اللورد إكسموث الضخمة، فأخذت وحدات الأسطول تتطور بصورة سريعة، حيث نجد الأوروبي "بيول"

<sup>1</sup> الغاشي ، البحر الأبيض المتوسط في الاستراتيجية...، ص29.

<sup>2</sup> جميل ، الجزائر والباب العالي من خلال....، ص124.

<sup>3</sup> وبحلول القرن 17 م حصل تغيير كبير في تشكيل الأسطول الجزائري إذ عوضت السفن ذات المجاديف بالسفن المستديرة ذات 74 مقعد مثل البريكات وغيرها، لكن هذا لم يمنع الرياس من الإحتفاظ بالجليوطات لحماية الميناء وللسير في البحر المتوسط، وفي نهاية القرن 18م سجلت عودة سفن الشيني إضافة إلى الشبق، أما في القرن 19م أصبح الرياس يملكون الفرقاطات والكروفات والشالوب والجليوطات وغيرها. أنظر : جميل، الجزائر والباب ...، ص130.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"....، ص193.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

يقدم تقريراً يذكر فيه أنه خلال سنة 1686م كانت الجزائر تمتلك ما يزيد عن واحد وعشر ونقطة بحرية ، يضاف إليها عدد من المراكب الصغيرة وأكثر من ستة عشرة عمارة تجارية بدار الصناعة البحرية<sup>1</sup>، وفي سنة 1687م كان بالجزائر ثلاث سفن مسلحة بالمدافع وعدد كبير من المراكب الصغيرة وسفن من نوع يريقتان وسفن في طور التجهيز في الورشات<sup>2</sup>.

لقد أخذت البحرية الجزائرية نهج الجهاد البحري الذي تبناه العثمانيون في سياق الصراع العسكري والبحري ضد التحالف المسيحي في البحر المتوسط<sup>3</sup>، ولعبت الملاحة الجزائرية دوراً هاماً في العهد العثماني، حيث أبدى الجزائريون (مهارة عظيمة في الملاحة حتى أصبحوا لا يغلبهم أحد في حروب البحر واتخذوا لهم المراسي الأحسن مناعة في الساحل الجزائري والتونسي، من جربة إلى هنين<sup>4</sup>، وأخذوا يغيرون على البلاد المسيحية<sup>5</sup>، وكما شهد القرن السادس عشر ميلادي بداية إنتقال الدولة العثمانية من دولة برية إلى دولة بحرية، وجعلها من البحر عنصر فعال في توسعاتها ومواجهاتها ضد القوى الأوروبية<sup>6</sup>.

وقد كانت طائفة الرياس تمثل العصب الرئيسي في تسيير الأسطول البحري منذ نشأته، كما كانت تتمتع بالإحترام الكبير لدى جمهور الشعب<sup>7</sup>، وذلك لكونها القوة الحامية للبلاد من هجمات المسيحيين، بالإضافة إلى أنها كانت تجند رجالاً من شتى طبقات الشعب، كما كان لها دور في تخفيف عبء الضرائب على سكان الأرياف والمدن، فكلما زادت مصادر الدخل<sup>8</sup>

<sup>1</sup> نفسه ص194.

<sup>2</sup> قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر ...، ص173.

<sup>3</sup> الغاشي، البحر الأبيض المتوسط في الاستراتيجية العثمانية ...، ص40.

<sup>4</sup> هنين: مدينة ساحلية تقع شمال غرب الجزائر وغرب مدينة الغزوات، أطلق عليها الرومان إسم "جيساريا وأرتيسيقا" وسميت أونى تحت الإسبان كانت مركزاً تجارياً رئيسياً في عهد الموحدين. للمزيد أنظر: جميل ، الجزائر والباب العالي ...، ص125.

<sup>5</sup> المدني، حرب الثلاثمائة سنة ... ، ص79.

<sup>6</sup> الغاشي، البحر الأبيض المتوسط...، ص42.

<sup>7</sup> ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص42.

<sup>8</sup> كانت مصادر الدخل تتمثل في ثلاث مصادر أساسية: حمولات السفن التي تؤخذ بالغنائم من البحر، ومبالغ إفتداء الأسرى، والإتاوات التي تدفعها الدول الأوروبية تحت تدابير إتفاقيات شكلية لحماية سفنها

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

البحري خفت الضرائب عن الأهالي هذا من جهة، ومن جهة أخرى ساهم النشاط البحري في رفاهية مجتمع المدن وزاد في غنى الحضرة، نتيجة تجمع ثروات طائلة في يد البحارة والتجار<sup>1</sup>. كان يشرف على البحرية الجزائري "وكيل الحرج" وهو بمثابة وزير البحرية والشؤون الخارجية، وكانت مهامه تشمل ميدانين رئيسيين: يتمثل الأول في مراقبة النشاط البحري والإشراف على الترسانة البحرية ومختلف الأنشطة الخاصة بالميناء التجاري والعسكري منها، أما الميدان الثاني فيتمثل في إشرافه على العلاقات الخارجية للإيالة، حيث يتصل في بعض الأحيان بالقناصل ومبعوثي الدول الأوروبية، كما يقوم بحل القضايا الخاصة بالعلاقات الدولية للإيالة<sup>2</sup>.

لقد عرفت البحرية الجزائرية تطورا كبيرا في النصف الثاني من القرن السادس عشر والقرن السابع عشر الميلاديين، سواء من حيث الهياكل أو من حيث المداخل<sup>3</sup>، وتعتبر البحرية الجزائرية القوة الأولى التي اعتمد عليها الأتراك العثمانيون في بسط نفوذهم في البلاد. إن الدارس لتاريخ الجزائر في العهد العثماني عامة ومن الناحية السياسية خاصة، يلاحظ أن الجيش كان له دور كبير في تدعيم النفوذ العثماني بالجزائر، ويظهر ذلك من خلال العمل على توسيع حدود الإيالة<sup>4</sup>، أيضا دور الأسطول الجزائري في البحر المتوسط، حيث شكل خلافات حادة بين الجزائر والباب العالي، خاصة عندما يصطدم بسفن الدول الأوروبية التي تقيم علاقات جيدة مع الدولة العثمانية<sup>5</sup>، وهنا نلاحظ أن الجزائر رفضت في العديد من

---

من استيلاء القراصنة، وهناك مصدر رابع كان يحصل عليه من المؤسسة البحرية بذاتها وذلك من خلال الإذن بالإرساء. للمزيد، أنظر: هلايلي، بنية الجيش الانكشاري.....، ص 42.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"...، ص 200-202.

<sup>2</sup> بن جبور، صورة الجزائر والجزائريين.....، ص 17-20.

<sup>3</sup> (M) Belhmissi, Histoire de La Marine Algérienne 1560-1830, 2eed, Enal, Alger, 1986; pp. 50-61.

<sup>4</sup> هلايلي، بنية الجيش الانكشاري...، ص 79.

<sup>5</sup> ألتر، الأتراك العثمانيون.....، ص 304.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

المرات إرجاع ما غنمته من سفن الدول الأوروبية إلى أصحابها<sup>1</sup>، لأن ذلك يدخل في إطار الإعتزاز بالأسطول البحري ورجاله الذين في نظر الجزائريين يدافعون عن الإسلام والمسلمون. فكان الباب العالي يحقد كثيرا على حكام الجزائر الذين يرفضون تنفيذ أوامره السلطانية<sup>2</sup>.

يرى الكثير من الكتاب الغربيين ما كان يتميز به رياس البحر من الشجاعة والإقدام والانضباط، إذ يذكر هايدو: "أن رجال البحرية الجزائرية كانوا يجوبون البحار من الفجر إلى الغروب، وخلال فصل الشتاء والربيع دون خوف، ويسخرون من السفن المسيحية كأنهم يخرجون لصيد الأرناب"<sup>3</sup>، كما تحدث أيضا التيمقوتي<sup>4</sup> عن كفاءتهم وإنضباطهم حيث قال: "الجزائر عامرة كثيرة الجند حصينة ومرساها عامر بالسفن ورؤسائها موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر، يقهرون النصارى في بلادهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيئة وأكثر رعبا في قلوب العدو"<sup>5</sup>.

### • تجهيزات الدولة العثمانية لبحرية إيالة الجزائر:

تميزت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية بتعدد مشاربها يوحدتها الجهاد في سبيل الله، حيث ضمت خليطا من العناصر المحلية والأعلاج الذين أسلموا، ويضاف إليهم البحارة الذين قدموا من الأندلس والمشرق، الأمر الذي أكسب الأسطول الجزائري قوة متجددة وتقنيات بحرية إضافية. وكان القائمون بشؤون البحرية ينتسبون إلى مختلف المستويات الإجتماعية في إيالة الجزائر، كما أدى زيادة نشاط البحرية إلى استمرار اتساع نفوذ الطبقة المتوسطة من الحرفيين

<sup>1</sup> أحمد توفيق المدني، "الدولة الجزائرية تدافع عن استقلالها ضمن الجامعة العثمانية"، مجلة التاريخ، ع 7، الجزائر 1979، ص22.

<sup>2</sup> صغيري، العلاقات الجزائرية...، ص40.

<sup>3</sup> Fray.Diegede,Histoire des Rois...P.19.

<sup>4</sup> التيمقوتي: الرحالة والسفير المغربي.

<sup>5</sup> بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة...، ص57.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

والتجار وأصحاب الدكاكين الذين كانوا يستثمرون أموالهم في البحرية، إما بالمساعدة في إعادة التجهيز أو لشراء الخشب وما تحتاجه السفينة<sup>1</sup>.

وتعتبر المساعدات البحرية التي قدمتها الدولة العثمانية للإيالة الجزائرية إحدى مظاهر الإرتباط بينهما، ولهذا أخذت في بعض الأحيان طابعا دبلوماسيا يتمثل في تجديد وإحياء الصلات العريقة بين البلدين. كما أخذت طابعا عسكريا، وتمثلت هذه المساعدات سواء في التجنيد البشري أو العتاد الحربي<sup>2</sup>، حيث كانت الدولة العثمانية تجهز إيالة الجزائر تقريبا كل سنة بالمراكب والتجهيزات البحرية المختلفة والمتنوعة، خاصة عندما ترسل قفطان وفرمان التولية للوالي الجديد أو عندما تعود مراكب الجزائر التي تحمل الهدايا إلى السلطان العثماني أو التي ذهبت لمساعدة السلطان في حروبه<sup>3</sup>.

ومن خلال أمر همايوني تم إرسال للجزائر مساعدات عسكرية، وذلك طلبا منها والذي ينص على إرسال مدافع الهاون الموجود بدار العامرة، وتزويد الجزائر بمدافع تدعى "طوج" وقطعتان بقطر 85 من مدافع الهاون، بالإضافة إلى تزويد الجزائر بمادة الحديد والرصاص والأسلاك بمقدار ثلاثة آلاف قنطار والخشب لصناعة السفن<sup>4</sup>.

كما ساهم بحارة الجزائر في تحديث وقيادة الأسطول العثماني، وتجلّى ذلك في مجالين عسكريين، تمثل الأول في مساهمة البحرية الجزائرية إلى جانب الدولة العثمانية في حروبها ضد أعدائها الصليبيين في عرض البحر المتوسط، وأما المجال الثاني فتمثل في طلب الباب العالي من بحارة الأسطول الجزائري تحديث وقيادة الأسطول العثماني في العديد من المناسبات، فبعد أن عاد السلطان سليمان القانوني من حرب النمسا منتصرا، قرر محاربة شارلكان إمبراطور إسبانيا، حيث رأى أن يتعهد بقيادة الأسطول البحري العثماني إلى خير الدين، حتى

<sup>1</sup> بن جبور، صورة الجزائر والجزائريين...، ص 75.

<sup>2</sup> سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، ص ص 149-150.

<sup>3</sup> بوعزيز، الموجز في تاريخ...، ص 167.

<sup>4</sup> خط همايون، عدد 499، تاريخ 1206هـ / 1791م.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

تكون أعماله البحرية أكثر نجاحا وفعالية<sup>1</sup>، فوجه إليه فرمانا سلطانيا سنة 1533م، جاء فيه " رغبتني توجيه عمل ضد إسبانيا ضع مكانك رجلا جيدا وعاقلا، وأسرع إلينا وإذ لم تجد من تتوفر فيه المقدرة أعلمنا ..."<sup>2</sup>فلبى خير الدين نداء السلطان وتوجه إلى استانبول على رأس أسطول يتكون من أربعين سفينة جيدة التسليح ومحملة بغنائم معتبرة<sup>3</sup>.

وتعود قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني إلى عدة أسباب السالفة الذكر، إضافة إلى مهارة البحارة الجزائريين وكفاءتهم الحربية ومقدرتهم القتالية العالية<sup>4</sup>، مما أكسب الجزائر قوة وهيبة في البحر المتوسط، مما جعل العديد من الدول تخشى مواجهتها وتستجيب لدفع الإتاوات والشروط التي تطبقها<sup>5</sup>.

لقد دخلت إيالة الجزائر البحر المتوسط وأصبحت أحد الفاعلين فيه، كما رفعت شعار التضامن الإسلامي مع الدولة العثمانية في مواجهتها وحروبها المتواصلة ضد التحالف الأوروبي، وتواصل الصراع البحري في العالم المتوسطي طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلاديين وحتى منتصف القرن الثامن عشر ميلادي<sup>6</sup>، وسعت علاقة الجزائر مع الباب العالي إلى تشكيل جملة من الأهداف وتشكل تحالف قوي ضد أي إعتداء خارجي أوروبي يستهدف الجزائر أو الدولة العثمانية خاصة في البحر المتوسط، وظهر هذا جليا خلال مساعدة

<sup>1</sup> تم استدعاء خير الدين بربروس وذلك لما يملكه من شجاعة وخبرة بشؤون البحر المتوسط، وهذا ما مكنه من التصدي للمشاريع الصليبية في المنطقة.

<sup>2</sup> جميل، الجزائر والباب العالي...، ص ص 144-145.

<sup>3</sup> بن جبور، صورة الجزائر والجزائريين...، ص 72.

<sup>4</sup> نذكر هؤلاء البحارة على سبيل المثال: الأخوين عروج وخير الدين بربروس، ودرغوث رايس وصالح رايس، وإيدين رايس، وعلج علي وعلي بيتشين وحسن فنزيانو... وغيرهم، للمزيد أنظر: هلايلي : بنية الجيش الانكشاري...، ص ص 28-29.

<sup>5</sup> نفسه، ص 42.

<sup>6</sup> هلايلي : بنية الجيش الانكشاري...، ص ص 88-89.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

الجزائر للدولة العثمانية أثناء تدخل أسطولها البحري في العديد من الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد القوى والتحالفات الأوروبية<sup>1</sup>.

وكان للانتصار الذي أحرزته الجزائر عام 1541م ضد شارلكان بداية لحرب طويلة وعنيفة بين القوى الإسلامية تحت لواء الخلافة العثمانية، والقوى المسيحية بزعامة إسبانيا، حيث صارت الجزائر القاعدة الغربية للخلافة العثمانية مع أنها لم تكن النقطة المركزية في هذا الصراع، غير أن البحارة الجزائريون الذين تكونوا<sup>2</sup> على يد خير الدين قد لعبوا دورا بارزا<sup>3</sup>، ونظرا للدور البارز الذي لعبته الجزائر في الحروب العثمانية من قبل وجه السلطان العثماني رسالة إلى بايلرباي الجزائر العلي يدعوا فيها إلى تجهيز سفنه والإلتحاق بالأسطول العثماني. وقد سارع العلي إلى تلبية النداء، إذ غادر الجزائر في ربيع 1571م على رأس خمسين سفينة قصد الإلتحاق بالأسطول العثماني<sup>4</sup>، وبدأت المعركة بين الأسطولين يوم 09 أكتوبر 1571م<sup>5</sup>. وبعد الاشتباك الذي دام قرابة ثلاث ساعات متتالية قتل علي باشا قائد الأسطول العثماني، وخلفه العلي الذي شن هجوما عنيفا تمكن من خلاله من قتل قبطان مالطة والاستيلاء على سفينته. وقد حاولت سفن العدو تجميع صفوفها ومحاصرة العلي علي إلا أنه تمكن من الإفلات والانسحاب بأسطوله والعودة به بدون خسائر تذكر، على عكس الأسطول العثماني الذي أخرج وأغرق بعضه وتم الاستيلاء على البعض الآخر<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سينسر، المرجع السابق، ص136.

<sup>2</sup> من أبرز البحارة الذين تكونوا على يد خير الدين ولعب دورا رئيسيا في بلورة أحداث الساحة المغاربية درغووث الذي ولد في جزيرة رودس ولازم خير الدين منذ صغره حتى أصبح من المقربين منه وسمح له ذلك بتقلده عدة مناصب عسكرية مهمة، للمزيد أنظر : وولف، المرجع السابق، ص65.

<sup>3</sup> نفسه، ص60.

<sup>4</sup> الميلي، المرجع السابق، ص155-160.

<sup>5</sup> نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية....، ص163.

<sup>6</sup> المحامي، المصدر السابق، ص25.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

دخلت الدولة العثمانية في حرب مع البنادقة في الساحل الدلماشي ما بين 1630-1639م،  
بألبانيا فاستعانت بالأسطول البحري الجزائري<sup>1</sup>، وتكبدت البحرية الجزائرية خسائر جسيمة فقدت  
فيها ما يقارب نصف أسطولها، وأيضا فقدت أهم القادة البحريين وكانت هذه الموقعة منعرجا  
حاسما في تدهور قوة البحرية الجزائرية التي كانت تمثل الدعامة الأساسية. وقد وعد الباب  
العالي بتعويض خسائرها وتجهيز بخمس وعشرين باخرة حربية كبيرة<sup>2</sup>، لكنه لم يوف بما وعد  
به، الأمر الذي رياس البحر يقررون عدم الذهاب لمشاركة السلطان في حروبه إلا بعد  
الحصول على ضمانات، واعتبارا من هذه الواقعة أصبحت طائفة الرياس تطلب بتعويض  
الخسائر وفي بعض الأحيان المساعدات المسبقة<sup>3</sup>.

كان للبحرية الجزائرية دورا بارزا في توثيق العلاقات العسكرية بين الإيالة الجزائرية  
والدولة العثمانية من خلال نشاط الأسطول الجزائري في المياه المتوسطية إلى جانب الأسطول  
العثماني سيما في معركة مالطا وليبانت ضد التحالف المسيحي، وهذا ما يفسره قوة وهيبة  
الأسطول الجزائري، فاكتمت البحرية الجزائرية مكانة خاصة جعلتها بمثابة القلعة الأمامية في  
مواجهة المد الصليبي الذي يهدد سواحل المغرب<sup>4</sup>، ورغم إستقلال إيالة الجزائر في العديد من  
الجوانب عن الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر ميلادي، بقيت البحرية الجزائرية تبدي  
طاعة كبيرة للباب العالي، حيث كانت ترسل أسطولها حتى بحر إيجة والبحر الأسود. كما أن  
دول أوروبا كانت تعتبر أساطيل الإيالات المغاربية جزء لا يتجزأ عن الأسطول وقوة الدولة  
العثمانية، وهذا ما يرد في تقاريرها<sup>5</sup>، وبحكم العلاقات التي تربط كل من الباب العالي والإيالة  
الجزائرية فقد كان كل منهما يقدم مساعداته للآخر بحسب الحاجة التي يقتضيها الأمر، وكانت

<sup>1</sup> بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، ص73.

<sup>2</sup> الملي، المرجع السابق، ص166.

<sup>3</sup> غطاس، العلاقات الجزائر.....، ص51.

<sup>4</sup> جميل، الجزائر والباب العالي.....، ص164.

<sup>5</sup> بن جبور، صورة الجزائر والجزائريين...، ص159.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

هذه العلاقة لها العديد من الأوجه في بعض الأحيان على شكل أوامر وطلبات من الطرفين، وتارة مماثلة من طرف الجزائر وتارة أخرى ضغط وتهديد من طرف الباب العالي<sup>1</sup>.

### المبحث الثاني: في المجال الإقتصادي.

شهد تولي شارل الخامس عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة، بداية جديدة من الصراع مع فرنسا الذي انعكس على توتر العلاقات الفرنسية-الأوروبية، كما شهد عهده تنامي الخطر العثماني صوب العالم المسيحي، فقد كان على الإمبراطور أن يواجه التطورات السياسية التي أخذت تعصف بالإمبراطورية الرومانية المقدسة وعلى مختلف الأصعدة، وفي مقدمتها حروبه الطويلة مع فرنسا، بحيث عكست هذه الأوضاع التي يمر بها الإمبراطور شارل الخامس جانبا إيجابيا كان يصب في مصلحة الموريسكيين بسبب انشغاله<sup>2</sup>.

وأثناء حصار مدينة الجزائر من طرف السفن الإسبانية بقيادة شارل الخامس (1516- 1556 م)، ظهرت شخصية حسن باشا الذي حث سكان المدينة على الصمود والمقاومة في وجه المحتل، حيث أشرف بنفسه على عمليات تعزيز المواقع الدفاعية مع الجالية الأندلسية التي كانت لها الخبرة والمهارة في هذا الجانب، ولم يتمكن قائد الأسطول الإسباني ( أندري دوريا ) André Doria من اقتحام المدينة، وكانت الخسائر الكبيرة في القوات الإسبانية، وتمكن سكان الجزائر من الحصول على كميات هامة من السلاح الذي تركه جند شارل الخامس<sup>3</sup>.

لقد كانت ثورة الموريسكيين في إسبانيا مفيدة لبایلرباي شمال إفريقيا، لأنها جمدت القوات البحرية الإسبانية بالإضافة إلى تجميدها الجيش الإسباني الذي كان قد بقي في

<sup>1</sup> جميل ، الجزائر والباب العالي... ، ص 163.

<sup>2</sup> إلهام محمود كاظم، مشتاق بشير الغزالي، اضطهاد مسلمي الأندلس (الموريسكيين Moriscos في عهد شارل الأول(كارلوس الخامس) 1516- 1556.... ، ص 34.

<sup>3</sup> هلايلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري... ، ص 14.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

حوض البحر الأبيض المتوسط، كما أنها أعطت لعلج علي باشا فرصة ذهبية لمحاولة سيطرة الجزائر على ساحل الشمال الإفريقي كله<sup>1</sup>.

كانت مدينة الجزائر بمثابة السوط المسلط على العالم المسيحي، إنها رعب أوروبا ولجام إيطاليا وإسبانيا، وفي هذا الصدد يذكر بروديل بقوله: «لم يرفق رياس البحر بالسواحل الإسبانية، والمناطق التابعة لها خلال القرن 10هـ/16م، ولم يمثل نشاطهم هذا خطرا على المصالح السياسية الإسبانية فحسب، بل مثل تهديدا للمصالح الاقتصادية فقد ألحق بعض الضرر بتجارة موانئ إسبانيا، وأثرى مدينة الجزائر بما ضمنه لها من غنائم<sup>2</sup>.

لقد ساهمت البحرية الجزائرية وبمساعدة الجالية الأندلسية في تطوير الإقتصاد الجزائري، وجعل مدينة الجزائر مدينة ثرية مزدهرة، وفي هذا يذكر بروديل قوله: "مدينة الجزائر اللاطبيعي، تغيرت وتبدل واقعها الاجتماعي في حقبات متتالية : انتقلت من مدينة للبربر (1516- 1538م) إلى مدينة الأتراك وللمرتدين عن المسيحية (الأعلاح) قبل أن تصير مدينة شبيهة بالمدن الإيطالية بين عام 1500م، وعام 1587م، ثم ما لبث كل من الإنجليز والهولنديون أن وصلوا إليها، حاملين معهم مدافعهم المتطورة التي استقادة منها الجزائر في قرصنتها وزادت من ثرواتها<sup>3</sup>.

تعتبر أسباب التحول في مهام البحرية الجزائرية الوفرة الاقتصادية للمتوسط والمحيط الأطلسي، والتي استمرت إلى ما بعد منتصف القرن 17م، وانحطاط الدول الكبرى ووهنها، فعلى نحوها كانت تضعف سيطرة الأتراك في الحوض الشرقي، وفي المقابل كانت تضعف سيطرة الإسبان في الحوض الغربي منه<sup>4</sup>، فبدأت البحرية الجزائرية تتحول شيئا فشيئا نحو الغزو البحري الذي كان الهدف من ورائه هو القيمة الاقتصادية، ومن هنا كانت نقطة التحول من الجهاد البحري إلى الغزو البحري، وبذلك غدت القرصنة الجزائرية تتمحور بشكل

<sup>1</sup> وولف، المرجع السابق، ص 84- 85.

<sup>2</sup> Fernand Braudal, la Méditerranée et le monde..., p562.

<sup>3</sup> فرناند بروديل، البحر الأبيض المتوسط (التاريخ والمجال)، تعريب: يوسف شلب، دمشق، 1190، ص 153.

<sup>4</sup> نفسه، ص 153.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

أساسي حول فكرة الغنائم الجيدة والثمينة، لاحول فكرة الدين، خاصة بعدما احتضنت البحرية الجزائرية المغامرين الأوروبيين الراغبين في الثراء السريع<sup>1</sup>، وبالتالي أضحت القرصنة والنشاط الاقتصادي مترابطان، فهذا يرتفع وذلك يستفيد من الازدهار والتقدم<sup>2</sup>.

وهكذا استطاعت الجزائر وبفضل هذه القوة، وتقنياتها المتقدمة أن تسيطر سيطرة تكاد تكون كلية على الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، بل والانطلاق في اتجاه المحيط الأطلسي<sup>3</sup>، حيث اشترى خمسين سفينة في مضيق جبل طارق سنة 1566م وهي تعتبر الحقبة الأولى من ازدهار مدينة الجزائر في نظر بروديل، أما الحقبة الثانية من الإزدهار فكانت في الفترة الممتدة ما بين "1580 - 1620م" وقد ساعدت زيادة الثروة التي جنتها الجزائر من الحقبة الأولى على تطوير سفنها لتصبح قادرة على الوصول إلى مرسيليا والبندقية، وأصبح الجزائريون يجوبون البحر الأبيض المتوسط. وقد يلغوا أراضي إرلندا وإنجلترا والدانمارك والبرتغال وإسبانيا وأخذوا منها الأسرى والغنائم<sup>4</sup>.

وفي الفترة الممتدة ما بين 1621 - 1627م كان في الجزائر عشرون ألف أسير منهم فلامنديون، وإنجليز ودانماركيون وإيرلنديون، وإسبان وفرنسيون وإيطاليون ويابنيون ومصريون... إلخ، فكل أمة كان لها في الجزائر طابور من الأسرى، ومن المرتدين (العلوج)، وتجاوزت الغنائم في أوائل القرن السابع عشر ما قيمته ثلاثة ملايين جنيه، وشكلت ظاهرة عالمية أدت إلى ولادة مؤسسات لاسترجاع الأسرى منها وافئدائها، وعملية تبادل الأسرى والسلع غيرت من جغرافية الأسواق والتجارة فولدت روابط واتصالات ووسطاء<sup>5</sup>.

ونظرا لهذا التطور والازدهار الذي ساد العالم الإسلامي في هذه الفترة نلاحظ أن العالم المسيحي انعكس سلبا، حيث أضحت أوروبا تعيش المصاعب الاجتماعية والأمنية

<sup>1</sup> هلايلي، بوجلال، قضايا البحر المتوسط بين الجهاد....، ص 570 - 571.

<sup>2</sup> شوفاليه، المرجع السابق، ص 49.

<sup>3</sup> فردناند بروديل، البحر الأبيض المتوسط....، ص 152.

<sup>4</sup> هلايلي، بوجلال، قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد....، ص 571.

<sup>5</sup> نفسه، ص 571 - 572.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

والاقتصادية وخاصة إسبانيا وهذا منذ ظهور حروب الاسترداد التي توجت بسقوط غرناطة، التي أدت إلى ظهور مصاعب كانت نتيجة طبيعة التغيرات السياسية والاجتماعية والدينية التي مرت بها إسبانيا، وهو الأمر الذي دفع ملوكها إلى البحث عن الحلول خارج حدودها الجغرافية، بحيث شهدت سواحل أوروبا المسيحية هجمات مكثفة خلال الفترة الحديثة، من قبل بحارة الجزائر، هذه الهجمات كانت تدخل في إطار الصراع الإسلامي المسيحي بالبحر المتوسط والمحيط الأطلسي. وكانت أكثر المناطق تعرضا لهجمات البحارة الجزائريين، هذا لأن سفن أوروبا الشمالية المتوجهة جنوبا، كانت تحمل مواد ثمينة، نتج عن هذا الوضع أسر العديد من مواطني شمال أوروبا الذين وجدوا أنفسهم كأسرى على سواحل المغرب الإسلامي عامة والسواحل الجزائرية خاصة<sup>1</sup>.

وتعتبر قضية الأسرى في البحر المتوسط قضية روتينية، مادامت هذه الدولة لم توقع على معاهدة سلم تكفل لها حرية العبور في المتوسط، وأغلب هؤلاء الأسرى كانوا بحارة وقليلًا منهم مسافرين، وبعد القدوم بهم إلى الجزائر كان يتم بيعهم في الأسواق والاحتفاظ ببعضهم كعمال تابعين لسلطة الدولة<sup>2</sup>.

فالمصاعب الاقتصادية ناتجة عن هجرة الصناع والحرفيين والتجار والمزارعين المسلمين واليهود أصاب الاقتصاد الإسباني بالركود، كما أن سيطرة الدولة على الموارد المالية لتغطية نفقات حروبها في أوروبا وشمال إفريقيا، وأجواء الحرب الأهلية ضد بقايا المسلمين في إسبانيا، وثورات البروتستانت في ألمانيا وسويسرا... وغير ذلك من الأحداث السياسية التي كانت تعج بها أوروبا عامة، وإسبانيا على وجه الخصوص، جعلت الناس يشعرون بالتذمر، وعدم الاستقرار، مما دفع بالدولة إلى البحث عن سبيل لإلهاء الشعب وتأجيج نار التعصب الديني والمذهبي، وإثارة بواعث الرعب من الحظر الإسلامي القادم من

<sup>1</sup> بلقاسم قرياش، الجزائر ودول شمال أوروبا (1600-1830م)، مجلة دراسات تاريخية **History**

**studies** دورية فصيلة محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، ع

2، الجزائر، أبريل 2014، ص 49.

<sup>2</sup> نفسه، ص 50.

الجنوب، وكل هذه المشاكل الداخلية كانت تعيشها إسبانيا مما دفع بها إلى احتلال السواحل الجزائرية<sup>1</sup>.

### القوة البحرية:

**صناعة السفن:** وفرة الخشب جعل صناعة السفن تتم في الجزائر، كان مصدر هذه المادة الأولية يجلب من غابات شرشال وبجاية بعدها يحول إلى ورشات صناعة السفن<sup>2</sup>، فهو بذلك شكل موردا طبيعيا شجع على صناعة السفن، فميناء شرشال كان ورشة لصناعة الحبال والأشعة<sup>3</sup>، والأهمية هذه المادة الطبيعية فإن الجزائر عمدت إلى تعيين قائد خاص لاستغلال الغابات الساحلية الممتدة من بلاد القبائل مرورا بجيجل<sup>4</sup>، فبناء السفن وإعادة بناء المحصل عليها من الغنائم كان العمل فيها من طرف الجزائريين الذين يقومون بطقوس خاصة عند الإنتهاء منها<sup>5</sup>، أما عن أنواع السفن المكونة للأسطول تتميز بتنوع واختلاف أحجامها ومن أنواعها الغليوطة وهي سفن صغيرة لا تكلف كثيرا في صنعها والتمتيز بحجمها الصغير منها البلاكير، كربيط، حراقة فهي سفن حربية تتميز بسعتها وقدرة حملتها للمدافع<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ص 120-121.

<sup>2</sup> De Haedo Diego, Topographie et histoire générale d'alger Trauit de l'espagnole par Monnereau et Berbrugger, Alger, 1870, P75.

<sup>3</sup> Picquit. CH, Aperçu Historique statistique et Topographique sur Pétat d'Alge, deuxième édition, Paris, 1830, p211.

<sup>4</sup> شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر ... ، ص47.

<sup>5</sup> تقام هذه الطقوس عند انتهاء العمل من صناعة السفن يتم دفعها إلى البحر لتجربتها حيث تمنح هدايا ووجبات للحرفيين المساهمين في إنجازها، كما يضحون بإثتان من الخرفان، بعدها تطلق طلقات المدفعية، فهي التحية المعمول بها سواءا عند دخول أو خروج السفن إلى البحر، أنظر:

De Haedo, Topographie..., p76.

<sup>6</sup> Daniel, Panzak, les corsaires Barbaresque la fin d'une Epopée 1800- ed CNRS, pars, 1999, pp 40-41.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

كما عرفت الجزائر السفن المستديرة<sup>1</sup>، وهي سفن شرعية حربية قادرة على الصمود في أعالي البحار. أما عن ملكية السفن فكان كبار البايبربايات يملكون سفنا خاصة بهم يشاركون بها في العمل البحري، فجعفر باشا كانت لديه غليوطة من 24 مقعدا<sup>2</sup>، باعتبار أن هؤلاء البايبربايات هم من كانوا يتولون قيادة السفن بأنفسهم، أما خلال القرن الثامن عشر أصبحت هذه السفن من الملك العام تحت إشراف وكيل الحرج، ويرجع ذلك إلى الضعف التي أصبحت عليه البحرية الجزائرية وتوقيع الجزائر لمعاهدات السلم ما أثر على حجم الغنائم البحرية التي أضحت لا تشجع على الاستثمار فيها<sup>3</sup>.

**الرتب في المؤسسة البحرية:**

تختلف الرتب في البحرية الجزائرية عن غيرها في المؤسسة البرية التي تتحكم فيها سنوات الخدمة وعامل الأقدمية، بينما في البحرية الإرتقاء في المناصب يكون بفضل الإنجازات المحققة في عرض البحر والجرأة والشجاعة، ولهذا نجد أن البحرية الجزائرية عرفت شخصيات فاقت شهرتها الحدود، ما جعلها تحافظ على قوتها وتنظيمها لفترة معتبرة من الزمن، فكل عامل في البحرية له اختصاص معين يقوم به سواء قبل أو بعد مغادرة السفينة إلى الغزو البحري وهي كالتالي:

**1- وكيل الخرج:** فهو المسؤول الأول عن المؤسسة البحرية، ويدعى أيضا بوكيل خرج باب الجزيرة<sup>4</sup>، يقوم بمراقبة النشاط البحري ويشرف على أعمال الترسانة البحرية، وينظر في توزيع الغنائم، ويتصل في بعض الأحيان بقناصل ومبعوثي الدول الأوروبية<sup>5</sup>، وقد وصفه وصفه *Venture de paradis* بالشخصية القوية والحكيمة نظرا لما قام به في أمور البحر<sup>6</sup>، كما كان أغلب الحكام الأوائل من رياس البحر، وأهم مثال على ذلك أبناء

<sup>1</sup> Dan, Histoire de Barbarie et de Ses corsaires, second édition, chez pierre Rocolet imprimeur, libraire ordinaire du Roi, paris, 1646, p314.

<sup>2</sup> Ibid.

<sup>3</sup> وولف، المرجع السابق، ص 191.

<sup>4</sup> Devoulx. A, Le Registre des prises Maritimes. Traduction D'un Document Authentique et Inédit. Ed typographique a jourdan, 1872, p05.

<sup>5</sup> سعيدوني ، بوعبدلي، الجزائر في التاريخ ...، ص 17.

<sup>6</sup> *Venture de paradis*, «Alger au XVIIIe siècle" in R.A. vol 40,41,10, 1896, p270.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

يعقوب وما قاموا به في بسط نفوذهم في البلاد. وقد عرفت البحرية الجزائرية تطورا كبيرا في النصف الثاني من القرن السادس عشر والسابع عشر ميلادي سواء من حيث الهياكل أو نفوذ الموظفين<sup>1</sup>. كان وكيل الخرج بمثابة وزير الخارجية والحربية في آن واحد وذلك في حدود معينة، أي تحت مراقبة الداوي، لأن وكيل الخرج يعتبر مسؤولا فقط عن الشؤون البحرية والأسلحة وهو يعتبر همزة وصل بين الداوي والخارج كمبعوث للتمثيل الشخصي<sup>2</sup>، له مساعدين كالنائب القبطان وقائد المرسى<sup>3</sup>.

2- **القبطان:** القائد الأعلى للأسطول، قبل تعيينه عليه أن يجتاز امتحان يجريه عليه ديوان الرياس الذي يتكون من كل قباطنة السفن<sup>4</sup>.

3- **قائد المرسى:** أو قائد الميناء يهتم بالغنائم البحرية ويتولى بيعها<sup>5</sup> ومن جملة اختصاصاته أيضا تفتيش ومراقبة سفن الميناء ويحرص على جميع وجلب الأخبار التي تهم الجزائر ويتولى حمل الرسائل التي ترد للباشا<sup>6</sup>.

4- **وردان باشي:** هي كلمة مشتقة من الكلمة الفرنسية التي تعني الحارس، فهو إذن يقوم بمهام الشرطي بتوفير الحماية الكافية في الميناء<sup>7</sup>، أما الطاقم المشكل للسفينة، فيتشكل من الرياس الذي يختاره وكيل الخرج ويعين من طرف الداوي<sup>8</sup>، يشترط أن يكون ذا دراية بشؤون الملاحة ومهارة وشجاعة فأكثر الرياس هم من الأعلاج ومع حكم الداوي بابا علي

<sup>1</sup> M. Belhmissi, Histoire de la Marine..., p 50-61.

<sup>2</sup> الأطرش السنوسي، أحمد الشريف، تاريخ الجزائر في خمسة قرون، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 357.

<sup>3</sup> منور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني "القرصنة- الأساطير والواقع"، ج2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص 411.

<sup>4</sup> سبنسر، المرجع السابق، ص 76.

<sup>5</sup> Devoulx.A, Le Registre des prises..., p05.

<sup>6</sup> بن جبور، البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني...، ص 115.

<sup>7</sup> Devoulx,A, le registre de prises....p 05.

<sup>8</sup> ينصب رئيس السفينة بحضور وكيل الخرج وبقراءة سورة الفاتحة ثم يحيا من طرف زملائه بطلقات مدفعية. أنظر.: p 43. venture de paradis, alger au XVIII siècle...

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

سمح للأتراك بتولي هذا المنصب<sup>1</sup> الذي قد يرتقي به إلى قبودان باشا الأسطول العثماني أمثال خير الدين بربروس، حسن بن خير الدين، علج علي ومن المساعدين له نجد الباشا رئيس وهو نائبه ورئيس للخدم ومجموعة من الإنكشارية يتم اختيار أقدمهم وهو الأغا لكتابة تقرير مفصل عن الرحلة وعمل قائد السفينة، كما يحرص على فرض احترام سفن الدول التي تربطها بالجزائر إتفاقيات سلام<sup>2</sup>، إضافة إلى راييس الطريق الذي توكل إليه مهمة إحصاء الغنائم، وباش طوجي يشرف على تجهيز المراكب بالمدافع<sup>3</sup>، ومن الشخصيات التي إرتقت إلى أعلى الرتب في المؤسسة البحرية الرايس حميدوا ذو الأصل الجزائري وذلك بفضل شجاعته و نكائه، بداية عمله كان كخادم للسفن وسرعان ما إرتقى إلى بحار ثم زميل ثم ضابط وأخيرا راييس بحيث فاقت شهرته وتمكن من إرجاع هيبة الجزائر وإنعاش خزينة الدولة<sup>4</sup>.

### نشاط الأسطول البحري:

عرف الأسطول البحري خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين أوج قوته جعل من الجزائر دولة لا تضاهى وقوة لا تقهر، أما التحضير للغزو البحري فيكون في فصل الشتاء حيث تسحب السفن إلى البر، ولما يحل الربيع يشرعون في دهنها وتجهيزها<sup>5</sup>، وغالبا ما يكون ذلك في شهر مارس لتكون جاهزة للمغادرة في شهر أبريل<sup>6</sup>، و هي الفترة المناسبة للإبحار بسبب هدوء الأحوال الجوية.

يستمر غياب البحارة عن الجزائر من أربعين إلى خمسين يوما متربصين بسفن أعدائهم، ومن ذلك تعرض سواحل إسبانيا، كورسيكا، سردينيا، وصقلية ومالطة خلال سنة 1581م إلى مهاجمة البحارة الجزائريين في سنة 1617م تمكن مرد راييس من مهاجمة جزيرة

<sup>1</sup> De paradis, alger au XVIII..., p 40.

<sup>2</sup> Laugier de tassy, histoire du royaume d'alger, chez henri du sauzet amsterdam, 1725,p 268.

<sup>3</sup> Albert devoux, " la marine de la règence d'alger" **MRA**, alger, 1869, p 07.

<sup>4</sup> سبنسر، المرجع السابق، ص 74.

<sup>5</sup> بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة، الجزائر، 2010، ص

<sup>6</sup> De paradis, alger au XVIII..., p 47.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

ماديرة على المحيط الأطلسي حيث عاد منها بأجراس كنيستها إذلالا لها<sup>1</sup>، وفي سنة 1627م قاد ثلاث سفن بحرية وصل بها إلى غاية الدنمارك حيث غنم ما قدره 400 أسير، ووصول العليج الفنلندي مراد سنة 1631م إلى غاية إنجلترا وإيرلندا<sup>2</sup>، فتحركات الأسطول الجزائري لم تقتصر فقط على البحر المتوسط وإنما تعدته إلى المحيط الأطلسي، هذا التفوق ما هو إلا نتيجة سرعة السفن وجودة السلاح وجرأة وخبرة أصحابها<sup>3</sup>.

حيث يشيد شالر بنشاط البحرية الجزائرية في قوله: " لقد كان الجزائريون في أوج قوتهم وسمعتهم حتى أن أعظم الدول البحرية كانت تطلب صداقاتهم. إنهم اليوم يتباهون بأن عظمتهم البحرية لا تماثلها غير بحرية بريطانيا العظمى"<sup>4</sup>، فالجزائر بفضل أسطولها أرغمت أرغمت الدولة الأوروبية بالإسراع في عقد اتفاقيات معها بغرض حماية سفنها التي تجوب البحر بعد أن تعرضت لخسائر كبيرة<sup>5</sup>.

عدا عن فرض الضرائب وإلزام الدول بتقديمها للخزينة، فالغنائم المحصل عليها من الغزو البحري هي الأخرى كانت تشكل دخلا معتبرا بمختلف الأنواع المجلوبة نجد إشارة لها في مذكرات خير الدين نجد إشارة لها في مذكرات خير الدين في قوله "ففي خليج البندقية ثم الاستيلاء على ثلاث سفن كل منها تحمل عشر آلاف دوقة ذهبية، إضافة إلى مئات الأسرى<sup>6</sup>، بيد أن هذه الغنائم ليست مستقرة إذ تتحكم فيه طبيعة العلاقة الجزائرية الخارجية من حرب أو سلم، فالأسرى كجزء من الغنائم شكلوا خلال القرن السادس عشر ميلادي ما

<sup>1</sup> سعيدوني، ورقات جزائرية ... ، ص20.

<sup>2</sup> Dan, Histoire de Barbarie et de ses corsaires..., p31.

<sup>3</sup> مولاي بلحميسي، الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، العدد04، الجزائر، 1968، ص16.

<sup>4</sup> وليام شالر، مذكرات وليام شالر "قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824"، ترجمة إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص119.

<sup>5</sup> Moulay Belhmissi, Marine et Marins d'Alger 1518-1830, T3, éd Bibliothèque nationale d'Alger, 1996, p81.

<sup>6</sup> بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين...، ص121.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

يربوا عن 16 ألف أسير كلفوا بالتجديف على متن السفن أو كخدم في المنازل<sup>1</sup>، ورغم الكتابات المفرضة من طرف الأوروبيون بسوء معاملة الأسرى المسيحيين، لكن الواقع يفند مثل هذه الإدعاءات بإرتقاء الأسير تدينا إلى منصب خزندار للباي محمد الكبير، وسيمون بفايفر كطبيب للخزناجي خلال أواخر العهد العثماني<sup>2</sup>.

انعكست هذه الغنائم إيجابيا على ازدهار النشاط التجاري والحياة الاقتصادية فصارت مدينة الجزائر بهذه الغنائم نموذجا يضاهي أسواق بلاد الهند في رخصها إذ كان التجار يشترونها بدرهم ويبيعونها بعشرة حتى أثروا على ذلك ثراء<sup>3</sup> فاحشا<sup>4</sup>. ساهمت بملء خزينة الدولة بالأموال التي كان قسط منها يسدد لدفع رواتب الجند الذين كثيرا ما يثيرون الاضطرابات ويزيحون الباشا عن عرشه كلما تأخر الدفع، وبهذا فقد سالت الأموال وتدفقت الخيرات واكتظت الشوارع بالأسرى الأجانب<sup>5</sup>.

أما تقسيم الغنائم فنصيب الدولة منها الخمس، وحسب حمدان بن عثمان خوجة الخمس لم يمكن تاما لأن الأشياء الثمينة كانت تؤخذ قبل الإطلاع عليها<sup>6</sup>، أما الباشا فنسبته 12% و 1% و 1% للعاملين في صناعة السفن وعمال الميناء و 1% لرجال الدين في المساجد، ونصف الحصص من نصيب الرياس والبحارة وما هو متبقي للجنود والأسرى المجذفين<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 153.

<sup>2</sup> نفسه

<sup>3</sup> الثراء شمل حتى الرياس أنفسهم فعلي بتشين إلى جانب عقاراته كان يملك لوحدة حوالي 800 عبد مسيحي، أنظر: منور مروش، دراسات عن تاريخ الجزائر....، ص 268.

<sup>4</sup> بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين....، ص 153.

<sup>5</sup> بلحميسي، الجزائر والغزو البحري في القرن...، ص 18.

<sup>6</sup> حمدان بن خوجة، المرأة، تق، وتغ، وتغ، محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 80.

<sup>7</sup> Dan, Histoire de Barbarie et de ses corsairs... pp 305,306.

المبحث الثالث: المجال الاجتماعي.

عرفت الجزائر هجرة أندلسية واسعة طبعت العالم المتوسطي خلال الفترة الأخيرة من العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، وساهمت بشكل فعال في التاريخ العثماني من خلال الإنخراط في جل الأحداث البارزة في تاريخ الدولة العثمانية، فبعد سقوط غرناطة عام 1492م قصد المهاجرون الأندلسيون مختلف المناطق الساحلية للمغرب الأوسط، واتخذوا من مدينة الجزائر كملجأ لهم، ومن الحكم العثماني نفوذاً مناسباً لآمالهم وطموحاتهم، كما كان لهم الدور الفعال في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر.<sup>1</sup>

إن المغرب العربي والدولة العثمانية كانا يعتبران، في نظر المورسكيين "أرض الميعاد"<sup>2</sup> والتي بإمكانها تقديم ما يحتاجونه من دعم، وعلى الخصوص السلاح للدفاع عن أنفسهم وابتداء من سنة 1570م سجل تزايد اللاجئين نحو المغرب العربي، حيث تمكن المورسكيون من أن يجدوا موقعا لهم بالجزائر، وأصبح وصولهم الجماعي مكثفاً بعد استقرار العثمانيون بالجزائر، وتمكن خير الدين بربروس من جعل إيالة<sup>3</sup> الجزائر<sup>4</sup> قوة بحرية في المنطقة المتوسطية هزت إسبانيا وأرعدت أوروبا، واستحقت بأن يطلق عليها "بلد الجهاد" وعلى مؤسساتها العسكرية "أكبر مدارس الإسلام البحرية"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> حنيفي هلايلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء فرمانات العثمانية 1492-1614 "مجلة الحوار المتوسطي"، ع 6، جامعة سيدس بلعباس، ص 9.

<sup>2</sup> عبد الجليل التيمي: "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541"، المجلة التاريخية المغربية - ع 3، تونس، جويلية 1975، ص ص 100-107.

<sup>3</sup> تعني كلمة إيالة أنها مصطلح يطلق على أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، وأيضا على المناطق التابعة لها، فقد كانت الدولة العثمانية مقسمة إداريا إلى إيالات، والإيالات إلى سناجق والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواحي والنواحي إلى قرى، ولقد أشرف على الإيالات في الدولة العثمانية أمراء (أمير الأمراء ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر ميلادي، وكانوا يمثلون السلطان ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري للإيالة. أنظر: صابان، المرجع السابق، ص 46.

<sup>4</sup> شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ص 321-350.

<sup>5</sup> علي أجقو: الدولة الجزائرية الأولى 1514-1830 دراسة مؤسسية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة باتنة، العدد 2، ديسمبر 1994، ص 130-151.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

وقد ذكر الكاتب التركي شلبي عن الجهود التي كان يقوم لها التجار الجزائريون من أتراك وأهالي من أجل مساعدة إخوانهم الأندلسيين أن خير الدين بربروس وجه حوالي 36 سفينة إلى السواحل الإسبانية لنقل ما يناهز 70 ألف موريسكي<sup>1</sup> كما ذكر أيضا في كتاب غزوات عروج وخير الدين رواية أخرى تتعلق بالمساعدة التي قدمها خير الدين بربروس في إطار إنقاذ أندلسي جبال البشارات وقد وردت بهذا النص: "... أنه جهز لهم (خير الدين) ستة وثلاثين جفنا (سفنا) فنقل أهل الجبل من الأندلس (أي الثائرين المحاصرين بالساحل)، فرفعوا نساءهم وأبناءهم ما قدروا عليه من أموالهم وأثاثهم، فأتوا بها إلى الأجناف وسقوها بذلك وركب عدد كبير منهم ورجعوا إلى الجزائر وخلفوا ألفي مقاتل من العسكر يحرسون جماعة المسلمين الباقية بالأندلس خوفا عليهم من عائلة النصارى، فلما وصلت الأجناف إلى الجزائر وخلفوا ما حملوه من الأندلس بها رجعوا إلى ذلك الجبل لحمل بقية المسلمين، فتكرر ذلك منهم سبع مرات وكان من جملة ما حملوه من أهل الأندلس على ما قيل سبعين ألفا، وبقيت عادة أجناف الجزائر أنهم في كل سفرة يسافرونها برسم الغنيمة يأتون إلى سواحل الأندلس برسم نقل جماعة المسلمين"<sup>2</sup>.

وبهذه الأعمال التي قام بها الأسطول الجزائري في جلب الأندلسيين إلى الساحل الجزائري، قام بقايا المسلمين بغرناطة بالاستجداد بالدولة العثمانية من خلال رسالة بعثها أهل الأندلس إلى السلطان العثماني سليمان القانوني<sup>3</sup> (1520-1566)، أثتوا فيها على جهود

<sup>1</sup> Grammont (H.D- de),op.cit; p3.

<sup>2</sup> مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين "تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر"، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1934، ص ص 50-82.

<sup>3</sup> سليمان القانوني: (1494م/1566م) هو عاشر سلاطين الدولة العثمانية، وثاني من حمل لقب (أمير المؤمنين) من سلاطين آل عثمان، ووصلت الخلافة العثمانية في عهده إلى أوج قوتها، ووصلت لأقصى اتساع لها، وانتصرت جيوشها على جميع الجيوش التي دخلت في حرب معها، ووصل الأمر أن فرض السلطان سليمان على الدول الأوروبية أن تدفع الجزية للدولة العثمانية، لقاء أن تأمن على حدودها وأراضيها من أي هجوم قد تشنه عليها، وشهدت الخلافة في عهده نهضة واسعة شملت جوانب عديدة: الحضارية، والعمرانية، والعلمية، والاقتصادية، والإدارية، والقانونية. وأطلق عليه لقب "القانوني" للتشريعات

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

خير الدين، وأشادوا بمآثرهم وبطولاتهم بقولهم: "فقد كان ..... بجوارنا.... المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين وسيف الله على الكافرين علم بأحوالنا... فاستغثنا به، أغاثنا وكان سببا في خلاص كثير من المسلمين من أيدي الكفرة المتمردين ونقلهم إلى أرض الإسلام وتحت إيالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك وشرشال ونواحي تلمسان...<sup>1</sup>، أما حول المهاجرين الأندلسيين الذين قصدوا مختلف مناطق إيالة الجزائر بعد سقوط غرناطة وأنواع أنشطتهم، يمكننا أن نستقيها من المصادر المعاصرة لهذا الحدث التاريخي الهام، فرغم إختلاف لغة وجنسية كل من الحسن الوزان<sup>2</sup> المعروف (بليون الإفريقي Léon L'africain في كتابه- وصف إفريقيا، ومرمول كربخال<sup>3</sup> (Marmol Carvajal) في كتابه وصف عام لإفريقيا، فقد تعرضوا إلى تواجد الأندلسيين بالمنطقة وخاصة في كل من برشك، تلمسان، شرشال والقلية، بحيث كان للمهاجرين في شرشال حوالي 5000 مسكن<sup>4</sup>، وكذلك مدينة القلية ذات الطابع الموريسكي الأصلي والتي استقر بها حوالي 300 عائلة من أصل مدجن وثنغري في عهد حسن باشا (1546-1567م) وفدوا إليها من إقليم قشتالة والأندلس وبلنسية<sup>5</sup>.

والقوانين التي سنها، ونظمت شؤون الدولة على نحو كبير من الدقة والنظام، ولقب القانوني لم يطلقه الناس عليه فقط لسن القوانين، بل أيضا للعدالة التي انتهجها في تطبيق هذه القوانين، وإلزام مؤسسات الدولة بها. أنظر: الزيود، المرجع السابق، ص 99، 100.

<sup>1</sup> التميمي، رسالة من مسلمي الأندلس...، ص 45-46.

<sup>2</sup> ولد الحسن الوزان في غرناطة ما بين عامي 1489-1495م، ووقع أسيرا في يد القراصنة المسيحيين، وقدموه هدية إلى البابا ليون العاشر، الذي قام بتعميده، وأطلق عليه اسم جان ليون الإفريقي.

<sup>3</sup> مرمول كربخال، رحالة ومؤرخ اسباني، كان خبيرا في الشؤون الإفريقية، ووقع أسيرا في المغرب الأقصى سنة 1556م، وكتابه طبع بعد معركة ليبانت 1571م. أنظر: هلايلي: القضية الموريسكية في الفضاء العثماني ... ص 33.

<sup>4</sup> كربخال، المصدر السابق، ص 357-362.

<sup>5</sup> هلايلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني ...، ص 12.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

لقد عرفت مدينة الجزائر والتي تعتبر قاعدة الحكم العثماني، هجرة مكثفة من طرف المورسكيين الذي وصل عددهم مع مطلع القرن السابع عشر أكثر من 25 ألف موريسكي<sup>1</sup>. وقد استمر تدفق التيار الأندلسي نحو إيالة الجزائر، كما أنهم لم يتمركزوا في مدينة الجزائر فحسب، بل انتشروا داخل البلاد وفي مدن جزائرية كثيرة مثل: عنابة، وبجاية، ودلس، وتنس ووجد هؤلاء المهاجرين في الجزائر أرضا تشبه أرضهم، وأهلا كأهلهم فاستوطنوا وساهموا في الحياة الاجتماعية بإدخال عنصرين رئيسيين: الأول تمثل في الكفاح ضد الإسبان في البر والشغور، دفاعا عن النفس ومحاولة لاسترجاع ممتلكاتهم، والثاني نشر أنماط لحياة الحضارة الأندلسية في الجزائر<sup>2</sup>، ويرجع الفضل في هذه الهجرات إلى توسيع النسيج الحضري لمدينة الجزائر، قاعدة الحكم العثماني، حيث أصبح لها مركزان رئيسيان يسكنهما الأندلسيون في دلس شرقا وشرشال غربا<sup>3</sup>.

كانت الجزائر والمدن المجاورة كالبليدة والقليلة وشرشال، قد امتلأت بهؤلاء الوافدين الجدد، وعليه فإن سكان مدينة الجزائر، أصبحوا بالفعل يتشكلون من أغلبية أندلسية<sup>4</sup> واستطاعت الجالية الأندلسية من تأسيس مراكز ساحلية وتعزيز خطوطها الدفاعية بمزگران وشرشال، كما ساهم موريسكو غرناطة في بناء وتعمير المرسى الكبير، وجعل منه قاعدة بحرية<sup>5</sup> إلا أنه كانت هناك عائلات موريسكية أخرى قد انتشرت في ربوع أحياء المدينة وخاصة باب الواد وبولوغين والحامة والقبة وبوزريعة وتليملي ومن الحقائق الثابتة أن هذه المناطق، عرفت خلال هذه الفترة بحدائقها الخضراء ومنازلها البيضاء<sup>6</sup>.

ويرجع الفضل إلى عروج الذي ساعد الأندلسيين في الانتقال إلى منطقة البليدة وأصبح سيدي أحمد الكبير الوالي الرمز للأندلسيين، حيث تحمل مسؤولية الدفاع عنهم،

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص132.

<sup>2</sup> سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...، ص142.

<sup>3</sup> سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر....، ص110.

<sup>4</sup> هلايلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني.....، ص16.

<sup>5</sup> Alenxander (P), Djaglov, «Mers El Kebir», in R.A. (N°84), 1940, pp 157- 185.

<sup>6</sup> M, Gaid, l'Algérie sous les Turques, Alger, éd Mimouni, 2<sup>ème</sup> ed, S.D, pp 103-104.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

وتمكن من تشييد عدة قرى للاجئين منهم وهذا ما بين مدينتي الجزائر والبليدة خلال سنوات "1502-1523م" وبصورة عامة تمكن خير الدين من حمل المئات من الأندلسيين، والعمل على إستقرارهم في مناطق صفاق الواد الكبير المعروف بواد الرومان قرب قبائل شنوة<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى مساهمة الأندلس في توسيع عمران مدينتي هنين ومستغانم<sup>2</sup>، ونظرا للضغط السكاني المتزايد على مدينة الجزائر في تلك الفترة، فكر حكامها في تخصيص أماكن أخرى لإقامة المهاجرين الأندلس، ويرجع الفضل الكبير لخير الدين الذي اقتطع أجزاء من سهول مدينة البليدة للجالية الأندلسية بغرض الإستيطان، وشيد بها مسجدا جامعا سنة 1535م، وحماما وفرنا، وسارع الناس في بناء المنازل على الطراز الأندلسي، فأصبحت البليدة مدينة الأزهار والثمار وعرفت باسم "الوريدة"<sup>3</sup>.

وفي سنة 1533م، استنجد سكان تيبازة بسيدي أحمد لكبير الذي وضع حدا لغارات الجبليين بالإضافة إلى نزوح بعض العائلات الأندلسية إلى منطقة لوريت (Lorit)، والتي تبعد عن تلمسان بحوالي 7 كيلومترات، وبعد مضي عقد من الزمن، دخل هؤلاء مدينة تلمسان واتخذوها مقرا لهم<sup>4</sup>.

ونلاحظ أن استقرار الأندلس لم يقتصر على مناطق معينة، بل شمل عدة جهات، خاصة المراكز الساحلية ويمكننا حصر هذه التجمعات في ثلاث أقاليم: الشرق الجزائري: شمل بجاية، جيجل، عنابة وقسنطينة.

الوسط الجزائري: شمل الجزائر "دار السلطان"<sup>5</sup>، البليدة، القليعة، مليانة، شرشال، المدينة وسهول متيجة.

<sup>1</sup> هلايلي ، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري...، ص18.

<sup>2</sup> Blehamissi, Moulay, Histoire de la marine (1516- 1830), Alger, ENAL, 2<sup>ème</sup> ed, 1986, p53.

<sup>3</sup> هلايلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري... ، ص 18.

<sup>4</sup> Ravillard, Martine, Bibliographie commentée des morisques, Documents imprimés de leur origine à 1982, Thèse inédite, 1980, T2, p148.

<sup>5</sup> دار السلطان، وتشمل دار السلطان الجزائر العاصمة وضواحيها وهي تمتد من دلس شرقا إلى تنس شرقا ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى سفوح الأطلس البلديدي جنوبا، وقد اختلفت المصادر والمراجع حول حدود دار السلطان من الناحية الشرقية، بحيث أن بعضها أشارت إلى أن حدودها تنتهي

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

الغرب الجزائري: شمل وهران ونواحيها ومستغانم وأرزيو وجيهااتها وتلمسان وقلعة بني راشد ومزونة<sup>1</sup>.

ويلاحظ من هذا أن عدد المهاجرين الأندلسيين في تزايد مستمر، حيث يذكر المؤرخ الأمريكي جون وولف لقد بلغ عددهم نحو سبعة آلاف نسمة بحيث يقول: «والثغريون والأندلسيون الذين جاؤوا إلى الجزائر في عائلات لاجئة من الأندلس، وهم في العادة يبلغون سبعة آلاف نسمة»<sup>2</sup>، أما هايدو فقد ذكر أن حوالي 60000 موريسكي نرح، من إسبانيا نحو الجزائر معظمهم يمتحنون صناعة الجلود وصنع الأسلحة، ويتحولون بسرعة إلى جنود متمرسين للدفاع عن المدينة، عند تعرضها للغارات الإسبانية<sup>3</sup>.

خلال زيارة الأب دان (DAN) لمدينة الجزائر عام 1634م حاول تقدير سكان المدينة بـ 100000 نسمة وهذا ناتج عن النزوح المستمر للأندلس<sup>4</sup>.

وتنوه معظم المصادر التاريخية إلى الدور التاريخي الذي لعبه المهاجرون الأندلسيون في المرحلة الأولى من تأسيس إيالة الجزائر (1516-1541م)، حيث ساهموا في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الغارات الإسبانية المتكررة، وفي هذا السياق يذكر مرمول كربيخال بأن الأتراك أرسلوا حوالي 300 جندي من الموريسكيين ذو أصول أندلسية ومدجن وثنغري إلى مدينة المدية لحمايتها<sup>5</sup>، كما ساهموا في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر، فقد مدوا

---

عند مصب واد سيبار وفي البحر غرب مدينة دلس، وأن هذه الأخيرة تابعة لبايك الشرق، وهو ما يفسر أن مدينة دلس كانت منطقة صراع ونفوذ بين دار السلطان وبايك الشرق. أنظر: إسماعيل بن النعمان، مدينة دلس (تادللس) دراسة تاريخية وأثرية خلال العهد الإسلامي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 48.

<sup>1</sup> هلايلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري...، ص 18.

<sup>2</sup> وولف، المرجع السابق، ص 157.

<sup>3</sup> Haedo, Fray Diego de, Histoire des Rois d'Alger, ... p 490- 495.

<sup>4</sup> (P) DAN, Histoire de Barbarie et de ses corsaires..., p89.

<sup>5</sup> Marmol Carvajal (luis de), Dexripcion générale de Africa, T2, Granada, 1573, p214.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

يد العون للإخوة بربروس<sup>1</sup> "عروج وخير الدين" في صراعهما مع الإسبان، ووقفوا بجانبهما في محاربة بقايا الإدارة الحفصية وناصروهما ضد الزعماء المحليين مثل سالم التومي شيخ الجزائر وأحمد بن القاضي أمير كوكو، وكثير من الكتاب يؤدون على أن الأندلسيين قد أغنوا مدينة الجزائر بكفاءتهم ومهارتهم<sup>2</sup>.

إن المساهمة الأندلسية في مختلف المجالات والأنشطة، جعل منهم نخبة مميزة في نظر السلطات، حيث إستفاد الأتراك العثمانيين من خبراتهم ومهاراتهم في شتى الأمور، وقد أثرت هذه المساهمة في فعاليات التاريخ الجزائري في العهد العثماني، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى حيوية الأندلسيين، والتي شبهها أحد الباحثين بالدور البسيكولوجي في المجتمعات المغاربية<sup>3</sup>، وهذا ما تؤكد شهادة هايدو على نشاطهم الجهادي والعسكري ومساهماتهم الفعالة في تدعيم إيالة الجزائر<sup>4</sup>.

كما شارك الموريسكيون في حملة البايبرباي حسن قورصو في حملته ضد الحاكم الإسباني بوهان سنة 1556م، ودرغوت راييس ضد المحمية العسكرية الإسبانية بالمدينة، ويضاف إلى مساهماتهم الفعالة في تسليح وتموين السفن وتكوين الفرق البحرية، إن هذا التواجد العسكري نستقيه من رسالة الملك فليب الثاني إلى سفير فرنسا بمدريد بتاريخ 06 جويلية 1556م، والتي جاء فيها أنه يوجد بإيالة الجزائر حوالي (15000) جندي جيد التنظيم والتسليح، من بينهم ستة آلاف (6000) موريسكي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الاخوة بربروس: يعود أصلهم إلى جزيرة متيلان، لسبوس قديما تقع مقابل الساحل الإيجي لتركيا، وأكبرهم أبو يوسف عروج، ثم يليه إلياس وإسحاق وخيضر الذي أطلق عليه إسم خير الدين، أي هدية الله، أما أبوهام كان يشتغل قرصانا مسلما، يقال أنه اشتغل كذلك في الجيش برتبة عريف أول، وبعد تقاعده ذهب إلى الجزيرة وأصبح خزافا، أما بالنسبة لأهمهم فهي ابنة أحد الرهبان الإغريق، وهناك من أرجع أصلها إلى الأندلس. أنظر: سينسر، المرجع السابق، ص 37-38.

<sup>2</sup> وولف: المصدر السابق، ص 151.

<sup>3</sup> Landa, R.(G), «les morisques comme les représentants de la civilisation Andalous au Maghreb» In Actes du IV<sup>e</sup> Symposium international du C.I.E.M. «histoire morisques» Etudes réunies par Abdeljalil Temimi, Geromidi, Tunis 1190, p210.

<sup>4</sup> (Fray Diego de) Haedo :Topographie et Histoire ..., p495.

<sup>5</sup> هلايلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري...، ص 22.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

كما لعب الموريسكيون كذلك دورا واضحا في الإدارة والجيش خاصة، مما جعل خير الدين بربروس عندما دخل مدينة المدية بعد انهزام حاكمها محمد بن عابد عام 1517م<sup>1</sup>، يترك بها إلى جانب الحامية التركية فئة من الأندلسيين، وكذلك لدى دخوله مدينة تنس حيث رافقه ألف جندي إنكشاري إلى جانب 5000 رجل من أهالي غرناطة وبلنسية وأراغون<sup>2</sup>.

لقد ساعد الأندلسيون البحرية الجزائرية في الهجوم ببراعة على السواحل الشرقية الإسبانية، وتمكنوا من صنع سفن شراعية وفرقاطات من الخشب بشرشال، وكانوا يفضلون النزول ليلا إلى سواحل إسبانيا، وهذه إحدى الحيل التي استعملها الأندلسيون في حركتهم الجهادية<sup>3</sup>.

وتشير مصادر أخرى إلى أن الأندلسيين نزلوا مدينة شرشال وأعادوا بناء عدد من دورها وزرعوا الأراضي بها، ثم صنعوا أكثر من السفن الملاحية، واشتغلوا بصناعة الحرير، بعد حصولهم هناك على أعداد كبيرة من أشجار التوت الأبيض والأسود، فعاشت الجالية الأندلسية في رخاء حتى أصبح عدد المنازل المقامة في شرشال مائتين وألف بيت<sup>4</sup>.

كانت منطقة شمال إفريقيا مؤهلة بموريسكي غرناطة وبلنسية وأراغون، وتوجد خلفها الغابات اللازمة لصناعة السفن الصغيرة التي تتميز بسرعة الحركة والقدرة على الهجوم، وفعلا فقد انتظم "موريسكيو شرشال في جماعات خاصة تقوم بهجمات سريعة وخاطفة على السواحل الإسبانية، إذ بمجرد ما تصل إليها سفنها الصغيرة، وتنطلق نحو الداخل لتخليص الأهالي، وأسر المسيحيين الذين يباعون في سوق الجزائر<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> H, Federman, «sur l'histoire de l'administration du Beylik de Titeri», in, **R.A.N°09**, 1865, p 281.

<sup>2</sup> Haedo, Histoire Du Rois d'Alger...., p26.

<sup>3</sup> Haedo, Topographie... p 92-93.

<sup>4</sup> Ravillard Martine, Bibliographie... p145.

<sup>5</sup> F, Braudel, «conflits de refus de civilisation, Espagnoles et morisque au XV le Siécle», in, **Annales, E.S.C. II, Octobre, Décembre1947, N°4**, p403.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

شكل الأندلسيون القاطنين بإيالة الجزائر، خطرا كبيرا على أمن الشواطئ الإسبانية وخاصة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، إذا كانت هجوماتهم مع الأسطول الجزائري تزرع في قلوب سكان سواحل اسبانيا<sup>1</sup>.

ويضاف إلى ذلك ما قدمه أفراد الجالية الأندلسية من خدمات إدارية لصالح العثمانيين، فقد اشتهر الأندلسيين بتحصيل الضرائب وجمع موارد الخزينة العامة والقيام بتسجيلها وفقا لتعليمات الإدارة العثمانية بالجزائر، وهذا ما سهل تعامل الإدارة مع بقية عناصر مجتمع الإيالة، وبفضل خبرتهم المالية مارسوا أعمال القرصنة والنخاسة ومبادلة الأسرى والمشاركة الفعالة في تمويل مشاريع القرصنة<sup>2</sup>.

وعمل الموريسكيون على تنشيط حركة الجهاد البحري والهجوم المتواصل ضد السواحل الإسبانية، بواسطة الأسطول البحري بالجزائر، وبفضل معرفتهم الجيدة للغة القشتالية (الإسبانية)، وللأماكن الجغرافية والطرق البحرية، وترجع المساهمة الأندلسية في ميدان الجهاد البحري إلى مجالات تجهيز السفن والمعدات وهذا من أجل إنقاذ من بقي من المسلمين في الأندلس<sup>3</sup>.

بالرغم من المجهودات المكثفة التي بذلتها إسبانيا لوضع حد نهائي لأي إتصال بين المورسكيين داخل اسبانيا والمجاهدين، فإن تبادل الرسائل ظل مستمرا، وذلك بغرض تدبير عمليات إنقاذ الموريسكيين وإمدادهم بالأسلحة، وهذا ما أكده الكونت دي ميراند *Compte de miranda* عام 1588م، عندما صرح بأن "الموريسكيين يجتازون البحر في الربيع إلى شمال إفريقيا<sup>4</sup>.

ومما يدل على أهمية النشاط الأندلسي في الأعمال البحرية، كان لهم نشاط بحري واسع في مدينة الجزائر، كما برعوا في تجارة الأسرى والغنائم، وأشتهر منهم بحارة "رياس"

<sup>1</sup> شوفالبيه، المرجع السابق، ص14.

<sup>2</sup> (de Tassy), Laugier, Histoire du Royaume d'Alger... p69.

<sup>3</sup> حنيفي هلايلي، القضية المورسكية في الفضاء العثماني الجزائري... ، ص21.

<sup>4</sup> F, Braudel, «conflits de refus de civilisation, ...p.403.

## الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر

كثيرون نذكر منهم الرايس بلانكو والرايس أحمد أبو علي من أشونية وغيرهم، وكانوا يعملون في الجهاد البحري ضد الإسبان<sup>1</sup>.

كما لقن الموريسكيون سكان إيالة الجزائر فنون أوروبا، خاصة في المجال العسكري وبذلك أصبحت مدينة الجزائر منطقة أسطورية في الدفاع، وتشير بعض الدراسات إلى براعة الموريسكيين في صنع الأسلحة وتحضير البارود وصناعة السفن وخاصة في مدن الجزائر مثل جيجل وشرشال<sup>2</sup>.

نرح عدد هام من الموريسكيين نحو إيالة الجزائر، مما أدى إلى تضاعف عدد السكان وأيضاً اختلاف الأنشطة لهؤلاء وفي جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية وحتى الثقافية، بحيث تشير بعض الوثائق إلى هذه الحالة الأندلسية التي كانت تتكون من فئة العلماء والنخبة المقدمة بمدينة الجزائر، والتي وجدت صعوبة في الحصول على الوظائف المتعلقة بالقضاء والإمامة والتعليم وغيرها من الوظائف الإدارية والدينية والتي كانت مجالاً للمنافسة والمزاحمة من طرف طبقة الحضر المحلية بمدينة الجزائر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عنان محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987، ص388.

<sup>2</sup> هاليلي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري...، ص23.

<sup>3</sup> نفسه، ص25.

الخطاتمة

وأهم ما يمكن استخلاصه من النظرة التركيبية للمجال العثماني في المتوسط خلال القرن السادس عشر ميلادي أنه يعتبر قرنا محوريا للتاريخ المغربي، غز شهد تحولا كبيرا جدا على جميع المستويات، حيث عرف هذا القرن عدة مجابهات حربية بين أطراف مختلفة، فهو لا شك قرن التحولات الضخمة في الأنظمة السياسية والاتصالات المباشرة والبعثات التي حصلت بين أطرافه عبر البحر المتوسط.

وفهمنا للأوضاع السياسية السائدة في تلك الفترة لا يتم إلا بعد تحليل الأبعاد المتعددة للموضوع فهناك مثلا: كتداخل ( الدين والسياسة)، ( الدين والإقتصاد)، (الدين والمجتمع) نظرا لارتباطها الوثيق بالصراع الإسباني العثماني وهجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب، خاصة وأن هذه الفترة شهدت تجدد النزاع بين الشرق والغرب الذي أصبح فيما بعد نزاعا بين المسيحية والإسلام، بحيث برز بشكل واضح بعد حروب الاسترداد التي تمكن الإسبان على إثرها من القضاء على الكيان الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، وتمكنهم بذلك من القضاء على دولة الإسلام والمسلمين بالأندلس وصقلية.

هذا الصراع امتدت آثاره إلى شمال إفريقيا، حيث تعرضت السواحل إلى هجمات أوروبية متكررة انتهت بالاحتلال للموانئ الرئيسية المغربية.

وبالتالي فإن الوجود العثماني في شمال إفريقيا كان نتيجة حتمية نظرا للظروف التي كانت تعيشها المنطقة، حيث دخل العثمانيين البحر المتوسط في البداية من خلفية دينية بدافع الجهاد، لأنه واجب يلزمهم باعتبارهم حماة للإسلام، وبما أن منطقة الشمال الإفريقي مهددة من قبل النصارى فضمها للدولة العثمانية أولى من تركها، وبذلك يكون حضورهم رد فعل تلقائي ونوع من النجدة والإغاثة وليس نوعا من الاحتلال لأراضي جديدة وهو الرأي العام الذي يعززه أصحابه بكون سليم الأول لم يتجاوز في خطته مصر رغم أوضاع بلاد المغرب.

كان للصراع في جبهة البحر المتوسط اثر على مسار السياسة الخارجية العثمانية وهي عموما سياسة ترمي إلى الاستفادة من البحر المتوسط الذي ظل مجالا حيويا للاقتصاد الدولي والعثماني بالخصوص، وإن كان البحر المتوسط قد فقد بعض أهميته في لعب دور الصلة والربط بين تجارة الشرق والغرب، فإنه بالمقابل يفتح على مجال آخر وهو المحيط الأطلسي الذي أصبح في صدارة عوامل التسابق البحري الأيبيري والذي لا شك أن العثمانيين أدركوا أو لاحظوا أهميته.

إن عناية العثمانيين بالأسطول كان أمرا ضروريا بالنسبة للدولة بعدما أحكمت الدولة الأيبيرية سياسة الاحتكار والسيطرة وتوجيه الطرق التجارية وما تلا ذلك من تراجع للوساطة الأسيوية والعربية بالخصوص، وللطرق التجارية القديمة.

أن الصراع العثماني الإسباني أذكته مصالح كلا الجانبين، لكن ساهمت فيه أيضا عدة عوامل ومؤثرات ارتبطت بالسياسة الدولية سواء في أوروبا أو في شمال الإفريقي

نلاحظ أن أعلى النسب للحركات التي خاضها الأسطول العثماني في البحر المتوسط تجلت في عهد السلطان سليمان القانوني

إن العثمانيين لم يتجاوزوا في تفوقهم حدود القرن السادس عشر ميلادي، لأنهم دخلوا بعد هزيمة ليبانت في مرحلة دفاع بعد أن كانوا في مواقف هجوم وهو ما حد من خطر الهيمنة العثمانية على البحر المتوسط

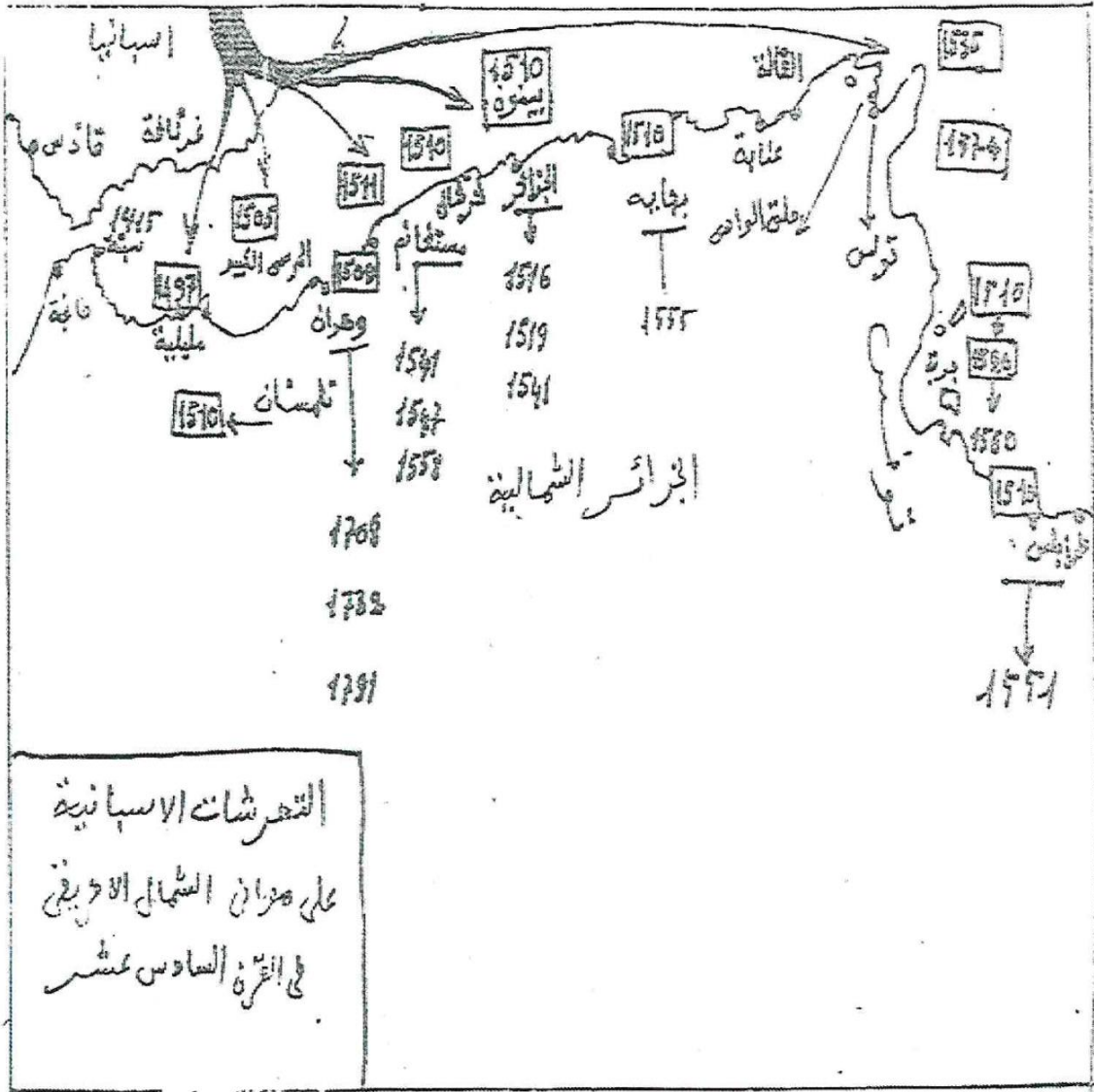
الملاحق

قائمة الملاحق:

- ملحق رقم 01: رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول.
- ملحق رقم 02: خريطة الوضع السياسي للمغرب الأوسط مطلع القرن 16م.
- ملحق رقم 03: باي ولاية تلمسان يقوم بتجهيز سفينة حربية بالأراضي العثمانية والباب العالي يطلب منه معاينة البحارة الذين قاموا بالإغارة والتعدي على سفينة البندقية.
- ملحق رقم 04: صورة تمثل جزيرة رودس في البحر المتوسط.
- ملحق رقم 05: ملحق يمثل طريقة تقديم الهدايا للحضرة الهمايونية باستانبول.
- ملحق رقم 06: خريطة توضح مراحل التوسع العثماني حتى عام 1574م.
- ملحق رقم 07: ملحق يمثل نموذج من المعاهدة البريطانية 987هـ / 1580م.
- ملحق رقم 08: رسالة من السلطان العثماني إلى أمير أمراء الجزائر يطلب منه المشاركة في حصار مالطا 1565م.
- ملحق رقم 09: رسالة من السلطان العثماني إلى أمير أمراء الجزائر يبلغه بمعدات الأسطول المسيحي المجهز لمعركة ليبانت 1571م.



الملحق رقم (02): خريطة الوضع السياسي للمغرب الأوسط في مطلع القرن 16م<sup>1</sup>



1 يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500-1830م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص29.

الملحق رقم (03): باي ولاية تلمسان يقوم بتجهيز سفينة حربية بالأراضي العثمانية والباب العالي يطلب منه معاينة البحارة الذين قاموا بالإغارة والتعدي على سفينة البندقية<sup>1</sup>.

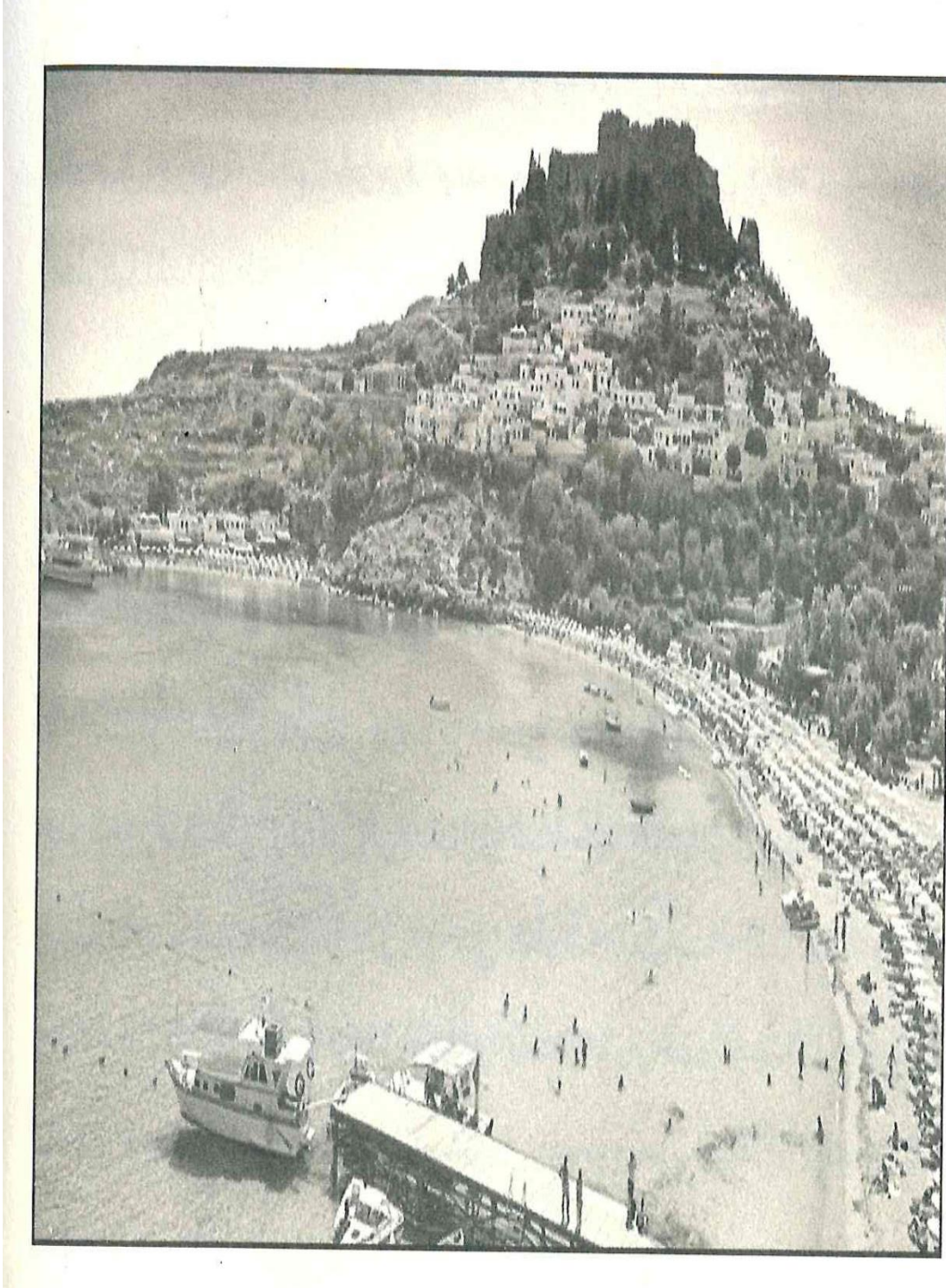
### الوثيقة رقم 3<sup>(1)</sup>

الموضوع : باي ولاية تلمسان برقموز مصطفى يقوم بتجهيز سفينة حربية بالأراضي العثمانية والباب العالي يطلب منه معاينة البحارة الذين قاموا بالإغارة والتعدي على سفينة بندقية :

هذا حكمنا الشريف الى حاكم سنجاق تلمسان السابق المدعو مصطفى برقموز فكما تعلم أنك قدمت بسفنتك الى ميناء فيروزه حيث تم تجهيز سفنتك وأعطينا لك اللوازم الضرورية لتجهيزها. وقد أمرنا محافظ هذه المنطقة بأن يستكمل على بقية آلات الحرب والعدد الكافي من المجدفين. هذا وإن أهل جزيرة نعصة (؟) التابعة الى ولاية قارلي والذين هم من الكفار العصاة قد قاموا بالاعتداء على إحدى السفن التابعة للبندقية وعليه نأمرك بالتبع والتفتيش على أهل العناد والفساد والقبض عليهم والعمل على حفظ تلك الأطراف. وعليك باعلام الباب العالي حول تفاصيل ذلك العدوان في دفتر خاص.

<sup>1</sup> مهمة دفترى رقم 12 ص 549 تاريخ 1572م. نقلا عن: إدريس الناصر رائيسي، المرجع السابق، ص 379.

ملحق رقم (04): صورة تمثل جزيرة رودس في البحر المتوسط<sup>1</sup>.



<sup>1</sup> أنس يوسف الزيود، العصر العثماني " قادة الفتح الاسلامي " ، دار الأسرة للنشر والتوزيع، عمان، 2019، ص118.

ملحق رقم (05): ملحق يمثل طريقة تقديم الهدايا للحضرة الهمايونية<sup>1</sup>.

الجمهورية الجزائرية  
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الامانة الصامة

الجزائري :

دفتر : خط همايون

عدد : 57416

تاريخ : 1203

المغرب : فكري طونا

لتتوايهم غدا الى الباب

الخط الهمايوني

صاحب القوة و الكرامة و القدرة و المهابة  
سيدي و ولي نعمتي .

انه قد حصل ظم لدى عمداكم بمقتضى مضمون الخط الهمايوني انه سوف  
يتم تعيين الوقت المناسب من طرف المقام الهمايوني لتقديم الهدايا من طرف الجزائريين  
الى الحضرة الهمايونية ، وبما ان الرسم المتبع و العادة الجارية في السوى تقضي احضار  
الجزائريين المذكورين الى الباب ليتم استقبالهم من طرف السلطان و ذلك قبل اجراء مراسيم  
تقديم الهدايا الى المقام انشاهاني تقرير احضارهم باذن الله تعالى الى الباب لملاقات  
السلطان غدا الاربعاء او بعد غد الخميس ، ثم بعد ذلك يتم اجراء مراسيم تقديم الهدايا  
التي بمحيتهم الى الحضرة الشاهانية في الوقت الذي يتعين بموجب الارادة الشاهانية و الامر  
و الفرمان بهذا الشأن لصاحب القوة و الكرامة و القدرة و المهابة سيدي و ولي نعمتي و  
بادشاهي المحترم .

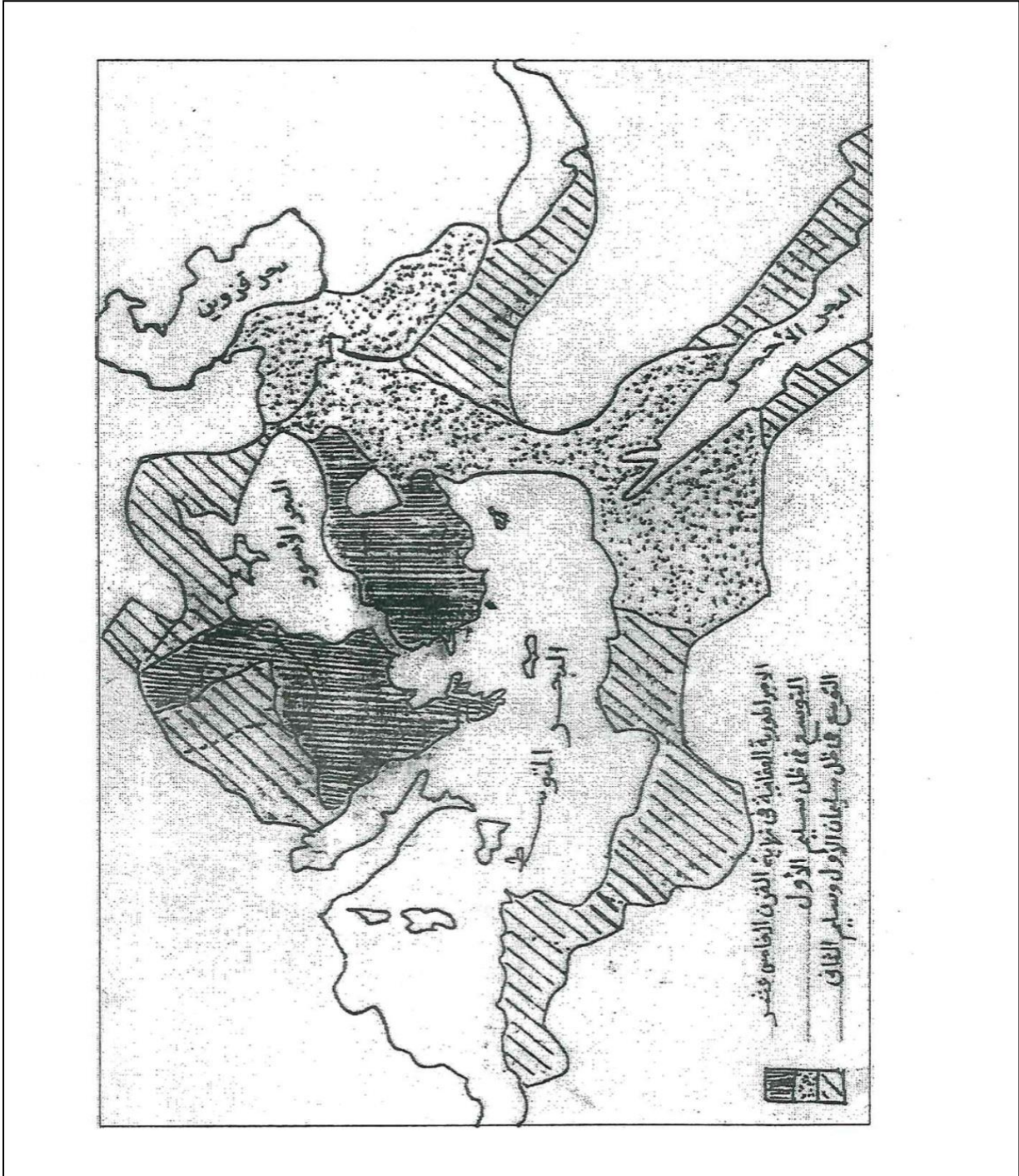
<sup>1</sup> خط همايوني عدد 57416 تاريخ 1203 هـ/1785م.

سید یارین جو یہ کھڑے تھے

سوکھو کراسلو ماہانو قندلو رطلتم اشم  
 خیر لور ہدیہ تقدیم اید جکاری لوف یونلندین یسین وانبار سید یوسفی ظاہر یونلندین علم سید کا نام ان  
 ہدیہ دن اول بولہدیہ ترخہ شور کتور دیای کور و ستان کم امانہ نہ منقہی یازکی جارتیہ و یا شورہ جیستہ کور  
 و بیعت ترقی کون ارادہ سیر یادگیس ہدیہ لری اوزوف تقدیم اوزوف خٹکھان اسر خان سکو کراسلو ماہانو  
 یاد نام خٹکھان

416 |

ملحق رقم(06): خريطة توضح مراحل التوسع العثماني حتى عام 1574م<sup>1</sup>.



<sup>1</sup> أحمد سالم، استراتيجية الفتح...، ص 302.

ملحق رقم(07): ملحق يمثل نموذج من المعاهدة العثمانية البريطانية 987هـ/1580م<sup>1</sup>.

**البند الأول:** في ظل احترام الطرف الأول - ملكة إنجلترا - لشروط الاتفاقية وشيوع السلم والأمن ، فإنه من جهمتنا أي السلطان ندعو إلى عدم التحرش أو التسبب في إشكاليات لرعايا الذين يأتون بممتلكاتهم و بضائعهم و سلعهم سواء بواسطة سفنها الشراعية أو سواها عبر البحر ، وكذلك رعاياها المسافرين عبر أراضي الدولة و دوابهم و بضائعهم و ممتلكاتهم ، وفي المقابل فإنه يتعين عليهم الانشغال بعملهم و واجباتهم المعتادة فقط .

**البند الثاني:** اذا سافر أو قدم رعاياها للأراضي الخاضعة لسيادتنا وأمننا أو غيرها من المقاطعات التابعة لنا ، فإنه لا يمكن احتجازهم تحت أي ظرف طالما أنهم يقومون بعملهم بصورة سليمة وعليه فإنه يجب إطلاق سراحهم ثانية .

**البند الثالث:** تحظى جميع السفن والمراكب الإنجليزية القادمة و المغادرة للموانئ والمرافئ الخاضعة لسيادتنا وبقية الموانئ في المقاطعات التابعة لنا بالسلم والأمن .

**البند الرابع:** يجب على طاقم الأسطول العثماني أو سواه تقديم المساعدة خلال العواصف البحرية التي تعصف بأولئك الرعايا ، أو في أي لحظة يحتاجون فيها ليد العون ، وكذلك فإنه لا يجوز لاح دان يمنعهم او يشق عليهم للحصول على احتياجاتهم من المؤونة و الغذاء مقابل الماء.

**البند الخامس:** في حالة طرح البحر سفنهم على الشاطئ ، فإنه يتعين على القضاة والعمال وغيرهم تقديم المعونة ، ويجب إعادة الممتلكات والبضائع الناجية إليهم دون أي أذى

**البند السادس:** لايجوز إعاقة الانجليزيين المسافرين برا وبحرا طالما انهم يلتزمون بعملهم ، ولا التحرش بهم او إيجاد المشكلات لهم .

**البند السابع:** يسمح للتجار والمترجمين المرافقين لهم بالدخول لأراضينا الآمنة برا وبحرا ، والقيام بالبيع والشراء والتبادل التجاري ، ولا يجوز لأي شخص من أمراء البحار و العسكر إعاقة التجار الانجليز في قدومهم و مغادرتهم او التحرش بهم هم وعملهم و بضائعهم ودوابهم ، وذلك بعد دفعهم للضرائب بموجب القانون الخاص .

**البند العاشر:** في حالة ممارسة التجار والتراجمة والقناصل التابعين لانجلترا وكذلك رعايا الأراضي التابعة لها لعمليات البيع والشراء والمتاجرة وتقديم الضمانات وغيرها من الأنشطة الشاملة لقانون الشريعة في أملاكنا الآمنة ، فإنه يجب عليهم تسجيل أنشطتهم لدى القاضي في السجلات أو الحصول على حجة أو شهادة منه ، وعند نشوب أي خلاف يجب التثبت من سجلات القاضي و التصرف في ضوء محتوياتها ، أما في حالة فقدان أو غياب احد هاذين البرهانيين - السجل والحجة - وادعاء التجار بخلاف القانون المقدس وبصورة باطلة ، فإنه ترفض دعواهم ويتم منعهم من الاستمرار في عملية المخادعة .

**البند الحادي عشر:** إذا ادّعى شخص على احد الانجليز النصارى بأنه أهان العقيدة والدين الإسلامي ، فلا يجب قبول أي شهادة كاذبة بغرض الترويع والإيذاء مما يخالف قانون الشريعة ويتعين منعه من تحقيق ذلك .

**البند الثالث عشر:** إذا عثر على عبيد تابعين للرايا الانجليز وبعد التأكد من كونهم انجليز فإنهم يسلمون لهم شريطة ان يتم ذلك من خلال القنصل .

**البند الخامس عشر:** لا يسمح بوضع العراقيين أمام القناصل المعينين في الإسكندرية وطرابلس والشام والجزائر وتونس والقاهرة وطرابلس والشام والجزائر وتونس والقاهرة وطرابلس الغرب وغيرها في حالة استبدالهم بأخرين من الرجال الأكفاء لشغل تلك المواقع .

**البند السادس عشر:** إذا انشغل التراجمة فإنه يجب تأخير الأعمال المهمة مثل المرافعات القانونية حتى وصولهم وتفزعهم ، وفي المقابل فإنه لا يجوز استخدام الحجج الواهية للتغيب عن المحكمة ، ويجب استخدام الحث التراجمة على الاستعداد التام .

**البند السابع عشر:** في حالة حدوث خلاف بين الانجليز أنفسهم فان السفير المذكور او القنصل هو الذي يتولى الفصل بينهم بموجب أعرافهم ، ولا يجوز لأحد منعهم من ذلك .

**البند الثامن عشر:** إذا أسرت بعض القوارب الشاذة بعض الانجليز بعد توقيع هذه المعاهدة عهد نامة وتم جلبهم إلى الروملي أو الاتاضول بغرض بيعهم ، ففي هذه الحالة يجب القيام بالتحقيق أولا بكل حرص ومهارة ، ثم معرفة من قام ببيعهم ، وبعد ذلك فان تحول الأسير إلى الإسلام فعلى المالك تحصيل ماله من البائع مع إطلاق سراح الأسير فورا .

**البند التاسع عشر:** إذا التقت السفن والمراكب و الأساطيل التابعة لنا بنظيرتها البريطانية في عرض البحر فيجب إظهار الصداقة لبعضهم البعض وعدم القيام بأي عمل ضار أو مدمر .

**البند العشرون:** تمنح بريطانيا جميع البنود المكتوبة و المسجلة التي حصلت عليها فرنسا والبندقية و الملوك الآخرين من أصدقاء الدولة بموجب المعاهدات المبرمة معهم ، ولا يسمح لأحد بوضع العراقيين أمامهم او التحرش بهم مما يخالف قانون الشريعة ومعاهدتنا المكتوبة .

**البند الحادي والعشرين:** يجب حماية وصيانة السفن والمراكب الانجليزية في أراضينا حتى تغادر بالسلامة .

**البند الثاني والعشرين:** إذا نهبت بضائعهم وممتلكاتهم فيجب القيام بمحاولات واجتهادات للبحث عن طاقم السفينة وتقديم الجناة للعقاب المناسب ، وعلى تابعي السلطان جميعا من البيلا بيك وأمراء البحار السنجق بيك و القضاة والمحافظين و المتطوعين الالتزام بمغزى هذه الاتفاقية وعدم السماح بمخالفتها ، وأخيرا فإننا سنلتزم بشروط هذه الاتفاقية ونطبقها طالما التزموا - أي الانجليز - بالصدق و الإخلاص ولن نسمح بخلاف ذلك أبدا .

<sup>1</sup> ياسر بن عبد العزيز، ج1، المرجع السابق، 300-303.

ملحق رقم(08): رسالة من السلطان العثماني إلى أمير أمراء الجزائر يطلب منه المشاركة في حصار مالطا<sup>1</sup>



<sup>1</sup> علبة رقم 01 مهمة دفترية 06 حكم 565 صفحة 266 تاريخ 972/5/25هـ.

## قائمة الملاحق:

ملحق رقم (09): رسالة من السلطان العثماني إلى أمير أمراء الجزائر يبلغه بمعدات الأسطول المسيحي المجهز لمعركة ليبانت.<sup>1</sup>

  
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية  
الإمارة العامة

الجزائر ق :

مهمة دفترى رقم 16 ص 24 حكم رقم 40

بتاريخ 979/5/28

اعلى الى احمد جاوش قبي 979/5/28

حكم الى أمير أمراء جزائر الغرب

ارسلت خطابا تعلم فيه ، انه اثنا\* جمع الذخيرة والمهمات لاسطول الهمايوني بموجب الحكم المرسل ، وقد تم ارسال قائلتيون الى تونس واخرين الى اطرافه قتلوا ) وان تلك القائلتيات تمكنت من اخذ بعض الاسرى من اسطول الكفار المقيور ، وبعد استجوابهم الاسرى ، فقد اقروا بان سفن وقادرات الكفار ( البندقائين ) بما في ذلك سفن اسبانية المراكبة في كريت بلغ عددها مائتين وثلاثين قاذرة وسبعين فرقية ( ) وثمانية وشرين بارجة وان شقيق تلك اسبانية المدعو دون جوان - الخائب - وقد تصيب قائدا عاما عليها وابه قد جهز تلك السفن واعدتها للابحار بها باتجاه كورفوس ( جزيرة كورفو ) كما تعلمنا بان الدستور الكرم زيري وقيوداني يروى باشا - ادام الله اجالته - مهم ومقدم على القيام بالامر المتعلقة بالدين والدولة واعداد اسطول الهمايوني وان جمع ما ذكرت اصبح معلوما بالنقص بعون الله وسببك ، فانك من رجالى القديين والمهتئين بخدماتي الهمايونية ، ان اسطولى المقرون بعزتي يوشك على الرجوع الى مطقة ارحامها انشاء\* الله تعالى ، فاذا كان هناك من يدعوا للحذر في اطراف الغرب ( الجزائر ) فاعني آموك بالاسراع للتوصل الى هناك والعودة لملقاة اسطولى الهمايوني في الربيع المبارك . و امرت :

حال وصوله ، فلا تتعاسر عن بذل القدير في سبيل خدماتي الهمايونية ، وعليك بالاستمرار على ما كنت عليه ، واذا ما وثقت واطلعت على اخبار ولاية الغرب ( جزائر الغرب ) ، واقتضى الامر ذهابك الى هناك ، فلا تتأخر ولا تتوقف لحظة ، وعليك بالقيام بما يجب عليه بمقتضى فرماتي الجليل القدر ، ومن ثم يجب العودة في الربيع الخير للواجب في اسطولى الهمايوني وعيك ببذل واظهار انواع مسامحك الجميلة في سبيل الامر المتعلقة بالدين الصيغ ودولتي الايدية .

تعريب : محمد داود الصبي

<sup>1</sup> علبة رقم 05 مهمة دفترى رقم 16 حكم 40 صفحة 24 تاريخ 979/5/20 هـ.

فهرس الأعلام  
والبلدان والأماكن

حرف (أ)

ابراهيم الشريف ص: 153.

إبراهيم باشا ص: 206.

ابن أبي الضياف ص: 150 - 196.

ابن شكر ص: 151.

أبو الحسن ص: 82 - 83.

أبو السرحان المسعود ص: 81.

أبو العباس أحمد المنصور ص: 164.

أبو العباس أحمد ص: 144 - 145.

أبو حمو ص: 50 - 61 - 80 - 81 - 83.

أبي زكريا الحفصي ص: 31 - 106.

أبي زكريا يحيى بن موسى المغيمي المازوني ص: 29.

أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي  
الطرابلسي القارقاريشي ص: 161.

أحمد المنصور ص: 162 - 165 - 166.

167 - 168.

أحمد بن القاضي ص: 52 - 79 - 80 - 83.

182.

أحمد عرب ص: 146.

إزابيلا ص: 58 - 179.

اسحاق ص: 44 - 50.

إلزابيث الأولى ص: 202 - 233 - 240.

أندري دوريا ص: 225 - 227.

حرف (ب)

بايزيد الأول ص: 57.

بايزيد الثاني ص: 57.

بايزيد ص: 115.

بروديل: 24 - 273 - 274.

بيدرونافار ص: 63.

حرف (ت)

توماس آلان ص: 242.

توماس روي ص: 241.

توماس لانث ص: 231.

حرف (ج)

جون دولافوري ص: 214 - 216.

جون وولف ص: 263 - 287.

جيمس الأول ص: 241.

جيمس فريزل ص: 241.

حرف (ح)

حسن آغا ص: 176.

الحسن الوزان ص: 103 - 284.

حسن باشا ص: 133 - 134 - 160 - 161 -

162 - 163 - 167 - 249.

حسن باي ص: 148.

- حسن بن خير الدين ص: 279.  
 حسن قورصو ص: 160-289.  
 حسين بن القاضي ص: 81.  
 الحسين بن علي ص: 155.  
 حيدر باشا ص: 146-195-196.
- حرف (خ)  
 خمينيس ص: 60.  
 خير الدين ص: 42-44-49-50-51  
 81-82-85-87-111-124  
 126-130-181-182-183-184  
 189-227-228-245-247-249  
 261-269-279-282-288.
- حرف (د)  
 دارغوٲ باشا ص: 129-134-135  
 190-192.  
 دارغوٲ رايس ص: 193.  
 داي حسين خوجة ص: 155.  
 داي شعبان ص: 151-170-171.  
 داي مصطفى ص: 154.  
 دون خوان النمساوي ص: 137-139.  
 دون رايموند دي ص: 58.
- حرف (ر)  
 رمضان باشا ص: 163.  
 حرف (ف)  
 فتحي عثمان ص: 29.  
 فرانسوا الأول ص: 120-175-204  
 208-209-210-212-213-222  
 225-226-228-229.  
 فرديناند ص: 53-58-60-121  
 122-179.  
 فرناندو بروديل: 23-181.  
 فيليب الثاني ص: 161-180-193  
 202.  
 حرف (ق)  
 قارة حسن ص: 48-79.  
 القلقشندي ص: 98.  
 حرف (ك)  
 كارلينديدي ص: 231.  
 حرف (م)  
 مارمول كاربخال ص: 103-284  
 مُجَّد الثابتي ص: 103-  
 مُجَّد الثاني ص: 109-110.  
 مُجَّد الحفصي ص: 150.  
 مُجَّد الشريف العلوي ص: 168-170.  
 مُجَّد الشيخ السعدي ص: 159.

سليم الأول ص: 85 - 112 - 115 - 117 - 183.

سليم الثالث ص: 87.

سليم الثاني ص: 134 - 139 - 195.

سليمان القانوني ص: 57 - 111 - 112 - 116 - 117 - 118 - 119 - 121 - 122 - 123 - 124 - 126 - 133 - 134 - 160 - 184 - 190 - 195 - 201 - 210 - 211 - 212 - 213 - 216 - 222 - 225 - 226 - 229 - 233 - 284.

سنان باشا ص: 190.

حرف (ش)

شارل الخامس ص: 110 - 174 - 175 - 190 - 194 - 208 - 209 - 212 - 213 - 228 - 272.

شارلكان ص: 132 - 173 - 175 - 177 - 178 - 186 - 195 - 224 - 226 - 249.

حرف (ص)

صالح باشا ص: 160.

صالح راييس ص: 81 - 129.

حرف (ع)

عبد الرحمان ص: 62.

مُجّد الشيخ ص: 160 - 161.

مُجّد الفاتح ص: 57 - 111 - 114 - 115 - 125 - 204 - 206.

مُجّد المتوكل ص: 162.

مُجّد باشا ص: 258.

مُجّد باي ص: 149 - 150 - 151 - 152 - 162 - 166 - 190 - 189 - 190.

مُجّد بن عبد الله الثاني ص: 81.

مُجّد بن علي ص: 52 - 83.

مراد آغا ص: 189 - 190.

مراد الثالث ص: 166 - 202 - 230 - 233 - 235.

مراد الثاني ص: 52.

مراد باي الثالث ص: 152 - 153.

مراد باي ص: 148 - 149.

مصطفى باشا ص: 195.

معاوية بن أبي سفيان ص: 27 - 113.

مولاي اسماعيل ص: 169 - 171 - 172.

ميشال أماري ص: 108.

حرف (ن)

ناصر بن خالد ص: 149 - 150.

نيقولاي ايفانوف ص: 245.

حرف (س)

سالم التومي ص: 52 - 63 - 77 - 78 - 79.

- يحيى بن سالم التومي ص: 78.
- يزيد بن معاوية ص: 114.
- يلماز أوزوتونا ص: 202.
- يوسف داي ص: 148.
- عبد الرحمن الوغميسي ص: 29. عروج ص: 42-43 -44 -45 -46 -47 -48 -49
- 50 -51 -57 -78 -79 -80 -82
- 111 -245 -288.
- عبد العزيز: 80.
- عبد الله الزباني ص: 78.
- عبد الله الغالب ص: 161.
- عبد الله ص: 62 -63 -68.
- عبد الملك ص: 162 -164.
- عثمان بن عفان ص: 26.
- علاج علي باشا ص: 135 -139 -165
- 144 -145 -146 -166 -196 -272.
- علاج علي ص: 194 -195 -249 -270
- 279.
- علي آغا ص: 242.
- علي باشا ص: 150.
- علي باي ص: 149.
- حرف (ه)
- هنري بيران ص: 28.
- هنري الثاني ص: 229.
- حرف (و)
- وليام هاربورن ص: 236.
- حرف (ي)

أمريكا اللاتينية ص: 149.	حرف (أ)
الأناضول ص: 111-	أدرنة ص: 116.
إنجلترا ص: 203- 208 -231 -234	أرزيو ص: 106.
235- 236 -237 -239 -241 -242	إسبانيا ص: 42- 46 -53 -59 -64
257- 261 -274 -280.	65- 76 -81 -111 -119 -125
الأندلس ص: 24- 30 -40 -46 -59	127- 128 -133 -135 -136
69- 76 -157 -165 -174 -178	137- 138 -161 -172 -173 -177
283- 284 -287.	178- 179 -180 -181 -188 -192
أوروبا ص: 91- 94 -98 -99 -109	194- 203 -208 -216 -227
110- 112 -113 -115 -117	229- 239 -240 -241 -246 -253
118- 119 -123 -126 -135	272- 273 -274 -275 -276 -280
164- 174 -175 -176 -180 -185	288- 290.
188- 192 -193 -201 -203 -204	استانبول ص: 40- 116 -118 -121-
208- 209 -210 -212 -213 -216	123- 125 -126 -136 -137 -144
224- 226 -231 -246 -249 -250	167- 184 -227 -236 -240 -246
271- 272 -275 -283 -291.	251- 253 -258 -260 -262.
أوروبا الشرقية ص: 110.	إسلندا ص: 250.
أوروبا الوسطى ص: 201.	آسيا الصغرى ص: 111- 112.
إيران ص: 124- 126.	آسيا ص: 42- 110 -111 -203.
إيطاليا ص: 91- 96 -99 -110 -120	إفريقيا ص: 26- 111 -187 -203-
125- 126 -127 -128 -173 -176	245- 284.
187- 209 -226 -229.	ألمانيا ص: 109- 124 -125 -128
حرف (ب)	173- 176 -216 -275.
	إمارة كوكو ص: 34- 36.

تلمسان ص: 36-37-49-50-51  
 103-156-158-159-160-161  
 168-174-285-286.  
 تنس ص: 35-43-106-285.  
 تونس ص: 32-34-37-43-44  
 47-75-133-143-144-146  
 147-148-149-151-152-153  
 154-155-174-175-178-184  
 185-186-188-190-191-193  
 194-195-196-246-248-251  
 -254  
 حرف (ج)  
 288-290-291.  
 جربة ص: 43-52-82-84-134  
 190-192-193.  
 جرجرة ص: 34-36.  
 الجزائر ص: 26-32-33-35-36-38  
 43-44-47-48-49-51-53  
 55-62-63-64-66-69-74  
 77-78-79-80-81-83-85  
 86-109-120-128-133-135  
 136-138-139-140-143-144  
 145-147-148-149-151-152  
 153-154-155-156-157-158  
 159-160-161-164-166-167

الباب العالی ص: 154-230-239  
 241-247-253-254-258-260  
 262-263-264-267-269-271.  
 بجاية ص: 29-35-43-45-46-74  
 82-108-177-285.  
 البرتغال ص: 127-128-156-163  
 164-165-239-274.  
 بريطانيا ص: 250-252.  
 البلغار ص: 111.  
 بلغراد ص: 111-113-119.  
 البلقان ص: 40-93-110-112.  
 البندقية ص: 91-92-93-94-95  
 96-97-98-102-104-116  
 117-125-126-128-132-136  
 137-138-139-140-204  
 208-225-230-232-257-274.  
 بني مرين ص: 44.  
 بولونيا ص: 229-235.  
 بونة ص: 105.  
 بوهيميا ص: 93.  
 بيزة ص: 91-92-98-99-101  
 107-108.  
 حرف (ت)  
 تبسة ص: 144.

حرف (خ)	-173 -172 -171 -170 -169 -168
خرسان ص: 30.	-183 -182 -181 -177 -176 -174
حرف (د)	-195 -194 -190 -188 -185 -184
الدانمارك ص : 274 - 280.	-241 -240 -233 -231 -207 -196
دلس ص: 178 - 285.	-251 -249 -247 -246 -242
الدولة البيزنطية ص: 203.	-258 -257 -256 -251 -254 -253
الدولة الزيانية ص: 33.	-267 -264 -263 -262 -261-260
الدولة العثمانية ص: 40 - 42 -56 -57	-276 -274 -273 -272 -269 -268
-84 -85 -112 -115 -117 -118	-287 -285-282 -280 -277
-126 -127 -132 -133 -134 -136	جزيرة كورفو ص: 129.
137 - 140 -146 -147 -156 -158	جزيرة كوفرو ص: 225.
-164- -165 -168 -172 -178	الجمهورية الايطالية ص: 26 - 30 -31
-181 -182 -183 -188 -192 -196	91 -100 -101.
-198 -199 -200 -201 -203 -204	جمهورية راجوسا ص: 203-232.
-205 -207 -208 -209 -216 -222	جنوب أوروبا ص: 31.
-223 -224 -229 -230 -233 -234	جنوة ص: 92 -95 -96 -97 -98 -99
-235 -239 -245 -246 -250 -251	-101 -104 -105 -106 -107 -108
-253 -254 -256 -257 -258 -261	-111 -120 -126 -128 -204 -230
-262 -263 -264 -267 -268 -269	-232
270 -241 -282.	جيجل ص: 38 -46 -47 -52 -232
حرف (ر)	264 -276.
رودس ص: 111 - 112 -113-114	حرف (ح)
-115 -116 -117 -119	حلق الواد ص: 145 -146 -162 -185
روسيا ص: 93-208.	191 -195 -196-246.

صقلية ص: 32 -125 -135 -145  
 195 -227 -229 -280  
 حرف (ط)  
 طرابلس الغرب ص: 185 -187 -188  
 189 -190 -193 -238  
 طرابلس ص: 64 -133 -135 -145  
 178 -193 -195 -245 -248 -251  
 254  
 حرف (ع)  
 عكا ص: 27  
 عنابة ص: 37 -186 -285  
 حرف (غ)  
 غاليبوي ص: 57  
 غانا ص: 37  
 غرناطة ص: 36 -45 -66 -179 -180  
 286  
 غينيا ص: 37  
 حرف (ف)  
 فاس ص: 33  
 فرنسا ص: 86 -111 -119 -123  
 125 -127 -137 -171 -175 -192  
 198 -206 -208 -209 -210 -212  
 213 -214 -216 -217 -218 -219  
 223 -224 -227 -229 -230 -231

روما ص: 124  
 ريو دوسلادو ص: 51  
 حرف (س)  
 الاسكندرية ص: 214 -217 -221 -238  
 سجلماسة ص: 37  
 سردينيا ص: 111 -280  
 سردينيا ص: 208  
 سكيكدة ص: 37 -105  
 سنورقا ص: 111  
 السنيغال ص: 37  
 السودان ص: 37 -40  
 سوريا ص: 28 -40  
 السويد ص: 208  
 حرف (ش)  
 الشام ص: 29 -40 -91 -95 -105  
 109  
 شرشال ص: 74 -79 -178 -285  
 288 -290 -291  
 شمال إفريقيا ص: 28 -31 -43 -59 -95  
 104 -109 -129 -138 -146 -177  
 233 -246 -248 -272  
 حرف (ص)

-134 -133 -132 -118	مالطا ص: 118-132-133-134	-272 -253 -252 -239 -237 -236	288.
189 -188 -187 -185 -176 -135			
-280 -257 -190 -			فلسطين ص: 27.
-37	مالي ص: 37-	-108 -101 -98 -95 -91	فلورنسا ص: 91-95-98-101-108-
	مايورقا ص: 111.	204 -120	
	متيجة ص: 36.		حرف (ق)
	المجر ص: 119.		القالة ص: 37.
	المحيط الهندي ص: 127.		قبرص ص: 112.
	المدينة ص: 49.		قرطاجة ص: 186-196.
-62 -61 .59-37 -35	المرسى الكبير ص: 35-37-59-61-62-	-110 -105 -93 -40	القسطنطينية ص: 40-93-105-110-
.246 -177 -133 -103		.267 -217 -179	
.274 -227 -221	مرسيليا ص: 221-227-274.	-148 -144 -89 -62	قسطنطينة ص: 62-89-144-148-
.108 -106	مستغانم ص: 106-108.	.151 -150	
-95 -88 -42 -40 -29 -28	مصر ص: 28-29-40-42-88-95-	.232 -4	القل ص: 4-232.
.221 -206 -116 -109		-196 -193-191	القيروان ص: 191-193-196-
.171 -49	معسكر ص: 49-171.		حرف (ك)
.107	المغرب الإسلامي ص: 107.	.151 -148 -144	الكاف ص: 144-148-151.
-143 -44 -37 -32	المغرب الأقصى ص: 32-37-44-143-	.230-112	كريت ص: 112-230.
.200 -162 -159 -157 -156		.280	كورسيكا ص: 280.
-26 -25 -24 -23	المغرب الأوسط ص: 23-24-25-26-		حرف (ل)
-74 -71 -65 -62 -33 -31 -30		-245-188	ليبيا ص: 188-245-
-106 -105 -103 -102 -101 -75			حرف (م)
.168 -167 -109 -108 -107			
.49 -36	مليانة ص: 36-49.		

-163 -133 -120 -109 -108 -107  
-172 -177 -246 -288

مليلة ص: 163.  
المهدية ص: 186-189 -192 -246.  
موريتانيا ص: 37.  
حرف (ن)  
نابولي ص: 32-91 -124 -126 -175  
223-227.  
النرويج ص: 208 .  
النمسا ص: 123-124 -125 -175  
194-208 -226 -229.  
حرف (ه)  
هانوفر ص: 208.  
هين ص: 37-38-74 -106 -107  
هولندا ص: 208-237 -249 -252  
257.  
حرف (و)  
واد التافنة ص: 170.  
واد الملح ص: 51.  
وادي الشلف ص: 168-172.  
وادي ملوية ص: 168.  
الولايات المتحدة الأمريكية ص: 208-  
الونشريس ص: 36.  
وهران ص: 35-37 -43 -50 -51 -59  
60-61 -62 -74 -103 -104 -106

# قائمة البيبليوغرافيا

أولاً: المصادر

1- العربية

القرآن الكريم:

1. سورة البقرة، الآية رقم: 216.
2. سورة التوبة، الآية رقم: 41.
3. سورة المائدة، الآية رقم: 54.
4. سورة النساء، الآية رقم: 95-96.
5. ابن إمامة الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، دار الكتب العلمية، [د.ط.]، لبنان، 2000.

2- الأرشيف المنشور المطبوع:

6. خط همايون ، عدد 499 56، تاريخ 1206 هـ / 1791 م.
7. خط همايون ، عدد 57416 ، تاريخ 1203 هـ / 1785 م.
8. ملف الوثائق العثمانية رقم: 3205، الرسالة رقم: 20، المكتبة الوطنية بالحامة الجزائر.
9. علبة رقم 01 مهمة دفترى 06 حكم 565 صحيفة 266 تاريخ 972/5/25 هـ.
10. علبة رقم 05 مهمة دفترى 16 حكم 40 صحيفة 24 تاريخ 779/5/20 هـ.

3- الكتب:

أ- المصادر باللغة العربية:

11. ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971
12. ابن بطوطة(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت770هـ/1368م)، تحفة النظار في غرب الأمصار و عجائب الأسفار، تح: عبد الهادي التازي، المطبوعة الأكاديمية المغربية، 1997.

13. ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تح وتغ: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دار الدعوة ودار سحنون، إسطنبول، ط2، 1992.
14. التمرقوتي أبو الحسن علي بن عمر، النفحة المسكية في السفارة التركية، تحقيق: هندري دي كاستري، المغرب، 1926 .
15. المسعودي أبو عبد الله محمد الباجي ، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1283هـ.
16. القرطبي أبي بكر محمد أبي عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 2007. ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، ج2، المغرب، ط1، 2005.
17. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلماءها، تح : فارس كعوان ، ط 1 ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
18. دوسون مرادجه، نظم الحكم والإدارة للدولة العثمانية في عهد مرادجه دوسون أي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ميلادي، تر : فيصل شيخ الأرض، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1847.
19. الطرابلسي أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون ، "تاريخ طرابلس الغرب" المسمى التذكار فمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تع: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349.
20. الزهار أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1980.
21. المزاري آغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تح: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

22. البلاذري، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف بيروت، 1987.
23. بن ابي دينار، "أبو عبد الله محمد ابن ابي دينار، 1110 هـ/1698م" المؤسس في أخبار افريقيا وتونس، تح: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس 1967.
24. جيمس لندر كاثكارت، مذكرات أسير الداى كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب ، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، الجزائر.
25. الوزان الفارسي الحسن بن محمد (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983 .
26. بن خوجة حمدان ، المرأة، تق، وتغ، وتغ، محمد العربي الزبييري، سلسلة التراث للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
27. الذهبي، العبر في خبر من غير، ج1 تح: محمد زعلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
28. الزركشي (محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ أبو عبد الله، كان حيا سنة 894هـ/1489م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت).
29. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج4، دار المعارف، مصر، 1970
30. عبد الرحمان بن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، الرباط ، 1356/1937.
31. المشرفي الجزائري عبد القادر ، بهجة الناظر في أخبار الداخلية تحت ولاية الإسبانيين بوهران من بني الأعراب كبني عامر، تر: محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972.

32. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد، ت 704هـ/1305م؛ عنوانه الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.
33. المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط. المكتبة الوطنية تونس، رقم 3502
34. مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تص وتغ: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934.
35. التلمساني محمد بن عبد الرحمان ، الزهرة النائرة في ما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحت رقم 2523.
36. محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تق وتغ: محمد الحبيب الهيلة، مج 2، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
37. الجزائري محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتغ: محمد بن الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
38. الناصري أبو العباس أحمد، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح وتغ: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتب للنشر والتوزيع، ج5، ج7، الدار البيضاء، 1956.
39. شالر وليام ، مذكرة القنصل الأمريكي في الجزائر (1816 – 1824 م) تقديم وتعليق : إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر – 1982.

ب- المصادر باللغة الأجنبية:

40. Braudel Fernand, la méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe 02, ed5, V01Colin, Paris 1966.
41. De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque 1515-1830, Ed peroux, 1887.
42. Diogo de Haedo, Histoire des Rios d'Alger, trd, H.D Grrammont, ed grand- Alger- livre.
43. J .de Hammer. Histoire de l'empire ottoman de puis son origine jusqu'à nos jour de puis l'avènement de souleiman 1 jusqu' au premier traité de paix de L'Autriche avec la porte ottomane 1520- 1547.traduire. j.jhell bert.1995.
44. Marmol Carvajal (luis de), Dexripcion générale de Africa, T2, Granada, 1573.
45. Ravillard, Martine, Bibliographie commentée des morisques, Documents imprimés de leur origine à 1982, Thèse inédite, 1980, T2.
46. Venture de paradis , Tunis et Alger au 18ene siècle (mémoire et observateion présenter par : Josèphe cuaq, sandbad, paris , 1983.

ثانيا: المراجع

أ- المراجع باللغة العربية:

47. إبراهيم حسين، سلاطين الدولة العثمانية " عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، (د.ط)، الإسكندرية، 2014م.

48. أبو زيدون وديع ، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2003.
49. أبو علي عبد الفتاح حسن ، الدولة العثمانية و الوطن العربي الكبير، (د، ط)، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/ 2008م .
50. أبو لقمة الهادي مصطفى ، محمد علي الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجماهيرية للنشر والإعلان، ليبيا، ط2، 1999.
51. أجقو علي ، محاضرات في تاريخ ومؤسسات الدولة الجزائرية 1515 م- 1837م، المغرب الأوسط من مجتمع القبيلة إلى مجتمع الدولة، باتتيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية، الجزائر، 2001.
52. أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات مكتبة الحكمة، بيروت، 1958.
53. اشبودان العربي ، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، دار القصبية للنشر والتوزيع ، الجزائر 2007.
54. الأطرش السنوسي، أحمد الشريف، تاريخ الجزائر في خمسة قرون، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
55. ألتر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمد علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989.
56. أندري جوليان شارل ، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي وبشير بن سلامة، ج2، دار النشر التونسية، تونس، ط2، 1978.
57. أوزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مر: محمود الأنصاري، م1، ط1، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، تركيا، 1988م.
58. أوغلي إكمال الدين إحسان ، الدولة العثمانية " تاريخ وحضارة"، تر: صالح سعداوي، ج1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، اسطنبول، 1999.
59. أوغلي خليل ساحلي ، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، بحوث ووثائق وقوانين، منظمة المؤتمر الإسلامي ارسिका، اسطنبول، 2000.

60. إيفانوف نيقولاي ، الفتح العثمانيّ للأقطار العربيّة 1516 . 1574م ، نقله إلى العربيّة : يوسف عطالله ، مراجعة مسعود طاهر ، ط1 ، دار الفارابي، بيروت ، 1988.
61. إينالجيك خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة: د، محمد م. الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2002.
62. إينالجيك خليل وآخرون، التاريخ الإقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ط1، دار المدار الاسلامي، لبنان، 2007.
63. بالطيب عبد اللطيف ، أمير البحر مراد راييس الأصغر الجزائري " من الجزائر إلى إرلندا"، ردا على كتاب " القرية المسروقة بالتيemor وقرصان البرابرة"، دار النعمان للنشر والتوزيع، 2014.
64. بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة، الجزائر، 2010.
65. بروديل فرناند ، المتوسط والعالم المتوسطي "تر: مروان أبي سمرا"، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.
66. بروكلمان كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية "الأترك العثمانيون وحضارتهم"، ترجمة: نبية أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، ج3، 1949.
67. برون جفري ، تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المرزوقي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
68. برونشفيك روبر، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988.
69. بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 1981.
70. بن النعمان إسماعيل ، مدينة دلس (تادلس) دراسة تاريخية وأثرية خلال العهد الإسلامي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

71. بن خروف عمار ، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
72. بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي ، الجزء الأول ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2006.
73. بن عمرو الطمار محمد ، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
74. بنوجيت يوسف ، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر الميلادي، تر: سامية سعيد عمار، تق: محفوظ قداش، الجزائر، 2007
75. بوحوش عمار، تاريخ الجزائر السياسي من البداية وإلى غاية1962، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.
76. بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
77. بوعزيز يحيى، الموجز في التاريخ، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
78. بوعزيز يحيى، وهران عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
79. بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
80. بوعزيز يحيى، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.

81. بيات فاضل، الدولة العثمانية في المجال العربي "دراسات تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا مطلع العهد العثماني أوسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007
82. تابلت علي، معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية (1619-1830م)، ج2، منشورات ثالثة، الجزائر، 2014.
83. التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج6، مطابع فضالة، الجزائر، 1997.
84. التميمي عبد الجليل، العثمانيون والبحر الأبيض المتوسط "الإشكاليات والمقاربات الجديدة"، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم 109، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 2003.
85. جبودة محمد عبد الله مريم ، التجارة في إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدوي والحفصي (555-915هـ/1160-1510م)، جامعة الزاوية -ليبيا، ط1-2013.
86. الجمل شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث "تونس-الجزائر- طرابلس- المغرب الأقصى"، المكتبة الانجلو الأمريكية، مصر، ط1، 1977.
87. الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1983.
88. حرب محمد ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ،(د.ط)، القاهرة، 1414هـ/1994م.
89. حركات إبراهيم ، المغرب عبر العصور، ج2 دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1984.

90. حناوي محمد ، جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قبيل القرن العاشر للميلاد، ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، خلال القرون الوسطى، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، المغرب- 1995.
91. الحويلي عزام ، الدولة العثمانية ج1، دار البداية عمان، الأردن، 2015.
92. خلاصي علي ، البحرية الجزائرية عبر التاريخ، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، منشورات المتحف المركزي للجيش، الجزائر، 2007 .
93. دراج محمد ، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543م، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012.
94. الدوري رائد سامي حميد ، معاهدة الامتيازات العثمانية الإنجليزية لعام 1580 "أسباب عقدها - بنودها- نتائجها" دراسة تحليلية تاريخية، جامعة تكريت، كلية التربية للبنان، العراق.
95. الذهبية نفيسة ، الدولة العثمانية في مجالها المتوسطي خلال القرن 16م بين استراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم 109، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1.
96. راشد عصمت زينب ، تاريخ أوروبا الحديث، ج1، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).
97. رائسي إدريسي الناصر ، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر ميلادي، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان ، 1428هـ/ 2007م.
98. ركيبي عبد الله ، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز، دار الحكمة، ج1، (د.ط) ، الجزائر، 2010.
99. روجرز ب.ج. ، تاريخ العلاقات الانجليزية - المغربية حتى عام 1900، ترجمة ودراسة وتعليق: بونان لبيب رزق، ط1، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981.
100. روسي ايتوري ، طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا، تر وتق: خليفة محمد التليسي، المشأ العامة للنشر والتوزيع، ط2، 1985، طرابلس، 1985.

101. الزاوي أحمد الطاهر، ولاية طرابلس الغرب من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد العثماني، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت 1970.
102. الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
103. الزبيري محمد العربي ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1985.
104. زروال محمد ، العلاقات الجزائرية الفرنسية " 1791-1830"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (د.ط)، الجزائر، 2009.
105. الساحلي حمادي، فصول في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1999.
106. سالم أحمد ، إستراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012.
107. سالم أحمد ، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للمتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2011.
108. سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زبايدية، دار القصبة، الجزائر، 2006.
109. سخري محمد الطاهر ، مختصر تاريخ الدولة العثمانية، مطبعة المعارف، ط1، ج1، الجزائر، 2008.
110. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي " 1500 - 1830"، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1998.
111. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط3، ج3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990.

112. السعداوي إبراهيم محمد ، مرسى صفاقس وحركة الجهاد البحري حتى مطلع القرن التاسع عشر، ضمن اعمال ملتقى المدن المراسي في تاريخ المغرب، في أيام 27-29 أكتوبر 2010، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، 2013.
113. السعيد حبيب كمال، الأقليات السياسية في الخبرة الإسلامية ط1، مدبولي القاهرة مصر 2002.
114. سعيدوني ناصر الدين، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، ج4، الجزائر، 1984.
115. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792، 1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.
116. السلاوي أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، المغرب، 1955.
117. سماعيلي زوليخة ، تاريخ الجزائر " من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال "، دار الدزاير أنفو، الجزائر، 2013.
118. السيد محمود، تاريخ دولة المغرب العربي "ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب- موريتانيا- مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية.
119. سيدهم فاطمة الزهراء، العلاقات الجزائرية الفرنسية ما بين " 1790- 1830م"، دار كوكب العلوم، ط1، الجزائر، 2013.
120. شحاتة إبراهيم حسن، أطوار العلاقات المغربية العثمانية، قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510- 1947م)، الاسكندرية، 1981.
121. الشداوي عبد السلام ، ج2، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ط2005، 1.
122. شوفالية كوربين، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر "1530-1541"، ترجمة: جمال حمدانة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

123. شوكت محمود ، التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية " 1362-1826م"،  
تر: يوسف جميل نعيسة، محمود علي عامر، ط1، دار الإعصار العلمي للنشر  
والتوزيع، دمشق ، 2017.
124. شويتام أرزقي ، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي " الفترة  
العثمانية 1519 - 1830 م "، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع،  
الجزائر، 2010.
125. شويتام أرزقي ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره " 1800-  
1830"، ط1، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
126. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(926-1246هـ  
/ 1519-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،  
2009.
127. الشيخ رأفت ، تاريخ العرب الحديث، مطابع دار روتابرينت، 1994.
128. الصباغ ليلي ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين  
السادس والسابع عشر ميلادي، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1989.
129. الضيفة حسن، الدولة العثمانية الثقافية والمجتمع والسلطة، ( د.ط)، دار  
المنتخب العربي، بيروت، لبنان، 1997.
130. طقوش محمد سهيل ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،  
دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2008.
131. طويل الطاهر، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف  
الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية  
والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2011.
132. عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المركز الوطني  
للدراسات، الجزائر، 2007.

133. عباد صالح ، الجزائر خلال العهد التركي "1514-1830"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
134. العروي عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب من الغزو الإيبيري إلى الاحتلال، المركز الثقافي الغربي، بيروت، ط1، 1999.
135. العريض وليد صبحي، تاريخ الدولة العثمانية" التاريخ السياسي والإداري ودراسات تاريخية"، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، (دم ن)، 2012.
136. العزاوي قيس جواد، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط التشريعية ط2، الدار العربية للعلوم بيروت 2003.
137. العسلي بسام، الجزائر والحملات الصليبية (1547-1791م)، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986.
138. العطري عبد الرحيم، تحولات المغرب القروي أسئلة التنمية المؤجلة، م، ط، ب، الرباط، 2009.
139. عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، دار المعرفة ج2 ، الجزائر، 2006.
140. عمورة عمار، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2002.
141. عنان محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987.
142. عوض عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914م، تقديم أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، 1969.
143. العيادي أحمد مختار، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.
144. عيسى الحسن، الدولة العثمانية" عوامل البناء وأسباب الإنهيار، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2009.

145. الغاشي مصطفى عبد الله، البحر الأبيض المتوسط في الإستراتيجية العثمانية "حالة القرن السادس عشر، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم 109، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 2003.
146. غانم محمد الصغير، المملكة النوميديّة والحضارة النونية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998.
147. غطاس عائشة، الدولة والمجتمع الجزائرية الحديثة ومؤسّساتها ، م ، م ، و ، د والبحث في الحركة الوطنيّة وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، 2004.
148. فاروق عمر ، وآخرون، النظم الاسلامية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1987.
149. فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ج1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966.
150. فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلم للنشر والتوزيع ، ط1، الجزائر، 2002.
151. فرناند بروديل، البحر الأبيض المتوسط (التاريخ والمجال)، تعريب: يوسف شلب، دمشق، 1990.
152. فكاير عبد القادر، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 910هـ-1206 هـ/1505م-1792م، "دراسة تتناول الآثار السلبية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر"، دار هومة، الجزائر، 2012.
153. قدوري الطاهر، النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الأول، كلية الآداب وجدة، 2002-2003.
154. قدوري عبد المجيد، المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر "مسألة التجاوز"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.

155. قرباش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2015.
156. قرباش بلقاسم، العلاقات الجزائرية الإنجليزية الأولى من منظور إنجليزي (1550-1620)، ضمن بحوث ودراسات تاريخية، إعداد وتنسيق: قاصري محمد السعيد، ط1، الجزائر، 2018.
157. قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م، دار الرائد للكتاب، 2010، الجزائر.
158. قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني، الجزائر 1994م.
159. قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
160. كوران أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي (1827-1847م) ودراسة عن الحاج أحمد باي قسنطينة، تر: عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس 1974.
161. كولر بول، العثمانيون في أوروبا، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993.
162. كوندز أحمد آق، سعيد أوزوتورك، الدولة العثمانية المجهولة " 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية" وقف البحوث العثمانية، 2008، استانبول.
163. لاندوا يعقوب، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية "1517-1914م"، تر: جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد، ( د.ط)، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م.
164. لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
165. متولي أحمد فؤد، تاريخ الدولة العثمانية، منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، بترالك للنشر والتوزيع، ( د.ط)، القاهرة، 2005.

166. مجاهد مسعود، تاريخ الجزائر، ج1، مطابع دار الأيتام الإسلامية، القدس، (د.ت).
167. محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشرق للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).
168. محمد سيد أشرف صالح، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط1، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 1517هـ/ 2009م.
169. محمود علي عامر، ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى ليبيا"، الجمعية الثانوية للطباعة، دمشق، (د، س، ط).
170. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا "1492-1792م"، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
171. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1963.
172. المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر "1766-1791م"، سيرته، حروبه أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر 1986.
173. مروش منور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني "القرصنة- الأساطير والواقع"، ج2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009.
174. مزاري توفيق، النشاط البحري بالمغرب الإسلامي، في عهد الموحي والمرابطين، جسور للنشر و التوزيع، المحمدية، الجزائر ط1، 2011.
175. مصطفى أحمد عبد الرحيم ، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط2، بيروت، لبنان، 1986.
176. المطوي محمد العروسي، السلطة الحفصية، دار الغرب الاسلامي بيروت، 1986.
177. المغربي ابن سعيد، كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تح: خوان قرنيط، معهد مولاي الحسن، الرباط، 1958.

178. المنصور حمزة، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008.
179. المؤذن عبد الرحمان و بنجادة عبد الرحيم ، العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطة، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، ط2، الرباط، 2005.
180. مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهبتها قبل 1830م، ج1، دار البعث، قسنطينة، 1985.
181. . المليي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تصحيح محمد المليي، ج1، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989.
182. نادية محمد مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، 1996.
183. نشاط مصطفى، جنوة وبلاد المغرب من 609 - 759هـ/1212-1358م، مطبعة الرباط، 2014.
184. النظام زهراء، العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 109، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 2003
185. نوار عبد العزيز، تاريخ الشُّعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار الفكر العربي ، القاهرة، 1998.
186. نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، دار الحضارة، الجزائر، ط2، 2006.
187. الهادي محمد الشريف ، تاريخ تونس، مؤسسة مراس للنشر، تونس، (دط)، 1980.
188. الهاشمي رحيم كاظم محمد، عواطف محمد العربي شنقارو، الحضارة العربية الإسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2002.

189. الهاشمي محمد، عواطف محمد العربي شنقارو، الحضارة العربية الإسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2002.
190. هريدي صلاح أحمد علي، الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصر العثماني، دراسة وثائقية من سجلات المحكمة الشرعية (923-هـ/1213هـ) (1517م/1798م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988.
191. هلايلي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2008.
192. هلايلي حنفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، سلسلة تراث الجزائر الحديث، الجزائر، 2007.
193. ياغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، (د.م.ن)، 1998.
194. ياغي إسماعيل أحمد، العالم الفرنسي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ/1997م.
195. يحي جلال ، أوروبا في العصور الحديثة، ( د.ط)، الإسكندرية، مصر، 1981م.

ب- المراجع باللغة الأجنبية:

196. Blehamissi, Moulay, Histoire de la marine (1516- 1830), Alger, ENAL, 2<sup>ème</sup> ed, 1986.
197. Christophe Picard, la mer et les musulmans d'occident au moyen âge (VIII- XIIIe siècle), Paris, P.U.F, 1997.
198. De Grammont, Histoire d'Algiers sous la domination turque, Edition.Leroux,paris 1887.
199. Demas Laterie , Relations et commerce de l'Afrique Septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge, Paris, librairie de Firmin-Didot, 1886.

200. Dufourcq ch. Aperçu sur le commerce de Gênes et le Maghreb au 13<sup>e</sup> siècle, dans Economies et sociétés Paris, ,au Moyen âge– Mélanges offerts a E .Perroy– Paris– 1973.
201. E.Cat, petite Histoire de L'Algerie, tome 1, Adolph Jourdan, Alger, 1888.
202. Henri Pirenne, Mohamed et Charlemagne, nouvelles société d'édition, Paris,1937.
203. E.Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale, vol 3, paris, 1891
204. Edward cat, petite histoire de l'Algérie Tunisie – Maroc, adolphjourden, Alger, T1, 1888.
205. Ernest Mercier, Histoire de constantine ,and.J Malle et F.Birpon, imprimeur éditeur, 1903.
206. F.A.Knight, relation of sevenyearsslaveryunder the turks of Algerian Suffered by on englishcaptive :ercghqhtmlondon, 1640, pp.70,75.
207. George carles.la Turquie economiqueetude comparative de commerce Français et les étranger . paris.1906.
208. Henri garrot, Histoire général de l'Algérie, Imprimerie perexenza bastion, 1910.
209. Landa, R.(G), «les morisques comme les représentents de la civilisatio Andalous au Maghreb» In Actes du IV<sup>e</sup> Syposium international du C.I.E.M. «histoire moris ques» Etudes réunies par Abdeljalil Temimi, Geromidi, Tunis .1190.
210. le Baron .de testa. Recueile des Traités de la porte ottoman avec les Etrangeres. Amayot et diteur des archives diplomatique. T1. Paris.

211. M, Gaid, l'Algérie sous les Turques, Alger, éd Mimouni, 2<sup>ème</sup> ed, S.D
212. M.Lecote De Saint- priest .Mémoire sur L'ambassade de France en Turquie et sur le commerce des Français dans le levant. Librairie de la société asiatique.Paris.
213. Mahfoud kaddache , l'Algérie durant la période ottoman, office des population universitaire, Alger, 1992.
214. Molay, Belhmissi, Histoire de mostaganem des origines à nos jours, Alger, SNED.Alger, 1982.
215. Paptstinpoyoulet.Histoire de constantinople de puis le bas l'empire ottoman. T2. Paris. 1835.
216. Robert ,C .Devis , Christian slave, Muslim masters, White slavery in the Mediterranean, the Barbary coast and Italy, P. Algrave Macmillan, 2003.(v)Lustky, Modern History of the Arab countries, Progress publishers, Moscow, 1969.
217. Roland et Jean Didieu Gros (Clandine), Moi Barbarous pirate et roi de barbarie, Castelman, collection Bruscelle, 1984.
218. Sakina Missoun, Alger à l'époque ottomane de la médina et la maison, traditionnelle.I.N.A.S. Alger, 2003.
219. Scipion Marin. conduite de France envers la Turquie.Grignbert et Dopes Libraires.Paris.1840.
220. that Most influenced the course of History ,Book-Martpress,Unite states of America,2001.
221. William Weir , 50 Battles that changed the world , the conflicts that Most influenced the course of History ,Book-Martpress,Unite states of America,2001.

ج- الدوريات:

222. توتشيش إبراهيم القادري ، الجاليات المسيحية بالمغرب أيام الموحدين، مجلة الاجتهاد، العدد 28، السنة السابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة، بيروت، 1995.
223. المدني أحمد توفيق، "الدولة الجزائرية تدافع عن استقلالها ضمن الجامعة العثمانية"، مجلة التاريخ، ع 7، الجزائر 1979.
224. متولي أحمد فؤاد ، البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي في ضوء الوثائق العثمانية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد الرابع، 1400هـ/1980م.
225. محمود كاظم إلهام و الغزالي مشتاق بشير: اضطهاد مسلمين الأندلس "المورسكيينMoriscos" في عهد شارل الأول "كارلوس الخامس" 1516 - 1556، مجلة كلية التربية للنبات للعلوم الإنسانية، ع 20، جامعة الكوفة، 2017.
226. بن عتو بلبروات ، سلاطين مملكة تلمسان الزيانية في مواجهة الإخوة بربروس 1517 - 1546م، مجلة عصور الجديدة، ع2، 2011.
227. قرياش بلقاسم، الجزائر ودول شمال أوروبا (1600 - 1830م)، مجلة دراسات تاريخية Historigystudies دورية فصيلة محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، ع 2، الجزائر، أبريل 2014.
228. سهيل جمال الدين ، ملامح شخصيّة الجزائر خلال القرن 11هـ /17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، ع 13، الجزائر 2011.
229. بليل حمونة، "دور العمل الجهادي في اقتصاد الإيالة الجزائرية خلال القرن الثامن عشر"، مجلة العصور، ع20، معسكر، ص19.
230. هلايلي حنيفي، التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم لإسلامية، ع 24، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع 2007.

231. هلايلي حنفي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء  
الفرمانات العثمانية "1492-1614" مجلة الحوار المتوسطي، ع 6، جامعة سيدس  
بلعباس.
232. هلايلي حنفي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء  
الفرمانات العثمانية "1492-1614" مجلة الحوار المتوسطي، ع 6، جامعة سيدس  
بلعباس.
233. هلايلي حنفي ، محاولة الجزائر العثمانية توحيد المغرب العربي بين  
الطموحات الاستراتيجية والخلاف السياسي، مجلة الحوار المتوسطي، ع 5، جامعة  
سيدي بلعباس، (د.س.ط).
234. هلايلي حنفي ، مسعودة بوجلال، قضايا البحر الأبيض المتوسط بين الجهاد  
والصليبية من خلال كتابات فرديناند بروديل، مجلة الحوار المتوسطي، ع 15-  
16، الجزائر، مارس 2017.
235. محمد خيضر رابحة، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني (1550م)،  
مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج 6، ع 2، جامعة الموصل، 2008.
236. بهلول ربيعة ، تكوين الكيان الجزائري وتولي خير الدين باشا أميرا عليه، مجلة  
تاريخ المغرب العربي، ع7، جوان 2017، الجزائر.
237. شارف رقية، تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة  
العثمانية الفترة الحديثة، مجلة الدراسات التاريخية، ع 13، كلية العلوم الإنسانية  
والاجتماعية، الجزائر 1433هـ / 2011م، ص135.
238. مبارك زكي، الجهاد البحري في المغرب الإسلامي، "المفهوم الإسلامي  
والمفهوم الغربي المسيحي، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس الرباط، عدد  
خاص بصفحات من الجهاد البحري المغربي، ع 45، السنة 31، 1998.
239. بيونو سلفاتور، العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر  
الوسيط، تر: عمر الباروني، مجلة البحوث التاريخية، مصر، ع12، 1986.

240. حباسي شاوش، أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر (1518 . 1945م) تطوره الشكلي وتحليل مضمونه " الإيديولوجي والسياسي"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 9، 1995، الجزائر.
241. صحراوي عبد القادر، جميل عائشة، التمثيل الدبلوماسي في الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء الغرامات العثمانية، مقال في مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، 2017/02/12.
242. التميمي عبد الجليل، "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541"، المجلة التاريخية المغربية - ع 3، تونس، جويلية 1975.
243. التميمي عبد الجليل، "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541"، المجلة التاريخية المغربية - ع 3، تونس، جويلية 1975.
244. التميمي عبد الجليل ، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519، المجلة التاريخية المغربية، ع 06، تونس، 1976م.
245. "التاريخ الحديث"، دار الفكر العربي للطبع والنشر، مج 12، القاهرة، 2007.
246. عمارة علاوة ، التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط، مجلة الدراسات الإسلامية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 26 سبتمبر 2008.
247. أجقو علي، الدولة الجزائرية الأولى " 1514 - 1830" دراسة مؤسساتية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة باتنة، ع 2، ديسمبر 1994.
248. بن خروف عمار، العلاقات بين الجزائر والمغرب (1517 - 1659)، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، ، مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ، سنة 1406 - 1986م .
249. غراب امحمد رفيق، بوساحة آمال، التحوّلات الإقليمية العربية وانعكاساتها على العلاقات التركية الجزائرية ، "مقال تاريخي" كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر 3 ، الجزائر، مارس، 2019.
250. لمفرجي فاطمة حسين فاضل المفرجي، العلاقات العثمانية الفرنسية 1566- 1540م ، جامعة الإمام الصادق (ع)، كلية الآداب، مجلة سر من رأي، المجلد 11، ع 41، السنة الحادية عشر، حريزان 2015.

251. لكل الشيخ، الإمتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر خلال القرن السادس عشر، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة غرداية.
252. محفوظ قداش، الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصالة، ع52، مطبعة البعث، الجزائر، ديسمبر 1977.
253. محمد جبور، "البحرية الجزائرية أواخر العهد العثماني"، مجلة العصور، الأعداد 12.13.14، 2008-2009.
254. دادة محمد، "تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م"، مجلة عصور الجديدة، ع2، الجزائر، 2001.
255. عامر محمد، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، العددان 117-118، كانون الثاني، 2012.
256. بكرة مريم رزاق، أهمية حوض المتوسط في العلاقات المتوسطية وانبعث النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، ع3، نوفمبر 2015.
257. غطيس مصطفى، المغاربة والبحر خلال العصور القديمة، دورية كان التاريخية، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، ع12، تطوان - المملكة المغربية، 2011.
258. مولاي بلحميسي، الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، ع04، الجزائر، 1968.
259. سعيدوني ناصر الدين، المعاهدات الجزائرية الإسبانية 1791م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد7، 1414هـ / 1993م، الجزائر.
260. الحضيبي ناصر الهادي، الهجمات الصليبية على المغرب الاسلامي واستدعائها لتأسيس إيالات المغرب العثمانية، المجلة الليبية العالمية، ع6، جامعة بنغازي كلية التربية المرج، مارس 2016.
261. سعيدوني ناصر الدين: "نظرة في التاريخ الموريسكي للجزائر خلال العهد العثماني" مجلة سرتا، ع3، قسنطينة، 1980.
262. محمد عبد النبي نجلاء، القرصنة اللاتينية في شرق حوض البحر المتوسط على عصر سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، مارس 2001.
263. العريض وليد، "تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وأثارها"، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، ع24، الأردن، 1997م.

264. الديلمي ياسين أحمد صالح، دور البحرية العربية الاسلامية في فتح الأندلس،  
مجلة العلوم الاسلامية، جامعة تكريت، العراق، ع 6، 1431.

لقواميس والمعاجم والموسوعات:

265. حاطوم نور الدين، تاريخ القرن السابع عشر لأوروبا، ط1، الموسوعة التاريخية الحديثة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1986م.

266. الحميمي عبد المنعم، الدولة العثمانية والمغرب العربي، الموسوعة الثقافية التاريخية والحضارية.

267. الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1996م.

268. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

269. مهدي أحمد، شويخات محمد، الموسوعة العربية العربية، ط3، (د د ن)، المملكة العربية السعودية، 1425هـ/2004م، موسوعة إلكترونية.  
نصار محمد حسين، الموسوعة العربية الميسرة، م1، ط1، المطبعة العصرية، لبنان، 2009.

د - المواقع الإلكترونية

270. مسلم اليوسف، الجهاد البحري أهميته وفضله وبعض مميزاته،  
[http://:qawim.net](http://qawim.net)، الساعة 17:15، اليوم: 2014/03/05.

المجلات والدوريات باللغة الأجنبية:

271. (A) Berbrugger "Notes relatives à la révolte de ben sakheri

" in R.A vol 10, 1866.H.D.DE Grammont, "qu' est le lien de la mort d'AroudjBarbarousse", R.A.N°22, 1878.

272. (G) Delphin, histoire des bacha d'Alger de1515 -1745" in R.H janvier – mars 1925.

273. Alenxander (P), Djaglov, «Mers El Kebir», in R.A, (N°84), 1940.

274. Alloua Amara, Bûna et la littoralisation du pays Kutama, le rôle des villes littorales du Maghreb dans l'histoire, **RM2E–Revue de la Méditerranée**, édition électronique, Tome III, 1, 2016.
275. EL Hadj Mohamed El Moubarek , « Kitabtarithquasantina » in **R.A.N°57**, Par Dournon .
276. Ernest (watbled), "Etablissement de la domination Turque en Algerie", **R.A.N°17**, 1873.
277. F, Braudel, «conflits de refus de civilisation, Espagnoles et morisque au XV le Siècle», in, **Annales, E.S.C. II, Octobre, Décembre1947, N°4**.
278. H, Federman, «sur l'histoire de l'administration du Beylik de Titeri», in, **R.A.N°09**, 1865.
279. H.D de Grammont , Relation entre la France et la régence d'Alger au xv e siècle , **revue africaine , N° 23** (1879).
280. Marcel Colombe," Contribution a l'etude du recrutement de l'odjak d' Alger dans les dernières années de l'Histoire de la régence", in **R.A N°87**, Alger 1943.

**الرسائل والأطروحات:**

281. بن جبور محمد، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17 و18م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية 2002 – 2003.
282. باشر سعيد، المدن المغربية خلال العهدين المرابطي والموحدي، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الوسيط، جامعة ابن مسيك الدار البيضاء، المغرب، السنة الجامعية 1997/1998.

283. باقة رشيد، نشاط جنود الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الوسط- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم السلامية 2007-2008.
284. بليل رحمونة، القناصلة والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية 2010-2011
285. بن علي زكريا، الدولة العثمانية ودول البحر الأبيض المتوسط في عهد بايزيد الثاني وسليمان القانوني، رسالة ماجستير في التاريخ، شعبة الجزائر والعالم المتوسطي في العهد العثماني، جامعة الجلاي اليابس، سيدي بلعباس، 2014/2015.
286. بوجلطي فاطمة، إنعكاسات الإمتيازات الأجنبية على بلاد الشام خلال القرن 19م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، الجزائر 2، 2010-2011.
287. جبار عبد الناصر، بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1990.
288. جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2017-2018.
289. حصام صورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية 2013.
290. حماش خليفة ابراهيم، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830م، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، السنة الجامعية 1988.
291. الحناشي العربي، الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس (1640-1740) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الكفاءة في البحث، إشراف محمد الهادي الشريف، جامعة تونس، السنة الجامعية 1987/1988م، (غير منشورة).
292. حيمر صالح، التحالف الأوروبي ضد الجزائر 1541م، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، السنة الجامعية 2006-2007.
293. زيتوني إسحاق، البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية، مذكرة لنيل الماجستير، غرداية، 2010-2012.

294. سيرتي خالد، المسلمون والبحر مساهمة في دراسة السياسات والتنظيمات البحرية في حوض البحر المتوسط "خلال العصور الوسطى"، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الحسن الثاني المغرب، 2011-2012.
295. شوشان الأسعد، الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، ماجستير جامعة تونس، السنة الجامعية 2009-2010.
296. صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية، 2011، 2012.
297. عطلي محمد الأمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن 17م وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2012.
298. العواد علي عبد الله فاطمة، العلاقات العثمانية الفرنسية (926هـ-974هـ/1552-1566م)، دراسة وثائقية" إشراف عبد الله سراج منسي،(د.م.ن).
299. قاري ياسر عبد العزيز، دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية دراسة تحليلية تاريخية رسالة مكملة لنيل درجة الدكتوراه، تخصص التاريخ الحديث جامعة أم القرى مكة المكرمة المملكة العربية السعودية منشورة 2001.
300. قدوري الطاهر، النشاط البحري في العصرين المرابطي و الموحد، بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الأول، كلية الآداب وجدة، 2002-2003.
301. قدوري الطاهر، النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الأول، كلية الآداب وجدة، 2002-2003.
302. كمال حسنة، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث(1789-1807م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006.
303. كوثر، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات "1711-1830"، مذكرة ماجستير، جامعة الوادي، السنة الجامعية 2013/2014.
304. مصطفى عبد الخالق، علاقة القوى الصليبية في غرب البحر المتوسط بالمغرب الإسلامي في القرنين السادس والسابع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، 1987.
305. معاشي جميلة، الانكشارية والمجتمع ببابليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 2007-2008.

306. الميلىق عبد القادر، العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر ميلادي، "مقاربة سياسية"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، السنة الدراسية 2016 - 2017.
307. هلايلي حنيفي، المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرن 16-18م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، "1999-2000".
308. الودينان خلف بن دبلان بن خضر، الدولة العثمانية والغزو الثقافي حتى عام 1327هـ/ 1909م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة مكة المكرمة، 1410هـ/ 1990م.

# فهرس المحتوى

- مقدمة:..... أ.
- الفصل التمهيدي: الأهمية الجغرافية والسياسية والاقتصادية لحوض البحر المتوسط.....23.
- المبحث الأول: الأهمية الجيوسياسية.....23.
- المبحث الثاني: الأهمية الاقتصادية.....26.
- المبحث الثالث: الأوضاع الداخلية والخارجية للمغرب الأوسط في أواخر القرن 15م....31.
- الفصل الأول: دوافع المد العثماني في المتوسط.....40.
- المبحث الأول: الدوافع السياسية والإستراتيجية للمد العثماني في المتوسط.....40.
- المبحث الثاني: الدوافع الدينية والاقتصادية للمد العثماني في المتوسط.....53.
- المبحث الثالث: الاحتلال الإسباني لسواحل الجزائر مطلع القرن 16.....58.
- المبحث الرابع: مظاهر من أعمال القرصنة على سواحل المغرب الأوسط.....65.
- المبحث الخامس: ردود الفعل المحلية والدولية من التواجد العثماني بالجزائر.....77.
- الفصل الثاني: مراحل التوسع العثماني في البحر المتوسط.....91.
- المبحث الأول: مواجهة نفوذ الجمهورية الإيطالية.....91.
- المبحث الثاني: ضمان المسالك البحرية ومحاولة إحتلال مناطق النفوذ.....109.

المبحث الثالث: المعارك الكبرى ضد الأوروبيين :

- أ- معركة بريفيزا.....126.
- ب- حصار مالطا 1565م.....132.
- ت- معركة ليبانت 1571م.....135.
- الفصل الثالث: الصراع العثماني الأوروبي في المجال المغاربي.....143.
- المبحث الأول: الأوضاع الداخلية في الأقطار المغاربية.....143.
- المبحث الثاني: الأطماع الأوروبية في الأقطار المغاربية ودوافع الإحتلال.....172.
- المبحث الثالث: ظروف إتحاق الجزائر وتونس وطرابلس بالدولة العثمانية.....178.
- الفصل الرابع: التقارب العثماني الأوروبي وانعكاساته.....198.
- المبحث الأول: دوافع منح الامتيازات للدول الأوروبية.....198.
- المبحث الثاني: التقارب العثماني الفرنسي.....207.
- المبحث الثالث: التقارب العثماني الإنجليزي 987هـ/1580م.....232.
- الفصل الخامس: انعكاسات الصراع العثماني الأوروبي على الجزائر.....245.
- المبحث الأول: في المجال السياسي.....245.
- المبحث الثاني: في المجال الإقتصادي.....272.

283.....	المبحث الثالث: المجال الإجماعى
292.....	الخاتمة
295.....	قائمة الملاحق
307.....	الفهارس
318.....	قائمة الببلىوغرافىا:
348.....	فهرس المحتوى